



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرأيا  
عليكم يا صابغين

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

السيرة

نفسية القليل

للمعلمة تريا الشيد محمد حسين الطيب البستاني

المجلد السادس عشر

منشورات

مؤسسة الأمل للطبوعات

بغداد - العراق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الميزان في تفسير القرآن

كاتب:

محمد حسين طباطبائي

نشرت في الطباعة:

علامه طباطبائي

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
١٢	تفسیر المیزان المجلد ١٦
١٢	اشاره
١٢	اشاره
١٦	(٢٨)سوره القصص مکیه، و هی ثمان و ثمانون آیه(٨٨)
١٦	[سوره القصص (٢٨): الآيات ١ إلى ١٤]
١٦	اشاره
١٧	(بیان)
٢٥	(بحث روائی)
٢٧	[سوره القصص (٢٨): الآيات ١٥ إلى ٢١]
٢٧	اشاره
٢٨	(بیان)
٣٣	(بحث روائی)
٣٤	[سوره القصص (٢٨): الآيات ٢٢ إلى ٢٨]
٣٤	اشاره
٣٥	(بیان)
٣٩	(بحث روائی)
٤١	[سوره القصص (٢٨): الآيات ٢٩ إلى ٤٢]
٤١	اشاره
٤٢	(بیان)
٥٠	(بحث روائی)
٥١	(کلام حول قصص موسی و هارون(ع)) فی فصول
٥١	١-منزله موسی عند الله و موقفه العبودی:
٥٢	٢-قصص موسی(ع) فی القرآن:

٥٥ ..... ٣-منزله هارون(ع)عند الله و موقفه العبودى:

٥٥ ..... ٤-قصه موسى(ع)

٥٧ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٤٣ الى ٥٦]

٥٧ ..... اشاره

٥٨ ..... (بيان)

٦٦ ..... (بحث روائى)

٦٩ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٥٧ الى ٧٥]

٦٩ ..... اشاره

٧٠ ..... (بيان)

٨٤ ..... (بحث روائى)

٨٥ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٧٦ الى ٨٤]

٨٥ ..... اشاره

٨٦ ..... (بيان)

٩٤ ..... (بحث روائى)

٩٧ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٨٥ الى ٨٨]

٩٧ ..... اشاره

٩٧ ..... (بيان)

١٠٦ ..... (بحث روائى)

١٠٩ ..... (٢٩)سوره العنكبوت مكيه، و هي تسع و ستون آيه(٦٩) -

١٠٩ ..... [سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١ الى ١٣]

١٠٩ ..... اشاره

١١٠ ..... (بيان)

١٢٠ ..... (بحث روائى)

١٢٣ ..... [سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٤ الى ٤٠]

١٢٣ ..... اشاره

١٢٧ ..... (بيان)

- ١٤٠ ..... (بحث روائى) -----
- ١٤١ ..... [سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٥٥] -----
- ١٤١ ..... اشاره -----
- ١٤٤ ..... (بيان) -----
- ١٥٥ ..... (بحث روائى) -----
- ١٥٨ ..... [سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠] -----
- ١٥٨ ..... اشاره -----
- ١٥٩ ..... (بيان) -----
- ١٦١ ..... (بحث روائى) -----
- ١٦٢ ..... [سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٦١ الى ٦٠] -----
- ١٦٢ ..... اشاره -----
- ١٦٣ ..... (بيان) -----
- ١٦٧ ..... (بحث روائى) -----
- ١٦٨ ..... (٣٠) (سوره الروم مكيه، و هي ستون آيه)(٦٠) -----
- ١٦٨ ..... [سوره الروم (٣٠): الآيات ١ الى ١٩] -----
- ١٦٨ ..... اشاره -----
- ١٦٩ ..... (بيان) -----
- ١٧٧ ..... (بحث روائى) -----
- ١٧٩ ..... [سوره الروم (٣٠): الآيات ٢٠ الى ٢٦] -----
- ١٧٩ ..... اشاره -----
- ١٨٠ ..... (بيان) -----
- ١٨٦ ..... [سوره الروم (٣٠): الآيات ٢٧ الى ٣٩] -----
- ١٨٦ ..... اشاره -----
- ١٨٧ ..... (بيان) -----
- ٢٠١ ..... (بحث روائى) -----
- ٢٠٤ ..... (كلام فى معنى كون الدين فطرياً فى فصول) -----

- ٢٠٩ ..... [سوره الروم (٣٠): الآيات ٤٠ الى ٤٧] .....  
٢٠٩ ..... اشاره .....  
٢٠٩ ..... (بيان) .....  
٢١٥ ..... (بحث روائى) .....  
٢١٦ ..... [سوره الروم (٣٠): الآيات ٤٨ الى ٥٣] .....  
٢١٦ ..... اشاره .....  
٢١٦ ..... (بيان) .....  
٢١٩ ..... [سوره الروم (٣٠): الآيات ٥٤ الى ٦٠] .....  
٢١٩ ..... اشاره .....  
٢١٩ ..... (بيان) .....  
٢٢٣ ..... (٣١) (سوره لقمان مكيه، و هي أربع و ثلاثون آيه)(٣٤) .....  
٢٢٣ ..... [سوره لقمان (٣١): الآيات ١ الى ١١] .....  
٢٢٣ ..... اشاره .....  
٢٢٤ ..... (بيان) .....  
٢٢٧ ..... (بحث روائى) .....  
٢٢٩ ..... [سوره لقمان (٣١): الآيات ١٢ الى ١٩] .....  
٢٢٩ ..... اشاره .....  
٢٢٩ ..... (بيان) .....  
٢٣٤ ..... (بحث روائى) .....  
٢٣٤ ..... اشاره .....  
٢٣٦ ..... (كلام فى قصه لقمان و نبذ من حكمه، فى فصلين) .....  
٢٤١ ..... [سوره لقمان (٣١): الآيات ٢٠ الى ٣٤] .....  
٢٤١ ..... اشاره .....  
٢٤٤ ..... (بيان) .....  
٢٥٥ ..... (بحث روائى) .....  
٢٥٨ ..... (٣٢) (سوره السجده مكيه، و هي ثلاثون آيه)(٣٠) .....



- ٢٥٨ ..... [سوره السجده (٣٢): الآيات ١ الى ١٤] -
- ٢٥٨ ..... اشاره
- ٢٥٩ ..... (بيان)
- ٢٧٠ ..... (بحث روائى)
- ٢٧١ ..... (كلام فى كينونه الإنسان الأولى)
- ٢٧٧ ..... [سوره السجده (٣٢): الآيات ١٥ الى ٣٠] -
- ٢٧٧ ..... اشاره
- ٢٧٨ ..... (بيان)
- ٢٨٤ ..... (بحث روائى)
- ٢٨٨ ..... (٣٣) (سوره الأحزاب مدنيه، و هى ثلاث و سبعون آيه) (٧٣) -
- ٢٨٨ ..... [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ١ الى ٨] -
- ٢٨٨ ..... اشاره
- ٢٨٩ ..... (بيان)
- ٢٩٤ ..... (بحث روائى)
- ٢٩٨ ..... [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٩ الى ٢٧] -
- ٢٩٨ ..... اشاره
- ٣٠١ ..... (بيان)
- ٣٠٨ ..... (بحث روائى)
- ٣٢٣ ..... [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٨ الى ٣٥] -
- ٣٢٣ ..... اشاره
- ٣٢٤ ..... (بيان)
- ٣٣٣ ..... (بحث روائى)
- ٣٣٩ ..... [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٦ الى ٤٠] -
- ٣٣٩ ..... اشاره
- ٣٤٠ ..... (بيان)
- ٣٤٥ ..... (بحث روائى)

٣٤٧ ..... [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٤١ الى ٤٨]

٣٤٧ ..... اشاره

٣٤٧ ..... بيان

٣٤٩ ..... (بحث روائى)

٣٥١ ..... [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٤٩ الى ٤٢]

٣٥١ ..... اشاره

٣٥٤ ..... (بيان)

٣٦٠ ..... (بحث روائى)

٣٦٥ ..... [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٤٣ الى ٧٣]

٣٦٥ ..... اشاره

٣٦٦ ..... (بيان)

٣٧٣ ..... (بحث روائى)

٣٧٥ ..... (٣٤) (سوره سبأ مكيه، و هى أربع و خمسون آيه)(٥٤)

٣٧٥ ..... [سوره سبأ (٣٤): الآيات ١ الى ٩]

٣٧٥ ..... اشاره

٣٧٦ ..... (بيان)

٣٨٠ ..... [سوره سبأ (٣٤): الآيات ١٠ الى ٢١]

٣٨٠ ..... اشاره

٣٨١ ..... (بيان)

٣٨٧ ..... (بحث روائى)

٣٨٩ ..... [سوره سبأ (٣٤): الآيات ٢٢ الى ٣٠]

٣٨٩ ..... اشاره

٣٨٩ ..... (بيان)

٣٩٨ ..... (بحث روائى)

٣٩٩ ..... [سوره سبأ (٣٤): الآيات ٣١ الى ٥٤]

٣٩٩ ..... اشاره

۴۰۱ ----- (بیان)

۴۱۲ ----- (بحث روائی)

۴۱۷ ----- تعریف مرکز

سرشناسه : طباطبائی، سید محمد حسین، ۱۲۸۱ - ۱۳۶۰.

عنوان و نام پدید آور : تفسیر المیزان / محمد حسین طباطبائی؛ ترجمه ناصر مکارم شیرازی... [و دیگران].

وضعیت ویراست : [ویراست ۲؟]

مشخصات نشر : قم: بنیاد علمی و فکری علامه طباطبائی؛ تهران: مرکز نشر فرهنگی رجاء: امیر کبیر، ۱۳۶۳-

مشخصات ظاهری : ۲۰ ج.

شابک : ۱۶۰۰۰ ریال (دوره کامل)

یادداشت : جلد ۱۱ و ۱۹ کتاب توسط سید محمد باقر موسوی همدانی ترجمه شده است.

یادداشت : ج. ۱۱ (چاپ صد و بیست و هشتم: ۱۳۶۳).

یادداشت : ج. ۱۹ (چاپ اول؟: ۱۳۶۳).

یادداشت : عنوان عطف: ترجمه تفسیر المیزان.

عنوان عطف : ترجمه تفسیر المیزان.

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مکارم شیرازی، ناصر، ۱۳۰۵ -، مترجم

رده بندی کنگره : BP۹۸/ط۲۵ م ۹۰۴۱ ۱۳۶۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۲۶

شماره کتابشناسی ملی : م ۶۳-۳۵۴۹

ص : ۱







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُمِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَ نُمْكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَمَاذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لَا تَخَافِي وَ لَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَ قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنَّ كَادَتْ لِتَيْدِي بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَ قَالَتِ لِأُخْتِهِ قُصِّيه فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ تَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤)



غرض السوره الوعد الجميل للمؤمنين و هم بمكه قبل الهجره شرذمه قليلون يستضعفهم فراعنه قريش و طغاتها و اليوم يوم شده و عسره و فتنه بأن الله سيمن عليهم و يجعلهم أئمه و يجعلهم الوارثين و يمكن لهم و يرى طغاه قومهم منهم ما كانوا يحذرون يقص تعالى للمؤمنين من قصه موسى و فرعون أنه خلق موسى في حين كان فرعون في أوج قدرته يستضعف بنى إسرائيل يذبح أبناءهم و يستحيى نساءهم فرباه في حجر عدو، حتى إذا استوى و بلغ أشده نجاه و أخرجهم من بينهم إلى مدين ثم رده إليهم رسولا- منه بسطان ميين حتى إذا أغرق فرعون و جنوده أجمعين و جعل بنى إسرائيل هم الوارثين و أنزل التوراه على موسى هدى و بصائر للمؤمنين.

و على هذا المجرى يجرى حال المؤمنين و فيه وعد لهم بالملك و العزه و السلطان و وعد للنبي ص برده إلى معاد.

و انتقل من القصه إلى بيان أن من الواجب في حكمه الله أن ينزل كتابا من عنده للدعوه الحقه ثم ذكر طعنهم في دعوه القرآن بقولهم: لو لا أوتى مثل ما أوتى موسى

و الجواب عنه، و تعللهم عن الإيمان بقولهم: إن تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا و الجواب عنه و فيه التمثل بقصه قارون و خسفه.

و السوره مكيه كما يشهد بذلك سياق آياتها، و ما أوردناه من الآيات فصل من قصه موسى و فرعون من يوم ولد موسى إلى بلوغه أشده.

قوله تعالى: « طَسَمَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ » تقدم الكلام فيه فى نظائره.

قوله تعالى: « نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » « مِنْ » للتبويض و « بِالْحَقِّ » متعلق بقوله: « نَتْلُوا » أى نتلو تلاوه متلبسه بالحق فهو من عندنا و بوحي منا من غير أن يداخل فى إلقائه الشياطين، و يمكن أن يكون متعلقا بنبي أى حال كون النبيا الذى نتلوه عليك متلبسا بالحق لا مريبه فيه.

و قوله: « لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » اللام فيه للتعليل و هو متعلق بقوله: « نَتْلُوا » أى نتلو عليك من نبيهما لأجل قوم يؤمنون بآياتنا.

و محصل المعنى: نتلو عليك بعض نبي موسى و فرعون تلاوه بالحق لأجل أن يتدبر فيه هؤلاء الذين يؤمنون بآياتنا ممن اتبعوك و هم طائفه أذلاء مستضعفون فى أيدي فراعنه قريش و طغاه قومهم فيتحققوا أن الله الذى آمنوا به و برسوله و تحملوا كل أذى فى سبيله هو الله الذى أنشأ موسى (ع) لإحياء الحق و إنجاء بنى إسرائيل و إعزازهم بعد ذلتهم هاتيك الذله يذبح أبناءهم و يستحيى نساءهم و قد علا فرعون و أنشب فيهم مخالبا قهره و أحاط بهم بجوره.

أنشأه و الجو ذلك الجو المظلم الذى لا مطمع فيه فرباه فى حجر عدوه ثم أخرجه من مصر ثم أعاده إليهم بسلطان فأنجى به بنى إسرائيل و أفنى بيده فرعون و جنوده و جعلهم أحاديث و أحلاما.

فهو الله جل شأنه يقص على نبيه قصتهم و يرمز له و لهم بقوله: « لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » أنه سيفعل بهؤلاء مثل ما فعل بأولئك و يمن على هؤلاء المستضعفين و يجعلهم أئمة و يجعلهم الوارثين حذو ما صنع بنى إسرائيل.

قوله تعالى: « إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ » إلخ، العلو فى الأرض كناية عن التجبر و الاستكبار، و الشيع جمع شيعه و هى

الفرقة، قال في المجمع:، الشيع: الفرق و كل فرقه شيعه و سموا بذلك لأن بعضهم يتابع بعضا. انتهى. و كان المراد بجعل أهل الأرض- و كأنهم أهل مصر و اللام للعهد- فرقا إلقاء الاختلاف بينهم لئلا يتفق كلمتهم فيثوروا عليه و يقلبوا عليه الأمور على ما هو من دأب الملوك في بسط القدره و تقويه السلطه، و استحياء النساء إبقاء حياتهن.

و محصل المعنى: أن فرعون علا في الأرض و تفوق فيها ببسط السلطه على الناس و إنفاذ القدره فيهم و جعل أهلها شيعا و فرقا مختلفه لا تجتمع كلمتهم على شىء و بذلك ضعف عامه قوتهم على المقاومه دون قوته و الامتناع من نفوذ إرادته.

و هو يستضعف طائفه منهم و هم بنو إسرائيل و هم أولاد يعقوب (ع) و قد قطنوا بمصر منذ أحضر يوسف (ع) أباه و إخوته و أشخصهم هناك فسكنوها و تناسلوا بها حتى بلغوا الألوف.

و كان فرعون هذا و هو ملك مصر المعاصر لموسى (ع) يعاملهم معاملة الأسراء الأرقاء و يزيد في تضعيفهم حتى بلغ من استضعافه لهم أن أمر بتذبيح أبنائهم و استبقاء نسائهم و كان فيه إفناء رجالهم بقتل الأبناء الذكور و فيه فناء القوم.

و السبب في ذلك أنه كان من المفسدين في الأرض فإن الخلقه العامه التي أوجدت الإنسان لم يفرق في بسط الوجود بين شعب و شعب من الشعوب الإنسانيه ثم جهز الكل بما يهديهم إلى حياه اجتماعيه بالتمتع من أمتعته الحياه الأرضيه و لكل ما يعادل قيمته في المجتمع و ما يساوى زنته في التعاون.

هذا هو الإصلاح الذي يهتف به الصنع و الإيجاد، و التعدى عن ذلك بتحرير قوم و تعبيد آخرين و تمتيع شعب بما لا يستحقونه و تحريم غيرهم ما يصلحون له هو الإفساد الذي يسوق الإنسانيه إلى البيد و الهلاك.

و في الآيه تصوير الظرف الذي ولد فيه موسى (ع) و قد أهدت الأسباب المبيده لبنى إسرائيل على إفنائه.

قوله تعالى: «و نُريدُ أَنْ نَمَنََّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ إِلَى قَوْلِهِ - مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ» الأصل في معنى المن - على ما يستفاد من كلام الراغب - الثقل و منه تسميه ما يوزن به مناه، و المنه النعمه الثقيله و من عليه منا أى أثقله بالنعمه. قال: و يقال

ذلك على وجهين أحدهما بالفعل كقوله: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا» أى نعطيهـم من النعمه ما يثقلهم و الثانى بالقول كقوله: «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا» و هو مستقبح إلا عند كفران النعمه. انتهى ملخصا.

و تمكينهم فى الأرض إعطاؤهم فيها مكانا يملكونه و يستقرون فيه، و عن الخليل أن المكان مفعول من الكون و لكثرتـه فى الكلام أجرى مجرى فعال. فقيل: تمكن و تمسكن نحو تمنزل انتهى.

و قوله: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ» إلخ الأنسب أن يكون حالا من «طَائِفَةٌ» و التقدير يستضعف طائفه منهم و نحن نريد أن نمـن على الذين استضعفوا إلخ و قيل: معطوف على قوله: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ» و الأول أظهر، و «نُرِيدُ» على أى حال لحكاية الحال الماضيه.

و قوله: «وَنَجْعَلُهُمْ أُتْمَةً» عطف تفسير على قوله: «نَمُنَّ» و كذا ما بعده من الجمل المتعاقبه.

و المعنى: أن الظرف كان ظرف علو فرعون، و تفريقه بين الناس و استضعافه لبنى إسرائيل استضعافا يبيدهم و يفتيهـم و الحال أنا نريد أن ننعـم على هؤلاء الذين استضعفوا من كل وجه نعمه تثقلهم و ذلك بأن نجعلهم أئمه يقتدى بهم فيكونوا متبوعين بعد ما كانوا تابعين، و نجعلهم الوارثين لها بعد ما كانت بيد غيرهم و نمكن لهم فى الأرض بأن نجعل لهم مكانا يستقرون فيه و يملكونه بعد ما لم يكن لهم من المكان إلا- ما أراد غيرهم أن يبوئهم فيه و يقرهم عليه، و نرى فرعون و هو ملك مصر و هامان و هو وزيره و جنودهما منهم أى من هؤلاء الذين استضعفوا ما كانوا يحذرون و هو أن يظهروا عليهم فيذهبوا بملكهم و مالهم و سنتهم كما قالوا فى موسى و أخيه لما أرسلوا إليهم: «يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى» طه: ٦٣.

و الآيه تصور ما فى باطن هذا الظرف الهائل الذى قضى على بنى إسرائيل أن لا يعيش منهم متنفس و لا يبقى منهم نافخ نار و قد أحاطت بهم قدره فرعون الطاغية و ملأ أقطار وجودهم رعبه و هو يستضعفهم حتى يقضى عليهم بالبيد هذا ظاهر الأمر و فى باطنه الإراده الإلهيه تعلقـت بأن تنجيهم منهم و تحول ثقل النعمه من آل فرعون

الأقوياء العالين إلى بنى إسرائيل الأذلاء المستضعفين و تبدل من الأسباب ما كان على بنى إسرائيل لهم و ما كان لآل فرعون عليهم و الله يحكم لا معقب لحكمه.

قوله تعالى: « وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَمَاذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَمَا لَقِيَهُ فِي الْيَمِّ » إلى آخر الآيه، الإيحاء هو التكليم الخفى و يستعمل فى القرآن فى تكليمه تعالى بعض خلقه بنحو الإلهام و الإلقاء فى القلب كما فى قوله: «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا» ، :

الزلال: ٥ و قوله: «وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» ، :النحل: ٦٨ و قوله فى أم موسى:

« وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ » الآيه أو بنحو آخر كما فى الأنبياء و الرسل، و فى غيره تعالى كما فى قوله: «إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ» :الأنعام: ١٢١، و الإلقاء الطرح، و اليم البحر و النهر الكبير.

و قوله: « وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ » فى الكلام إيجاز بالحذف و التقدير و حبلت أم موسى به-و الحال هذه الحال من الشده و الحده-و وضعت و أوحينا إليها إلخ.

و المعنى: و قلنا بنوع من الإلهام لأم موسى لما وضعت: أَرْضِعِيهِ ما دمت لا تخافين عليه من قبل فرعون فإذا خفت عليه-أن يطلع عليه آل فرعون فيأخذوه و يقتلوه-فألقيه فى البحر و هو النيل على ما وردت به الروايه و لا تخافى عليه القتل و لا تحزنى لفقده و مفارقتة إياك إنا رادوه إليك بعد ذلك و جاعلوه من المرسلين فيكون رسولا إلى آل فرعون و بنى إسرائيل.

فقوله: «إِنَّمَا رَأَدُّهُ إِلَيْكَ» تلييل للنهى فى قوله: « وَ لَا تَحْزَنِي » كما يشهد به أيضا قوله بعد: «فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ» و الفرق بين الخوف و الحزن بحسب المورد أن الخوف إنما يكون فى مكروه محتمل الوقوع و الحزن فى مكروه قطعى الوقوف.

قوله تعالى: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ» الالتقاط أصابه الشىء و أخذه من غير طلب، و منه اللقطه و اللام فى قوله: «لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا» للعاقبه-على ما قيل-و الحزن بفتحيتين و الحزن بالضم فالسكون بمعنى واحد كالسقم و السقم، و المراد بالحزن سبب الحزن فإطلاق الحزن عليه مبالغه فى سببته لحزنهم.

و الخاطئين اسم فاعل من خطى يخطأ خطأ كعلم يعلم علما كما أن المخطئ اسم فاعل من أخطأ يخطئ إخطاء، و الفرق بين الخطى و المخطئ على ما ذكره الراغب أن الخطى يطلق على من أراد فعلا لا يحسنه ففعله قال تعالى: «إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا» ، و قال: «وَ إِنَّ كُنَّا لَخَاطِئِينَ» ، و المخطئ يستعمل فيمن أراد فعلا يحسنه فوقع منه غيره و اسم مصدره الخطأ بفتحتين، قال تعالى: «وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْأً» ، النساء: ٩٢ و المعنى الجامع هو العدول عن الوجهه. انتهى ملخصا.

فقوله: «إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ» أى فيما كانوا يفعلونه فى أبناء بنى إسرائيل و موسى تحذرا من انهدام ملكهم و ذهاب سلطانهم بيدهم إرادته لتغيير المقادير عن مجاريها فقتلوا الجم الغفير من الأبناء و لا شأن لهم فى ذلك و تركوا موسى حيث التقطوه و ربوه فى حجورهم و كان هو الذى بيده انقراض دولتهم و زوال ملكهم.

و المعنى: فأصابه آل فرعون و أخذوه من اليم و كان غايه ذلك أن يكون لهم عدوا و سبب حزن إن فرعون و هامان و جنودهما كانوا خاطئين فى قتل الأبناء و ترك موسى: أرادوا أن يقضوا على من سيقضى عليهم فعادوا يجتهدون فى حفظه و يجدون فى تربيته.

و بذلك يظهر أن تفسير بعضهم كونهم خاطئين بأنهم كانوا مذنبين فعاقبهم الله أن ربي عدوهم على أيديهم ليس بسديد.

قوله تعالى: «وَ قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ» شفاعه من امرأه فرعون و قد كانت عنده حينما جاءوا إليه بموسى - هو طفل ملتقط من اليم - تخاطب فرعون بقوله: «قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ» أى هو قره عين لنا «لَا تَقْتُلُوهُ» و إنما خاطب بالجمع لأن شركاء القتل كانوا كثيرين من سبب و مباشر و أمر و مأمور.

و إنما قالت ما قالت لأن الله سبحانه ألقى محبه منه فى قلبها فعادت لا تملك نفسها دون أن تدفع عنه القتل و تضمه إليها، قال تعالى فيما يمن به على موسى (ع):

«وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَ لِيُضَنِّعَ عَلَيَّ عَيْنِي» طه: ٣٩.

وقوله: «عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْفَعَهُ وَوَلَدًا» قالته لما رأت في وجهه من آثار الجلال و سيماء الجذبه الإلهيه، و في قولها: «أَوْ نَنْفَعَهُ وَوَلَدًا» دلالة على أنهما كانا فاقدين للابن.

وقوله: «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» جملة حاله أى قالت ما قالت و شفعت له و صرفت عنه القتل و القوم لا يشعرون ما ذا يفعلون و ما هى حقيقه الحال و ما عاقبته؟ قوله تعالى: «وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» الإبداء بالشىء إظهاره، و الربط على الشىء شده و هو كناية عن التثبيت.

و المراد بفراغ فؤاد أم موسى فراغه و خلوه من الخوف و الحزن و كان لازم ذلك أن لا يتوارد عليه خواطر مشوشه و أوهام متضاربه يضطرب بها القلب فيأخذها الجزع فتبدي ما كان عليها أن تخفيه من أمر ولدها.

و ذلك أن ظاهر السياق أن سبب عدم إبدائها له فراغ قلبها و سبب فراغ قلبها الربط على قلبها و سبب الربط هو قوله تعالى لها فيما أوحى إليها: «لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ» إلخ.

وقوله: «إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لَا» إلخ، «إِنْ» مخففه من الثقيله أى إنها قربت من أن تظهر الأمر و تفسى السر لو لا أن ثبتنا قلبها بالربط عليه، و قوله:

«لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى الواثقين بالله فى حفظه فتصبر و لا تجزع عليه فلا يبدو أمره.

و المجموع أعنى قوله: «إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ» إلى آخر الآيه فى مقام البيان لقوله:

«وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا» و محصل معنى الآيه و صار قلب أم موسى بسبب وحيننا خاليا من الخوف و الحزن المؤدبين إلى إظهار الأمر، لو لا أن ثبتنا قلبها بسبب الوحي لتكون واثقه بحفظ الله له لقربت من أن تظهر أمره لهم بالجزع عليه.

و بما تقدم يظهر ضعف بعض ما قيل فى تفسير جمل الآيه كقول بعضهم فى «وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا» أى صفرا من العقل لما دهمها من الخوف و الحيره حين سمعت بوقوع الطفل فى يد فرعون، و قول آخرين: أى فارغا من الوحي الذى أوحى إليها

بالنسيان، و ما قيل: أى فارغا من كل شىء إلا ذكر موسى أى صار فارغا له. فإنها جميعا وجوه لا يحتمل شيئا منها السياق.

و نظير ذلك فى الضعف قولهم: إن جواب لو لا- محذوف و التقدير لو لا- أن ربطنا على قلبها لأبدته و أظهرته، و الوجه فى تقديرهم ذلك ما قيل: إن لو لا شبيهه بأدوات الشرط فلها الصدر و لا يتقدم جوابها عليها. و قد تقدمت المناقشه فيه فى الكلام على قوله تعالى: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ» يوسف: ٢٤.

قوله تعالى: «وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه فَبُصِّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» قال فى المجمع:، القص اتباع الأثر و منه القصص فى الحديث لأنه يتبع فيه الثانى الأول.

و قال: و معنى بصرت به عن جنب أبصرته عن جنبه أى عن بعد. انتهى.

و المعنى: و قالت أم موسى لأختها اتبعى أثر موسى حتى ترين إلام يثول أمره فرأته عن بعد و قد أخذه خدام فرعون و هم لا يشعرون بأنها تفصه و تراقبه.

قوله تعالى: «وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» التحريم فى الآيه تكوينى لا تشريعى و معناه جعله بحيث لا يقبل ثدى مرضع و يمتنع من ارتضاعها.

و قوله: «مِنْ قَبْلُ» أى من قبل حضورها هناك و مجيئها إليهم و المراضع جمع مرضعه كما قيل.

و قوله: «فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» تفریع على ما تقدمه غير أن السياق يدل على أن هناك حذفاً كأنه قيل: و حرمننا عليه المراضع غير أمه من قبل أن تجيء أختها فكلما أتوا له بمرضع لترضعه لم يقبل ثديها فلما جاءت أختها و رأت الحال قالت عند ذلك لآل فرعون: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لنفعكم و هم له ناصحون؟.

قوله تعالى: «فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» تفریع على ما تقدمه مع تقدير ما يدل عليه السياق، و المحصل أنها قالت: هل أدلكم على أهل بيت كذا فأنعموا لها بالقبول فدلتهم على أمه فسلموه إليها فرددناه إلى أمه بنظم هذه الأسباب.



وقوله: «كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَ لَتَعْلَمَنَّ» إلخ، تعليل للرد و المراد بالعلم هو اليقين بالمشاهده فإنها كانت تعلم من قبل أن وعد الله حق و كانت مؤمنه و إنما أريد بالرد أن توقن بالمشاهده أن وعد الله حق.

و المراد بوعد الله مطلق الوعد الإلهي بدليل قوله: «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» أي لا يوقنون بذلك و يرتابون في مواعده تعالى و لا تطمئن إليها نفوسهم، و محصله أن توقع بمشاهده حقيقه هذا الذي وعدها الله به أن مطلق وعده تعالى حق.

و ربما يقال: إن المراد بوعد الله خصوص الوعد المذكور في الآيه السابقه: «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» و لا يلائمه قوله بعد: «وَلَكِنَّ» إلخ على ما تقدم.

قوله تعالى: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» بلوغ الأشد أن يعمر الإنسان ما تشتد عند ذلك قواه و يكون في الغالب في الثمان عشره، و الاستواء الاعتدال و الاستقرار فالاستواء في الحياه استقرار الإنسان في أمر حياته و يختلف في الأفراد و هو على الأغلب بعد بلوغ الأشد، و قد تقدم الكلام في معنى الحكم و العلم و إيتائهما و معنى الإحسان في مواضع من الكتاب.

### (بحث روائى)

في الدر المثور، أخرج ابن أبى شيبه و ابن المنذر و ابن أبى حاتم عن على بن أبى طالب رض: في قوله تعالى: «و نريد أن نؤمن على الذين استضعفوا في الأرض» قال: يوسف و ولده.

أقول: لعل المراد بنو إسرائيل، و إلا فظهور الآيه في خلافه غير خفى.

و في معانى الأخبار، بإسناده عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: إن رسول الله ص -نظر إلى على و الحسن و الحسين (ع) فبكى - و قال: أنتم المستضعفون بعدى. قال المفضل: فقلت له: ما معنى ذلك؟ قال:

معناه أنكم الأئمه بعدى - إن الله عز و جل يقول: «و نريد أن نؤمن على الذين استضعفوا في الأرض - و نجعلهم أئمه و نجعلهم الوارثين» فهذه الآيه جاريه فينا إلى يوم القيامة.

أقول: و الروايات من طرق الشيعة فى كون الآيه فى أئمه أهل البيت (ع) كثيره و بهذه الروايه يظهر أنها جميعا من قبيل الجرى و الانطباق.

و فى نهج البلاغه: لتعطفن الدنيا عليا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها و تلا عقب ذلك « وَ تُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ».

و فى تفسير القمى: فى قوله تعالى: « وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ » إلى آخر الآيه:

حدثنى أبى عن الحسن بن محبوب عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر (ع) قال: إنه لما حملت به أمه لم يظهر حملها إلا عند وضعها له - و كان فرعون قد وكل بنساء بنى إسرائيل نساء من القبط يحفظنهن - و ذلك أنه كان لما بلغه عن بنى إسرائيل أنهم يقولون: إنه يولد فىنا رجل يقال له: موسى بن عمران - يكون هلاك فرعون و أصحابه على يده - فقال فرعون عند ذلك: لأقتلن ذكور أولادهم حتى لا يكون ما يريدون - و فرق بين الرجال و النساء و حبس الرجال فى المحابس.

فلما وضعت أم موسى بموسى - نظرت إليه و حزنت عليه و اغتمت و بكت - و قالت:

يذبح الساعه - فعطف الله عز و جل قلب الموكله بها عليه - فقالت لأم موسى: ما لك قد اصفر لونك؟ فقالت أخاف أن يذبح ولدى - فقالت: لا تخافى و كان موسى لا يراه أحد إلا أحبه - و هو قول الله: « وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ».

فأحبه القبطه الموكله بها - و أنزل الله على أم موسى التابوت، و نوديت ضعيه فى التابوت فألقيه فى اليم و هو البحر « وَ لَا تَخَافِ وَ لَا تَحْزَنِ - إنا رادوه إليك وَ جاعلوه من المرسلين » فوضعت فى التابوت و أطبقته عليه و ألقته فى النيل.

و كان لفرعون قصر على شط النيل متزّه - فنظر من قصره - و معه آسيه امرأته - إلى سواد فى النيل ترفعه الأمواج - و الرياح تضربه حتى جاءت به إلى باب قصر فرعون - فأمر فرعون بأخذه فأخذ التابوت و رفع إليه - فلما فتحه وجد فيه صبيا فقال:

هذا إسرائيلى - فألقى الله فى قلب فرعون محبه شديده و كذلك فى قلب آسيه.

و أراد فرعون أن يقتله فقالت آسيه: لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولداً - و هم لا يشعرون أنه موسى.

و فى المجمع، فى قوله تعالى: «قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ» إلخ،

عن النبى ص:

و الذى يحلف به لو أقر فرعون بأن يكون له قره عين - كما أقرت امرأته لهداه الله به كما هداها - ولكنه أبى للشقاء الذى كتبه الله عليه.

و فى المعانى، بإسناده عن محمد بن نعمان الأ-حول عن أبى عبد الله (ع): فى قول الله عز و جل: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى» قال: أشده ثمان عشره سنه «وَاسْتَوَى» التحى.

## [سوره القصص (٢٨): الآيات ١٥ الى ٢١]

### اشاره

وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتِغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (١٧) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُبِينٌ (١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَ مَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْطَلِحِينَ (١٩) وَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١)

ص: ١٦

فصل ثان من قصه موسى (ع) فيه ذكر بعض ما وقع بعد بلوغه أشده فأدى إلى خروجه من مصر و قصده مدين.

قوله تعالى: « وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا » إلخ، لا ريب أن المدينة التي دخلها على حين غفله من أهلها هي مصر، و أنه كان يعيش عند فرعون، و يستفاد من ذلك أن القصر الملكي الذي كان يسكنه فرعون كان خارج المدينة و أنه خرج منه و دخل المدينة على حين غفله من أهلها، و يؤيد ما ذكرنا ما سيأتي من قوله: « وَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى » على ما سيجيء من الاستظهار.

و حين الغفله من أهل المدينة هو حين يدخل الناس بيوتهم فتتعطل الأسواق و تخلو الشوارع و الأزقة من المارة كالظهيره و أواسط الليل.

و قوله: « فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ » أى يتنازعان و يتضاربان، و قوله: « هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ » حكاية حال تمثل به الواقعه، و معناه: أن أحدهما كان إسرائيليا من متبعيه فى دينه- فإن بنى إسرائيل كانوا ينتسبون يومئذ إلى آبائهم إبراهيم و إسحاق و يعقوب (ع) فى دينهم و إن كان لم يبق لهم منه إلا- الاسم و كانوا يتظاهرون بعباده فرعون- و الآخر قبطيا عدوا له لأن القبط كانوا أعداء بنى إسرائيل، و من الشاهد أيضا على كون هذا الرجل قبطيا قوله فى موضع آخر يخاطب ربه: « وَ لَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ »: الشعراء: ١٤.

و قوله: « فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنَ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ » الاستغاثة: الاستنصار من الغوث بمعنى النصره أى طلب الإسرائيلى من موسى أن ينصره على عدوه القبطى.

و قوله: « فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ » ضميرا « فَوَكَرَهُ » و « عَلَيْهِ » للذى من عدوه و الوكر -على ما ذكره الراغب و غيره- الطعن و الدفع و الضرب بجمع الكف،

و القضاء هو الحكم و القضاء عليه كناية عن الفراغ من أمره بموته، و المعنى: فدفعه أو ضربه موسى بالوكر فمات، و كان قتل خطياً و لو لا ذلك لكان من حق الكلام أن يعبر بالقتل.

و قوله: « قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ » الإِشَارَةُ بِهَذَا إِلَى مَا وَقَعَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْاِقْتِتَالِ حَتَّى أَدَّى إِلَى مَوْتِ الْقَبْطِيِّ وَ قَدْ نَسَبَهُ نَوْعٌ نَسَبَهُ إِلَى عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ: « هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ » وَ « مِنْ » ابْتِدَائِيَّةٌ تَفِيدُ مَعْنَى الْجِنْسِ أَوْ نَشْئِيَّةٌ، وَ الْمَعْنَى: هَذَا الَّذِي وَقَعَ مِنَ الْمَعَادَاةِ وَ الْاِقْتِتَالِ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ الْمُنْسُوبِ إِلَى الشَّيْطَانِ أَوْ نَاشٍ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْقَعَ الْعِدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ بَيْنَهُمَا وَ أَغْرَى عَلَى الْاِقْتِتَالِ حَتَّى أَدَّى ذَلِكَ إِلَى مَدَاخِلِهِ مُوسَى وَ قَتَلَ الْقَبْطِيَّ بِيَدِهِ فَأَوْقَعَهُ ذَلِكَ فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ وَ قَدْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْوَاقِعَةَ لَا تَبْقَى خَفِيَّةً مَكْتُومَةً وَ أَنَّ الْقَبْطِ سَيُثَوِّرُونَ عَلَيْهِ وَ أَشْرَافُهُمْ وَ مَلْؤُهُمْ وَ عَلَى رَأْسِهِمْ فِرْعَوْنَ سَيَنْتَقِمُونَ مِنْهُ وَ مِنْ كُلِّ مَنْ تَسَبَّبَ إِلَى ذَلِكَ أَشَدَّ الْاِنْتِقَامِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنْبَهُ (ع) أَنَّهُ أَخْطَأَ فِيمَا فَعَلَهُ مِنَ الْوَكْرِ الَّذِي أوردَهُ مُورِدُ الْهَلَكَةِ وَ لَا يَنْسَبُ الْوَقُوعُ فِي الْخَطِيئَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِأَنَّهُ لَا يَهْدِي إِلَّا إِلَى الْحَقِّ وَ الصَّوَابِ فَفَضِيَ أَنَّ ذَلِكَ مَنْسُوبٌ إِلَى الشَّيْطَانِ.

وَ فَعَلَهُ ذَاكَ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَهُ مِنْهُ لَوْ قُوعَهُ خَطْأً وَ كُونَ دِفَاعَهُ عَنِ الْإِسْرَائِيلِيِّ دِفْعًا لِكَافِرٍ ظَالِمٍ، لَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَمَا يَوْقَعُ بَوْسُوسَتَهُ الْإِنْسَانَ فِي الْإِثْمِ وَ الْمَعْصِيَةِ كَذَلِكَ يَوْقَعُهُ فِي أَى مَخَالَفَةٍ لِلصَّوَابِ يَقَعُ بِهَا فِي الْكَلْفَةِ وَ الْمَشَقَّةِ كَمَا أَوْقَعَ آدَمَ وَ زَوْجَهُ فِيمَا أَوْقَعَ مِنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ الْمَنْهِيَةِ فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى خُرُوجِهِمَا مِنَ الْجَنَّةِ.

فَقَوْلُهُ: « هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ » اِنْتِزَاجٌ مِنْهُ عَمَّا وَقَعَ مِنَ الْاِقْتِتَالِ الْمُؤْدِي إِلَى قَتْلِ الْقَبْطِيِّ وَ وَقُوعِهِ فِي عَظِيمِ الْخَطَرِ وَ نَدَمِ مَنْهُ عَلَى ذَلِكَ، وَ قَوْلُهُ: « إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ » إِشَارَةٌ مِنْهُ إِلَى أَنَّ فَعْلَهُ كَانَ مِنَ الضَّلَالِ الْمُنْسُوبِ إِلَى الشَّيْطَانِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي فِيهَا إِثْمٌ وَ مُؤَاخَذَةٌ بَلْ خَطْأً مَحْضًا لَا يَنْسَبُ إِلَى اللَّهِ بَلْ إِلَى الشَّيْطَانِ الَّذِي هُوَ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ نَوْعًا مِنْ سُوءِ التَّدْبِيرِ وَ الضَّلَالِ السَّعْيِ يَسُوقُهُ إِلَى عَاقِبِهِ وَ خِيَمِهِ وَ لِذَا لَمَّا اعْتَرَضَ عَلَيْهِ فِرْعَوْنَ بِقَوْلِهِ: « وَ فَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ

مِنَ الْكَافِرِينَ» أجابه بقوله: «فَعَلْتَهَا إِذَا وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ»: الشعراء: ٢٠.

قوله تعالى: « قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » اعتراف منه عند ربه بظلمه نفسه حيث أوردتها مورد الخطر و ألقاها في التهلكه، و منه يظهر أن المراد بالمغفره المسئوله فى قوله: «فَاغْفِرْ لِي» هو إلقاء تبعه فعله و إنجاؤه من الغم و تخليصه من شر فرعون و ملئه، كما يظهر من قوله تعالى: « وَ قَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ »: طه: ٤٠.

و هذا الاعتراف بالظلم و سؤال المغفره نظير ما وقع من آدم و زوجه المحكى فى قوله تعالى: «قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَ إِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» الأعراف: ٢٣.

قوله تعالى: « قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ » قيل:

الباء فى قوله: «بِمَا أَنْعَمْتَ» للسببيه و المعنى رب بسبب ما أنعمت على، لك على أن لا أكون معينا للمجرمين فيكون عهدا منه لله تعالى و قيل: الباء للقسم و الجواب محذوف و المعنى: أقسم بما أنعمت على لأتوبن أو لأمتنعن فلن أكون ظهيرا للمجرمين، و قيل: القسم استعطافى و هو القسم الواقع فى الإنشاء كقولك بالله زرنى، و المعنى أقسمك أن تعطف على و تعصمنى فلن أكون ظهيرا للمجرمين.

و الوجه الأول هو الأوجه لأن المراد بقوله: «بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ» -على ما ذكره- أما إنعامه تعالى عليه إذ حفظه و خلصه من قتل فرعون و رده إلى أمه، و أما إنعامه عليه إذ قبل توبته من قتل القبطى و غفر له بناء على أنه علم مغفرته تعالى بإلهام أو رؤيا أو نحوهما و كيف كان فهو إقسام بغيره تعالى، و المعنى أقسم بحفظك إياى أو أقسم بمغفرتك لى، و لم يعهد فى كلامه تعالى حكاية قسم من غيره بغيره بهذا النحو.

و قوله: « فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ » قيل: المراد بالمجرم من أوقع غيره فى الجرم أو من أدت إعانته إلى جرم كإسرائيلى الذى خاصمه القبطى فأوقعت إعانته موسى فى جرم القتل فيكون فى لفظ المجرمين مجاز فى النسبه من حيث تسميه السبب الموقع فى الجرم مجرما.

و قيل: المراد بالمجرمين فرعون و قومه و المعنى: أقسم بإنعامك على لأتوبن فلن

أكون معينا لفرعون و قومه بصحبتهم و ملازمتهم و تكثير سوادهم كما كنت أفعله إلى هذا اليوم.

و رد هذا الوجه الثانى بأنه لا يناسب المقام.

و الحق أن قوله: «رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ» عهد من موسى (ع) أن لا- يعين مجرما على إجرامه شكرا لله تعالى على ما أنعم عليه، و المراد بالنعمة و قد أطلقت إطلاقا الولايه الإلهيه على ما يشهد به قوله تعالى: «فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصُّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ»: النساء: ٦٩.

و هؤلاء أهل الصراط المستقيم مأمونون من الضلال و الغضب لقوله تعالى: «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ»، الفاتحه:

٧ و ترتب الامتناع عن إعانه المجرمين على الإنعام بهذا المعنى ظاهر لا ستره عليه.

و من هنا يظهر أن المراد بالمجرمين أمثال فرعون و قومه دون أمثال الإسرائيلى الذى أعانه فلم يكن فى إعانته جرم و لا كان وكر القبطى جرما حتى يتوب (ع) منه كيف؟ و هو (ع) من أهل الصراط المستقيم الذين لا يضلون بمعصيته، و قد نص تعالى على كونه من المخلصين الذين لا سبيل للشيطان إليهم بالإغواء حيث قال: «إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَ كَانَ رَسُولاً نَبِيًّا»: مريم: ٥١.

و قد نص تعالى أيضا آفا بأنه آتاه حكما و علما و أنه من المحسنين و من المتقين من أمره أن لا تستخفه عصبية قومية أو غضب فى غير ما ينبغى أو إعانه و نصره لمجرم فى إجرامه.

و قد كرر «قَالَ» ثلاثا حيث قيل: «قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» «قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي» «قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ» و ذلك لاختلاف السياق فى الجمل الثلاث فالجمله الأولى قضاء منه و حكم، و الجمله الثانية استغفار و دعاء، و الجمله الثالثة عهد و التزام.

قوله تعالى: «فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ» تقييد «فَأَصْبَحَ» بقوله: «فِي الْمَدِينَةِ» دليل على أنه بقى فى المدينة و لم يرجع إلى قصر فرعون، و الاستصراخ الاستغاثة برفع الصوت من الصراخ بمعنى الصياح، و الغوايه إخطاء الصواب خلاف الرشد.

و المعنى: فأصبح موسى فى المدينة-و لم يرجع إلى بلاط فرعون-و الحال أنه خائف من فرعون ينتظر الشر ففاجأه أن الإسرائيلى الذى استنصره على القبطى بالأمس يستغيث به رافعا صوته على قبطى آخر قال موسى للإسرائيلى توييخا و تانيا:

إنك لغوى ميين لا تسلك سبيل الرشد و الصواب لأنه كان يخاصم و يقتتل قوما ليس فى مخاصمتهم و المقاومه عليهم إلا الشر كل الشر.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ إلى آخر الآيه، ذكر جل المفسرين أن ضمير «قَالَ» للإسرائيلى الذى كان يستصرخه و ذلك أنه ظن أن موسى إنما يريد أن يبطش به لما سمعه يعاتبه قبل بقوله: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ فهاله ما رأى من إرادته البطش فقال:

﴿يَا مُوسَى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ إلخ، فعلم القبطى عند ذلك أن موسى هو الذى قتل القبطى بالأمس فرجع إلى فرعون فأخبره الخبر فائتمروا بموسى و عزموا على قتله.

و ما ذكروه فى محله لشهاده السياق بذلك فلا يعبا بما قيل: إن القائل هو القبطى دون الإسرائيلى، هذا و معنى باقى الآيه ظاهر. و فى قوله: ﴿أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ تعريض للتوراه الحاضره حيث تذكر أن المتقاتلين هذين كانا جميعا إسرائيلىين، و فيه أيضا تأكيد أن القائل: ﴿يَا مُوسَى أَ تُرِيدُ﴾ إلخ، الإسرائيلى دون القبطى لأن سياقه سياق اللوم و الشكوى.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ إلخ، الائتمار المشاوره، و النصيحه خلاف الخيانه.

و الظاهر كون قوله: ﴿مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ قيدا لقوله: ﴿جَاءَ﴾ فسياق القصة يعطى أن الائتمار كان عند فرعون و بأمر منه، و أن هذا الرجل جاء من هناك و قد كان قصر فرعون فى أقصى المدينة و خارجها فأخبر موسى بما قصدوه من قتله و أشار عليه بالخروج من المدينة.

و هذا الاستثناس من الكلام يؤيد ما تقدم أن قصر فرعون الذى كان يسكنه كان خارج المدينة، و معنى الآيه ظاهر.



قوله تعالى: «فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» فيه تأكيد أنه ما كان يرى قتله القبطى خطأ جرماً لنفسه.

### (بحث روائى)

فى تفسير القمى، قال: "فلم يزل موسى عند فرعون فى أكرم كرامه-حتى بلغ مبلغ الرجال-و كان ينكر عليه ما يتكلم به موسى(ع)من التوحيد-حتى هم به فخرج موسى من عنده و دخل المدينة-فإذا رجلان يقتتلان-أحدهما يقول بقول موسى و الآخر يقول بقول فرعون-فاستغاثه الذى من شيعته فجاء موسى-فوكز صاحب فرعون فقضى عليه و توارى فى المدينة.

فلما كان الغد جاء آخر-فتشبت بذلك الرجل الذى يقول بقول موسى-فاستغاث بموسى فلما نظر صاحبه إلى موسى قال له. أ تُريدُ أن تُقتلنى كما قُتلتَ نفساً بالأُمسِ؟ فخلى عن صاحبه و هرب.

و فى العيون، بإسناده إلى على بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون و عنده الرضا(ع)-فقال له المأمون: يا ابن رسول الله-أ ليس من قولك: إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى. قال: فأخبرنى عن قول الله: «فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» قال الرضا(ع): إن موسى(ع)دخل مدينة من مدائن فرعون-على حين غفله من أهلها و ذلك بين المغرب و العشاء-فوجد فيها رجلين يقتتلان-هذا من شيعته و هذا من عدوه-فقضى على العدو بحكم الله تعالى ذكره فوكزه فمات، قال: هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ -يعنى الاقتتال الذى وقع بين الرجلين-لا ما فعله موسى(ع)من قتله «إِنَّهُ» يعنى الشيطان «عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ».

قال المأمون: فما معنى قول موسى: «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي»؟ قال: يقول: وضعت نفسى غير موضعها بدخول هذه المدينة-فاغفر لى أى استرنى من أعدائك لئلا يظفروا بى فيقتلونى-فغفر له إنه هو الغفور الرحيم. قال موسى: رب بما أنعمت على من القوه-حتى قتلت رجلاً بوكزه فلن أكون ظهيراً للمجرمين-بل أجاهدهم بهذه القوه حتى ترضى.

فأصبح موسى (ع) في المدينة خائفا يترقب- فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر- قال له موسى إنك لغوى مبين- قاتلت رجلا بالأمس و تقاتل هذا اليوم- لأؤدبناك و أراد أن يبطش به- فلما أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما و هو من شيعة- قال يا موسى أ تريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس؟ إن تريد إلا- أن تكون جارا في الأرض- و تريد أن تكون من المصلحين. قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيرا يا أبا الحسن.

## [سوره القصص (٢٨): الآيات ٢٢ الى ٢٨]

### اشاره

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْتَقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمِ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَىٰ ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَلِكْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)

فصل ثالث من قصته(ع) يذكر فيه خروجه من مصر إلى مدين عقيب قتله القبطى خوفا من فرعون و تزوجه هناك بابنه شيخ كبير لم يسم فى القرآن لكن تذكر روايات أئمه أهل البيت(ع) وبعض روايات أهل السنه أنه هو شعيب النبى المبعوث إلى مدين.

قوله تعالى: « وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ » قال فى المجمع:، تلقاء الشىء حذاؤه، و يقال:فعل ذلك من تلقاء نفسه أى من حذاء داعى نفسه.و قال: سواء السبيل وسط الطريق انتهى.

و مدين -على ما فى مراصد الاطلاع-،مدينه قوم شعيب و هى تجاه تبوك على بحر القلزم بينهما ست مراحل و هى أكبر من تبوك و بها البئر التى استقى منها موسى لغنم شعيب(ع)انتهى،و يقال:إنه كان بينهما و بين مصر مسيره ثمان و كانت خارجه من سلطان فرعون و لذا توجه إليها.

و المعنى:و لما صرف وجهه بعد الخروج من مصر حذاء مدين قال:أرجو من ربي أن يهدينى وسط الطريق فلا أضل بالعدول عنه و الخروج منه إلى غيره.

و السياق-كما ترى-يعطى أنه(ع)كان قاصدا لمدين و هو لا يعرف الطريق الموصله إليها فترجى أن يهديه ربه.

قوله تعالى: « وَ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجِدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ »إلخ الذود الحبس و المنع،و المراد بقوله:« تَدُودَانِ »أنهما يجبسان أغنامهما من أن ترد الماء أو تختلط بأغنام القوم كما أن المراد بقوله:« يَسْقُونَ »سقيهم أغنامهم و مواشيهم، و الرعاء جمع الراعى و هو الذى يرعى الغنم.

و المعنى: و لما ورد موسى ماء مدين وجد على الماء جماعه من الناس يسقون أغنامهم و وجد بالقرب منهم مما يليه امرأتين تحبسان أغنامهما و تمنعانهما أن ترد المورد قال موسى مستفسرا عنهما-حيث وجدهما تذودان الغنم و ليس على غنمهما رجل-:

ما شأنكما؟ قالتا لا نسقى غنمنا أى عادتنا ذلك حتى يصدر الراعون و يخرجوا أغنامهم و أبونا شيخ كبير-لا يقدر أن يتصدى بنفسه أمر السقى و لذا تصدينا الأمر.

قوله تعالى: «فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَهَمَّ» (ع) من كلامهما أن تأخرهما فى السقى نوع تعفف و تحجب منهما و تعد من الناس عليهما فبادر إلى ذلك و سقى لهما.

و قوله: «ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» أى انصرف إلى الظل ليستريح فيه و الحر شديد و قال ما قال، و قد حمل الأكثرون قوله:

«رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ» إلخ على سؤال طعام يسد به الجوع، و عليه فالأولى أن يكون المراد بقوله «لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ» القوه البدنيه التى كان يعمل بها الأعمال الصالحه التى فيها رضى الله كالدفاع عن الإسرائيلى و الهرب من فرعون بقصد مدين و سقى غنم شعيب و اللام فى «لِمَا أَنْزَلْتَ» بمعنى إلى و إظهار الفقر إلى هذه القوه التى أنزلها الله إليه من عنده بالإفاضه كناية عن إظهار الفقر إلى شىء من الطعام تستبقى به هذه القوه النازله الموهوبه.

و يظهر منه أنه (ع) كان ذا مراقبه شديده فى أعماله فلا يأتى بعمل و لا يريد و إن كان مما يقتضيه طبعه البشرى إلا ابتغاء مرضاه ربه و جهادا فيه، و هذا ظاهر بالتدبر فى القصه فهو القائل لما وكز القبطى: رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ثم القائل لما خرج من مصر خائفا يترقب: «رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» ثم القائل لما أخذ فى السلوك: «عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ» ثم القائل لما سقى و تولى إلى الظل: «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» ثم القائل لما آجر نفسه شعيبا و عقد على بنته: «وَ اللَّهُ عَلَيَّ بِمَا نَقُولُ وَ كَيْلٌ».

و ما نقل عن بعضهم أن اللام فى «لِمَا أَنْزَلْتَ» للتعليل و كذا قول بعضهم إن المراد بالخير خير الدين و هو النجاه من الظالمين بعيد مما يعطيه السياق.

قوله تعالى: «فَجَاءَتْهُ إِخِدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ» إلى آخر الآية. ضمير إحداهما للمرأتين، وتنكير الاستحياء للتفخيم والمراد بكون مشيها على استحياء ظهور التعفف من مشيتها، وقوله: «لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا» ما مصدرية أى ليعطيك جزاء سقيك لنا، وقوله: «فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ» إلخ يلوح إلى أن شعيبا استفسره حاله فقص عليه قصته فطيب نفسه بأنه نجا منهم إذ لا سلطان لهم على مدين.

و عند ذلك تمت استجابته تعالى لموسى (ع) أدعيته الثلاثة فقد كان سأل الله تعالى عند خروجه من مصر أن ينجيه من القوم الظالمين فأخبره شعيب (ع) بالنجاه و ترجى أن يهديه سواء السبيل و هو فى معنى الدعاء فورد مدين، و سأل الرزق فدعاه شعيب ليجزيه أجر ما سقى و زاد تعالى فكفاه رزق عشر سنين و وهب له زوجا يسكن إليها.

قوله تعالى: «قَالَتْ إِخِدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ» إطلاق الاستيجار يفيد أن المراد استخدامه لمطلق حوائجه التى تستدعى من يقوم مقامه و إن كانت العهده باقتضاء المقام رعى الغنم.

و قوله: «إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ» إلخ، فى مقام التعليل لقوله: «اسْتَأْجِرْهُ» و هو من وضع السبب موضع المسبب و التقدير استأجره لأنه قوى أمين و خير من استأجرت هو القوى الأمين.

و فى حكمها بأنه قوى أمين دلالة على أنها شاهدت من نحو عمله فى سقى الأغنام ما استدلت به على قوته و كذا من ظهور عفته فى تكليمهما و سقى أغنامهما ثم فى صحبتها لها عند ما انطلق إلى شعيب حتى أتاه ما استدلت به على أمانته.

و من هنا يظهر أن هذه القائله: «يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ» إلخ، هى التى جاءت و أخبرته بدعوه أبيها له كما وردت به روايات أئمة أهل البيت (ع) و ذهب إليه جمع من المفسرين.

قوله تعالى: «قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُكْحِكَ إِخِدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرْنِي ثَمَانِي حَجَجٍ» إلخ، عرض من شعيب لموسى (ع) أن يأجره نفسه ثمانى سنين أو عشرا

قبال تزويجه إحدى ابنتيه و ليس بعقد قاطع و من الدليل عدم تعيين المعقوده فى كلامه (ع).

فقوله: «إِحْدَى ابْنَتَى هَاتَيْنِ» دليل على حضورهما إذ ذاك، وقوله: «عَلَى أَنْ تَأْجُرْنِي ثَمَانِي حَجَّجٍ» أى على أن تأجرنى نفسك أى تكون أجيرا لى ثمانى حجج، و الحجج جمع حجه و المراد بها السنه بعنايه أن كل سنه فيها حجه للبيت الحرام، و به يظهر أن حج البيت- و هو من شريعته إبراهيم(ع)- كان معمولا به عندهم.

و قوله: «فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ» أى فَإِنْ أَتَمَمْتَهُ عَشْرَ سَنِينَ فهو من عندك و باختيار منك من غير أن تكون ملزما من عندى.

و قوله: «وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ» إخبار عن نحو ما يريد من الخدمه و أنه عمل غير موصوف بالمشقه و أنه مخدوم صالح. و قوله: «سَيَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» أى إني من الصالحين و سستجدنى منهم إِنْ شَاءَ اللَّهُ فالاستثناء متعلق بوجودان موسى إياه منهم لا بكونه فى نفسه منهم.

قوله تعالى: «قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا نَقُولُ وَكَيْلٌ» الضمير لموسى(ع).

و قوله: «ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ» أى ذلك الذى ذكرته و قررته من المشارطه و المعاهده و عرضته على ثابت بيننا ليس لى و لا لك أن نخالف ما شارطناه، و قوله: «أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ» بيان للأجل المردد المضروب فى كلام شعيب(ع) و هو قوله: «ثَمَانِي حَجَّجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ» أى لى أن أختار أى الأجلين شئت فإن اخترت الثمانى سنين فليس لك أن تعدو على و تلزمنى بالزيادة و إن اخترت الزيادة و خدمتك عشا فليس لك أن تعدو على بالمنع من الزيادة.

و قوله: «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا نَقُولُ وَكَيْلٌ» توكيل له تعالى فيما يشارطان يتضمن إشهاده تعالى على ما يقولان و إرجاع الحكم و القضاء بينهما إليه لو اختلفا، و لذا اختار التوكيل على الإشهاد لأن الشهاده و القضاء كليهما إليه تعالى، و هذا كقول يعقوب(ع) حين أخذ الموثق من بنيه أن يردوا إليه ابنه فيما يحكيه الله: «فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا نَقُولُ وَكَيْلٌ»: يوسف: ٦٦.

فى كتاب كمال الدين، بإسناده إلى سدير الصيرفى عن أبى عبد الله (ع) فى حديث طويل:

وَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى - قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ - فَأَخْرَجَ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ

-من مصر بغير ظهر و لا دابه و لا خادم تخفضه أرض - و ترفعه أخرى حتى انتهى إلى أرض مدين.

فانتهى إلى أصل شجره فنزل فإذا تحتها بئر - و إذا عندها أمه من الناس يسقون - و إذا جاريتان ضعيفتان و إذا معهما غنيمه لهما - قال ما خطبكما قالتا أبونا شيخ كبير - و نحن جاريتان ضعيفتان لا نقدر أن نزاحم الرجال - فإذا سقى الناس سقينا فرحمهما فأخذ دلوهما فقال لهما: قدما غنمكما فسقى لهما ثم رجعتا بكره قبل الناس.

ثم تولى موسى إلى الشجره فجلس تحتها - و قال: «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» فروى أنه قال ذلك و هو محتاج إلى شق تمره - فلما رجعتا إلى أبيهما - قال: ما أعجلكما فى هذه الساعه - قالتا: وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا. فقال لإحدهما اذهبى - فادعيه لى فجاءته إحدهما تمشى على استحياء - قالت: إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا.

فروى أن موسى (ع) قال لهما: وجهنى إلى الطريق و امشى خلفى - فإننا بنى يعقوب لا نلظ فى أعجاز النساء، فلما جاءه و قص عليه القصص - قال: لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .

قال: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِخِيذِي ابْنَتِي هَاتَيْنِ - عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرْنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ - فروى أنه قضى أتمهما - لأن الأنبياء (ع) لا تأخذ إلا بالفضل و التمام.

أقول: و روى ما فى معناه القمى فى تفسيره.

و فى الكافى، عن على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن ذكره عن أبى عبد الله (ع): فى قول الله عز و جل حكاية عن موسى (ع): «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» قال: سأل الطعام.

أقول:

و روى العياشى عن حفص عنه (ع): مثله، و لفظه إنما عنى الطعام:

و أيضا عن ليث عن أبي جعفر (ع) مثله ،

و فى نهج البلاغه،: مثله و لفظه و الله ما سأله إلا خبزا يأكله.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ص: لما سقى موسى للجارييتين ثم تولى إلى الظل - فقال: رَبُّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ - قال: إنه يومئذ فقير إلى كف من تمر.

و فى تفسير القمى، قال: "قالت إحدى بنات شعيب: يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ، فقال لها شعيب (ع): أما قوته فقد عرفته أنه يستقى الدلو وحده - فبم عرفت أمانته؟ فقالت: إنه لما قال لى: تأخرى عنى و دلىنى على الطريق - فإننا من قوم لا ينظرون فى أدبار النساء - عرفت أنه ليس من الذين ينظرون أعجاز النساء فهذه أمانته:

أقول: و روى مثله فى المجمع، عن على (ع) .

و فى المجمع، و روى الحسن بن سعيد عن صفوان عن أبي عبد الله (ع) قال: رسائل أيتهما التى قالت: إن أبى يدعوك؟ قال: التى تزوج بها. قيل: فأى الأجلين قضى؟ قال: أو فاهما و أبعدهما عشر سنين. قيل: فدخل بها قبل أن يمضى الشرط أو بعد انقضائه؟ قال: قبل أن ينقضى. قيل له: فالرجل يتزوج المرأة و يشترط لأبيها إجاره شهرين أ يجوز ذلك؟ قال: إن موسى علم أنه سيتم له شرطه. قيل: كيف؟ قال: علم أنه سيبقى حتى يفى.

أقول: و روى قضاء عشر سنين فى الدر المنثور، عن النبى ص بعده طرق.

و فى تفسير العياشى، و قال الحلبي: سئل أبو عبد الله (ع) عن البيت - أ كان يحج قبل أن يبعث النبى ص؟ قال: نعم - و تصديقه فى القرآن قول شعيب - حين قال لموسى (ع) حيث تزوج: «عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ» و لم يقل ثمانى سنين.



فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ  
 مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَنَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْأَوْدِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ  
 الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا صَدَأٌ يَخْتَلِفُ حُجْرَانٌ وَلى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ  
 (٣١) أَسْمَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَبْضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُكَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى  
 فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي  
 لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنُنشِدُكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصْعَلُونَ  
 إِلَيْكُمَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا وَصَّيْنَا بَنِي آدَمَ بِاللِّغَةِ وَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي  
 آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٣٥) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٦) وَقَالَ  
 فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي  
 لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٧) وَإِسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٨) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ  
 فِي الْيَمِّ فَاظْطَرُّوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤٠) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ  
 الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْتُولِينَ (٤١)

فصل آخر من قصه موسى (ع) وقد أودع فيه إجمال قصته من حين سار بأهله من مدين قاصدا لمصر و بعثته بالرساله إلى فرعون و ملئه لإنجاء بنى إسرائيل و تكذيبهم له إلى أن أغرقهم الله فى اليم و تنتهى القصه إلى إيتائه الكتاب و كأنه هو العمده فى سرد القصه.

قوله تعالى: «فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا» إلخ، المراد بقضائه الأجل إتمامه مده خدمته لشعيب (ع) و المروى أنه قضى أطول الأجلين، و الإيناس الإبصار و الرؤيه، و الجذوه من النار القطعه منها، و الاصطلاء الاستدفاء.

و السياق يشهد أن الأمر كان بالليل و كانت ليله شديده البرد و قد ضلوا الطريق فرأى من جانب الطور و قد أشرفوا عليه نارا فأمر أهله أن يمكثوا ليذهب إلى ما آنسه لعله يجد هناك من يخبره بالطريق أو يأخذ قطعه من النار فيصطلوا بها، و قد وقع فى القصه من سوره طه موضع قوله: «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ» إلخ قوله: «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٌ عَلَيَّ النَّارِ هُدًى» طه: ١٠، و هو أدل على كونهم ضلوا الطريق.

و كذا فى قوله خطابا لأهله: «أَمْكُثُوا» إلخ، شهاده على أنه كان معها من يصح

معهُ خطاب (١)الجمع.

قوله تعالى: «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ» إلخ قال فى المفردات:، شاطئ الوادى جانبه، وقال: أصل الوادى الموضع الذى يسيل منه الماء و منه سُمى المنفرج بين الجبلين واديا و جمعه أوديه انتهى و البقعه القطعه من الأرض على غير هيئته التى إلى جنبها.

و المراد بالأيمن الجانب الأيمن مقابل الأيسر و هو صفه الشاطئ و لا يعبأ بما قاله بعضهم: إن الأيمن من اليمين مقابل الأثام من الشؤم.

و البقعه المباركه قطعه خاصه من الشاطئ الأيمن فى الوادى كانت فيه الشجره التى نودى منها، و مباركتها لتشرفها بالتقريب و التكليم الإلهى و قد أمر بخلع نعليه فيها لتقدسها كما قال تعالى فى القصة من سوره طه: «فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى» طه: ١٢.

و لا ريب فى دلالة الآيه على أن الشجره كانت مبدءا للنداء و التكليم بوجه غير أن الكلام و هو كلام الله سبحانه لم يكن قائما بها كقيام الكلام بالمتكلم منا فلم تكن إلا حجابا احتجب سبحانه به فكلمه من ورائه بما يليق بساحه قدسه من معنى الاحتجاب و هو على كل شىء محيط، قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذُنِهِ مَا يَشَاءُ» الشورى: ٥١.

و من هنا يظهر ضعف ما قيل: إن الشجره كانت محل الكلام لأن الكلام عرض يحتاج إلى محل يقوم به.

و كذا ما قيل: إن هذا التكليم أعلى منازل الأنبياء (ع) أن يسمعوا كلام الله سبحانه من غير واسطه و مبلغ. و ذلك أنه كان كلاما من وراء حجاب و الحجاب واسطه و ظاهر آيه الشورى المذكوره آنفا أن أعلى التكليم هو الوحي من غير واسطه حجاب أو رسول مبلغ.

ص: ٣٢

١- ١) و فى التوراه الحاضره أنه حمل معه إلى مصر امرأته و بنيه (سفر الخروج الإصحاح الرابع آيه ٢٠).

وقوله: «أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» أن فيه تفسيريه، وفيه إنباء عن الذات المتعالية المسماة باسم الجلاله الموصوفه بوحديته الربوبية النافيه لمطلق الشرك إذ كونه ربا للعالمين جميعا-والرب هو المالك المدبر لملكه الذى يستحق العباده من مملوكيه-لا يدع شيئا من العالمين يكون مربوبا لغيره حتى يكون هناك رب غيره و إله معبود سواه.

ففى الآيه إجمال ما فصله في سورة طه فى هذا الفصل من النداء من الإشاره إلى الأصول الثلاثة أعنى التوحيد و النبوه و المعاد إذ قال: «إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ» X الآيات X طه: ١٤-١٦.

قوله تعالى: «وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ» تقدم تفسيره فى سورة النمل.

قوله تعالى: «يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ» بتقدير القول أى قيل له: أقبل و لا تخف إنك من الآمنين، و فى هذا الخطاب تأمين له، و به يظهر معنى قوله فى هذا الموضع من القصة فى سورة النمل: «يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ» النمل: ١٠ و أنه تأمين معناه أنك مرسل و المرسلون آمنون لدى و ليس من العتاب و التوبيخ فى شىء.

قوله تعالى: «أَسْلِمُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» المراد بسلوك يده فى جيبه إدخاله فيه، و المراد بالسوء-على ما قيل-البرص.

و الظاهر أن فى هذا التقييد تعريضا لما فى التوراه الحاضره فى هذا (١)الموضع من القصة: ثم قال له الرب أيضا: أدخل يدك فى عبك فأدخل يده فى عبه ثم أخرجها و إذا يده برصاء مثل الثلج.

قوله تعالى: «وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ» إلى آخر الآيه، الرهب بالفتح فالسكون و بفتحتين و بالضم فالسكون الخوف، و الجناح قيل: المراد به اليد و قيل: العضد.

ص: ٣٣

قيل: المراد بضم الجناح إليه من الرهب أن يجمع يديه على صدره إذا عرضه الخوف عند مشاهدته انقلاب العصا حيه ليذهب ما فى قلبه من الخوف.

وقيل: إنه لما ألقى العصا و صارت حيه بسط يديه كالمتقى و هما جناحاه فقبل له: اضمم إليك جناحك أى لا تبسط يديك خوف الحيه فإنك آمن من ضررها.

و الوجهان- كما ترى- مبنيان على كون الجملة أعنى قوله: «وَ اضْمُمْ» إلخ، من تتمه قوله: «أَقْبِلْ وَ لَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ» و هذا لا يلائم تخلل قوله: «أُسْلُكَ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ» إلخ، بين الجملتين بالفصل من غير عطف.

وقيل: الجملة كناية عن الأمر بالعزم على ما أَرَادَهُ اللهُ سبحانه منه و الحث على الجد فى أمر الرساله لثلا- يمنعه ما يغشاه من الخوف فى بعض الأحوال.

و لا يبعد أن يكون المراد بالجملة الأمر بأن يأخذ لنفسه سيماء الخاشع المتواضع فإن من دأب المتكبر المعجب بنفسه أن يفرج بين عضديه و جنبه كالتمطى فى مشيته فيكون فى معنى ما أمر الله به النبى ص من التواضع للمؤمنين بقوله: «وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ»: الحجر: ٨٨ على بعض المعانى.

قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» إشاره إلى قتله القبطى بالوكر و كان يخاف أن يقتلوه قصاصا.

قوله تعالى: «وَ أَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» قال فى المجمع:، يقال: فلان رء لفلان إذا كان ينصره و يشد ظهره. انتهى.

وقوله: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» تعليل لسؤاله إرسال هارون معه، و السياق يدل على أنه كان يخاف أن يكذبه فيغضب و لا يستطيع بيان حجته ولكنه كانت فى لسانه لا أنه سأل إرساله لثلا يكذبه فإن من يكذبه لا يبالي أن يكذب هارون معه و من الدليل على ذلك ما وقع فى سوره الشعراء فى هذا الموضع من القصه من قوله: «قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَ يَضْتَبِقُ صَدْرِي وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ»: الشعراء: ١٣.

فمحصل المعنى: أن أخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معينا لى يبين

صدقى فى دعواى إذا خاصمونى إنى أخاف أن يكذبون فلا أستطيع بيان صدق دعواى.

قوله تعالى: «قَالَ سَيَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصْعَقُ لَكُمَا بِيَدَيْتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعُكُمَا الْغَالِبُونَ» شد عضده بأخيه كناية عن تقويته به، و عدم الوصول إليهما كناية عن عدم التسلط عليهما بالقتل و نحوه كأن الطائفتين يتسابقان و إحداهما متقدمه دائما و الأخرى لا تدر كهم بالوصول إليهم فضلا أن يسبقوهم.

و المعنى: قال سنقويك و نعينك بأخيك هارون و نجعل لكما سلطه و غلبه عليهم فلا- يتسلطون عليكم بسبب آياتنا التى نظهر كما بها. ثم قال: «أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعُكُمَا الْغَالِبُونَ» و هو بيان لقوله: «و نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا» إلخ، يوضح أن هذا السلطان يشملهما و من اتبعهما من الناس.

و قد ظهر بذلك أن السلطان بمعنى الفهر و الغلبه و قيل: هو بمعنى الحجه و الأولى حينئذ أن يكون قوله: «بِيَدَيْتِنَا» متعلقا بقوله: «الْغَالِبُونَ» لا بقوله: «فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكُمَا» و قد ذكروا فى الآيه وجوها آخر لا جدوى فى التعرض لها.

قوله تعالى: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ» إلخ، أى سحر موصوف بأنه مفترى و المفترى اسم مفعول بمعنى المختلق أو مصدر ميمى و وصف به السحر مبالغه.

و الإشاره فى قوله: «مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ» إلى ما جاء به من الآيات أى ليس ما جاء به من الخوارق إلا سحرا مختلقا افتعله فنسبه إلى الله كذبا.

و الإشاره فى قوله: «وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ» إلى ما جاء به من الدعوه و أقام عليها حججه الآيات، و أما احتمال أن يراد بها الإشاره إلى الآيات فلا يلائمه تكرار اسم الإشاره على أنهم كانوا يدعون أنهم سيأتون بمثلها كما حكى الله عن فرعون فى قوله: «فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ» طه: ٥٨ على أن عدم معهوديه السحر و عدم مسبقيته بالمثل لا ينفعهم شيئا حتى يدعوه.

فالمعنى: أن ما جاء به موسى دين مبتدع لم ينقل عن آبائنا الأولين أنهم اتخذوه فى وقت من الأوقات، و يناسبه ما حكى فى الآيه التالى من قول موسى: «رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ» إلخ.

قوله تعالى: «وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» إلخ، مقتضى السياق كونه جوابا من موسى عن قولهم: «وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ» في رد دعوى موسى، وهو جواب مبنى على التحدى كأنه يقول: إن ربي - هو رب العالمين له الخلق والأمر - هو أعلم منكم بمن جاء بالهدى و من تكون له عاقبه الدار وهو الذى أرسلنى رسولا جائيا بالهدى - وهو دين التوحيد - و وعدنى أن من أخذ بدينى فله عاقبه الدار، والحجه على ذلك الآيات البينات التى آتانيها من عنده.

فقوله: «رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ» يريد به نفسه والمراد بالهدى الدعوه الدينيه التى جاء بها.

وقوله: «وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» المراد بعاقبه الدار إما الجنه التى هى الدار الآخرة التى يسكنها السعداء كما قال تعالى حكاية عنهم: «وَأُورَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ»: الزمر: ٧٤ و إما عاقبه الدار الدنيا كما فى قوله: «قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»: الأعراف: ١٢٨ و إما الأعم الشامل للدنيا والآخرة، والثالث أحسن الوجوه ثم الثانى كما يؤيده تعليله بقوله: «إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ».

و فى قوله: «إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» تعريض لفرعون وقومه و فيه نفى أن تكون لهم عاقبه الدار فإنهم بنوا سنه الحياه على الظلم و فيه انحراف عن العدالة الاجتماعيه التى تهدى إليها فطره الإنسان الموافقه للنظام الكونى.

قال بعض المفسرين: و الوجه فى عطف قوله: «وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ» إلخ، على قولهم: «مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَىٰ» إلخ حكاية القولين ليوازن السامع بينهما ليميز صحيحهما من الفاسد. انتهى. و ما قدمناه من كون قول موسى (ع) مسوقا لرد قولهم أوفق للسياق.

قوله تعالى: «وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» إلى آخر الآيه، فيه تعريض لموسى بما جاء به من الدعوه الحقه المؤيده بالآيات المعجزه يريد أنه لم يتبين له حقيقه ما يدعو إليه موسى و لا كون ما أتى به من الخوارق آيات معجزه من

عند الله و أنه ما علم لهم من إله غيره.

فقوله: «مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» سوق للكلام في صورهِ الإنصاف ليقع في قلوب المألأ- موقع القبول كما هو ظاهر قوله المحكى في موضع آخر: «مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَ مَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ»: المؤمن: ٢٩.

فمحصل المعنى: أنه ظهر للمألأ- أنه لم يتضح له من دعوه موسى و آياته أن هناك إلهها هو رب العالمين و لا حصل له علم بأن هناك إلهها غيره ثم أمر هامان أن يبني له صرحا لعله يطلع إلى إله موسى.

و بذلك يظهر أن قوله: «مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» من قبيل قصر القلب فقد كان موسى (ع) يثبت الألوهيه لله سبحانه و ينفىها عن غيره و هو ينفىها عنه تعالى و يثبتها لنفسه، و أما سائر الآلهه التي كان يعبدها هو و قومه فلا تعرض لها.

و قوله: «فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا» المراد بالإيقاد على الطين تأجيج النار عليه لصنعه الأجر المستعمل في الأبنيه، و الصرح البناء العالى المكشوف من صرح الشىء إذا ظهر ففى الجملة أمر باتخاذ الأجر و بناء قصر عال منه.

و قوله: «لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهٍ مُّوسَىٰ» نسب الإله إلى موسى بعنايه أنه هو الذى يدعو إليه، و الكلام من وضع النتيجة موضع المقدمه و التقدير: اجعل لى صرحا أصعد إلى أعلى درجاته فأنظر إلى السماء لعلى أطلع إلى إله موسى كأنه كان يرى أنه تعالى جسم ساكن فى بعض طبقات الجو أو الأفلاك فكان يرجو إذا نظر من أعلى الصرح أن يطلع إليه أو كان هذا القول من قبيل التعميه على الناس و إضلالهم.

و يمكن أن يكون المراد أن يبني له رسدا يترصد الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثه رسول أو حقيه ما يصفه موسى (ع)، و يؤيد هذا قوله على ما حكى فى موضع آخر: «يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ الْأَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهٍ مُّوسَىٰ وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا»: المؤمن: ٣٧.

و قوله: «وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ» ترق منه من الجهل الذى يدل عليه قوله:

«مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» إلى الظن بعدم الوجود و قد كان كاذبا فى قوله هذا و لا يقوله إلا تمويهها و تعميمه على الناس و قد خاطبه موسى بقوله: «لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ



هُؤْلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: إسرء: ١٠٢.

و ذكر بعضهم أن قوله: «مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» من قبيل نفى المعلوم بنفى العلم فيما لو كان لبان فيكون نظير قوله: «قُلْ أَ تَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ»: يونس: ١٨ و أنت خبير بأنه لا يلائم ذيل الآية.

قوله تعالى: «وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُزْجَعُونَ» أى كانت حالهم حال من يترجح عنده عدم الرجوع و ذلك أنهم كانوا موقنين فى أنفسهم كما قال تعالى: «وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا».

قوله تعالى: «فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ» إلخ النبذ الطرح، و اليم البحر و الباقي ظاهر.

و فى الآية من الاستهانه بأمرهم و تهويل العذاب الواقع بهم ما لا يخفى.

قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا هُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ» الدعوة إلى النار هى الدعوة إلى ما يستوجب النار من الكفر و المعاصى لكونها هى التى تتصور لهم يوم القيامة نارا يعذبون فيها أو المراد بالنار ما يستوجبها مجازا من باب إطلاق المسبب و إرادته سببه.

و معنى جعلهم أئمة يدعون إلى النار، تصييرهم سابقين فى الضلال يقتدى بهم اللاحقون و لا ضير فيه لكونه بعنوان المجازاه على سبقهم فى الكفر و الجحود و ليس من الإضلال الابتدائى فى شىء.

و قيل: المراد بجعلهم أئمة يدعون إلى النار تسميتهم بذلك على حد قوله:

«وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِيَّانَا»: الزخرف: ١٩.

و فيه أن الآية التالية على ما سيجىء من معناها لا ثلاثمه. على أن كون الجعل فى الآية المستشهد بها بمعنى التسميه غير مسلم.

و قوله: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ» أى لا تنالهم شفاعه من ناصر.

قوله تعالى: «وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ» بيان للآزم ما وصفهم به فى الآية السابقه فهم لكونهم أئمه يقتدى بهم من خلفهم فى الكفر و المعاصى لا يزال يتبعهم ضلال الكفر و المعاصى من مقتديهم و متبعيهم و عليهم من الأوزار مثل ما للمتبعين فيتبعهم لعن مستمر باستمرار الكفر و المعاصى بعدهم.

فالأية في معنى قوله: «وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَانْقِلَابًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ»: العنكبوت: ١٣ وقوله: «وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ»، يس: ١٢ و تنكير اللعنه للدلاله على تفخيمها و استمرارها.

و كذا لما لم ينلهم يوم القيامة نصر ناصر كانوا بحيث يتنفرو و يشمئز عنهم النفوس و يفر منهم الناس و لا يدنو منهم أحد و هو معنى القبح و قد وصف الله تعالى من قبح منظرهم شيئا كثيرا في كلامه.

### (بحث روائي)

في المجمع، روى الواحدى بالإسناد عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ص أى الأجلين قضى موسى؟ قال: أوفاهما و أبطأهما.

أقول: و روى ما فى معناه بالإسناد عن أبى ذر عنه (ص).

و فى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن مقسم قال: لقيت الحسن بن على بن أبى طالب رض - فقلت له: أى الأجلين قضى موسى؟ الأول أو الآخر؟ قال: الآخر.

و فى المجمع، روى أبو بصير عن أبى جعفر (ع) قال: لما قضى موسى الأجل و سار بأهله نحو البيت أخطأ الطريق فرأى نارا<sup>□</sup> قال<sup>□</sup> لأهله امكثوا إننى آنست نارا<sup>□</sup>.

و عن كتاب طب الأئمة، بإسناده عن جابر الجعفى عن الباقر (ع) فى حديث قال: و قال الله عز و جل فى قصة موسى (ع): «وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» يعنى من غير برص.

و فى تفسير القمى،: فى قوله تعالى: «وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَىٰ حُ مِنْى لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعى رِدْءًا يُصِىءُ دِقْنى» قال الراوى: فقلت لأبى جعفر (ع): فكم مكث موسى (ع) غائبا عن أمه - حتى رده الله عز و جل عليها؟ قال: ثلاثه أيام.

قال: فقلت: فكان هارون أخا موسى (ع) لأبيه و أمه؟ قال: نعم أ ما تسمع الله عز و جل يقول: «يَا بَنِى أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِرَأْسِى وَلَا بِرَأْسِى»؟ فقلت:

فأيهما كان أكثر سنا؟ قال: هارون. قلت: فكان الوحي ينزل عليهما جميعا؟ قال:

كان الوحي ينزل على موسى و موسى يوحيه إلى هارون-.

فقلت له: أخبرني عن الأحكام و القضاء و الأمر و النهي- كان ذلك إليهما؟ قال:

كان موسى الذى يناجى ربه و يكتب العلم- و يقضى بين بنى إسرائيل- و هارون يخلفه إذا غاب من قومه للمناجاة. قلت: فأيهما مات قبل صاحبه؟ قال: مات هارون قبل موسى و ماتا جميعا فى التيه. قلت: فكان لموسى ولد؟ قال: لا كان الولد لهارون و الذريه له.

أقول: و آخر الروايه لا يوافق روايات آخر تدل على أنه كان له ولد، و فى التوراه الحاضره أيضا دلالة على ذلك.

فى جوامع الجامع،: فى قوله تعالى: « وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ » قال (ع) فيما حكاه عن ربه عز و جل: الكبرياء ردائى و العظمه إزارى- فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى النار.

و فى الكافى، بإسناده عن طلحه بن زيد عن أبى عبد الله (ع) قال: قال: إن الأئمه فى كتاب الله عز و جل إمامان- قال الله تبارك و تعالى: « وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا » لا بأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم و حكم الله قبل حكمهم. قال:

« وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الذَّارِ » يقدمون أمرهم قبل أمر الله- و حكمهم قبل حكم الله و- يأخذون بأهوائهم خلاف ما فى كتاب الله عز و جل.

## (كلام حول قصص موسى و هارون (ع)) فى فصول

### ١- منزله موسى عند الله و موقفه العبودى:

كان (ع) أحد الخمسه أولى العزم الذين هم ساده الأنبياء و لهم كتاب و شريعته كما خصهم الله تعالى بالذكر فى قوله:

«وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا»: الأحزاب: ٧، و قال: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى»: الشورى: ١٣

و لقد امتن الله سبحانه عليه و على أخيه فى قوله: «وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ» :الصفات: ١١٤ و سلم عليهما فى قوله: «سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ» :الصفات: ١٢٠.

و أثنى على موسى (ع) بأجمل الثناء فى قوله: «و اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَ نَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا» :مریم:

٥٢ و قال: «وَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا» :الأحزاب: ٦٩ و قال: «وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا» :النساء: ١٦٤.

و ذكره فى جملة من ذكرهم من الأنبياء فى سورة الأنعام الآيه ٨٤-٨٨ فأخبر أنهم كانوا محسنين صالحين و أنه فضلهم على العالمين و اجتباهم و هداهم إلى صراط مستقيم. و ذكره فى جملة الأنبياء فى سورة مریم ثم ذكر فى الآيه ٥٨ منها أنهم الذين أنعم الله عليهم.

فاجتمع بذلك له (ع) معنى الإخلاص و التقريب و الوجاهة و الإحسان و الصلاح و التفضيل و الاجتباء و الهداية و الإنعام و قد مر البحث عن معانى هذه الصفات فى مواضع تناسبها من هذا الكتاب و كذا البحث عن معنى النبوه و الرساله و التكليم.

و ذكر الكتاب النازل عليه و هو التوراه فوصفها بأنها إمام و رحمه (سوره الأحقاف: ١٢) و بأنها فرقان و ضياء و ذكر: (الأنبياء: ٤٨) بأن فيها هدى و نور: (المائدة: ٤٤) و قال: «وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» :الأعراف: ١٤٥.

غير أنه تعالى ذكر فى مواضع من كلامه أنهم حرفوها و اختلفوا فيها. و قصه بخت نصر و فتحه فلسطين ثانيا و هدمه الهيكل و إحراقه التوراه و حشره اليهود إلى بابل سنه خمسمائه و ثمان و ثمانين قبل المسيح ثم فتح كورش الملك بابل سنه خمسمائه و ثمان و ثلاثين قبل المسيح و إذنه لليهود أن يرجعوا إلى فلسطين ثانيا و كتابه عزراء الكاهن التوراه لهم معروف فى التواريخ و قد تقدمت الإشارة إليه فى الجزء الثالث من الكتاب فى قصص المسيح (ع).

## ٢- قصص موسى (ع) فى القرآن:

هو (ع) أكثر الأنبياء ذكرا فى

القرآن الكريم فقد ذكر اسمه-على ما عدوه-فى مائه و سته و ستين موضعا من كلامه تعالى،و أشير إلى قصته إجمالاً أو تفصيلاً فى أربع و ثلاثين سورة من سور القرآن، و قد اختص من بين الأنبياء بكثرة المعجزات،و قد ذكر فى القرآن شىء كثير من معجزاته الباهره كصيوروه عصاه ثعبانا،و اليد البيضاء،و الطوفان،و الجراد، و القمل،و الضفادع،و الدم،و فلق البحر،و إنزال المن و السلوى،و انبجاس العيون من الحجر بضرب العصا،و إحياء الموتى،و رفع الطور فوق القوم و غير ذلك.

و قد ورد فى كلامه تعالى طرف من قصصه(ع)من دون استيفائها فى كل ما دق و جل بل بالاختصار على فصول منها يهم ذكرها لغرض الهدايه و الإرشاد على ما هو دأب القرآن الكريم فى الإشاره إلى قصص الأنبياء و أممهم.

و هذه الفصول التى فيها كليات قصصه هى أنه تولد بمصر فى بيت إسرائيلى حينما كانوا يذبحون المواليد المذكور من بنى إسرائيل بأمر فرعون و جعلت أمه إياه فى تابوت و ألقته فى البحر و أخذ فرعون إياه ثم رده إلى أمه للإرضاع و التربيه و نشأ فى بيت فرعون.

ثم بلغ أشده و قتل القبطى و هرب من مصر إلى مدين خوفا من فرعون و ملئه أن يقتلوه قصاصا.

ثم مكث فى مدين عند شعيب النبى(ع)و تزوج إحدى بنتيه.

ثم لما قضى موسى الأجل و سار بأهله آنس من جانب الطور نارا و قد ضلوا الطريق فى ليله شاتيه فأوقفهم مكانهم و ذهب إلى النار ليأتيهم بقبس أو يجد على النار هدى فلما أتاها ناداه الله من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعه المباركه من الشجره و كلمه و اجتباه و آتاه معجزه العصا و اليد البيضاء فى تسع آيات و اختاره للرساله إلى فرعون و ملئه و إنجاء بنى إسرائيل و أمره بالذهاب إليه.

فأتى فرعون و دعاه إلى كلمه الحق و أن يرسل معه بنى إسرائيل و لا- يعذبهم و أراه آيه العصا و اليد البيضاء فأبى و عارضه بسحر السحره و قد جاءوا بسحر عظيم من ثعابين و حيات فألقى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون فألقى السحره ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى و هارون و أصر فرعون على جحوده و هدد السحره و لم يؤمن.

فلم يزل موسى(ع) يدعوه و ملاءه و يريهم الآيه بعد الآيه كالتوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم آيات مفصلات و هم يصرون على استكبارهم، و كلما وقع عليهم الرجز قالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك و لنرسلن معك بنى إسرائيل فلما كشف الله عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون.

فأمره الله أن يسرى بنى إسرائيل ليلا- فساروا حتى بلغوا ساحل البحر فعقبهم فرعون بجنوده فلما تراءى الفريقان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معى ربي سيهدين فأمر بأن يضرب بعصاه البحر فانفلق الماء فجاوزوا البحر و اتبعهم فرعون و جنوده حتى إذا ادركوا فيها جميعا أطبق الله عليهم الماء فأغرقهم عن آخرهم.

و لما أنجاهم الله من فرعون و جنوده و أخرجهم إلى البر و لا- ماء فيه و لا كلاء أكرمهم الله فأنزل عليهم المن و السلوى و أمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانجست منه اثنتا عشره عينا قد علم كل أناس مشربهم فشربوا منها و أكلوا منها و ظللهم الغمام.

ثم واعد الله موسى أربعين ليلة لنزول التوراه بجبل الطور فاختر قوم سبعين رجلا ليسمعوا تكليمه تعالى إياه فسمعوا ثم قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقه و هم ينظرون ثم أحياهم الله بدعوه موسى، و لما تم الميقات أنزل الله عليه التوراه و أخبره أن السامرى قد أضل قومه بعده فعبدوا العجل.

فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا فأحرق العجل و نسفه فى اليم و طرد السامرى و قال له: اذهب فإن لك فى الحياه أن تقول لا مساس و أما القوم فأمرؤا أن يتوبوا و يقتلوا أنفسهم فتيب عليهم بعد ذلك ثم استكبروا عن قبول شريعته التوراه حتى رفع الله الطور فوقهم.

ثم إنهم ملوا المن و السلوى و قالوا لن نصبر على طعام واحد و سألوه أن يدعوربه أن يخرج لهم مما تنبت الأرض من بقلها و قثائها و فومها و عدسها و بصلها فأمرؤا أن يدخلوا الأرض المقدسه التى كتب الله لهم فأبوا فحرماها الله عليهم و ابتلاهم بالتيه يتيهون فى الأرض أربعين سنه.

و من قصص موسى(ع) ما ذكره الله فى سوره الكهف من مضيه مع فتاه إلى

### ٣- منزله هارون (ع) عند الله و موقفه العبودي:

أشركه الله تعالى مع موسى (ع) في سورة الصفات في المن و إيتاء الكتاب و الهدايه إلى الصراط المستقيم و في التسليم و أنه من المحسنين و من عباده المؤمنين (الصفات: ١١٤-١٢٢) و عده مرسلًا (طه: ٤٧) و نبيا (مريم: ٥٣) و أنه ممن أنعم عليهم (مريم: ٥٨) و أشركه مع من عددهم من الأنبياء في سورة الأنعام في صفاتهم الجميله من الإحسان و الصلاح و الفضل و الاجتباء و الهدايه (الأنعام: ٨٤-٨٨).

و في دعاء موسى ليله الطور: «وَ اجْعَلْ لِي وَ زِيْرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَ نَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا» طه: ٣٥.

و كان (ع) ملازما لأخيه في جميع مواقفه يشاركه في عامه أمره و يعينه على جميع مقاصده.

و لم يرد في القرآن الكريم مما يختص به من القصص إلا- خلافته لأخيه حين غاب عن القوم للميقات و قال لأخيه هارون اخلفني في قومي و أصلح و لا تتبع سبيل المفسدين و لما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا و قد عبدوا العجل ألقى الألواح و أخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القول استضعفوني و كادوا يقتلونني فلا- تشمت بي الأعداء و لا- تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي و لأخي و أدخلنا في رحمتك و أنت أرحم الراحمين.

### ٤- قصه موسى (ع)

في التوراه الحاضره: قصصه (ع) موضوعه فيما عدا السفر الأول من أسفار التوراه الخمسه و هي: سفر الخروج و سفر اللاويين و سفر العدد و سفر التثنيه تذكر فيها تفاصيل قصصه (ع) من حين ولادته إلى حين وفاته و ما أوحى إليه من الشرائع و الأحكام.

غير أن فيها اختلافات في سرد القصه مع القرآن في أمور غير يسيره.

و من أهمها أنها تذكر أن نداء موسى و تكليمه من الشجره كان في أرض مدين

قبل أن يسير بأهله و ذلك حين كان يرعى غنم يثرون (١)حميه كاهن مديان فساق الغنم إلى وراء البريه و جاء إلى جبل الله حوريب و ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليه فناده الله و كلمه بما كلمه و أرسله إلى فرعون لإنجاء بنى إسرائيل. (٢) و منها ما ذكرت أن فرعون الذى أرسل إليه موسى غير فرعون الذى أخذ موسى و رباه ثم هرب منه موسى لما قتل القبطى خوفا من القصاص. (٣)

و منها أنها لم تذكر إيمان السحره لما ألقوا عصيهم فصارت حيات فتلقفتها عصا موسى بل تذكر أنهم كانوا عند فرعون و عارضوا موسى فى آيتى الدم و الضفادع فأتوا بسحرهم مثل ما أتى به موسى(ع)معجزه. (٤)

و منها أنها تذكر أن الذى صنع لهم العجل فعبدوه هو هارون النبى أخو موسى (ع)و ذلك أنه لما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون و قالوا له:قم اصنع لنا آلهه تسير إمامنا لأن هذا(موسى)الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ما ذا أصابه؟فقال لهم هارون:انزعوا أقراط الشعب التى فى آذان نسائكم و بنيكم و بناتكم و أتونى بها.

فترع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم و أتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم و صوره بالإزميل فصبغه عجلا مسبوكا فقالوا أ هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر. (٥)

و فى الآيات القرآنيه تعريضات للتوراه فى هذه المواضع من قصصه(ع)غير خفيه على المتدبر فيها.

و هناك اختلافات جزئيه كثيره كما وقع فى التوراه فى قصه قتل القبطى أن

ص: ٤٥

---

١-١) تسمى التوراه أبا زوجه موسى يثرون كاهن مديان.

٢-٢) الإصحاح الثالثه من سفر الخروج.

٣-٣) سفر الخروج،الإصحاح الثانى.الآيه ٢٣.

٤-٤) الإصحاح السابع و الثامن من سفر الخروج.

٥-٥) الإصحاح الثانى و الثلاثون من سفر الخروج.



و أيضا وقع فيها أن الذي ألقى العصا فتلقفت حيات السحره هو هارون ألقاها بأمر موسى. (٢)

و أيضا لم تذكر فيها قصه انتخاب السبعين رجلا للميقات و نزول الصاعقه عليهم و إحياءهم بعده.

و أيضا فيها أن الألواح التي كانت مع موسى لما نزل من الجبل و ألقاها كانت لوحين من حجر و هما لوحا الشهاده (٣). إلى غير ذلك من الاختلافات.

## [سوره القصص (٢٨): الآيات ٤٣ الى ٥٦]

### اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَآئِرٍ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣) وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ  
الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَ مَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَ لَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ مَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ  
مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ لَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَ لَكِن رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ  
نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦) وَ لَوْلَا أَنْ تَصَّيَبَهُمْ مَصِيْبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ  
آيَاتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمَّا يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ  
مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَ قَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ (٤٩) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي  
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) وَ لَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَ إِذَا يُتْلَىٰ  
عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِذَا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَ يَذَرُون بِالْحَسَنِه  
السَّيِّئَه وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَ إِذَا سَمِعُوا اللَّعْنَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي  
الْجَاهِلِينَ (٥٥) إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)

ص: ٤٦

١-١) الإصحاح الثاني من سفر الخروج.

٢-٢) الإصحاح السابع من سفر الخروج.

٣-٣) الإصحاح الثاني من سفر الخروج.

سياق الآيات يشهد أن المشركين من قوم النبي ص راجعوا بعض أهل الكتاب و استفتوهم في أمره (ص) و عرضوا عليهم بعض القرآن النازل عليه و هو

مصدق للتوراه فأجابوا بتصديقه و الإيمان بما يتضمنه القرآن من المعارف الحقه و أنهم كانوا يعرفونه بأوصافه قبل أن يبعث كما قال تعالى: «وَ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ» .

فساء المشركين ذلك و شاجروهم و أغلظوا عليهم فى القول و قالوا: إن القرآن سحر و التوراه سحر مثله «سِحْرَانِ تَظَاهَرَا» و «إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ وَنَّ» فأعرض الكتايبون عنهم و قالوا: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ .

هذا ما يلوح إليه الآيات الكريمة بسياقها، و هو سبحانه لما ساق قصه موسى (ع) و أنبأ أنه كيف أظهر قوما مستضعفين معبدين معذيين يذبح أبناؤهم و تستحى نساؤهم على قوم عالين مستكبرين طغاه مفسدين بوليد منهم رباه فى حجر عدوه الذى يذبح بأمره الألوفا من أبنائهم ثم أخرجه لما نشأ من بينهم ثم بعثه و رده إليهم و أظهره عليهم حتى أغرقهم أجمعين و أنجى شعب إسرائيل فكانوا هم الوارثين.

عطف القول على الكتاب السماوى الذى هو المتضمن للدعوه و به تتم الحججه و هو الحامل للتذكره فذكر أنه أنزل التوراه على موسى (ع) فيه بصائر للناس و هدى و رحمه لعلهم يتذكرون فينتهون عن معصيه الله بعد ما أهلك القرون الأولى بمعاصيهم.

و كذا أنزل على النبى ص القرآن و قص عليه قصص موسى (ع) و لم يكن هو شاهدا لنزول التوراه عليه و لا حاضرا فى الطور لما ناداه و كلمه، و قص عليه ما جرى بين موسى و شعيب (ع) و لم يكن هو ثاويا فى مدين يتلو عليهم آياته و لكن أنزله و قص عليه ما قصه رحمه منه لينذر به قوما ما أتاهم من نذير من قبله لأنهم بسبب كفرهم و فسوقهم فى معرض نزول العذاب و أصابه المصيبه فلو لم ينزل الكتاب و لم يبلغ الدعوه لقالوا: ربنا لو لا- أرسلت إلينا رسولا- فنتبع آياتك و كانت الحججه لهم على الله سبحانه.

فلما جاءهم الحق من عنده يبعثه النبى ص و نزول القرآن قالوا: لَوْ لَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ حِينَ رَاجَعُوا أَهْلَ الْكِتَابِ فِي أَمْرِهِ فَصَدَّقُوهُ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: سِحْرَانِ تَظَاهَرَا يَعْنُونَ التَّورَةَ وَالْقُرْآنَ، وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ وَنَّ .

ثم لقن سبحانه نبيه ص الحجج عليهم بقوله: «قُلْ فَآتُوا بِلِكْتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أى إن من الواجب فى حكمه الله أن يكون هناك كتاب نازل من عند الله يهدى إلى الحق و تتم به الحجج على الناس و هم يعرفون فإن لم تكن التوراه و القرآن كتابى هدى و كافيين لهدايه الناس فهناك كتاب هو أهدى منهما و ليس كذلك إذ ما فى الكتابين من المعارف الحقه مؤيده بالإعجاز و بدلاله البراهين العقلية.على أنه ليس هناك كتاب سماوى هو أهدى منهما فالكتابان كتابا هدى و القوم فى الإعراض عنهما متبعون للهوى ضالون عن الصراط المستقيم و هو قوله:

« فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ » إلخ.

ثم مدح سبحانه قوما من أهل الكتاب راجعهم المشركون فى أمر النبى ص و القرآن فأظهروا لهم الإيمان و التصديق و أعرضوا عن لغو القول الذى جبهوهم به.

قوله تعالى: « وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ » إلخ اللام للقسم أى أقسم لقد أعطينا موسى الكتاب و هو التوراه بوحيه إليه.

و قوله: « مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ » أى الأجيال السابقه على نزول التوراه كقوم نوح و من بعدهم من الأمم الهالكه و لعل منهم قوم فرعون، و فى هذا التقييد إشاره إلى مسيس الحاجه حينئذ إلى نزول الكتاب لاندراس معالم الدين الإلهى بمضى الماضين و ليشار فى الكتاب الإلهى إلى قصصهم و حلول العذاب الإلهى بهم بسبب تكذيبهم لآيات الله ليعتبر به المعتبرون و يتذكر به المتذكرون.

و قوله: « بَصَائِرَ لِلنَّاسِ » جمع بصيره بمعنى ما يبصره به و كان المراد بها الحجج البينه التى يبصر بها الحق و يميز بها بينه و بين الباطل، و هى حال من الكتاب و قيل:

مفعول له.

و قوله: « وَ هُدًى » بمعنى الهادى أو ما يهتدى به و كذا قوله: « وَ رَحْمَةً » بمعنى ما يرحم به و هما حالان من الكتاب كبصائر، و قيل: كل منهما مفعول له.

و المعنى: و أقسم لقد أعطينا موسى الكتاب و هو التوراه من بعد ما أهلكنا

الأجيال الأولى فاقتضت حكمه تجديد الدعوة و الإنذار حال كون الكتاب حججا بينه يبصر بها الناس المعارف الحقه و هدى يهتدون به إليها و رحمه يرحمون بسبب العمل بشرائعه و أحكامه لعلهم يتذكرون فيفقهون ما يجب عليهم من الاعتقاد و العمل.

قوله تعالى: « وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ » الخطاب للنبي ص، و الغربى صفة محذوفه الموصوف و المراد جانب الوادى الغربى أو جانب الجبل الغربى.

و قوله: « إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ » كان القضاء مضمن معنى العهد، و المراد بعهد الأمر إليه-على ما قيل-أحكام أمر نبوته بإنزال التوراه إليه و أما العهد إليه بأصل رساله فيدل عليه قوله بعد: « وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا » و قوله:

« وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ » تأكيد لسابقه.

و المعنى: و ما كنت حاضرا و شاهدا حين أنزلنا التوراه على موسى فى الجانب الغربى من الوادى أو الجبل.

قوله تعالى: « وَ لَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَّأُولَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ » تطاول العمر تمدادى الأمد و الجملة استدراك عن النفى فى قوله: « وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرْبِيِّ »، و المعنى:

ما كنت حاضرا هناك شاهدا لما جرى فيه و لكننا أوجدنا أجيالا بعده فتمادى بهم الأمد ثم أنزلنا عليك قصته و خبر نزول الكتاب عليه فى الكلام إيجاز بالحذف لدلاله المقام عليه.

قوله تعالى: « وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ لَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ » الثاوى المقيم يقال: ثوى فى المكان إذا أقام فيه، و الضمير فى « عَلَيْهِمْ » لمشركى مكه الذين كان النبى ص يتلو عليهم آيات الله التى تقص ما جرى على موسى (ع) فى مدين زمن كونه فيه.

و قوله: « وَ لَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ » استدراك من النفى فى صدر الآيه.

و المعنى: و ما كنت مقيما فى أهل مدين-و هم شعيب و قومه-مشاهدا لما جرى على موسى هناك تنلو على المشركين آياتنا القاصه لخبره هناك و لكننا كنا مرسلين لك إلى قومك موحين بهذه الآيات إليك لتتلوها عليهم.

قوله تعالى: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ» إلى آخر الآيه، الظاهر من مقابله الآيه لقوله السابق: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعُزْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا» إلخ، إن المراد بهذا النداء ما كان من الشجره فى الليله التى آنس فيها من جانب الطور نارا.

و قوله: «وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ» إلخ، استدراك عن النفسى السابق، و الظاهر أن «رَحِمَهُ» مفعول له، و الالتفات عن التكلم بالغير إلى الغيبه فى قوله: «مِنْ رَبِّكَ» للدلاله على كمال عنايته تعالى به (ص).

و قوله: «لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ» الظاهر أن المراد بهذا القوم أهل عصر الدعوه النبويه أو هم و من يقارنهم من آبائهم فإن العرب خلت فيهم رسل منهم كهود و صالح و شعيب و إسماعيل (ع).

و المعنى: و ما كنت حاضرا فى جانب الطور إذ نادينا موسى و كلمناه و اخترناه للرساله حتى تخبر عن هذه القصة إخبار الحاضر المشاهد و لكن لرحمه منا أخبرناك بها لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون.

قوله تعالى: «وَلَوْ لَا أَنْ تَصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا» إلخ، المراد بما قدمت أيديهم ما اكتسبوه من السيئات من طريق الاعتقاد و العمل بدليل ذيل الآيه، و المراد بالمصيبة التى تصيبهم أعم من مصيبه الدنيا و الآخره فإن الإعراض عن الحق بالكفر و الفسوق يستتبع المؤاخذة الإلهيه فى الدنيا كما يستتبعها فى الآخره، و قد تقدم بعض الكلام فيه فى ذيل قوله: «وَلَوْ لَا أَنْ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» :الأعراف: ٩٦ و غيره.

و قوله: «فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ» متفرع على ما تقدمه على تقديم عدم إرسال الرسول و جواب لو لا- محذوف لظهوره و التقدير: لما أرسلنا رسولا.

و محصل المعنى: أنه لو لا أنه تكون لهم الحجه علينا على تقدير عدم إرسال الرسول و أخذهم بالعذاب بما قدمت أيديهم من الكفر و الفسوق لما أرسلنا إليهم رسولا- لكنهم يقولون ربنا لو لا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك التى يتلوها علينا و نكون من المؤمنين.

قوله تعالى: «فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْ لَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى»

إلخ، أى فأرسلنا إليهم الرسول بالحق و أنزلنا الكتاب فلما جاءهم الحق من عندنا و الظاهر أنه الكتاب النازل على الرسول و هو القرآن النازل على النبي ص.

و المراد بقولهم: «لَوْ لَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى» أى لو لا أوتى النبي ص مثل التوراه التى أوتىها موسى (ع)، و كأنهم يريدون به أن ينزل القرآن جملة واحده كما حكى الله تعالى عنهم بقوله: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً» الفرقان: ٣٢.

و قد أجاب الله عن قولهم بقوله: «أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا» يعنون القرآن و التوراه «وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ». و الفرق بين القولين أن الأول كفر بالكتابين و الثانى كفر بأصل النبوه و لعله الوجه لتكرار «قَالُوا» فى الكلام.

قوله تعالى: «قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَنْبَغُهُ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ» تفریع على كون القرآن و التوراه سحرین تظاهرا، و لا- يصح هذا التفریع إلا- إذا كان من الواجب أن يكون بين الناس كتاب من عند الله سبحانه يهديهم و يجب عليهم اتباعه فإذا كانا سحرین باطلین كان الحق غيرهما، و هو كذلك على ما تبين بقوله:

«وَلَوْ لَا أَنْ تَصَّيْبُهُمْ مُصِيبُهُ» إلخ، إن للناس على الله أن ينزل عليهم الكتاب و يرسل إليهم الرسول، و لذلك أمر تعالى نبيه ص أن يطالبهم بكتاب غيرهما هو أهدى منهما لاتباعه.

ثم الكتابان لو كانا سحرین تظاهرا كانا باطلین مضمین لا هدى فیهما حتى يكون غیرهما من الكتاب الذى یأتون به أهدى منهما- لاستلزام صیغه التفضیل اشتراك المفضل و المفضل علیه فى أصل الوصف- لكن المقام لما كان مقام المحاجه ادعى أن الكتائین هادیان لا مزید علیهما فى الهدایه فإن لم یقبل الخصم ذلك فلیأت بكتاب یزید علیهما فى معنى ما یشتملان علیه من بیان الواقع فیکون أهدى منهما.

و القرآن الکریم و إن كان یصرح بتسرب التحریف و الخلل فى التوراه الحاضره و ذلك لا یلائم عدها کتاب هدى بقول مطلق لكن الكلام فى التوراه الواقعیه النازله على موسى (ع) و هى التى یصدقها القرآن.

على أن موضوع الكلام هما معا و القرآن يقوم التوراه الحاضره ببيان ما فيها من الخلل فهما معا هدى لا كتاب أهدي منهما.

و قوله: «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أى فى دعوى أنهما سحران تظاهرا.

قوله تعالى: «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ أَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ» إلى آخر الآيه، الاستجابه و الإجابه بمعنى واحد، قال فى الكشاف: هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه و إلى الداعى باللام، و يحذف الدعاء إذا عدى إلى الداعى فى الغالب فيقال:

استجاب الله دعاءه أو استجاب له، و لا يكاد يقال: استجاب له دعاءه. انتهى.

فقوله: «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ» تفریع على قوله: «قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ» أى فَإِنْ قُلْتَ لَهُمْ كَذَا وَ كَلَّفْتَهُمْ بِذَلِكَ فَلَمْ يَأْتُوا بِكِتَابٍ هُوَ أَهْدَى مِنَ الْقُرْآنِ وَ التوراه و تعین أن لا- هدى أتم و أكمل من هداهما و هم مع ذلك یرمونها بالسحر و یرضون عنهما فاعلم أنهم ليسوا فى طلب الحق و لا- بصدد اتباع ما هو صریح حجه العقل و إنما يتبعون أهواءهم و يدافعون عن مشتبهات طباعهم بمثل هذه الأباطيل:

«سِحْرَانِ تَظَاهَرَا» «إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ وَنَّ».

و يمكن أن يكون المراد بقوله: «أَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ» إنهم إن لم يأتوا بكتاب هو أهدي منهما و هم غير مؤمنين بهما فاعلم أنهم إنما يبنون سنه الحياه على اتباع الأهواء و لا يعتقدون بأصل النبوه و أن لله دينا سماويا نازلا عليهم من طريق الوحي و عليهم أن يتبعوه و يسلكوا مسلك الحياه بهدى ربهم، و ربما أيد هذا المعنى قوله بعد: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ» إلخ.

و قوله: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ» استفهام إنكارى و المراد به استنتاج أنهم ضالون، و قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» تعليل لكونهم ضالين باتباع الهوى فإن اتباع الهوى إعراض عن الحق و انحراف عن صراط الرشده و ذلك ظلم و الله لا يهدى القوم الظالمين و غير المهتدى هو الضال.

و محصل الحجه أنهم إن لم يأتوا بكتاب هو أهدي منهما و ليسوا مؤمنين بهما فهم متبعون للهوى، و متبع الهوى ظالم و الظالم غير مهتد و غير المهتدى ضال فهم ضالون.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» التوصيل تفعليل من



الوصل يفيد الكثير كالتقطع و التقطيع و القتل و التقتيل، و الضمير لمشركى مكه و المعنى أنزلنا عليهم القرآن موصولا بعضه ببعض: الآيه بعد الآيه، و السوره إثر السوره من وعد و وعيد و معارف و أحكام و قصص و عبر و حكم و مواظ لعلهم يتذكرون.

قوله تعالى: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ» الضميران للقرآن و قيل: للنبي ص. و الأول أوفق للسياق، و فى الآيه و ما بعدها مدح طائفه من مؤمنى أهل الكتاب بعد ما تقدم فى الآيات السابقه من ذم المشركين من أهل مكه.

و سياق ذيل الآيات يشهد على أن هؤلاء الممدوحين طائفه خاصه من أهل الكتاب آمنوا به فلا يعبأ بما قيل إن المراد بهم مطلق المؤمنين منهم.

قوله تعالى: «وَ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا» الخ، ضمائر الإفراد للقرآن، و اللام فى «الْحَقُّ» للعهد و المعنى و إذا يقرأ القرآن عليهم قالوا: آمنا به إنه الحق الذى نعهده من ربنا فإنه عرفناه من قبل.

و قوله: «إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُشْرِكِينَ» تعليل لكونه حقا معهودا عندهم أى إنا كنا من قبل نزوله مسلمين له أو مؤمنين للدين الذى يدعو إليه و يسميه إسلاما.

و قيل: الضميران للنبي ص و ما تقدم أوفق للسياق، و كيف كان فهم يعنون بذلك ما قرءوه فى كتبهم من أوصاف النبي ص و الكتاب النازل عليه كما يشير إليه قوله تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ»، :الأعراف: ١٥٧ و قوله: «أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ»: الشعراء: ١٩٧.

قوله تعالى: «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَ يَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ» الخ فى الآيه وعد جميل لهم على ما فعلوا و مدح لهم على حسن سلوكهم و مداراتهم مع جهله المشركين و لذا كان الأقرب إلى الفهم أن يكون المراد بإيتائهم أجرهم مرتين إيتاؤهم أجر الإيمان بكتابهم و أجر الإيمان بالقرآن و صبرهم على الإيمان بعد الإيمان بما فيهما من كلفه مخالفه الهوى.

و قيل: المراد إيتاؤهم الأجر بما صبروا على دينهم و على أذى الكفار و تحمل المشاق و قد عرفت ما يؤيده السياق.

وقوله: «وَيَذُرُونَ بِالْحَسَنَةِ نِهَ السَّيِّئَةِ» إلخ الدرء الدفع، والمراد بالحسنه و السيئه قيل:الكلام الحسن و الكلام القبيح، وقيل:العمل الحسن و السيئ و هما المعروف و المنكر، وقيل:الخلق الحسن و السيئ و هما الحلم و الجهل، و سياق الآيات أوفق للمعنى الأخير فيرجع المعنى إلى أنهم يدفعون أذى الناس عن أنفسهم بالمداراه، و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: «وَ إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ» إلخ، المراد باللغو لغو الكلام بدليل تعلقه بالسمع، و المراد سقط القول الذى لا- ينبغى الاشتغال به من هذر أو سب و كل ما فيه خشونه، و لذا لما سمعوه أعرضوا عنه و لم يقابلوه بمثله و قالوا: لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ و هو متاركة، و قوله: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» أى أمان منا لكم، و هو أيضا متاركة و توديع تكرما كما قال تعالى: «وَ إِذَا خَاطَبْتَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا».

و قوله: «لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ» أى لا نطلبهم بمعاشره و مجالسه، و فيه تأكيد لما تقدمه، و هو حكاية عن لسان حالهم إذ لو تلفظوا به لكان من مقابلة السيئ بالسيئ.

قوله تعالى: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» المراد بالهدايه الإيصال إلى المطلوب و مرجعه إلى إفاضه الإيمان على القلب و معلوم أنه من شأنه تعالى لا- يشاركه فيه أحد، و ليس المراد بها إراءه الطريق فإنه من وظيفه الرسول لا معنى لنفيه عنه، و المراد بالاهتداء قبول الهدايه.

لما بين فى الآيات السابقه حرمان المشركين و هم قوم النبى ص من نعمه الهدايه و ضلالهم باتباع الهوى و استكبارهم عن الحق النازل عليهم و إيمان أهل الكتاب به و اعترافهم بالحق ختم القول فى هذا الفصل من الكلام بأن أمر الهدايه إلى الله لا إليك يهدى هؤلاء و هم من غير قومك الذين تدعوهم و لا يهدى هؤلاء و هم قومك الذين تحب اهتداءهم و هو أعلم بالمهتدين.

### (بحث روائى)

فى الدر المنثور، أخرج البزار و ابن المنذر و الحاكم و صححه و ابن مردويه عن أبى

سعيد الخدرى قال: \*قال رسول الله ص: ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمه ولا أهل قريه-بعذاب من السماء منذ أنزل التوراه على وجه الأرض-غير القريه التى مسخت قرده. ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ-مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾؟ أقول: وفي دلالة الآية على الإهلاك بخصوص العذاب السماوى ثم انقطاعه بنزول التوراه خفاء.

وفيه: فى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ الآية: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن النبى ص قال: لما قرب الله موسى إلى طور سيناء نجيا- قال: أى رب هل أحد أكرم عليك منى؟ قربتنى نجيا و كلمتنى تكليما. قال:

نعم، محمد أكرم على منك. قال: فإن كان محمد أكرم عليك منى فهل أمه محمد أكرم من بنى إسرائيل؟ فلقت لهم البحر- وأنجيتهم من فرعون و عمله و أطعمتهم المن و السلوى.

قال: نعم، أمه محمد أكرم على من بنى إسرائيل. قال: إلهى أرنهم. قال: إنك لن تراهم و إن شئت أسمعك صوتهم. قال: نعم إلهى.

فنادى ربنا أمه محمد: أجيوا ربكم، فأجابوا و هم فى أصلاب آبائهم- و أرحام أمهاتهم إلى يوم القيامة- فقالوا: لبيك أنت ربنا حقا و نحن عبيدك حقا. قال: صدقتم و أنا ربك و أنتم عبيدى حقا- قد غفرت لكم قبل أن تدعونى- و أعطيتكم قبل أن تسألونى- فمن لقينى منكم بشهاده أن لا إله إلا الله دخل الجنة.

قال ابن عباس: فلما بعث الله محمدا ص- أراد أن يمن عليه بما أعطاه و بما أعطى أمته- فقال: يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾.

أقول: و رواه فيه أيضا بطرق أخرى عن غيره، و روى هذا المعنى أيضا الصدوق فى العيون، عن الرضا (ع)

لكن حمل الآية على هذا المعنى يوجب اختلال السياق و فساد ارتباط الجمل المتقدمه و المتأخره بعضها ببعض.

وفى البصائر، بإسناده عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن (ع): فى قول الله عز و جل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ يعنى من اتخذ دينه هواه بغير هدى من أئمه الهدى).

أقول: وروى مثله بإسناده عن المعلى عن أبي عبد الله (ع)

و هو من الجرى أو من البطن.

و فى المجمع، فى قوله تعالى: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» الآيات، نزل قوله:

«الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» و ما بعده- فى عبد الله بن سلام و تميم الدارى- و الجارود و العبدى و سلمان الفارسى- فإنهم لما أسلموا نزلت فيهم الآيات. عن قتاده.

و قيل: نزلت فى أربعين رجلا من أهل الإنجيل- كانوا مسلمين بالنبي ص قبل مبعثه- اثنان و ثلاثون من الحبشه- أقبلوا مع جعفر بن أبى طالب وقت قدومه- و ثمانية قدموا من الشام منهم بحيراء و أبرهه و الأشرف و أيمن و إدريس و نافع و تميم.

أقول: و روى غير ذلك.

و فيه: فى معنى قوله تعالى: «وَيَذُرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ» و قيل: يدفعون بالحلم جهل الجاهل. عن يحيى بن سلام، و معناه يدفعون بالمداراه مع الناس أذاهم عن أنفسهم: و روى مثل ذلك عن أبى عبد الله (ع).

و فى الدر المنثور، أخرج عبد بن حميد و مسلم و الترمذى و ابن أبى حاتم و ابن مردويه و البيهقى فى الدلائل عن أبى هريره قال: لما حضرت وفاه أبى طالب أتاه النبي ص- فقال: يا عماء قل: لا إله إلا الله- أشهد لك بها عند الله يوم القيامة، فقال: لو لا أن يعبرنى قريش- يقولون ما حملة عليها إلا جزعه من الموت لأقررت بها عليك- فأنزل الله عليه: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ- وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» أقول: و روى ما فى معناه عن ابن عمر و ابن المسيب و غيرهما، و روايات أئمه أهل البيت (ع) مستفيضه على إيمانه و المنقول من أشعار مشحون بالإقرار على صدق النبي ص و حقيه دينه، و هو الذى آوى النبي ص صغيرا و حماه بعد البعثه و قبل الهجره فقد كان أثر مجاهدته وحده فى حفظ نفسه الشريفه فى العشر سنين قبل الهجره يعدل أثر مجاهدته المهاجرين و الأنصار بأجمعهم فى العشر سنين بعد الهجره.

وَقَالُوا إِن نَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِيبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ بَطْرَتْ مَعِيشَتِهَا فِتْلَكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسَكَّنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨) وَمِمَّا كَانَتْ رُبُّكَ مُهْلِكِ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩) وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠) أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١) وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤) وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦) فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٧) وَرُبُّكَ يُخَلِّقُ مِمَّا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَرُبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخِزْيُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلٍ تَنَاصِعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥)

تذكر الآيات عذرا آخر مما اعتذر به مشركو مكة عن الإيمان بكتاب الله بعد ما ذكرت عذرهم السابق: «لَوْ لَا أُوتِيَ مُثَلَّ مَا أُوتِيَ مُوسَى» و رده و هو قولهم: إن آمننا بما جاء به كتابك من الهدى و هو دين التوحيد تخطفنا مشركو العرب من أرضنا بالقتل و السبى و النهب و سلب الأمن و السلام.

فرده تعالى بأننا جعلنا لهم حرما آمننا يحترمه العرب و يجبى إليه ثمرات كل شيء فلا موجب لخوفهم من تخطفهم.

على أن تنعمهم بالأموال و الأولاد و بطر معيشتهم لا يضمن لهم الأمن من الهلاك حتى يرجوه على اتباع الهدى فكم من قريه بطرت معيشتها أهلكتها الله و استأصلها و ورثها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا.

على أن الذى يؤثرونه على اتباع الهدى إنما هو متاع الحياه الدنيا العاجله و لا يختاره عاقل على الحياه الآخره الخالده التى عند الله سبحانه.

على أن الخلق و الأمر لله فإذا اختار شيئاً و أمر به فليس لأحد أن يخالفه إلى ما يشتهي لنفسه فيختار ما يميل إليه طبعه ثم استشهد تعالى بقصه قارون و خسفه به و بداره الأرض.

قوله تعالى: «وَقَالُوا إِن نَّبِيعِ الْهُدَىٰ مَعَكُمْ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا» إلى آخر الآيه. التخطف الاختلاس بسرعه، و قيل الخطف و التخطف الاستلاب من كل وجه، و كان تخطفهم من أرضهم استعاره أريد به القتل و السبى و نهب الأموال كأنهم و ما يتعلق بهم من أهل و مال يؤخذون فتخلو منهم أرضهم، و المراد بالأرض أرض مكه و الحرم بدليل قوله بعد: «أَو لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا» و القائل بعض مشركى مكه.

و الجمله مسوقه للاعتذار عن الإيمان بأنهم إن آمنوا تخطفتهم العرب من أرضهم أرض مكه لأنهم مشركون لا يرضون بإيمانهم و رفض أوثانهم فهو من قبيل إبداء المانع ففيه اعتراف بحقيه أصل الدعوه و أن الكتاب بما يشتمل عليه حق لكن خطر التخطف مانع من قبوله و الإيمان به، و لهذا عبر بقوله: «إِن نَّبِيعِ الْهُدَىٰ مَعَكُمْ» و لم يقل:

إن تتبع كتابك أو دينك أو ما يقرب من ذلك.

و قوله: «أَو لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا» قيل: التمكين مضمن معنى الجعل و المعنى أ و لم نجعل لهم حرماً آمناً ممكنين إياهم، و قيل: حرماً منصوباً على الظرفيه و المعنى: أ و لم نمكن لهم فى حرم، و «آمناً» صفه «حَرَمًا» أى حرماً آمناً، و عد الحرم ذا أمن - المتلبس بالأمن أهله - من المجاز فى النسبه، و الجمله معطوفه على محذوف و التقدير أ و لم نعصمهم و نجعل لهم حرماً آمناً ممكنين إياهم.

و هذا جواب أول منه تعالى لقولهم: «إِن نَّبِيعِ الْهُدَىٰ مَعَكُمْ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا» و محصله: أنا مكناهم فى أرض جعلناها حرماً ذا أمن تحترمه العرب فلا موجب لخوفهم أن يتخطفوا منها أن آمنوا.

و قوله: «يُجْبَىٰ إِلَيْهِ تَمْرَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ» الجبايه الجمع، و الكل للتكثير لا للعموم لعدم إرادته العموم قطعاً، و المعنى: يجمع إلى الحرم ثمرات كثير من الأشياء، و الجمله

صفه لحرما جىء بها لما عسى أن يتوهم أنهم يتضررون إن آمنوا بانقطاع الميره.

وقوله: «رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا» مفعول مطلق أو حال من ثمرات، وقوله: «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» استدراك عن جميع ما تقدم أى إنا نحن حفظناهم فى أمن و رزقناهم من كل الثمرات لكن أكثرهم جاهلون بذلك فيحسبون أن الذى يحفظهم من تخطف العرب هو شركهم و عبادتهم الأصنام.

قوله تعالى: «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمِهِ بِطُرُفِ مَعِيشَتِهَا» إلى آخر الآيه البطر الطغيان عند النعمه، و«مَعِيشَتِهَا» منصوب بنزع الخافض أى و كم أهلكتنا من قومه طغت فى معيشتها.

وقوله: «فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا» أى إن مساكنهم الخربه الخاويه على عروشها مشهوده لكم نصب أعينكم باقيه على خرابها لم تعمر و لم تسكن بعد هلاكهم إلا قليلا منها.

و بذلك يظهر أن الأنسب كون «إِلَّا قَلِيلًا» استثناء من «مَسَاكِينُهُمْ» لا من قوله: «مِنْ بَعْدِهِمْ» بأن يكون المعنى لم تسكن من بعدهم إلا زمانا قليلا إذ لا يسكنها إلا الماره يوما أو بعض يوم فى الأسفار.

وقوله: «وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» حيث ملكوها ثم تركوها فلم يخلفهم غيرنا فنحن ورثناهم مساكنهم، و فى الجملة أعنى قوله: «كُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» عنايه لطيفه فإنه تعالى هو المالك لكل شىء ملكا حقيقيا مطلقا فهو المالك لمساكنهم و قد ملكها إياهم بتسليطهم عليها ثم نزعها من أيديهم بإهلاكهم و بقيت بعدهم لا مالك لها إلا هو فسمى نفسه وارثا لهم بعنايه أنه الباقى بعدهم و هو المالك لما كان بأيديهم كان ملكهم الاعتبارى انتقل إليه و لا- انتقال هناك بالحقيقه و إنما ظهر ملكه الحقيقى بزوال ملكهم الاعتبارى.

و الآيه جواب ثان منه تعالى لقولهم: «إِنْ تَبِعَ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا» و محصله أن مجرد عدم تخطف العرب لكم من أرضكم لا- يضمن لكم البقاء و لا يحفظ لكم أرضكم و التمتع فيها كما تشاءون فكم من قومه بالغه فى التمتع ذات أشر و بطر أهلكتنا أهلها و بقيت مساكنهم خاليه غير مسكونه لا وارث لها إلا الله.



قوله تعالى: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا» أم القرى هي أصلها و كبريتها التي ترجع إليها و في الآية بيان السنه الإلهيه فى عذاب القرى بالاستئصال و هو أن عذاب الاستئصال لا يقع منه تعالى إلا بعد إتمام الحجه عليهم بإرسال رسول يتلو عليهم آيات الله،و إلا بعد كون المعذيين ظالمين بالكفر بآيات الله و تكذيب رسوله.

و فى تعقيب الآية السابقه بهذه الآية الشارحه لسنته تعالى فى إهلاك القرى تخويف لأهل مكه المشركين بالإيماء إلى أنهم لو أصروا على كفرهم كانوا فى معرض نزول العذاب لأن الله قد بعث فى أم قراهم و هى مكه رسولا- يتلو عليهم آياته و هم مع ذلك ظالمون بتكذيب رسولهم.

و بذلك يظهر النكته فى الالتفات من التكلم بالغير إلى الغيبه فى قوله: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ» فإن فى الإيماء إلى حصول شرائط العذاب فيهم لو كذبوا النبى ص تقويه لنفسه و تأكيداً لحجته،و أما العدول بعده إلى سياق التكلم بالغير فى قوله: «وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ» فهو رجوع إلى السياق السابق بعد قضاء الوطر.

قوله تعالى: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» إلخ الإيتاء: الإعطاء و «مِنْ شَيْءٍ» بيان لما لإفاده العموم أى كل شىء أوتيتموه،و المتاع ما يتمتع به و الزينه ما ينضم إلى الشىء ليفيده جمالا و حسنا،و الحياه الدنيا الحياه المؤجله المقطوعه التى هى أقرب الحياتين منا و تقابلها الحياه الآخره التى هى خالده مؤبده،و المراد بما عند الله الحياه الآخره السعيده التى عند الله و جواره و لذا عد خيرا و أبقى.

و المعنى: أن جميع النعم الدنيويه التى أعطاكم الله إياها متاع و زينه زينت بها هذه الحياه الدنيا التى هى أقرب الحياتين منكم و هى بائده فانيه و ما عند الله من ثوابه فى الدار الآخره المترتب على اتباع الهدى و الإيمان بآيات الله خير و أبقى فينبغى أن تؤثره على متاع الدنيا و زينتها أ فلا تعقلون.

و الآية جواب ثالث عن قولهم: «إِنْ تَبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ تُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا» محصله لنسلم أنكم إن اتبعتم الهدى تخطفكم العرب من أرضكم لكن الذى تفقدونه هو متاع الحياه الدنيا و زينتها الفانيه فما بالكم تؤثرونه على ما عند الله من ثواب اتباع

الهدى و سعادته الحياه الآخره و هى خير و أبقى.

قوله تعالى: «أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسِيماً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» الآية إلى تمام سبع آيات إيضاح لمضمون الآية السابقه - و هو أن إثارة اتباع الهدى أولى من تركه و التمتع بمتاع الحياه الدنيا-بيان آخر فيه مقايسه حال من اتبع الهدى و ما يلقاه من الوعد الحسن الذى وعده الله، من حال من لم يتبعه و اقتصر على التمتع من متاع الحياه الدنيا و سيستقبله يوم القيامة الإحضار و تبرى آلهته منه و عدم استجابتهم لدعوته و مشاهدته العذاب و السؤال عن إجابتهم الرسل.

فقوله: «أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسِيماً فَهُوَ لَاقِيهِ» الاستفهام إنكارى، و الوعد الحسن هو وعده تعالى بالمغفره و الجنه كما قال تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ»: المائدة: ٩، و لا يكذب وعده تعالى قال: «أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ»: يونس: ٥٥.

و قوله: «كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى و هو محروم من ذلك الوعد الحسن لاقتصاره على التمتع بمتاعها، و الدليل على هذا التقييد المقابله بين الوعد و التمتع.

و قوله: «ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» أى للعذاب، أو للسؤال و المؤاخذه و «ثُمَّ» للترتيب الكلامى و إتيان الجملة اسميه كما فيما يقابلها من قوله: «فَهُوَ لَاقِيهِ» للدلاله على التحقق.

قوله تعالى: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ» الشركاء هم الذين كانوا يعبدونهم فى الدنيا و كونهم شركاء عندهم لكونهم يعطونهم أو ينسبون إليهم بعض ما هو من شئونه تعالى كالعباده و التدبير، و فى قوله: «يُنَادِيهِمْ» إشاره إلى بعدهم و خذلانهم يومئذ.

قوله تعالى: «قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا» آلهتهم الذين يرونهم شركاء لله سبحانه صنفان صنف منهم عباد الله مكرمون كالملائكه المقربين و عيسى بن مريم (ع)، و صنف منهم كعتاه الجن و مدعى الألوهيه من الإنس كفرعون و نمروذ و غيرهما و قد ألحق الله سبحانه بهم كل مطاع فى باطل

كإبليس وقرناء الشياطين و أئمه الضلال كما قال: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ -X إلى أن قال X- وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا: يس: ٦٢، وقال:

«أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ:» الجاثية: ٢٣، وقال: «اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَ رُحَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ: التوبة: ٣١.»

و الذين يشير إليهم قوله: «قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» هم من الصنف الثاني بدليل ذكرهم إغواءهم و تبريهم من عبادتهم و هؤلاء المشركون و إن كانوا أنفسهم أيضا ممن حق عليهم القول كما يشير إليه قوله: «حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ»: الم السجده: ١٣، و لكن المراد بهم في الآيه المبحوث عنها المتبوعون منهم الذين ينتهي إليهم الشرك و الضلال.

و إيراد قول هؤلاء الشركاء مع عدم ذكر أن المسئولين أشاروا إليهم لعله للإشارة إلى أنهم ضلوا عنهم في هذا الموقف كما في قوله تعالى: «و يَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا آذْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ» حم السجده: ٤٨.

و قوله: «رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا» أي هؤلاء-يشيرون إلى المشركين-هم الذين أغويناهم و الجملة توطئه للجملة التاليه.

و قوله: «أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا» أي كانت غوايتهم ياغوائنا لغوايتنا أنفسنا فكما كنا غوينا باختيارنا من غير إلقاء كذلك هم غووا باختيار منهم من غير إلقاء، و الدليل على هذا المعنى ما حكاه الله عن إبليس يومئذ إذ قال: «وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ.»

إلا- أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا- تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ، :إبراهيم: ٢٢ و قال حاكيا لتساؤل الظالمين و قرنائهم: «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ الْيَمِينِ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَ مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنْ لَمْ دَانِقُونَ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنْ كُنَّا غَاوِينَ»، :الصافات: ٣٢ أي ما كان ليصل إليكم منا و نحن غاوون غير الغوايه.

و من هنا يظهر أن لقولهم: «أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا» معنى آخر، و هو أنهم اكتسبوا نظير الوصف الذي كان فينا غير أنا نتبرأ منهم حيث لم نلجئهم إلى الغوايه ما كانوا يعبدوننا بإلجاء.

وقوله: «تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ» تبر منهم مطلقا حيث لم يكن لهم أن يلجئوهم و يسلبوا منهم الاختيار، وقوله «مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ» أى بإلجاء منا، أو لتبرينا من أعمالهم فإن من تبرأ من عمل لم ينتسب إليه و إلى هذا المعنى يثول قوله تعالى فى مواضع من كلامه فى وصف هذا الموقف: «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» :الأنعام: ٢٤ «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ» :حم السجده: ٤٨ «وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَكَاءُكُمْ فَزَلَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَ قَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ» ، :يونس: ٢٨ إلى غير ذلك من الآيات فافهم.

وقيل:المعنى تبرأنا إليك من أعمالهم ما كانوا إيانا يعبدون بل كانوا يعبدون أهواءهم أو كانوا يعبدون الشياطين. ولا يخلو من سخافه.

و لكون كل من قوله: «تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ» «مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ» فى معنى قوله:

«أَعْوَيْنَاهُمْ كَمَا عَوَيْنَا» جىء بالفصل من غير عطف.

قوله تعالى: «وَ قِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ رَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ» المراد بشر كائهم الآلهه التى كانوا شركاء لله بزعمهم و لذا أضافهم إليهم. و المراد بدعوتهم دعوتهم إياهم لينصروهم و يدفعوا عنهم العذاب و لذا قال: «وَ رَأَوْا الْعَذَابَ» بعد قوله: «فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ» .

وقوله: «لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ» قيل:جواب لو محذوف لدلاله الكلام عليه و التقدير لو أنهم كانوا يهتدون لرأوا العذاب أى اعتقدوا أن العذاب حق، و يمكن أن يكون لو للتمنى أى ليتهم كانوا يهتدون.

قوله تعالى: «وَ يَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ» معطوف على قوله السابق: «وَ يَوْمَ يَنَادِيهِمْ» إلخ، سئلوا أولا: عن شركائهم و أمروا أن يستنصروهم، و ثانيا: عن جوابهم للمرسلين إليهم من عند الله.

و المعنى: ما ذا قلتم فى جواب من أرسل إليكم من رسل الله فدعوكم إلى الإيمان و العمل الصالح؟.

قوله تعالى: «فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ» العمى استعاره عن

جعل الإنسان بحيث لا- يهتدى إلى خبر، و كان مقتضى الظاهر أن ينسب العمى إليهم لا- إلى الأنبياء لكن عكس الأمر فقيل: «فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءُ» للدلالة على أخذهم من كل جانب و سد جميع الطرق و تقطع الأسباب بهم كما قال: «و تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ» ، البقره: ١٦٦ فلسقوط الأسباب عن التأثير يومئذ لا تهتدى إليهم الأخبار و لا يجدون شيئاً يعتذرون به للتخلص من العذاب.

و قوله: «فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ» تفرّيع على عمى الأنبياء من قبيل تفرع بعض أفراد العام عليه أى لا يسأل بعضهم بعضاً ليعدوا به عذراً يعتذرون به عن تكذيبهم الرسل و ردهم الدعوه.

و قد فسر صدر الآيه و ذيلها بتفاسير كثيره مختلفه لا جدوى فى التعرض لها فرأينا الصّفح عنها أولى.

قوله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ» أى هذه حال من كفر و لم يرجع إلى الله سبحانه فأما من رجع و آمن و عمل صالحاً فمن المرجو أن يكون من المفلحين، و عسى- كما قيل- للتحقيق على عاده الكرام أو للترجى من قبل التائب، و المعنى: فليتوقع الفلاح.

قوله تعالى: «وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» الخيره بمعنى التخير كالطيره بمعنى التطير.

و الآيه جواب رابع عن قولهم: «إِنْ تَبِعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا» و الذى يتضمنه حجه قاطعه.

بيان ذلك: أن الخلق و هو الصنع و الإيجاد ينتهى إليه تعالى كما قال: «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» الزمر: ٦٢ فلا مؤثر فى الوجود بحقيقته معنى التأثير غيره تعالى فلا- شىء هناك يلجئه تعالى على فعل من الأفعال فإن هذا الشىء المفروض إما مخلوق له منته فى وجوده إليه فوجوده و آثار وجوده ينتهى إليه تعالى و لا معنى لتأثير الشىء و لا لتأثير أثره فى نفسه و إما غير مخلوق له و لا منته فى وجوده إليه يؤثر فيه بالإلجاء و القهر و لا- مؤثر فى الوجود غيره و لا أن هناك شيئاً لا ينتهى فى وجوده إليه تعالى فلا يعطيه شىء أثراً و لا يمنع شىء من أثر كما قال: «وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَمْ يُعَقَّبْ لِحُكْمِهِ» ، الرعد: ٤١ و قال:

وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ» : يوسف: ٢١.

و إذ لا- قاهر يقهره على فعل و لا مانع يمنعه عن فعل فهو مختار بحقيقه معنى الاختيار هذا بحسب التكوين و التشريع يتبعه فإن حقيقه التشريع هى أنه فطر الناس على فطره لا تستقيم إلا بإتيان أمور هى الواجبات و ما فى حكمها و ترك أمور هى المحرمات و ما فى حكمها فما ينتفع به الإنسان فى كماله و سعادته هو الذى أمر به و ندب إليه و ما يتضرر به هو الذى نهى عنه و حذر منه.

فله تعالى أن يختار فى مرحله التشريع من الأحكام و القوانين ما يشاء كما أن له أن يختار فى مرحله التكوين من الخلق و التدبير ما يشاء، و هذا معنى قوله: « وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ » و قد أطلق إطلاقاً.

و الظاهر أن قوله: « يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ » إشارة إلى اختياره التكويني فإن معنى إطلاقه أنه لا تقصر قدرته عن خلق شىء و لا يمنعه شىء عما يشاؤه و بعبارة أخرى لا يمتنع عن مشيته شىء لا بنفسه و لا بمانع يمنع و هذا هو الاختيار بحقيقه معناه، و قوله:

« وَ يَخْتَارُ » إشارة إلى اختياره التشريعي الاعتباري و يكون عطفه على قوله: « يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ » من عطف المسبب على سببه لكون التشريع و الاعتبار متفرعا على التكوين و الحقيقه.

و يمكن حمل قوله: « يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ » على الاختيار التكويني و قوله: « وَ يَخْتَارُ » على الأعم من الحقيقه و الاعتبار لكن الوجه السابق أوجه، و من الدليل عليه كون المنفى فى قوله الآتى: « مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ » هو الاختيار التشريعي الاعتباري، و الاختيار المثبت فى قوله « وَ يَخْتَارُ » يقابله فالمراد إثبات الاختيار التشريعي الاعتباري.

ثم لا- ريب فى أن الإنسان له اختيار تكويني بالنسبه إلى الأفعال الصادره عنه بالعلم و الإراده و إن لم يكن اختيارا مطلقا فإن للأسباب و العلل الخارجيه دخلا فى أفعاله إذ أكله لقمه من الطعام مثلا متوقف على تحقق ماده الطعام خارجا و قابليته و ملائمته و قربه منه و مساعدته أدوات الأخذ و القبض و الالتقام و المضغ و البلع و غير ذلك مما لا يحصى. فصدور الفعل الاختياري عنه مشروط بموافقته الأسباب الخارجيه الداخليه فى تحقق فعله، و الله سبحانه فى رأس تلك الأسباب جميعا و إليه ينتهى الكل و هو الذى خلق الإنسان منعوتا بنعت الاختيار و أعطاه خيرته كما أعطاه خلقه.

ثم إن الإنسان يرى بالطبع لنفسه اختيارا تشريعيا اعتباريا فيما يشاؤه من فعل أو ترك بحذاء اختياره التكويني فله أن يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء من غير أن يكون لأحد من بنى نوعه أن يحمله على شىء أو يمنعه عن شىء لكونهم أمثالا له لا يزيدون عليه بشىء فى معنى الإنسانيه و لا يملكون منه شيئا، وهذا هو المراد بكون الإنسان حرا بالطبع.

فالإنسان مختار فى نفسه حر بالطبع إلا أن يملك غيره من نفسه شيئا فيسلب بنفسه عن نفسه الحريه كما أن الإنسان الاجتماعى يسلب عن نفسه الحريه بالنسبه إلى موارد السنن و القوانين الجاريه فى مجتمعه بدخوله فى المجتمع و إمضائه ما يجرى فيه من سنن و قوانين سواء كانت دينيه أو اجتماعيه، و كما أن المتقاتلين يملك كل منهما الآخر من نفسه ما يغلب عليه فللغالب منهما أن يفعل بأسيره ما يشاء، و كما أن الأجير إذا ابتاع عمله و آجر نفسه فليس بحر فى عمله إذ المملوكيه لا تجامع الحريه.

فالإنسان بالنسبه إلى سائر بنى نوعه حر فى عمله مختار فى فعله إلا- أن يسلب باختيار منه شيئا من اختياره فيملك غيره، و الله سبحانه يملك الإنسان فى نفسه و فى فعله الصادر منه ملكا مطلقا بالملك التكويني و بالملك الوضعى الاعتبارى فلا خيره له و لا حريه بالنسبه إلى ما يريد منه تشريعا بأمر أو نهى تشريعيين كما لا خيره و لا حريه له بالنسبه إلى ما يشاؤه بمشيئته التكوينية.

و هذا هو المراد بقوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ أى لا- اختيار لهم إذا اختار الله سبحانه لهم شيئا من فعل أو ترك حتى يختاروا لأنفسهم ما يشاءون و إن خالف ما اختاره الله و الآيه قريبه المعنى من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، الأ-حزاب: ٣٦ و للقوم فى تفسير الآيه أقاويل مختلفه غير مجديه أغمضنا عنها من أراد الوقوف عليها فعليه بالرجوع إلى المطولات.

و قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أى عن شركهم باختيارهم أصناما آلهه يعبدونها من دون الله.

و هاهنا معنى آخر أدق أى تنزه و تعالى عن شركهم بادعاء أن لهم خيره بالنسبه إلى ما يختاره تعالى بقبوله أو رده فإن الخيره بهذا المعنى لا تتم إلا بدعوى الاستقلال فى

الوجود والاستغناء عنه تعالى ولا تتم إلا مع الاشتراك معه تعالى في صفة الألوهية.

و في قوله: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ» التفات من التكلم بالغير إلى الغيبه و النكته فيه تأييد النبي ص و تقويته و تطيب نفسه بإضافه صفة الرب إليه فإن معناه أن ما أرسله به من الحكم ماض غير مردود فلا خيره لهم في قبوله و رده، ولأنهم لا يقبلون ربوبيته.

و في قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ» وضع الظاهر موضع المضمرة و النكته فيه إرجاع الأمر إلى الذات المتعالية التي هي المبدأ للتنزه و التعالي عن كل ما لا يليق بساحه قدسه فإنه تعالى يتصف بكل كمال و يتنزه عن كل نقص لأنه هو الله عز اسمه.

قوله تعالى: «وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ» الإكناح الإخفاء و الإعلان الإظهار، و لكون الصدر يعد مخزنا للأسرار نسب الإكناح إلى الصدور و الإعلان إليهم أنفسهم.

و لعل تعقيب الآيه السابقيه بهذه الآيه للإشاره إلى أنه تعالى إنما اختار لهم ما اختار لعلمه بما في ظاهرهم و باطنهم من أوساخ الشرك و المعصيه فظهرهم بذلك بحكمته.

قوله تعالى: «وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» ظاهر السياق أن الضمير في صدر الآيه راجع إلى «رَبُّكَ» في الآيه السابقيه، و الظاهر على هذا أن اللام في اسم الجلاله للتلميح إلى معنى الوصف، و قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» تأكيد للحصر المستفاد من قوله: «هُوَ اللَّهُ» كأنه قيل: و هو الإله-المتصف وحده بالألوهيه-لا إله إلا هو.

و على ذلك فالآيه كالمتمم لبيان الآيه السابقيه كأنه قيل: هو سبحانه مختار له أن يختار عليهم أن يعبدوه وحده، و هو يعلم ظاهرهم و باطنهم فله أن يقضى عليهم أن يعبدوه وحده و هو الإله المستحق للعباده وحده فيجب عليهم أن يعبدوه وحده.

و يكون ما في ذيل الآيه من قوله: «لَهُ الْحَمْدُ» إلخ، وجوها ثلاثة توجه كونه تعالى معبودا مستحقا للعباده وحده.

أما قوله: «لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ» فلأن كل كمال موجود في الدنيا و الآخره نعمه نازله منه تعالى يستحق بها جميل الشاء، و كل جميل من هذه النعم



الموهوبه مترشحه من كمال ذاتي من صفاته الذاتيه يستحق بها الثناء فله كل الثناء ولا يستقل شىء غيره بشىء من الثناء يثنى عليه به إلا وينتهى إليه و العباده ثناء بقول أو فعل فهو المعبود المستحق للعباده وحده.

و أما قوله: «وَلَهُ الْحُكْمُ» فلأنه سبحانه هو المالك على الإطلاق لا يملك غيره إلا ما ملكه إياه و هو المالك لما ملكه و هو سبحانه مالك في مرحله التشريع و الاعتبار كما أنه مالك في مرحله التكوين و الحقيقه، و من آثار ملكه أن يقضى على عبده و مملوكيه أن لا يعبدوا إلا إياه.

و أما قوله: «وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فلأن الرجوع للحساب و الجزاء و إذ كان هو المرجع فهو المحاسب المجازى و إذ كان هو المحاسب المجازى وحده فهو الذى يجب أن يعبد وحده و له دين يجب أن يتعبد به وحده.

قوله تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» إلى آخر الآيه، السرمد على فعل بمعنى الدائم، و قيل: هو من السرد و الميم زائده و معناه المتتابع المطرد، و تقييده بيوم القيامة إذ لا ليل بعد يوم القيامة.

و قوله: «مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ» أى من الإله الذى ينقض حكمه تعالى و يأتيكم بضياء تستضيئون به و تسعون فى طلب المعاش، هذا ما يشهد به السياق، و يجرى نظيره فى قوله الآتى: «مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ» إلخ.

و بذلك يندفع ما استشكل على الآيتين من أنه لو فرض تحقق جعل الليل سرمدا إلى يوم القيامة لم يتصور معه الإتيان بضياء أصلا لأن الذى يأتى به إما هو الله تعالى و إما هو غيره أما غيره فعجزه عن ذلك ظاهر، و أما الله تعالى فإتيانه به يستلزم اجتماع الليل و النهار و هو محال و المحال لا يتعلق به القدره و لا الإراده، و كذا الكلام فى جانب النهار.

و ربما أجب عنه بأن المراد بقوله: «إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا» إن أراد الله أن يجعل عليكم. و هو كما ترى.

و كان مقتضى الظاهر أن يقال: من إله غير الله يأتيكم بنهار، على ما يقتضيه سياق المقابله بين الليل و النهار فى الكلام لكن العدول إلى ذكر الضياء بدل النهار من قبيل

الإلزام فى الحججه بأهون ما يفرض و أيسره ليظهر بطلان مدعى الخصم أتم الظهور كأنه قيل: لو كان غيره تعالى إله يدبر أمر العالم فإن جعل الله الليل سرمداً فليقدر أن يأتي بالنهار، تنزلنا عن ذلك فليقدر أن يأتي بضياء ما تستضيئون به لكن لا قدره لشيء على ذلك إن قدره كلها لله سبحانه.

و لا- يجرى نظير هذا الوجه فى الآيه التالیه فى الليل حتى يصح أن يقال مثلاً: من إله غير الله يأتيكم بظلمه لأن المأتى به إن كان ظلمه ما لم تكف للسكن و إن كان ظلمه ممتده كانت هى الليل.

و تنكير «بضياء» يؤيد ما ذكر من الوجه، و قد أوردوا وجوها أخرى فى ذلك لا تخلو من تعسف.

و قوله: «أَفَلَا تَسْمَعُونَ» أى سمع تفهم و تفكر حتى تتفكروا فتفهموا أن لا إله غيره تعالى.

قوله تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِيَّاهُ يَتَّبِعُونَ» أى تستريحون فيه مما أصابكم من تعب السعى للمعاش.

و قوله: «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» أى إبصار تفهم و تذكر و إذ لم يبصروا و لم يسمعوا فهم عمى صم، و من اللطيف تذييل الآيتين بقوله: «أَفَلَا تَسْمَعُونَ» «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» و لعل آيه النهار خص بالإبصار لمناسبه ضوء النهار الإبصار و بقى السمع لآيه الليل و هو لا يخلو من مناسبة معه.

قوله تعالى: «وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» الآيه بمنزله نتيجة الحججه المذكوره فى الآيتين السابقتين سيقى بعد إبطال دعوى الخصم فى صورته الإخبار الابتدائى لثبوته من غير معارض.

و قوله: «لِتَسْكُنُوا فِيهِ» اللام للتعليل و الضمير لليل، أى جعل لكم الليل لتستريحوا فيه، و قوله: «لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى و جعل لكم النهار لتطلبوا من رزقه الذى هو عطيته فرجوع «لِتَسْكُنُوا» و «لِتَبْتَغُوا» إلى الليل و النهار بطريق اللف و النشر المرتب، و قوله: «وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» راجع إليهما جميعاً.

وقوله: «وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُم مِّنْهُ ذِكْرًا لِّعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ» في معنى قولنا: جعل لكم و ذلك رحمه منه و فيه إشارة إلى أن التكوين كالسكون و الابتغاء و التشريع و هو هدايتهم إلى الشكر من آثار صفة رحمته تعالى فافهم ذلك.

قوله تعالى: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» تقدم تفسيره و قد كررت الآية لحاجه مضمون الآية التاليه إليها.

قوله تعالى: «وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» إلى آخر الآية، إشارة إلى ظهور بطلان مزعمتهم لهم يوم القيامة، و المراد بالشهيد شهيد الأعمال- كما تقدمت الإشارة إليه مرارا- و لا ظهور للآية في كونه هو النبي المبعوث إلى الأمة نظرا إلى أفراد الشهيد و ذكر الأمة إذ الأمة هي الجماعة من الناس و لا ظهور و لا نصوصيه له في الجماعة الذين أرسل إليهم نبي و إن كانت من مصاديقها.

و قوله: «فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» أي طالبناهم بالحجة القاطعة على ما زعموا أن الله شركاء.

و قوله: «فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» أي غاب عنهم زعمهم الباطل أن الله سبحانه شركاء فعلموا عند ذلك أن الحق في الألوهية لله وحده فالمراد بالضللال الغيبة على طريق الاستعارة. كذا فسروه، ففي الكلام تقديم و تأخير و الأصل فضل عنهم ما كانوا يفترون فعلموا أن الحق لله.

و على هذا فقوله: «أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ» نظير ما يقال في القضاء بين المتخاصمين إذا تداعيا في حق يدعيه كل لنفسه: أن الحق لفلان لا لفلان لأنه تعالى يخاصم المشركين حيث يدعون أن الألوهية بمعنى المعبودية حق لشركائهم فيدعي تعالى أنه حقه فيطالبهم البرهان على دعواهم فيفضل عنهم البرهان فيعلمون عندئذ أن هذا الحق لله فالألوهية حق ثابت لا ريب فيه فإذا لم يكن حقا لغيره تعالى فهو حق له.

و هذا وجه بظاهرة وجهه لا بأس به لكن الحقيقة التي يعطيها كلامه تعالى أن من خاصه يوم القيامة أن الحق يتمحض فيه للظهور ظهورا مشهودا لا- ستر عليه فليرتفع به كل باطل يلتبس به الأمر و يتشبه بالحق، و لازمه أن يظهر أمر الألوهية ظهورا لا ستر عليه فيرتفع به افتراء الشركاء ارتفاعا مترتبا عليه لا أن يفتقد الدليل على الشركاء

فيستنتج منه توحده تعالى بالألوهية على سبيل الاحتجاجات الفكرية فافهم ذلك.

وبذلك يندفع أولا- ما يرد على الوجه السابق أن المستفاد من كلامه تعالى أنهم لا حجة عقلية لهم على مدعاهم ولا موجب على هذا لتأخر علمهم أن الحق لله إلى يوم القيامة، و يرتفع ثانيا حديث التقديم و التأخير المذكور الذي لا نكته له ظاهرا إلا رعايه السجع.

و من الممكن أن يكون «الْحَقُّ» في قوله: «فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ» مصدرا فيرجع معنى الجملة إلى معنى قوله: «وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ»، :النور: ٢٥ فكون الحق لله هو كونه تعالى حقا إن أريد به الحق في ذاته أو كونه منتهيا إليه قائما به إن أريد به غيره، كما قال تعالى: «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ»، : آل عمران: ٦٠ و لم يقل:

الحق مع ربك.

### (بحث روائي)

في تفسير القمي،": في قوله تعالى: «وَقَالُوا إِن نَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ تَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا» الآية، قال: نزلت في قريش-حين دعاهم رسول الله ص إلى الإسلام و الهجره-و قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا-فقال الله عز و جل: «أَو لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا-يُجِيبُ إِلَيْهِ تَمْرَاتٌ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا-وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

أقول: و روى هذا المعنى في كشف المحججه، و روضه الواعظين، للنفيد و رواه في الدر المنثور، عن ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن ابن عباس.

و في الدر المنثور، أخرج النسائي و ابن المنذر عن ابن عباس": أن الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال: «إِن تَبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ تَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا».

و في تفسير القمي،": في قوله تعالى: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» الآية، قال: يختار الله عز و جل الإمام و ليس لهم أن يختاروا.

أقول: و هو من الجري مبينا على وجوب نصب الإمام المعصوم من قبل الله تعالى كالنبي، و قد مر تفصيل الكلام فيه.

وفيه، في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر (ع): في قوله تعالى: « وَ نَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا » يقول: من هذه الأمة إمامها.

أقول: وهو من الجري.

## [سوره القصص (٢٨): الآيات ٧٦ الى ٨٤]

### إشاره

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَمَذُوقٌ عَظِيمٌ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَحَسِبْنَا بِهٖ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَفِّرُ اللَّهُ بِسَطِّ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤)

ص: ٧٤

قصه قارون من بنى إسرائيل ذكرها الله سبحانه بعد ما حكى قول المشركين:

«إِنْ تَبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ تُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا» و أجاب عنه بما مر من الأجوبه ليعتبروا بها فقد كانت حاله تمثل حالهم ثم أداه الكفر بالله إلى ما أدى من سوء العاقبه فليحذروا أن يصيبهم مثل ما أصابه، فقد آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبه أولى القوه فظن أنه هو الذى جمعه بعلمه و جوده فكره و حسن تدبيره فأمن العذاب الإلهى و آثر الحياه الدنيا على الآخره و بغى الفساد فى الأرض فخسف الله به و بداره الأرض فلما كان له من فئه ينصرونه من دون الله و ما كان من المنتصرين.

قوله تعالى: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ» قال فى المجمع:، البغى طلب العتو بغير حق.

قال: و المفاتح جمع مفتح و المفاتيح جمع مفتاح و معناهما واحد و هو عباره عما يفتح به الأغلاق. قال: و ناء بحمله ينوء نوءا إذا نهض به مع ثقله عليه. انتهى. و قال غيره:

ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله و هو الأوفق للآيه.

و قال فى المجمع، أيضا: العصبه الجماعه الملتف بعضها ببعض. و قال: و اختلف فى معنى العصبه فقيل: ما بين عشره إلى خمسه عشر عن مجاهد، و قيل: ما بين عشره

إلى أربعين عن قتاده، وقيل أربعون رجلا عن أبي صالح (١)، وقيل: ما بين الثلاثة إلى العشرة عن ابن عباس، وقيل: إنهم الجماعة يتعصب بعضهم لبعض. انتهى. ويزيف غير القولين الأخيرين قول إخوه يوسف: «وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ»، يوسف: ٨ و هم تسعة نفر.

و المعنى: أن قارون كان من بنى إسرائيل فطلب العتو عليهم بغير حق و أعطيناه من الكنوز ما إن مفاتيحه لتثقل الجماعة ذوى القوه، و ذكر جمع من المفسرين أن المراد بالمفاتيح الخزائن، و ليس بذاك.

قوله تعالى: «إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ» فسر الفرح بالبطر و هو لازم الفرح و السرور المفرط بمتاع الدنيا فإنه لا يخلو من تعلق شديد بالدنيا ينسى الآخرة و يورث البطر و الأشتر، و لذا قال تعالى: «وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ»: الحديد: ٢٣.

و لذا أيضا علل النهى بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ».

قوله تعالى: «وَابْتَغِ فِيهَا مَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ» إلى آخر الآيه أى و اطلب فيما أعطاك الله من مال الدنيا تعمير الدار الآخرة بإنفاقه فى سبيل الله و وضعه فيما فيه مرضاته تعالى.

و قوله: «وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا» أى لا تترك ما قسم الله لك و رزقك من الدنيا ترك المنسى و اعمل فيه لآخرتك لأن حقيقته نصيب الإنسان من الدنيا هو ما يعمل به لآخرته فهو الذى يبقى له.

و قيل: معناه لا تنس أن نصيبك من الدنيا—و قد أقبلت عليك—شئ قليل مما أوتيت و هو ما تأكله و تشربه و تلبسه مثلا و الباقي فضل ستركه لغيرك فخذ منها ما يكفيك و أحسن بالفضل و هذا وجه جيد. و هناك وجه آخر غير ملائمه للسياق.

و قوله: «وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ» أى أنفقه لغيرك إحسانا كما آتاك الله إحسانا من غير أن تستحقه و تستوجه، و هذه الجملة من قبيل عطف التفسير لقوله:

«وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا» على أول الوجهين السابقين و متممه له على الوجه الثانى.

ص: ٧٤

وقوله: «وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» أى لا تطلب الفساد فى الأرض بالاستعانة بما آتاك الله من مال و ما اكتسبت به من جاه و حشمه إن الله لا يحب المفسدين لبناء الخلقه على الصلاح و الإصلاح.

قوله تعالى: «قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي» إلى آخر الآية. لا شك أن قوله «إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي» جواب عن جميع ما قاله المؤمنون من قومه و نصحوه به و كان كلامهم مبنيًا على أن ما له من الثروه إنما آتاه الله إحسانًا إليه و فضلًا منه من غير استيجاب و استحقاق فيجب عليه أن يتغنى فيه الدار الآخرة و يحسن به إلى الناس و لا يفسد فى الأرض بالاستعلاء و الاستكبار و البطر.

فأجاب بنفى كونه إنما أوتيه إحسانًا من غير استحقاق و دعوى أنه إنما أوتيه على استحقاق بما عنده من العلم بطرق اقتناء المال و تدبيره و ليس عند غيره ذلك، و إذا كان ذلك باستحقاق فقد استقل بملكه و له أن يفعل فيما اقتناه من المال بما شاء و يستدره فى أنواع التمتع و بسط السلطه و العلو و البلوغ إلى الآمال و الأمانى.

و هذه المزعمه التى ابتلى بها قارون فأهلكته- أعنى زعمه أن الذى حصل له الكنوز و ساق إليه القوه و الجمع هو نبوغه العلمى فى اكتساب العزه و قدرته النفسانيه لا- غير-مزعمه عامه بين أبناء الدنيا لا- يرى الواحد منهم فيما ساقه إليه التقدير و وافقته الأسباب الظاهره من عزه عاجله و قوه مستعاره إلا- أن نفسه هى الفاعله له و علمه هو السائق له إليه و خبرته هى الماسكه له لأجله.

و إلى عموم هذه المزعمه و ركون الإنسان إليها بالطبع يشير قوله تعالى: «فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلِ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيَّئَةٌ يَبْغُتْ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» الزمر: ٥٢، و قال: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَ أَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا



بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ»: المؤمن: ٨٣ و عرض الآيات على قصه قارون لا يبقى شكاً في أن المراد بالعلم في كلام ما قدمناه.

و في قوله: «إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ» من غير إسناد الإيتاء إلى الله سبحانه كما في قول الناصحين له: «فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ» نوع إعراض عن ذكره تعالى و إزرأء بساحه كبريائه.

و قوله: «أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً» استفهام توبيخي و جواب عن قوله: «إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَيَّ عِلْمٍ عِنْدِي» بأيسر ما يمكن أن يتنبه به لفساد قوله فإنه كان يرى أن الذي اقتنى به المال و هو يبقيه له و يمتعته منه هو علمه الذي عنده و هو يعلم أنه كان فيمن قبله من القرون من هو أشد منه قوه و أكثر جمعا، و كان ما له من القوه و الجمع عن علم عنده على زعمه، و قد أهلكه الله بجرمه، فلو كان العلم الذي يغتر و يتبجح به هو السبب الجامع للمال الحافظ له الممتع منه و لم يكن بإيتاء الله فضلا و إحسانا لنجاهم من الهلاك و متعهم من أموالهم و دافعوا بقوتهم و انتصروا بجمعهم.

و قوله: «وَ لَا يُشِيءُ لُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» ظاهر السياق أن المراد به بيان السنه الإلهيه في تعذيب المجرمين و إهلاكهم بذنوبهم فيكون كناية عن عدم إمهالهم و الإصغاء إلى ما لفقوه من المعاذير أو هيئوه من التذلل و الإنابه ليرجو بذلك النجاه كما أن أولى الطول و القوه من البشر إذا أرادوا تعذيب من يتحكمون عليه سألوه عن ذنبه ليقضوا عليه بالجرم ثم العذاب، و ربما صرف المجرم بما لفقه من المعاذير عذابهم عن نفسه لكن الله سبحانه لعلمه بحقيقه الحال لا يسأل المجرمين عن ذنوبهم و إنما يقضى عليهم قضاء فيأتيهم عذاب غير مردود.

و الظاهر على هذا أن تكون الجملة من تتمه التوبيخ السابق و يكون جوابا عن إسناده ثروته إلى علمه، و محصله أن المؤاخذه الإلهيه ليست كمؤاخذه الناس حتى إذا لاموه أو نصحوه صرف عن نفسه ذلك بما لفقه من الجواب حتى ينتفع في ذلك بعلمه، بل هو سبحانه عليم شهيد لا يسأل المجرم عن ذنبه و إنما يؤاخذه بذنبه، و أيضا يؤاخذه بغته و هو لا يشعر.

هذا ما يعطيه السياق في معنى الآية و لهم فيها أقاويل أخرى:

فقيل: المراد بالعلم فى قوله: «إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَيَّ عِلْمٌ عِنْدِي» علم التوراه فإنه كان أعلم بنى إسرائيل بها.

وقيل: المراد علم الكيمياء و كان قد تعلمه من موسى و يوشع بن نون و كالب بن يوقنا و المراد بكون العلم عنده اختصاصه به دون سائر الناس و قد صنع به مقدارا كثيرا من الذهب.

وقيل: المراد بالعلم علم استخراج الكنوز و الدفائن و قد استخراج به كنوزا و دفائن كثيرة.

وقيل: المراد بالعلم علم الله تعالى و المعنى: أوتيته على علم من الله و تخصيص منه قصدى به، و معنى قوله: «عِنْدِي» هو كذلك فى ظنى و رأى.

وقيل: العلم علم الله لكنه بمعنى المعلوم، و المعنى أوتيته على خير علمه الله تعالى عندى، و «عَلَيَّ» على جميع هذه الأقوال للاستعلاء و جوز أن تكون للتعليل.

وقيل: المراد بالسؤال فى قوله: «وَلَا يُشِيرُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» سؤال يوم القيامة و المنفى سؤال الاستعلام لأن الله أعلم بذنوبهم لا حازه له إلى السؤال و الملائكة يعلمونها من صحائف أعمالهم و يعرفونهم بسيماهم و أما قوله تعالى: «وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ»: الصافات: ٢٤ فهو سؤال تقرير و توبيخ لا- سؤال استعلام، و يمكن أن يكون السؤال فى الآيتين بمعنى واحد و النفى و الإثبات باعتبار اختلاف المواقف يوم القيامة فيسألون فى موقف و لا يسألون فى آخر فلا تناقض بين الآيتين.

وقيل: الضمير فى قوله: «عَنْ ذُنُوبِهِمْ» لمن هو أشد و المراد بالمجرمين غيرهم و المعنى: لا يسأل عن ذنوب من أهل الله من أهل القرون السابقه غيرهم من المجرمين.

و هذه كلها وجوه من التفسير لا يلائمها السياق.

قوله تعالى: «فَخَرَجَ عَلَيَّ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَكَدُوٌّ حَظٌّ عَظِيمٌ» الحظ هو النصيب من السعادة و البخت.

و قوله: «يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» أى يجعلونها الغايه المطلوبه فى مساعيهم ليس لهم وراءها غايه فهم على جهل من الآخره و ما أعد الله لعباده فيها من الثواب قال تعالى: «فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ»

النجم: ٣٠ و لذلك عدوا ما أوتيه قارون من المال سعادته عظيمه له من دون قيد و شرط.

قوله تعالى: « وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً » إلخ، الويل الهلاك و يستعمل للدعاء بالهلاك و زجرا عما لا يرتضى، و هو فى المقام زجرا عن التمنى.

و القائلون بهذا القول هم المؤمنون أهل العلم بالله يخاطبون به أولئك الجهله الذين تمنوا أن يؤتوا مثل ما أوتى قارون و عدوه سعادته عظيمه على الإطلاق، و مرادهم أن ثواب الله خير لمن آمن و عمل صالحا مما أوتى قارون فإن كانوا مؤمنين صالحين فليتمنوه.

و قوله: « وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ » التلقيه التفهيم و التلقى التفهم و الأخذ، و الضمير-على ما قالوا- للكلمه المفهومه من السياق، و المعنى: و ما يفهم هذه الكلمه - و هى قولهم: تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً - إلا الصابرون.

و قيل: الضمير للسيره أو الطريقه و معنى تلقيها فهمها أو التوفيق للعمل بها.

و الصابرون هم المتلبسون بالصبر عند الشدائد و على الطاعات و عن المعاصى، و وجه كونهم هم المتلقين لهذه الكلمه أو السيره أو الطريقه أن التصديق بكون ثواب الآخره خيرا من الحظ الدنيوى - و هو لا ينفك عن الإيمان و العمل الصالح الملازمين لترك كثير من الأهواء و الحرمان عن كثير من المشتتهات- لا يتحقق إلا ممن له صفه الصبر على مراره مخالفه الطبع و عصيان النفس الأماره.

قوله تعالى: « فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ » إلى آخر الآيه، الضميران لقارون و الجملة متفرعه على بغيه.

و قوله: « فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فَنٍّ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ » الفئه الجماعه يميل بعضهم إلى بعض، و فى النصر و الانتصار معنى المنع و الامتناع، و محصل المعنى: فما كان له جماعه يمنعونه العذاب و ما كان من الممتنعين على خلاف ما كان يظن أن الذى يجلب إليه الخير و يدفع عنه الشر هو قوته و جمعه اللذان اكتسبهما بعلمه فلم يقه جمعه و لم تفده قوته من دون الله و بان أن الله سبحانه هو الذى آتاه ما آتاه.

فالفاء فى قوله: « فَمَا كَانَ » لتفريع الجملة على قوله: « فَخَسَفْنَا بِهِ » إلخ، أى فظهر بخسفنا به و بداره الأرض بطلان ما كان يدعيه لنفسه من الاستحقاق و الاستغناء

عن الله سبحانه و أن الذى يجلب إليه الخير و يدفع عنه الشر هو قوته و جمعه و قد اكتسبهما بنبوغه العلمى.

قوله تعالى: « وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَفِّرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ » الخ، ذكروا أن «وى» كلمه تندم و ربما تستعمل للتعجب و كلا المعنيين يقبلان الانطباق على المورد و إن كان التندم أسبق إلى الذهن.

و قوله: « وَيُكَفِّرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ » اعتراف منهم ببطلان ما كان يزعمه قارون و هم يصدقونه أن القوه و الجمع فى الدنيا بنبوغ الإنسان فى علمه و جوده تدبيره لا بفضل من الله سبحانه بل سعه الرزق و ضيقه بمشيئه من الله.

و المقام مقام التحقيق دون التشبيه المناسب للشك و التردد لكنهم إنما استعملوا فى كلامهم « وَيُكَفِّرُ » للدلاله على ابتداء ترددهم فى قول قارون و قد قبلوه و صدقوه من قبل و هذه صناعه شائعه فى الاستعمال.

و الدليل على ذلك قولهم بعده: « لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا » على طريق الجزم و التحقيق.

و قوله: « وَيُكَفِّرُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ » تندم منهم ثانيا و انتراع مما كان لازم تمنيتهم مكان قارون.

قوله تعالى: « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » الآية و ما بعدها بمنزله النتيجة المستخرجه من القصة.

و قوله: « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ » الإشاره إليها بلفظ البعيد للدلاله على شرفها و بهائها و علو مكانتها و هو الشاهد على أن المراد بها الدار الآخرة السعيده و لذا فسروها بالجنة.

و قوله: « نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لَا فَسَادًا » أى نختصها بهم و إرادته العلو هو الاستعلاء و الاستكبار على عباد الله و إرادته الفساد فيها ابتغاء معاصى الله تعالى فإن الله بنى شرائعه التى هى تكاليف للإنسان على مقتضيات فطرته و خلقتة و لا تقتضى فطرته إلا ما يوافق النظام الأحسن الجارى فى الحياه الإنسانيه الأرضيه فكل معصيه تقتضى إلى فساد فى الأرض بلا واسطه أو بواسطه، قال تعالى: «ظَهَرَ

الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ: الروم: ٤١.

و من هنا ظهر أن إرادته العلو من مصاديق إرادته الفساد و إنما أفردت و خصت بالذكر اعتناء بأمرها، و محصل المعنى: تلك الدار الآخرة السعيدة تخصصها بالذين لا يريدون فسادا في الأرض بالعلو على عباد الله و لا بأى معصيه أخرى.

و الآية عامه يخصصها قوله تعالى: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا»: النساء: ٣١.

و قوله: «وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» أى العاقبه المحموده الجميله و هى الدار الآخرة السعيدة أو العاقبه السعيدة فى الدنيا و الآخرة لكن سياق الآيتين يؤيد الأول.

قوله تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا» أى لأنها تتضاعف له بفضل من الله، قال تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»: الأنعام: ١٦٠.

قوله تعالى: «وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى لا يزيدون على ما عملوا شيئا و فيه كمال العدل، كما أن فى جزاء الحسنه بخير منها كمال الفضل.

و كان مقتضى الظاهر فى قوله: «فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا» إلخ، الإضمار و لعل فى وضع الموصول موضع الضمير إشاره إلى أن هذا الجزاء إنما هو لمن أكثر من اقرار المعصيه و أحاطت به الخطيئه كما يفيد جمع السيئات، و قوله: «كَانُوا يَعْمَلُونَ» الدال على الإصرار و الاستمرار، و أما من جاء بالسئته و الحسنه فمن المرجو أن يغفر الله له كما قال: «وَ آخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»: التوبه: ١٠٢.

و ليعلم أن الملاك فى الحسنه و السيئه على الأثر الحاصل منها عند الإنسان و بها تسمى الأعمال حسنه أو سيئه و عليها-لا على متن العمل الخارجى الذى هو نوع من الحركة- يثاب الإنسان أو يعاقب، قال تعالى: «وَ إِنْ تُبَدُّوا مِنْكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُكُمْ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ»: البقره: ٢٨٤.

و به يظهر الجواب عما استشكل على إطلاق الآية بأن التوحيد حسنه و لا يعقل خير منه و أفضل، فالآيه إما خاصه بغير الاعتقادات الحقه أو مخصصه بالتوحيد.

و ذلك أن الأثر الحاصل من التوحيد يمكن أن يفرض ما هو خير منه و إن لم يقبله التوحيد بحسب الاعتبار.

على أن التوحيد أيا ما فرض يقبل الشده و الضعف و الزيادة و النقيصه و إذا ضوعف عند الجزاء كما تقدم كان مضاعفه خيرا من غيره.

### (بحث روائى)

فى الدر المنثور، أخرج ابن أبى شيبه فى المصنف و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و الحاكم و صححه و ابن مردويه عن ابن عباس: " أن قارون كان من قوم موسى، قال: كان ابن عمه و كان يبتغى العلم حتى جمع علما- فلم يزل فى أمره ذلك حتى بغى على موسى و حسده.

فقال له موسى (ع): إن الله أمرنى أن آخذ الزكاه فأبى- فقال: إن موسى يريد أن يأكل أموالكم- جاءكم بالصلاه و جاءكم بأشياء- فاحتملتموها فتحتملوه أن تعطوه أموالكم؟ قالوا: لا- نحتمل فما ترى؟ فقال لهم: أرى أن أرسل إلى بغيا بنى إسرائيل- فترسلها إليه فترميه بأنه أرادها على نفسها فأرسلوا إليها- فقالوا لها: نعطيك حكمك- على أن تشهدى على موسى أنه فجر بك. قالت نعم-.

فجاء قارون إلى موسى (ع) قال: اجمع بنى إسرائيل فأخبرهم بما أمرك ربك قال: نعم، فجمعهم فقالوا له: بيم أمرك ربك؟ قال: أمرنى أن تعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا- و أن تصلوا الرحم و كذا و كذا- و قد أمرنى فى الزانى إذا زنى و قد أحصن أن يرجم. قالوا: و إن كنت أنت؟ قال: نعم. قالوا: فإنك قد زنت، قال: أنا؟.

فأرسلوا إلى المرأه فجاءت فقالوا: ما تشهدين على موسى؟ فقال لها موسى (ع): أنشدتك بالله إلا ما صدقت. قالت: أما إذا نشدتنى فإنهم دعونى- و جعلوا لى جعلوا على أن أذفك بنفسى- و أنا أشهد أنك برىء و أنك رسول الله-.

فخر موسى (ع) ساجدا بيكى- فأوحى الله إليه: ما يبكيك؟ قد سلطناك على الأرض فمرها فتطيعك، فرفع رأسه فقال: خذ بهم فأخذتهم إلى أعقابهم- فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى- فقال: خذ بهم فأخذتهم إلى أعناقهم- فجعلوا يقولون: يا

موسى يا موسى - فقال: خذهم فغيبتهم فأوحى الله: يا موسى - سألك عبادى و تضرعوا إليك فلم تجبهم - فوعزتى لو أنهم دعونى لأجبتهم.

قال ابن عباس: و ذلك قوله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَ بَدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ «خسف به إلى الأرض السفلى.

أقول:

و روى فيه، أيضا عن عبد الرزاق و ابن أبى حاتم عن ابن نوفل الهاشمى القصة": لكن فيها أن المرأه أحضرت إلى مجلس قارون- لتشهد عند الملا من بنى إسرائيل على موسى (ع) بالفجور- و شكوه إلى قارون فجاءت إليه و اعترفت عند الملا بالحق فبلغ ذلك موسى (ع) فشكاه إلى ربه فسلطه الله عليه.

و روى القمى فى تفسيره،": فى القصة أن موسى (ع) جاء إلى قارون- و بلغه حكم الزكاه- فاستهزأ به و أخرجه من داره فشكاه إلى ربه- فسلطه الله عليه فخسف به و بداره الأرض، و الروايه موقوفه مشتمله على أمور منكروه و لذلك تركنا نقلها كما أن روايتى ابن عباس و ابن نوفل أيضا موقوفتان.

على أن روايه ابن عباس تقصص بغيه على موسى (ع) و الذى تقصه الآيات بغيه على بنى إسرائيل، و تشير إلى أن العلم الذى عنده هو ما حصله بالتعلم و ظاهر الآيه كما مر أنه العلم بطرق تحصيل الثروه و نحوها.

و قد سيقى القصة فى التوراه الحاضره على نحو آخر

ففى الإصحاح السادس عشر من سفر العدد": و أخذ قورح بن بصهار بن نهات بن لاوى- و داثان و أبيرام ابنا ألياب و أون بن فالت بنو رأوبين- يقاومون موسى مع أناس من بنى إسرائيل- مائتين و خمسين رؤساء الجماعه مدعويين للاجتماع ذوى اسم. فاجتمعوا على موسى و هارون و قالوا لهما كفاكما. إن كل الجماعه بأسرها مقدسه و فى وسطها الرب- فما بالكما ترتفعان على جماعه الرب؟.

فلما سمع موسى سقط على وجهه- ثم كلم قورح و جميع قومه قائلا: غدا يعلن الرب من هو له؟ و من المقدس؟ حتى يقربه إليه فالذى يختاره يقربه إليه. افعلوا هذا:

خذوا لكم محابر قورح و كل جماعته- و اجعلوا فيها نارا و ضعوا عليها بخورا أمام الرب غدا- فالرجل الذى يختاره الرب هو المقدس. كفاكم يا بنى لاوى.

ص: ٨٤

ثم سيقت القصة و ذكر فيها حضورهم غدا-و مجيؤهم بالمجامر و فيها النار و البخور و اجتماعهم على باب خيمه الاجتماع-ثم قيل:انشقت الأرض التى تحتهم-و فتحت الأرض فاهها و ابتلعتهم و بيوتهم-و كل من كان لقورح مع كل الأموال-فنزّلوا هم و كل ما كان لهم أحياء إلى الهاويه- فانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعه،و كل إسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم،لأنهم قالوا:لعل الأرض تبتلعنا،و خرجت نار من عند الرب-و أكلت المائتين و الخمسين رجلا الذين قربوا البخور. انتهى موضع الحاجه.

و فى المجمع:، فى قوله تعالى: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى» و هو ابن خالته:

عن عطاء عن ابن عباس و هو المروى عن أبى عبد الله (ع).

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لِنُتُوءُ» الآية،قال: كان يحمل مفاتيح خزائنه العصبه أولوا القوه.

و فى المعانى، بإسناده عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر(ع) عن أبيه عن جده عن آبائه عن على(ع): فى قول الله عز و جل: «وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا» قال: لا تنس صحتك و قوتك و فراغك-و شبابك و نشاطك أن تطلب بها الآخره.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ» قال: فى الثياب المصبغات يجرها بالأرض.

و فى المجمع، و روى زاذان عن أمير المؤمنين(ع): أنه كان يمشى فى الأسواق و هو وال يرشد الضال-و يعين الضعيف و يمر بالبياع و البقال-يفتح عليه القرآن و يقرأ:

« تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا » و يقول:

نزلت هذه الآية فى أهل العدل و التواضع-من الولاة و أهل القدره من سائر الناس.

و فيه، روى سلام الأعرج عن أمير المؤمنين(ع)قال: الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل فى هذه الآية « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ » الآية.

أقول:

و عن السيد ابن طاووس فى سعد السعود، أنه رواه عن الطبرسى هكذا:

إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود-من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها.

و فى الدر المنثور، أخرج المحاملى و الديلمى عن أبى هريره عن النبى ص: فى الآية قال:التجبر فى الأرض و الأخذ بغير الحق.



إشارة

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨٥) وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُنْقَلَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٦) وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَ أَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)

(بيان)

الآيات خاتمه السوره وفيها وعد جميل للنبي ص أن الله سبحانه سيمن عليه برفع قدره و نفوذ كلمته و تقدم دينه و انبساط الأمن و السلام عليه و على المؤمنين به كما فعل ذلك بموسى و بنى إسرائيل، و قد كانت قصه موسى و بنى إسرائيل مسوقه فى السوره لبيان ذلك.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ» إلى آخر الآيه الفرض -على ما ذكره- بمعنى الإيجاب فمعنى «فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ» أى أوجب عليك العمل به أى بما فيه من الأحكام ففيه مجاز فى النسبه.

و أحسن منه قول بعضهم: إن المعنى أوجب عليك تلاوته و تبليغه و العمل به و ذلك لكونه أوفق لقوله: «لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ» بما سيجىء من معناه.

و قوله: «لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ» المعاد اسم مكان أو زمان من العود و قد اختلفت كلماتهم فى تفسير هذا المعاد فقيل: هو مكه فالآيه وعد له أن الله سيرده بعد هجرته

إلى مكة ثانياً، وقيل: هو الموت، وقيل: هو القيامة، وقيل: هو المحشر، وقيل هو المقام المحمود و هو موقف الشفاعة الكبرى، وقيل: هو الجنة، وقيل: هو بيت المقدس، و هو فى الحقيقه وعد بمعراج ثان يعود فيه إلى بيت المقدس بعد ما كان دخله فى المعراج الأول: وقيل: هو الأمر المحبوب فيقبل الانطباق على جل الأقوال السابقه أو كلها.

و الذى يعطيه التدبر فى سياق آيات السوره هو أن تكون الآيه تصريحاً بما كانت القصة المسروده فى أول السوره تلوح إليه ثم الآيات التاليه لها تؤيده.

فإنه تعالى أورد قصه بنى إسرائيل و موسى (ع) فى أول السوره ففصل القول فى أنه كيف من عليهم بالأمن و السلام و العزه و التمكّن بعد ما كانوا أذلاء مستضعفين بأيدي آل فرعون يذبحون أبناءهم يستحيون نساءهم، و قد كانت القصة تدل بالالتزام و مطلع السوره يؤيده -على وعد جميل للمؤمنين أن الله سبحانه سينجيهم مما هم عليه من الفتنة و الشده و العسر و يظهر دينهم على الدين كله و يمكنهم فى الأرض بعد ما كانوا لا سماء تظلمهم و لا أرض تقلهم.

ثم ذكر بعد الفراغ من القصة أن من الواجب فى الحكمه أن ينزل كتاباً يهدى الناس إلى الحق تذكره و إتماماً للحجه ليقنوا بذلك من عذاب الله كما نزله على موسى بعد ما أهلك القرون الأولى و كما نزل على النبى ص و إن كذبوا به عنادا للحق و إثارة للدنيا على الآخرة.

و هذا السياق يرجى السامع أنه تعالى سيتعرض صريحاً لما أشار إليه فى سرد القصة تلويحاً فإذا سمع قوله: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْهِ مَعَادٍ» لم يلبث دون أن يفهم أنه هو الوعد الجميل الذى كان يترقبه و خاصه مع الابتداء بقوله: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ» و قد قدم تنظير التوراه بالقرآن و قد كان ما قصه فى إنجاء بنى إسرائيل مقدمه لنزول التوراه حتى يكونوا بالأخذ بها و العمل بها أئمه و يكونوا هم الوارثين.

فمعنى الآية: إن الذى فرض عليك القرآن لتقرأه على الناس و تبلغه و تعملوا به سيردك و يصيرك إلى محل تكون هذه الصيروره منك إليه عوداً و يكون هو معاداً لك

كما فرض التوراه على موسى و رفع به قدره و قدر قومه، و من المعلوم أنه (ص) كان بمكه على ما فيها من الشده و الفتنة ثم هاجر منها ثم عاد إليها فاتحا مظفرا و ثبتت قواعد دينه و استحكمت أركان ملته و كسرت الأصنام و انهدم ببيان الشرك و المؤمنون هم الوارثون للأرض بعد ما كانوا أذلاء معذيين.

و فى تنكير قوله: «مَعَادٍ» إشاره إلى عظمه قدر هذا العود و أنه لا يقاس إلى ما قبله من القطنون بها و التاريخ يصدقه.

و قوله: «قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» يؤيد ما قدمنا من المعنى فإنه يحاذى قول موسى (ع) -لما كذبوه و رموا آياته البينات بأنها سحر مفترى-: «رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» فأمر النبي ص أن يقول للفراعنه من مشركى قومه لما كذبوه و رموه بالسحر ما قال موسى لآل فرعون لما كذبوه و رموه بالسحر للتشابه التام بين مبعثيهما و سير دعوتيهما كما يظهر من القصة و يظهر ذلك تمام الظهور بالتأمل فى قوله تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا»: المزمّل: ١٥.

و لعل الاكتفاء بالشرط الأول من قول موسى (ع) و السكوت عن الشرط الثانى أعنى قوله: «وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» لبناء الكلام بحسب سياقه على أن لا يتعدى حد الإشاره و الإيماء كما يستشتم من سياق قوله: «لَرَأَدُكَ إِلَيْنِي مَعَادٍ» أيضا حيث خص الخطاب بالنبي ص و نكر معادا.

و كيف كان فالمراد بقوله: «مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ» النبي ص نفسه و بقوله:

«وَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» المشركون من قومه، و اختلاف سياق الجملتين -حيث قيل فى جانبه (ص): «مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ» و فى جانبهم: «مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» فقوليل بين ضلالهم و بين مجيئه بالهدى لا بين ضلالهم و اهتدائه -لكون تكذيبهم متوجها بالطبع إلى ما جاء به لا إلى نفسه.

و قد ذكروا فى قوله: «أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ» أن «مَنْ» منصوب بفعل مقدر يدل عليه «أَعْلَمُ» و التقدير يعلم من جاء به بناء على ما هو المشهور أن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به، و ذكر بعضهم أنه منصوب بأعلم و هو بمعنى عالم و لا دليل عليه،

و ما أذكر قائلًا- بأنه منصوب بنزع الخافض و إن لم يظهر فيه النصب لبنائه و التقدير ربي أعلم بمن جاء بالهدى، و لا دليل على منعه.

قوله تعالى: « وَمِمَّا كُنْتُمْ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكُمُ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ » صدر الآيه تقرير للوعد الذى فى قوله: « إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ » أى أنه سيردك إلى معاد- و ما كنت ترجوه كما ألقى إليك الكتاب و ما كنت ترجوه-.

و قيل: تذكره استينافيه لنعمته تعالى عليه(ص) و هذا وجه وجيه و تقريره أنه تعالى لما وعده بالرد إلى معاد و فيه ارتفاع ذكره و تقدم دعوته و انبساط دينه خط له السبيل التى يجب عليه سلوكها بجهد و مراقبه فبين له أن إلقاء الكتاب إليه لم يكن على نهج الحوادث العاديه التى من شأنها أن ترتجى و تترقب بل كانت رحمه خاصه من ربه و قد وعده فى فرضه عليه ما وعده فمن الواجب عليه قبل هذه النعمه و فى تقدم دعوته و بلوغها الغايه التى وعدها أن لا ينصر الكافرين و لا يطيعهم و يدعو إلى ربه و لا يكون من المشركين و لا يدعو معه إليها آخر.

و قوله: « إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ » استثناء منقطع أى لكنه ألقى إليك رحمه من ربك و ليس بإلقاء عادى يرجى مثله.

و قوله: « فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ » تفریع على قوله: « إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ » أى فإذا كان إلقاءه إليك رحمه من ربك خصك بها و هو فوق رجائك فتبرء من الكافرين و لا تكن معينا و ناصرًا لهم.

و من المحتمل قريبا أن يكون فى الجملة نوع محاذاه لقول موسى(ع)-لما قتل القبطى: « رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ » و على هذا يكون فى النهى عن إعانتهم إشاره إلى أن إلقاء الكتاب إليه(ص) نعمه أنعمها الله عليه يهدى به إلى الحق و يدعو إلى التوحيد فعليه أن لا يعين الكافرين على كفرهم و لا يميل إلى صدهم إياه عن آيات الله بعد نزولها عليه كما عاهد موسى(ع) ربه بما أنعم عليه من الحكم و العلم أن لا يكون ظهيرا للمجرمين أبدا، و سيأتى أن قوله: « وَلَا يَصُدُّدَنَّكَ » إلخ، بمنزله الشارح لهذه الجملة.

قوله تعالى: «وَلَا يَصِيءُ دُنُوكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعِيدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ» إلى آخر الآيه، نهى له (ص) على الانصراف عن آيات الله بلسان نهى الكفار عن الصد و الصرف و وجهه كون انصرافه مسببا لصدهم و هو كقوله لآدم و زوجه: «فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ» أى لا تخرجا منها ياخراجه لكما بالوسوسه.

و الظاهر أن الآيه و ما بعدها فى مقام الشرح لقوله: «فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ» و فائدته تأكيد النهى بعد موارده واحدا بعد واحد فنهاء أولا عن الانصراف عن القرآن النازل عليه برميهم كتاب الله بأنه سحر أو شعر أو كهانه أو أساطير الأولين اكتسبها، و أمره ثانيا أن يدعو إلى ربه، و نهاء ثالثا أن يكون من المشركين و فسر به بأن يدعو مع الله إليها آخر.

و قد كرر صفه الرب مضافا إليه (ص) للدلاله على اختصاصه بالرحمه و النعمه و أنه (ص) متفرد فى عبادته لا يشاركه المشركون فيها.

قوله تعالى: «وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» قد تقدم أنه كالتفسير لقوله: «وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

قوله تعالى: «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» كلمه الإخلاص فى مقام التعليل لقوله قبله: «وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» أى لأنه لا إله غيره و ما بعدها فى مقام التعليل بالنسبه إليها كما سيتضح.

و قوله: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» الشىء مساو للموجود و يطلق على كل أمر موجود حتى عليه تعالى كما يدل عليه قوله: «قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ»: الأنعام: ١٩، و الهلاك البطلان و الانعدام.

و الوجه و الوجه واحد كالوعد و العده، و وجه الشىء فى العرف العام ما يستقبل به غيره و يرتبط به إليه كما أن وجه الجسم السطح الظاهر منه و وجه الإنسان النصف المقدم من رأسه و وجهه تعالى ما يستقبل به غيره من خلقه و يتوجه إليه خلقه به و هو صفاته الكريمة من حياه و علم و قدره و سماع و بصر و ما ينتهى إليها من صفات الفعل كالخلق و الرزق و الإحياء و الإماتة و المغفرة و الرحمه و كذا آياته الداله عليه بما هى آياته.

فكل شىء هالك فى نفسه باطل فى ذاته لا حقيقه له إلا ما كان عنده مما أفاضه

الله عليه و أما ما لا- ينسب إليه تعالى فليس إلا- ما اختلقه وهم المتوهم أو سرايا صوره الخيال و ذلك كالأصنام ليس لها من الحقيقة إلا أنها حجاره أو خشبه أو شىء من الفلزات و أما أنها أرباب أو آلهه أو نافعه أو ضاره أو غير ذلك فليست إلا أسماء سماها عبادتهم و كالإنسان ليس له من الحقيقة إلا- ما أودعه فيه الخلقه من الروح و الجسم و ما اكتسبه من صفات الكمال و الجميع منسوبه إلى الله سبحانه و أما ما يضيفه إليه العقل الاجتماعى من قوه و سلطه و رئاسه و وجاهه و ثروه و عزه و أولاد و أعضاء فليس إلا سرايا هالكا و أمنيه كاذبه و على هذا السبيل سائر الموجودات.

فليس عندها من الحقيقة إلا ما أفاض الله عليها بفضلها و هى آياته الداله على صفاته الكريمه من رحمه و رزق و فضل و إحسان و غير ذلك.

فالحقيقه الثابته فى الواقع التى ليست هالكه باطله من الأشياء هى صفاته الكريمه و آياته الداله عليها و الجميع ثابتة بثبوت الذات المقدسه.

هذا على تقدير كون المراد بالهالك فى الآيه الهالك بالفعل و على هذا يكون محصل تعليل كلمه الإخلاص بقوله: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» أن الإله و هو المعبود بالحق إنما يكون إليها معبودا إذا كان أمرا ذا حقيقه واقعيه غير هالك و لا باطل له تدبير فى العالم بهذا النعت و كل شىء غيره تعالى هالك باطل فى نفسه إلا ما كان وجها له منتسبا إليه فليس فى الوجود إله غيره سبحانه.

و الوثيون و إن كانوا يرون وجود آلهتهم منسوبا إليه تعالى و من جهته إلا أنهم يجعلونها مستقلة فى التدبير مقطوعه النسبه فى ذلك عنه من دون أن يكون حكمها حكمه، و لذلك يعبدونها من دون الله، و لا استقلال لشيء فى شىء عنه تعالى فلا يستحق العباده إلا هو.

و هاهنا وجه آخر أدق منه بناء على أن المراد بالوجه ذات الشىء فقد ذكر بعضهم ذلك من معانى الوجه كما يقال: وجه النهار و وجه الطريق لنفسهما و إن أمكنت المناقشه فيه، و ذكر بعض آخر: أن المراد به الذات الشريفه كما يقال: وجوه الناس أى أشرافهم و هو من المجاز المرسل أو الاستعاره و على كلا التقديرين فالمراد أن غيره تعالى من الموجودات ممكنه و الممكن و إن كان موجودا بإيجاده تعالى فهو معدوم بالنظر

إلى حد ذاته هالك في نفسه و الذى لا سبيل للبطلان و الهلاك إليه هو ذاته الواجبه بذاتها.

و محصل التعليل على هذا المعنى: أن الإله المعبود بالحق يجب أن يكون ذاتا بيده شىء من تدبير العالم، و التدبير الكونى لا ينفك عن الخلق و الإيجاد فلا معنى لأن يوجد الحوادث شىء و يدبر أمرها شىء آخر- و قد أوضحناه مرارا فى هذا الكتاب- و لا يكون الخالق الموجد إلا واجب الوجود و لا واجب إلا هو تعالى فلا إله إلا هو.

و قولهم: إنه تعالى أجل من أن يحيط به عقل أو وهم فلا يمكن التوجه العبادى إليه فلا بد أن يتوجه بالعباده إلى بعض مقربى حضرته من الملائكه الكرام و غيرهم ليكونوا شفعاء عنده.

مدفوع بمنع توقف التوجه بالعباده على العلم الإحاطى بل يكفى فيه المعرفة بوجه و هو حاصل بالضرورة.

و أما على تقدير كون المراد بالهالك ما يستقبله الهلاك و الفناء بناء على ما قيل:

إن اسم الفاعل ظاهر فى الاستقبال فظاهر الآيه أن كل شىء سيستقبله الهلاك بعد وجوده إلا وجهه. نعم استقبال الهلاك يختلف باختلاف الأشياء فاستقباله فى الزمانيات انتهاء أمد وجودها و بطلانها بعده و فى غيرها كون وجودها محاطا بالفناء من كل جانب.

و هلاك الأشياء على هذا بطلان وجودها الابتدائى و خلو النشأ الأولى عنها بانتقالها إلى النشأ الأخرى و رجوعها إلى الله و استقرارها عنده، و أما البطلان المطلق بعد الوجود فصريح كتاب الله ينفيه فالآيات متتابعه فى أن كل شىء مرجعه إلى الله و أنه المنتهى و إليه الرجعى و هو الذى يبدئ الخلق ثم يعيده.

فمحصل معنى الآيه- لو أريد بالوجه صفاته الكريمه- أن كل شىء سيخلى مكانه و يرجع إليه إلا صفاته الكريمه التى هى مبادئ فيضه فهى تفيض ثم تفيض إلى ما لا نهايه له و الإله يجب أن يكون كذلك لا بطلان لذاته و لا انقطاع لصفاته الفياضه و ليس شىء غيره تعالى بهذه الصفه فلا إله إلا هو.

و لو أريد بوجهه الذات المقدسه فالمحصل أن كل شىء سيستقبله الهلاك و الفناء بالرجوع إلى الله سبحانه إلا ذاته الحقه الثابته التى لا سبيل للبطلان إليها- و الصفات على هذا محسوبه من صقع الذات- و الإله يجب أن يكون بحيث لا يتطرق الفناء إليه

و ليس شيء غيره بهذه الصفة فلا إله إلا هو.

و بما تقدم من التقرير يندفع الاعتراض على عموم الآيه بمثل الجنة و النار و العرش فإن الجنة و النار لا تنعدمان بعد الوجود و تبقيان إلى غير النهاية، و العرش أيضا كذلك بناء على ما ورد في بعض الروايات أن سقف الجنة هو العرش.

وجه الاندفاع أن المراد بالهلاك هو تبدل نشأ الوجود و الرجوع إلى الله المعبر عنه بالانتقال من الدنيا إلى الآخرة و التلبس بالعود بعد البدء، و هذا إنما يكون فيما هو موجود بوجود بدئي دنيوي، و أما الدار الآخرة و ما هو موجود بوجود أخروي كالجنة و النار فلا يتصف شيء من هذا القبيل بالهلاك بهذا المعنى.

قال تعالى: «مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ» :النحل: ٩٦، و قال: «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلَّائِمِينَ» ، آل عمران: ١٩٨ و قال: «سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ» ، الأنعام: ١٢٤ و نظيرتهما خزائن الرحمة كما قال: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ» ، الحجر: ٢١ و كذا اللوح المحفوظ كما قال: «وَ عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ» :ق: ٤.

و أما ما ذكره من العرش فقد تقدم الكلام فيه في تفسير قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ» ، X الآيه X: الأعراف: ٥٤.

و يمكن أن يراد بالوجه جهته تعالى التي تنسب إليه و هي الناحية التي يقصد منها و يتوجه إليه بها، و تؤيده كثرة استعمال الوجه في كلامه تعالى بهذا المعنى كقوله:

«يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» ، الأنعام: ٥٢ و قوله: «إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى» ، الليل: ٢٠ إلى غير ذلك من الآيات الكثيره جدا.

و عليه فتكون عبارته عن كل ما ينسب إليه وحده فإن كان الكلام على ظاهر عمومته انطبق على الوجه الأول الذي أوردناه و يكون من مصاديقه أسماؤه و صفاته و أنبيأؤه و خلفأؤه و دينه الذي يؤتى منه.

و إن خص الوجه بالدين فحسب- كما وقع في بعض الروايات إن لم يكن من باب التطبيق- كان المراد بالهلاك الفساد و عدم الأثر، و كانت الجملة تعليلا- لقوله: «وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» و كان ما قبلها قرينه على أن المراد بالشئ الدين و الأعمال المتعلقة



به و كان محصل المعنى: و لا تتدين بغير دين التوحيد لأن كل دين باطل لا أثر له إلا دينه.

و الأنسب على هذا أن يكون الحكم فى ذيل الآيه بمعنى الحكم التشريعى أو الأعم منه و من التكويني و المعنى: كل دين هالك إلا دينه لأن تشريع الدين إليه و إليه ترجعون لا إلى مشرعى الأديان الأخر.

هذا ما يعطيه التدبر فى الآيه الكريمة و للمفسرين فيها أقوال آخر مختلفه.

ف قيل: المراد بالوجه ذاته تعالى المقدسه و بالهلاك الانعدام، و المعنى: كل شىء فى نفسه عرضه للعدم لكون وجوده عن غيره إلا ذاته الواجبه الوجود، و الكلام على هذا مبنى على التشبيه أى كل شىء غيره كالهالك لاستناد وجوده إلى غيره.

و قيل: الوجه بمعنى الذات و المراد به ذات الشىء و الضمير لله باعتبار أن وجه الشىء مملوك له، و المعنى: كل شىء هالك إلا وجه الله الذى هو ذات ذلك الشىء و وجوده.

و قيل: المراد بالوجه الجبه المقصوده و الضمير لله، و المعنى: كل شىء هالك بجميع ما يتعلق به إلا الجبه المنسوبه إليه تعالى و هو الوجود الذى أفاضه الله تعالى عليه.

و قيل: الوجه هو الجبه المقصوده و المراد به الله سبحانه الذى يتوجه إليه كل شىء و الضمير للشىء، و المعنى: كل شىء هالك إلا الله الذى هو الجبه المطلوبه له.

و قيل: المراد بالهلاك هلاك الموت و العموم مخصوص بذوى الحياه و المعنى:

كل ذى حياه فإنه سيموت إلا وجهه.

و قيل: المراد بالوجه العمل الصالح و المعنى أن العمل كان فى حيز العدم، فلما فعله العبد ممثلاً لأمره تعالى أبقاه الله من غير إحباط حتى يشبهه أو أنه بالقبول صار غير قابل للهلاك لأن الجزاء قائم مقامه و هو باق.

و قيل: المراد بالوجه جاهه تعالى الذى أثبتته فى الناس.

و قيل: الهلاك عام لجميع ما سواه تعالى دائماً لكون الوجود المفاض عليها متجدداً فى كل آن فهى متغيره هالكه دائماً فى الدنيا و الآخره و المعنى كل شىء متغير الذات دائماً إلا وجهه.

و هذه الوجوه بين ما لا ينطبق على سياق الآيه و بين ما لا ينجح به حجتها و بين ما هو بعيد عن الفهم، و بالتأمل فيما قدمناه يظهر ما فى كل منها فلا نطيل.

وقوله: «لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» الحكم هو قضاؤه النافذ في الأشياء و عليه يدور التدبير في نظام الكون، و أما كونه بمعنى فصل القضاء يوم القيامة فيبعده تقديم الحكم في الذكر على الرجوع إليه الذي هو يوم القيامة فإن فصل القضاء متفرع عليه.

و كلتا الجملتين مسوقتان للتعليل و كل واحده منهما وحدها حجه تامه على توحده.

تعالى بالألوهيه صالحه للتعليل كلمه الإخلاص، و قد تقدم إمكان أخذ الحكم على بعض الوجوه بمعنى الحكم التشريعي.

### (بحث روائى)

فى الدر المنثور، أخرج ابن أبى شيبه و عبد بن حميد و البخارى و النسائى و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن مردويه و البيهقى فى الدلائل من طرق عن ابن عباس: " فى قوله تعالى: «لِرَأْدِكِ إِلَيَّ مَعَادٍ» قال: إلى مكه. زاد ابن مردويه كما أخرجك منها.

أقول:

و روى عنه و عن أبى سعيد الخدرى: " أن المراد به الموت ،

و أيضا عن على عن النبى ص: أن المراد به الجنه و انطباقهما على الآيه لا يخلو من خفاء.

و روى القمى فى تفسيره، عن حريز عن أبى جعفر (ع) و عن أبى خالد الكابلى عن على بن الحسين (ع): أن المراد به الرجعه و لعله من البطن دون التفسير.

و فى الإحتجاج، عن أمير المؤمنين (ع) فى حديث طويل: و أما قوله «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» فالمراد كل شىء هالك إلا دينه، لأن من المحال أن يهلك منه كل شىء و يبقى الوجه. هو أجل و أعظم من ذلك و إنما يهلك من ليس منه—ألا ترى أنه قال:

«كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَ يَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ» ففصل بين خلقه و وجهه؟.

و فى الكافى، بإسناده عن سيف عمن ذكره عن الحارث بن المغيرة النصرى قال:

سئل أبو عبد الله (ع) عن قول الله تبارك و تعالى: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» فقال:

ما يقولون فيه؟ قلت: يقولون: يهلك كل شىء إلا وجه الله—فقال: سبحان الله لقد قالوا عظيما إنما عنى به وجه الله الذى يؤتى منه.

أقول:

و روى مثله فى التوحيد، بإسناده عن الحارث بن المغيرة النصرى عنه



(ع) ولفظه: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل: «كُلُّ شَيْءٍ لِّلْهَالِكِ إِلَّا وَجْهَهُ» قال: كل شيء هالك إلا من أخذ طريق الحق.

و في محاسن البرقى،: مثله إلا أن آخره «من أخذ الطريق الذى أنتم عليه».

و التشويش الذى يترأى فى الروايات تطرق إليها من جهه النقل بالمعنى، فإن كان المراد بالوجه الذى يؤتى منه مطلق ما ينسب إليه و كان من صقعه تعالى و من جانبه كان منطبقا على المعنى الأول الذى قدمناه فى معنى الآية.

و إن كان الوجه بمعنى الدين الذى يتوجه إليه تعالى بقصده كان المراد بالهلاك البطلان و عدم التأثير و كان المعنى: لا إله إلا هو كل دين باطل إلا دينه الحق الذى يؤتى منه فإنه سينفع و يثاب عليه، و قد تقدمت الإشارة إلى الوجهين فى تفسير الآية.

و فى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: «فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ» قال: المخاطبه للنبي ص و المعنى للناس، و قوله: «وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» المخاطبه للنبي ص و المعنى للناس، و هو

قول الصادق (ع) - إن الله بعث نبيه ص: بياك أعنى، و اسمعى يا جاره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَ مَنْ جَاهَد فَإِنَّمَا يُجَاهِد لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧) وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَ إِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٩) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَ لَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠) وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١) وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ وَ مَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَ لِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ اتَّقَالُوا مَعْ أَثْقَالِهِمْ وَ لَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)

يلوح من سياق آيات السوره و خاصه ما فى صدرها من الآيات أن بعضا ممن آمن بالنبي ص بمكه قبل الهجره رجع عنه خوفا من فتنه كانت تهدده من قبل المشركين فإن المشركين كانوا يدعونهم إلى العود إلى ملتهم و يضمنون لهم أن يحملوا خطاياهم إن اتبعوا سبيلهم فإن أبوا فتنوهم و عذبوهم ليعيدوهم إلى ملتهم.

يشير إلى ذلك قوله تعالى: « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ » الآية، وقوله: « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ » الآية.

و كان فى هؤلاء الراجعين عن إيمانهم من كان رجوعه بمجاهده من والديه على أن يرجع و إلحاح منهما عليه فى الارتداد كبعض أبناء المشركين على ما يستشم من قوله تعالى:

« وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا » الآية، وقد نزلت السوره فى شأن هؤلاء.

فغرض السوره على ما يستفاد من بدئها و ختامها و السياق الجارى فيها أن الذى يريده الله سبحانه من الإيمان ليس هو مجرد قولهم: آمنا بالله بل هو حقيقه الإيمان التى لا- تحركها عواصف الفتن و لا تغيرها غير الزمن و هى إنما تثبت و تستقر بتوارد الفتن و تراكم المحن، فالناس غير متروكين بمجرد أن يقولوا: آمنا بالله دون أن يفتنوا و يمتحنوا فيظهر ما فى نفوسهم من حقيقه الإيمان أو وصمه الكفر فليعلمن الله الذين صدقوا و يعلم الكاذبين.

فالفتنه و المحنه سنه إلهيه لا معدل عنها تجرى فى الناس الحاضرين كما جرت فى الأمم الماضين كقوم نوح و عاد ثمود و قوم إبراهيم و لوط و شعيب و موسى فاستقام منهم من استقام و هلك منهم من هلك و ما ظلمهم الله و لكن كانوا أنفسهم يظلمون.

فعلى من يقول: آمنت بالله أن يصبر على إيمانه و يعبد الله وحده فإن تعذر عليه القيام بوظائف الدين فليهاجر إلى أرض يستطيع فيها ذلك فأرض الله واسعة و لا يخف عسر المعاش فإن الرزق على الله و كآين من دابه لا تحمل رزقها الله يرزقها و إياه.

و أما المشركون الذين يفتنون المؤمنين من غير جرم أجرموه إلا أن يقولوا ربنا الله فلا يحسبوا أنهم يعجزون الله و يسبقونه فأما فتنهم للمؤمنين و إيذاؤهم و تعذيبهم فإنما هى فتنه لهم و للمؤمنين غير خارجه عن علم الله و تقديره، فهى فتنه و هى محفوظه عليهم إن شاء أخذهم بوبالها فى الدنيا و إن شاء أخرهم إلى يوم يرجعون فيه إليه و ما لهم من محيص.

و أما ما لفقوه من الحجج و ركنوا إليه من باطل القول فهو داحض مردود إليهم و الحجج قائمه تامه عليهم.

فهذا محصل غرض السوره و مقتضى ذلك كون السوره كلها مكيه، و قول القائل: إنها مدنيه كلها أو معظمها أو بعضها - و سيجىء فى البحث الروائى التالى - غير سديد، فمضامين آيات السوره لا تلائم إلا زمن العسر و الشده قبل الهجره.

قوله تعالى: «الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» الحسبان هو الظن، و جمله «أَنْ يُتْرَكُوا» قائمه مقام مفعوليه، و قوله: «أَنْ يَقُولُوا» بتقدير باء السببيه، و الفتنه الامتحان و ربما تطلق على المصيبه و العذاب، و الأوفق للسياق هو المعنى الأول، و الاستفهام للإنكار.

و المعنى: أظن الناس أن يتركوا فلا يتعرض لحالهم و لا - يمتحنوا بما يظهر به صدقهم أو كذبهم فى دعوى الإيمان بمجرد قولهم: آمنا؟ و قيل: المعنى: أظن الناس أن يتركوا فلا يبتلوا ببليه و لا تصيبهم مصيبه لقولهم: آمنا بأن تكون لهم على الله كرامه بسبب الإيمان يسلموا بها من كل مكروه يصيب الإنسان مدى حياته؟ و لا يخلو من بعد بالنظر إلى سياق الآيات.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» اللامان للقسم، وقوله: «وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» حال من الناس في قوله: «أَحْسَبَ النَّاسُ» أو من ضمير الجمع في قوله «لَا يُفْتَنُونَ» و على الأول فالإنكار و التوبيخ متوجه إلى ظنهم أنهم لا- يفتنون مع جريان السنه الإلهيه على الفتنه و الامتحان و على الثانى إلى ظنهم الاختلاف فى فعله تعالى حيث يفتن قوما و لا يفتن آخرين، و لعل الوجه الأول أوفق للسياق.

فالظاهر أن المراد بقوله: «وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أن الفتنه و الامتحان سنه جاريه لنا و قد جرت فى الذين من قبلهم و هى جاريه فيهم و لن تجد لسنه الله تبديلا.

□  
و قوله: «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» إلخ تعليل لما قبله، و المراد بعلمه تعالى بالذين صدقوا بالكاذبين ظهور آثار صدقهم و كذبهم فى مقام العمل بسبب الفتنه و الامتحان الملازم لثبوت الإيمان فى قلوبهم حقيقه و عدم ثبوته فيها حقيقه فإن السعاده التى تترتب على الإيمان المدعو إليه و كذا الثواب إنما تترتب على حقيقه الإيمان الذى له آثار ظاهره من الصبر عند المكاره و الصبر على طاعه الله و الصبر عن معصيه الله لا على دعوى الإيمان المجرده.

و يمكن أن يكون المراد بالعلم علمه تعالى الفعلى الذى هو نفس الأمر الخارجى فإن الأمور الخارجيه بنفسها من مراتب علمه تعالى، و أما علمه تعالى الذاتى فلا يتوقف على الامتحان البتة.

و المعنى: أ حسبوا أن يتركوا و لا يفتنوا بمجرد دعوى الإيمان و إظهاره و الحال أن الفتنه سنتنا و قد جرت فى الذين من قبلهم فمن الواجب أن يتميز الصادقون من الكاذبين بظهور آثار صدق هؤلاء و آثار كذب أولئك الملازم لاستقرار الإيمان فى قلوب هؤلاء و زوال صورته الكاذبه عن قلوب أولئك.

□  
و الالتفات فى قوله: «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ» إلى اسم الجلاله قيل: للتهويل و تربيته المهابه و الظاهر أنه فى أمثال المقام لإفاده نوع من التعليل و ذلك أن الدعوه إلى الإيمان و الهدايه إليه و الثواب عليه لما كانت راجعه إلى المسمى بالله الذى منه يبدأ كل شىء و به يقوم كل شىء و إليه ينتهى كل شىء بحقيقته فمن الواجب أن يتميز عنده حقيقه الإيمان من



دعواه الخاليه و يخرج عن حال الإبهام إلى حال الصراحه و لذلك عدل عن مثل قولنا:

فلنعلمن إلى قوله: «فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ».

قوله تعالى: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» أم منقطعه، و المراد بقوله: «الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ» المشركون الذين كانوا يفتنون المؤمنين و يصدونهم عن سبيل الله كما أن المراد بالناس في قوله: «أَحْسِبَ النَّاسُ» هم الذين قالوا: آمنا و هم في معرض الرجوع عن الإيمان خوفا من الفتنة و التعذيب.

و المراد بقوله: «أَنْ يَسْبِقُونَا» الغلبه و التعجيز بسبب فتنة المؤمنين و صداهم عن سبيل الله-على ما يعطيه السياق.

و قوله: «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» تخطئه لظنهم أنهم يسبقون الله بما يمكرون من فتنة و صد فإن ذلك بعينه فتنة من الله لهم أنفسهم و صد لهم عن سبيل السعاده و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

و قيل: مفاد الآيه توبيخ العصاه من المؤمنين و هم المراد بقوله: «الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ» و المراد بالسيئات المعاصي التي يقترفونها غير الشرك، و أنت خبير بأن السياق لا يساعد عليه.

و قيل: المراد بعمل السيئات أعم من الشرك و اقتراف سائر المعاصي فالآيه عامه لا موجب لتخصيصها بخصوص الشرك أو بخصوص سائر المعاصي دون الشرك.

و فيه أن اعتبار الآيه من حيث وقوعها في سياق خاص من السياقات أمر و اعتبارها مستقلة في نفسها أمر آخر و الذي يقتضيه الاعتبار الأول و هو العمده بالنظر إلى غرض السوره هو ما قدمناه من المعنى، و أما الاعتبار الثاني: فمقتضاه العموم و لا ضير فيه على ذلك التقدير.

قوله تعالى: «مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» إلى تمام ثلاث آيات. لما وبخ سبحانه الناس على استهانتهم بأمر الإيمان و رجوعهم عنه بأى فتنة و إيذاء من المشركين و وبخ المشركين على فتنتهم و إيذائهم المؤمنين و صداهم عن سبيل الله إراداه لإطفاء نور الله و تعجيزا له فيما شاء و خطأ الفريقين فيما ظنوا.

رجع إلى بيان الحق الذي لا معدل عنه و الواجب الذي لا مخلص منه، فبين في

هذه الآيات الثلاث أن من يؤمن بالله لتوقع الرجوع إليه و لقائه فليعلم أنه آت لا محاله و أن الله سميع لأقواله عليم بأحواله و أعماله فليأخذ حذره و ليؤمن حق الإيمان الذى لا يصرفه عنه فتنه و لا إيذاء و ليجاهد فى الله حق جهاده، و ليعلم أن الذى ينتفع بجهاده هو نفسه و لا حاجة لله سبحانه إلى إيمانه و لا إلى غيره من العالمين و ليعلم أنه إن آمن و عمل صالحا فإن الله سيكفر عنه سيئاته و يجزيه بأحسن أعماله، و العلمان الأخيران يؤكدان العلم الأول و يستوجبان لزومه الإيمان و صبره على الفتن و المحن فى جنب الله.

فقوله: « مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ » رجوع إلى بيان حال من يقول: آمنت فإنه إنما يؤمن لو صدق بعض الصدق لتوقعه الرجوع إلى الله سبحانه يوم القيامة إذ لو لا المعاد لغا الدين من أصله، فالمراد بقوله: « مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ » من كان يؤمن بالله أو من كان يقول: آمنت بالله، فالجملة من قبيل وضع السبب موضع المسبب.

و المراد بلقاء الله و قوف العبد موقفا لا حجاب بينه و بين ربه كما هو الشأن يوم القيامة الذى هو ظرف ظهور الحقائق، قال تعالى: « وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ».

و قيل: المراد بلقاء الله هو البعث، و قيل: الوصول إلى العقابه من لقاء ملك الموت و الحساب و الجزاء، و قيل: المراد ملاقاته جزاء الله من ثواب أو عقاب و قيل:

ملاقاته حكمه يوم القيامة، و الرجاء على بعض هذه الوجوه بمعنى الخوف.

و هذه وجوه مجازيه بعيده لا موجب لها إلا أن يكون من التفسير بلازم المعنى.

و قوله: « فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ » الأجل هو الغايه التى ينتهى إليها زمان الدين و نحوه و قد يطلق على مجموع ذلك الزمان و الغالب فى استعماله هو المعنى الأول.

و « أَجَلَ اللَّهِ » هو الغايه التى عينها الله تعالى للقائه، و هو آت لا ريب فيه و قد أكد القول تأكيدا بالغا، و لازم تحتم إتيان هذا الأجل و هو يوم القيامة أن لا يسامح فى أمره و لا يستهان بأمر الإيمان بالله حق الإيمان و الصبر عليه عند الفتن و المحن من غير رجوع و ارتداد، و قد زاد فى تأكيد القول بتذييله بقوله: « وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » إذ هو تعالى لما كان سميعا لأقوالهم عليما بأحوالهم فلا ينبغى أن يقول القائل: آمنت بالله إلا عن ظهر القلب و مع الصبر على كل فتنه و محنه.

و من هنا يظهر أن ذيل الآية: « فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ » إلخ، من قبيل وضع

السبب موضع المسبب كما كان صدرها: «مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ» أيضا كذلك، و الأصل من قال: آمنت بالله. فليقله مستقيما صابرا عليه مجاهدا في ربه.

وقوله: «وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» المجاهده و الجهاد مبالغه من الجهد بمعنى بذل الطاقه، و فيه تنبيه لهم أن مجاهدتهم في الله بلزوم الإيمان و الصبر على المكاره دونه ليست مما يعود نفعه إلى الله سبحانه حتى لا يهتمهم و يلغو بالنسبه إليهم أنفسهم بل إنما يعود نفعه إليهم أنفسهم لغناه تعالى عن العالمين فعليهم أن يلزموا الإيمان و يصبروا على المكاره دونه.

فقوله: «وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ» تأكيد لحجه الآيه السابقه، و قوله:

«إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» تعليل لما قبله.

و الالتفات من سياق التكلم بالغير إلى اسم الجلاله في الآيتين نظير ما مر من الالتفات في قوله: «فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» الآيه.

وقوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» بيان لعاقبه إيمانهم حق الإيمان المقارن للجهاد و يتبين به أن نفع إيمانهم يعود إليهم لا إلى الله سبحانه و أنه عطيه من الله و فضل.

و على هذا فالآيه لا- تخلو من دلالة ما على أن الجهاد في الله هو الإيمان و العمل الصالح فإنها في معنى تبديل قوله في الآيه السابقه: «وَمَنْ جَاهَدَ» من قوله في هذه الآيه: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ».

و تكفير السيئات هو العفو عنها و الأصل في معنى الكفر هو الستر، و قيل:

تكفير السيئات هو تبديل كفرهم السابق إيمانا و معاصيهم السابقه طاعات، و ليس بذاك.

و جزاؤهم بأحسن الذي كانوا يعملون هو رفع درجاتهم إلى ما يناسب أحسن أعمالهم أو عدم المناقشه في أعمالهم عند الحساب إذا كانت فيها جهات رداءه و خسه فيعاملون في كل واحد من أعمالهم معامله من أتى بأحسن عمل من نوعه فتحتسب صلاتهم أحسن الصلاه و إن اشتملت على بعض جهات الرداءه و هكذا.

قوله تعالى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسِينًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا» إلخ، التوصيه العهد و هو هاهنا الأمر، و قوله: «حُسِينًا»

مصدر فى معنى الوصف قائم مقام مفعول مطلق محذوف و التقدير: و وصينا الإنسان بالديه توصيه حسنه أو ذات حسن أى أمرناه أن يحسن إليهما و هذا مثل قوله: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» أى قولا حسنا أو ذا حسن، و يمكن أن يكون وضع المصدر موضع الوصف للمبالغه نحو زيد عدل، و ربما وجه بتوجيهات آخر.

و قوله: «وَ إِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِيْ» إلخ، تتميم للتوصيه بخطاب شفاهى للإنسان بنهيه عن إطاعه والديه إن دعواه إلى الشرك و الوجه فى ذلك أن التوصيه فى معنى الأمر فكأنه قيل: و قلنا للإنسان أحسن إلى والديك و إن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما.

و لم يقل: و أن لا يطيعهما إن جاهدها على أن يشرك إلخ، لما فى الخطاب من الصراحه و ارتفاع الإبهام و لذلك قال أيضا: «لِتُشْرِكَ بِيْ» بضمير المتكلم وحده فافهمه و يثول معنى الجملة إلى أنا نهيناه عن الشرك طاعه لهما و رفعنا عنه كل إبهام.

و فى قوله: «مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» إشاره إلى عله النهى عن الطاعه فإن دعوتهما إلى الشرك بعباده إله من دون الله دعوه إلى الجهل و عباده ما ليس له به علم افتراء على الله و قد نهى الله عن اتباع غير العلم قال: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ»: إسرائ.

٣٨ و بهذه المناسبه ذيلها بقوله: «إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى سأعلمكم ما معنى أعمالكم و منها عبادتكم الأصنام و شرككم بالله سبحانه.

و معنى الآية: و عهدنا إلى الإنسان فى والديه عهدا حسنا-و أمرناه أن أحسن إلى والديك-و إن بذلا جهدهما أن تشرك بى فلا تطعهما لأنه اتباع ما ليس لك به علم.

و فى الآية- كما تقدمت الإشاره إليه- تويخ تعريضى لبعض من كان قد آمن ثم رجع عن إيمانه بمجاهده من والديه.

قوله تعالى: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ» معنى الآية ظاهر، و فى وقوعها بعد الآية السابقيه و فى سياقها، دلالة على وعد جميل منه تعالى و تطيب نفس لمن ابتلى من المؤمنين بوالدين مشركين يجاهدانه على الشرك فعصاهما و فارقهما، يقول سبحانه: إن جاهداه على الشرك فعصاهما و هجرهما ففاتاه لم يكن بذلك بأس فإننا سنرزقه خيرا منهما و ندخله بإيمانه و عمله الصالح فى الصالحين و هم العباد

المنعمون في الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾  
:الفجر: ٣٠.

و أما إرادته المجتمع الصالح في الدنيا فبعيد من السياق.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، لما كان إيمان هؤلاء مقيدا بالعافية والسلامة مغييا بالإيذاء والابتلاء لم يعده إيمانا بقول مطلق ولم يقل: و من الناس من يؤمن بالله بل قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ فالآية بوجه نظيره قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾: الحج: ١١.

وقوله: ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ أي أُوذِيَ لأجل الإيمان بالله بناء على أن في السبب كما قيل وفيه عناية كلامية لطيفة بجعله تعالى - أي جعل الإيمان بالله - ظرفا للإيذاء و لمن يقع عليه الإيذاء ليفيد أن الإيذاء منتسب إليه تعالى انتساب المظروف إلى ظرفه و ينطبق على معنى السبب والغرضية ونظيره قوله: ﴿يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ ، الزمر: ٥٦ وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾: العنكبوت: ٦٩.

وقيل: معنى الإيذاء في الله هو الإيذاء في سبيل الله و كأنه مبني على تقدير مضاف محذوف.

و فيه أن العناية الكلامية مختلفة فالإيذاء في الله ما كان السبب فيه محض الإيمان بالله و هو قولهم: ربنا الله، و الإيذاء في سبيل الله ما كان سببه سلوك السبيل التي هي الدين قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾: آل عمران: ١٩٥ و من الشاهد على تغاير الاعتبارين قوله في آخر السورة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ حيث جعل الجهاد في الله طريقا إلى الاهتداء إلى سبيله و لو كانا بمعنى واحد لم يصح ذلك.

وقوله: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ أي نزل العذاب و الإيذاء الذي يصيبه من الناس في وجوب التحرز منه منزله عذاب الله الذي يجب أن يتحرز منه فرجع عن الإيمان إلى الشرك خوفا و جزعا من فتنهم مع أن عذابهم يسير منقطع الآخر بنجاه أو موت و لا يقاس ذلك بعذاب الله العظيم المؤبد الذي يستتبع الهلاك الدائم.

وقوله: «وَلَيْنَ جَاءَ نَصِيرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» أى لئن أتاكم من قبله تعالى ما فيه فرج و يسر لكم من بعد ما أنتم فيه من الشده و العسره من قبل أعداء الله ليقولن هؤلاء إنا كنا معكم فلنا منه نصيب.

و«لَيَقُولَنَّ» بضم اللام صيغه جمع، و الضمير راجع إلى «مِنَ» باعتبار المعنى كما أن ضمائر الأفراد الأخر راجعه إليها باعتبار اللفظ. وقوله: «أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ» استفهام إنكارى فيه رد دعواهم أنهم مؤمنون بأن الله أعلم بما فى الصدور و لا تنطوى قلوب هؤلاء على إيمان.

و المراد بالعالمين الجماعات من الإنسان أو الجماعات المختلفه من أولى العقل إنسانا كان أو غيره كالجن و الملك، و لو كان المراد به جميع المخلوقات من ذوى الشعور و غيرهم كان المراد بالصدور البواطن و هو بعيد.

قوله تعالى: «وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ» من تنم الكلام فى الآيه السابقه و المحصل أن الله مع ذلك يميز بين المؤمنين و المنافقين بالفتنه و الامتحان.

و فى الآيه إشاره إلى كون هؤلاء منافقين و ذلك لكون إيمانهم مقيدا بعدم الفتنه و هم يظهرونه مطلقا غير مقيد و الفتنه سنه إلهيه جاريه لا معدل عنها.

و قد استدل بالآيتين على أن السوره أو خصوص هذه الآيات مدنيه و ذلك أن الآيه تحدث عن النفاق و النفاق إنما ظهر بالمدينه بعد الهجره و أما مكه قبل الهجره فلم يكن للإسلام فيها شوكة و لا للمسلمين فيها إلا الذله و الإهانه و الشده و الفتنه و لا- للنبي ص فى المجتمع العربى يومئذ و خاصه عند قريش عزه و لا- منزله فلم يكن لأحد منهم داع يدعوه إلى أن يتظاهر بالإيمان و هو ينوى الكفر.

على أن قوله فى الآيه: «وَلَيْنَ جَاءَ نَصِيرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِذَا كُنَّا مَعَكُمْ» يخبر عن النصر و هو الفتح و الغنيمه و قد كان ذلك بالمدينه دون مكه.

و نظير الآيتين قوله السابق: «وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ» ضروره إن الجهاد و القتال إنما كان بالمدينه بعد الهجره.

و هو سخييف: أما حديث النفاق فالذى جعل فى الآيه ملاكا للنفاق و هو قولهم:

□ □  
آمَنَّا بِاللَّهِ

حتى إذا أودوا فى الله راجعوا عن قولهم كان جائز التحقق فى مكه كما فى

غيرها و هو ظاهر بل الذى ذكر من الإيذاء و الفتنة إنما كان بمكته فلم تكن فى المدينة بعد الهجره فتنه.

و أما حديث النصر فالنصر غير منحصر فى الفتح و الغنيمه فله مصاديق أخر يفرج الله بها عن عباده. على أن الآيه لا تخبر عنه بما يدل على التحقق فقوله: «فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَ لَئِنْ جَاءَ نَصِيرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» يدل على تحقق الإيذاء و الفتنة حيث عبر بإذا الداله على تحقق الوقوع بخلاف مجيء النصر حيث عبر عنه بأن الشرطيه الداله على إمكان الوقوع دون تحققه.

و أما قوله تعالى: «وَ مَنْ جَاهَدَ» إلخ فقد اتضح مما تقدم أن المراد به جهاد النفس دون مقاتله الكفار فالحق أن لا دلالة فى شىء من الآيات على كون السوره أو بعضها مدنيه.

قوله تعالى: «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ وَ مَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» المراد بالذين كفروا مشركو مكه الذين أبدوا الكفر أول مره بالدعوه الحقه، و بالذين آمنوا المؤمنون بها أول مره و قولهم لهم: «اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ» نوع استماله لهم و تطيب لنفوسهم أن لو رجعوا إلى الشرك و اتبعوا سبيلهم لم تكن عليهم تبعه على أى حال: إذ لو لم تكن فى ذلك خطيئه فهو، و إن كانت فهم حاملون لها عنهم، و لذلك لم يقولوا: و لنحمل خطاياكم لو كانت بل أطلقوا القول من غير تقييد.

فكأنهم قالوا: لنفرض أن اتباعكم لسبيلنا خطيئه فإننا نحملها عنكم و نحمل كل ما يتفرع عليه من الخطايا أو أنا نحمل عنكم خطاياكم عامه و من جملتها هذه الخطيئه.

و قوله: «وَ مَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ» رد لقولهم: «وَ لَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ» و هو رد محفوف بحجه إذ لو كان اتباعهم لسبيلهم و رجوعهم عن الإيمان بالله خطيئه كان خطيئه عند الله لاحقه بالراجعين و انتقالها عن عهدتهم إلى غيرهم يحتاج إلى إذن من الله و رضى فهو الذى يؤاخذهم به و يجازيهم و هو سبحانه يصرح و يقول: «مَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ» و قد عمم النفى لكل شىء من خطاياهم.

و قوله: «إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» تكذيب لهم لما أن قولهم: «وَ لَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ» يشتمل على دعوى ضمنى أن خطاياهم تنتقل إليهم لو احتملوا و أن الله يجيز لهم ذلك.

قوله تعالى: «وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَاتَّقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ» من تمام القول السابق في ردهم و هو في محل الاستدراك أى إنهم لا- يحملون خطاياهم بعينها فهي لازمه لفاعليها لكنهم حاملون أثقالا و أحمالا من الأوزار مثل أوزار فاعليها من غير أن ينقص من فاعليها فيحملونها مضافا إلى أثقال أنفسهم و أحمالها لما أنهم ضالون مضلون.

فآياه في معنى قوله تعالى: «لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ»: النحل: ٢٥.

و قوله: «وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ» فشرکہم افتراء على الله سبحانه و كذا دعواهم القدره على إنجاز ما وعدوه و أن الله يجيز لهم ذلك.

### (بحث روائى)

في الدر المنثور، أخرج ابن الضريس و النحاس و ابن مردويه و البيهقي في الدلائل عن ابن عباس و أيضا ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قالاً: "نزلت سورة العنكبوت بمكة.

أقول: و قد نقل في روح المعاني، عن البحر عن ابن عباس أن السورة مدنيه.

و في المجمع، "قيل نزلت الآيه يعنى قوله تعالى: «أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا» في عمار بن ياسر-و كان يعذب في الله. عن ابن جريج.

و في الدر المنثور، أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن الشعبي: "في قوله: «الم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا» الآيه، قال: أنزلت في أناس بمكة قد أقروا بالإسلام-فكتب إليهم أصحاب رسول الله ص من المدينه-لما نزلت آيه الهجره أنه لا يقبل منكم إقرار و لا إسلام حتى تهاجروا. قال: فخرجوا عامدين إلى المدينه فأتبعهم المشركون-فردوهم فنزلت فيهم هذه الآيه-فكتبوا إليهم أنه نزل فيكم آيه كذا و كذا-فقالوا: نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه-فخرجوا فأتبعهم المشركون فقاتلوهم-فمنهم من قتل و منهم من نجا فأنزل الله فيهم: «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ»



وفيه، أخرج ابن جرير عن قتاده: « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ -إلى قوله- وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ » قال هذه الآيات نزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة، وهذه الآيات العشر مدنيه.

وفيه، أخرج ابن جرير عن الضحاك: « في قوله: « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ » قال: ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون- فإذا أودوا و أصابهم بلاء من المشركين-رجعوا إلى الكفر و الشرك مخافة من يؤذيهم-و جعلوا أذى الناس في الدنيا كعذاب الله.

وفيه، أخرج ابن المنذر و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص قال: « قالت أمي: لا آكل طعاما و لا أشرب شرابا- حتى تكفر بمحمد فامتنعت من الطعام و الشراب-حتى جعلوا يسجرون فاهما بالعصا فنزلت هذه الآية « وَ صَيَّنَّا الْقُرْآنَ لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا كَافِرِينَ »

و في المجمع، قال الكلبي: « نزل قوله: « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ » الآية-ففي عياش بن أبي ربيعة المخزومي-و ذلك أنه أسلم فخاف أهل بيته-فهاجر إلى المدينة قبل أن يهاجر النبي ص-فحلفت أمه أسماء بنت مخرمه بن أبي جندل التميمي-أن لا تأكل و لا تشرب و لا تغسل رأسها-و لا تدخل كنا حتى يرجع إليها-فلما رأى ابناها أبو جهل و الحارث ابنا هشام-و هما أخوا عياش لأمه-جزعها ركبا في طلبه-حتى أتيا المدينة فلقياه و ذكرا له القصة-فلم يزالا به حتى أخذ عليهما الموثيق-أن لا يصرفاه عن دينه و تبعهما-و قد كانت أمه صبرت ثلاثة أيام ثم أكلت و شربت-.

فلما خرجوا من المدينة أخذاه و أوثقاه كتافا-و جلده كل واحد منهما مائه جلده- حتى برىء من دين محمد جزعا من الضرب- و قال ما لا ينبغي فنزلت الآية-و كان الحارث أشدهما عليه-فحلف عياش لئن قدر عليه خارجا من الحرم ليضربن عنقه-.

فلما رجعوا إلى مكة مكثوا حينما-ثم هاجر النبي ص و المؤمنون إلى المدينة- و هاجر عياش و حسن إسلامه-و أسلم الحارث بن هشام و هاجر إلى المدينة-و بايع النبي ص على الإسلام و لم يحضر عياش-فلقيه عياش يوما بظهر قبا و لم يشعر بإسلامه-فضرب عنقه فقبل له: إن الرجل قد أسلم فاسترجع عياش و بكى-ثم أتى النبي ص فأخبره بذلك فنزل: « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً » الآية.

أقول: و أنت ترى اختلاف الروايات فى سبب نزول الآيات و قد تقدم أن الذى يعطيه سياق آيات السوره أنها مكيه محضه.

و فى الكافى، عده من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن (ع) يقول: «الم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ».

ثم قال لى: ما الفتنة؟ قلت: جعلت فداك الفتنة فى الدين-فقال: «يفتنون كما يفتن الذهب. ثم قال: يخلصون كما يخلص الذهب.

و فى المجمع، قيل: إن معنى يفتنون يبتلون فى أنفسهم و أموالهم: و هو المروى عن أبى عبد الله (ع).

و فيه: فى قوله تعالى: «أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا»: و فى تفسير الكلبي: أنه لما نزلت هذه الآية-قام النبى ص فتوضأ و أسبغ وضوءه-ثم قام و صلى فأحسن صلاته-ثم سأل الله سبحانه أن لا يبعث عذابا من فوقهم-أو من تحت أرجلهم أو يلبسهم شيئا-ولا يذيق بعضهم بأس بعض.

فتزل جبرئيل و لم يجرهم من الخصلتين الأخيرتين-فقال (ص): يا جبرئيل ما بقاء أمتى مع قتل بعضهم بعضا؟ فقام و عاد إلى الدعاء فتزل: «الم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا» الآيتان-فقال: لا بد من فتنة يبتلى بها الأمة-بعد نبينا ليتعين الصادق من الكاذب-لأن الوحي انقطع و بقى السيف-و افتراق الكلمه إلى يوم القيامة.

و فى نهج البلاغه: و قام إليه رجل فقال أخبرنا عن الفتنة-و هل سألت رسول الله ص عنها؟ فقال (ع): لما أنزل الله سبحانه قوله: «الم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» علمت أن الفتنة لا-تنزل بنا و رسول الله ص بين أظهرنا-فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التى أخبرك الله بها؟ فقال: يا على إن أمتى سيفتنون من بعدى.

و فى التوحيد، عن على (ع)-فى حديث طويل: و قد سأله رجل عن آيات من القرآن-و قوله: «مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَمَاتٍ» يعنى بقوله: من كان يؤمن بأنه مبعوث-فإن وعد الله لآت من الثواب و العقاب-فاللقاء هاهنا ليس بالرؤية و اللقاء هو البعث-فافهم جميع ما فى كتاب الله من لقاءه فإنه يعنى بذلك البعث.

أقول: مراده (ع) نفى الرؤيه الحسيه و التفسير بلازم المعنى.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ» الآية قال: من أحب لقاء الله جاءه الأجل» و «مَنْ جَاهِدَ» نفسه عن اللذات و الشهوات و المعاصى «فَاتِمًا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ». «و وَصَيْنَا الْإِنْسَانَ بُوَالِدَيْهِ حُسْنًا» قال: هما اللذان ولداه.

وفيه، "فى قوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا-اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لِنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ» قال: كان الكفار يقولون للمؤمنين: كونوا معنا-فإن الذى تخافون أنتم ليس بشىء-فإن كان حقا نتحمل عنكم ذنوبكم، فيعذبهم الله عز و جل مرتين: مره بذنوبهم و مره بذنوب غيرهم.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن أبى شيبه فى المصنف و ابن المنذر عن ابن الحنفية قال: "كان أبو جهل و صناديد قريش يتلقون الناس-إذا جاءوا إلى النبى ص يسلمون يقولون: إنه يحرم الخمر و يحرم الزنا و يحرم ما كانت تصنع العرب-فارجعوا فنحن نحمل أوزاركم فنزلت هذه الآية: «وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَنْثَالَاَ مَعَ أَثْقَالِهِمْ»

وفيه، أخرج أحمد عن حذيفه قال: سأل رجل على عهد رسول الله ص فأمسك القوم-ثم إن رجلا أعطاه فأعطى القوم-فقال النبى ص: من سن خيرا فاستن به-كان له أجره و من أجور من تبعه-غير منتقص من أجورهم شيئا، و من سن شرا فاستن به كان عليه وزره و من أوزار من تبعه-غير منتقص من أوزارهم شيئا.

أقول: و فى هذا المعنى روايات أخر و فى بعضها تفسير قوله: «وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَنْثَالَاَ مَعَ أَثْقَالِهِمْ» بذلك.

## [سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٤ الى ٤٠]

### اشاره

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَ اصْرَحَابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْنَاهُمْ آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٥) وَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أُعْبِدُوا اللَّهَ وَ اتَّقَوْهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَ تَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَ إِنْ تَكْذِبُوا فَتُكْذَبُوا فَكَذِبُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨) أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (٢٢) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ لِقَائِهِ أُولَئِكَ يَنْسَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) فَمَا كَانَ حَوَابٍ قَوْمِهِ إِلَّا- أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَ مَا أُولَئِكَ إِلَّا لِقَوْمٍ أَلْفَاكٍ (٢٥) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ

يَعْقُوبَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَ آتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) وَ لوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَخَعَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا- أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَ لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَ قَالُوا لَا تَخَفْ وَ لَا تَحْزَنْ إِذْ مَا مَنجُوكَ وَ أَهْلَكَ إِلَّا- امْرَأَتُكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِذْ مَا مُنزلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَ لَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيْنَهُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥) وَ إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ لَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصَّ بِحُوحَا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ (٣٧) وَ عَادًا وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَآكِينِهِمْ وَ زَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَ فَارُوقَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَ مَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)





لما ذكر سبحانه في صدر السوره أن الفتنة سنه إلهيه لا معدل عنها و قد جرت في الأمم السابقه عقب ذلك بالإشاره إلى قصص سبعة من الأنبياء الماضين و أممهم و هم:

نوح و إبراهيم و لوط و شعيب و هود و صالح و موسى (ع) فتنهم الله و امتحنهم فنجوا منهم من نجا و هلك، منهم من هلك و قد ذكر سبحانه في الثلاثه الأول النجاه و الهلاك معا و في الأربعة الأخيره الهلاك فحسب.

قوله تعالى: « وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سِنِينَ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ »، في المجمع: الطوفان الماء الكثير الغامر لأنه يطوف بكثرتة في نواحي الأرض، انتهى. و قيل: هو كل ما يطوف بالشئ على كثره و شدته من السيل و الريح و الظلام و الغالب استعماله في طوفان الماء.

و التعبير بألف سنه إلا خمسين عاما دون أن يقال: تسعمائه و خمسين سنه للتكثير و الآية ظاهره في أن الألف إلا خمسين مده دعوه نوح (ع) ما بين بعثته إلى أخذ الطوفان فيغاير ما في التوراه الحاضره أنها مده عمره (ع) و قد تقدمت الإشاره إلى ذلك في قصصه (ع) في تفسير سوره هود، و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: « فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ » أي فأنجينا

نوحا و أصحاب السفينه الراكبين معه فيها و هم أهله و عده قليله من المؤمنين به و لم يكونوا ظالمين.

و قوله: « وَ جَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ » الظاهر أن الضمير للواقع أو للنجاه و أما رجوعه إلى السفينه فلا يخلو من بعد، و العالمين الجماعات الكثيره المختلفه من الأجيال اللاحقه بهم.

قوله تعالى: « وَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ ذِكُّكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » معطوف على قوله: « نُوحًا » أى و أرسلنا إبراهيم إلى قومه.

و قوله لقومه: « اُعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ » دعوه إلى التوحيد و إنذار بقرينه الآيات التاليه فتفيد الجمله فائده الحصر.

على أن الوثنيه لا يعبدون الله سبحانه و إنما يعبدون غيره زعما منهم أنه تعالى لا يمكن أن يعبد إلا من طريق الأسباب الفعاله في العالم المقربه عنده كالملائكه و الجن و لو عبد لكان معبودا وحده من غير شريك فدعوتهم إلى عباده الله بقوله: « اُعْبُدُوا اللَّهَ » تفيد الدعوه إليه وحده و إن لم تقيد بأداه الحصر.

قوله تعالى: « إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَ تَخْلُقُونَ إِفْكًا » إلى آخر الآيه، الأوثان جمع وثن بفتحيتين و هو الصنم، و الإفك الأمر المصروف عن وجهه قولاً أو فعلاً.

و قوله: « إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا » بيان لبطلان عباده الأوثان و يظهر به كون عباده الله هي العباده الحقه و بالجمله انحصار العباده الحقه فيه تعالى « أَوْثَانًا » منكر للدلاله على وهن أمرها و كون ألوهيتها دعوى مجردة لا حقيقه وراءها، أى لا تعبدون من دون الله إلا أوثانا من أمرها كذا و كذا.

و لذا عقب الجمله بقوله: « وَ تَخْلُقُونَ إِفْكًا » أى و تفتعلون كذبا بتسميتها آلهه و عبادتها بعد ذلك فهناك إله تجب عبادته لكنه هو الله الواحد دون الأوثان.

و قوله: « إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا » تعليل لما ذكر من افتعالهم الكذب بتسميه الأوثان آلهه و عبادتها و محصله أن هؤلاء الذين تعبدون من دون الله و هم الأوثان بما هم تماثيل المقربين من الملائكه و الجن إنما تعبدونهم لجلب النفع و هو أن يرضوا عنكم فيرزقوكم و يدروا عليكم الرزق لكنهم ليسوا يملكون لكم رزقا



فإن الله هو الذى يملك رزقكم الذى هو السبب الممد لبقائكم لأنه الذى خلقكم و خلق رزقكم فجعله ممدا لبقائكم و الملك تابع للخلق و الإيجاد.

□  
و لذلك عقبه بقوله: «فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ» أى فاطلبوا الرزق من عند الله لأنه هو الذى يملكه فلا تعبدوهم بل اعبدوا الله و اشكروا له على ما رزقكم و أنعم عليكم بألوان النعم فمن الواجب شكر المنعم على ما أنعم.

و قوله: «إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فى مقام التعليل لقوله: «وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ» و لذا جىء بالفصل من غير عطف، و فى هذا التعليل صرفهم عن عباده الإله ابتغاء للرزق إلى عبادته للرجوع و الحساب إذ لو لا المعاد لم يكن لعباده الإله سبب محصل لأن الرزق و ما يجرى مجراه له أسباب خاصه كونه غير العبادات و القربات و لا يزيد و لا ينقص بإيمان أو كفر لكن سعادته يوم الحساب تختلف بالإيمان و الكفر و العباده و الشكر و خلافهما فليكن الرجوع إلى الله هو الباعث إلى العباده و الشكر دون ابتغاء الرزق.

□  
قوله تعالى: «وَ إِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» الظاهر أنه من تمام كلام إبراهيم (ع)، و ذكر بعضهم أنه خطاب منه تعالى لمشركى قريش و لا يخلو من بعد.

و معنى الشرط و الجزاء فى صدر الآيه أن التكذيب هو المتوقع منكم لأنه كالسنه الجاربه فى الأمم المشركه و قد كذب من قبلكم و أنتم منهم و فى آخرهم و ليس على بما أنا رسول إلا البلاغ المبين.

و يمكن أن يكون المراد أن حالكم فى تكذبيكم كحال الأمم من قبلكم لم ينفعهم تكذبيهم شيئا حل بهم عذاب الله و لم يكونوا بمعجزين فى الأرض و لا- فى السماء و لم يكن لهم من دون الله من ولى و لا- نصير، فكذلكم أنتم، و قوله: «وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ» يناسب الوجهين جميعا.

□ □ □  
قوله تعالى: «أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» هذه الآيه إلى تمام خمس آيات من كلامه تعالى واقعه فى خلال القصة تقيم الحججه على المعاد و ترفع استبعادهم له متعلقه بما تقدم من حيث إن العمده فى تكذبيهم الرسل إنكارهم للمعاد كما يشير إليه قول إبراهيم: «إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَ إِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ».

فقوله: «أَوْ لَمْ يَرَوْا» إلخ الضمير فيه للمكذبين من جميع الأمم من سابق ولاحق و المراد بالرؤية النظر العلمى دون الرؤية البصريه، وقوله: «كَيْفَ يُدِّئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» فى موضع المفعول لقوله: «يَرَوْا» بعطف «يُعِيدُهُ» على موضع «يُدِّئُ» خلافا لمن يرى عطفه على «أَوْ لَمْ يَرَوْا» والاستفهام للتوبيخ.

و المعنى: أ و لم يعلموا كيفية الإبداء ثم الإعادة أى إنهما من سنخ واحد هو إنشاء ما لم يكن، وقوله: «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» الإشارة فيه إلى الإعادة بعد الإبداء و فيه رفع الاستبعاد لأنه إنشاء بعد إنشاء و إذ كانت القدره المطلقه تتعلق بالإيجاد فهى جائزه التعلق بالإنشاء بعد الإنشاء و هى فى الحقيقه نقل للخلق من دار إلى دار و إنزال للسائرين إليه فى دار القرار.

و قول بعضهم: إن المراد بالإبداء ثم الإعادة إنشاء الخلق ثم إعادة أمثالهم بعد إفنائهم غير سديد لعدم ملائمه الاحتجاج على المعاد الذى هو إعادة عين ما فى دون مثله.

قوله تعالى: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» الآية إلى تمام ثلاث آيات أمر للنبي ص أن يخاطبهم بما يتم به الحجه عليهم فيرشدهم إلى السير فى الأرض لينظروا إلى كيفية بدء الخلق و إنشائهم على اختلاف طبائعهم و تفاوت ألوانهم و أشكالهم من غير مثال سابق و حصر أو تحديد فى عدتهم و عدتهم ففیه دلالة على عدم التحديد فى القدره الإلهيه فهو ينشئ النشأه الآخره كما أنشأ النشأه الأولى فالآيه فى معنى قوله: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ»: الواقعه: ٦٢.

قوله تعالى: «يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ» من مقول القول، و الظاهر أنه بيان لقوله: «يُنشئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ» و قلب الشىء تحويله عن وجهه أو حاله كجعل أسفله أعلاه و جعل باطنه ظاهره و هذا المعنى الأخير يناسب قوله تعالى: «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ»: الطارق: ٩.

و فسروا القلب بالرد قال فى المجمع: و القلب هو الرجوع و الرد فمعناه أنكم تردون إلى حال الحياه فى الآخره حيث لا يملك فيه النفع و الضر إلا الله. انتهى و هذا

معنى لطيف يفسر به معنى الرجوع إلى الله و الرد إليه و هو وقوفهم موقفاً تنقطع فيه عنهم الأسباب و لا يحكم فيه إلا الله سبحانه فالآيه فى معنى قوله: «وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ»: يونس: ٣٠.

و محصل المعنى: أن النشأه الآخره هى نشأه يعذب الله فيها من يشاء و هم المجرمون و يرحم من يشاء و هم غيرهم و إليه تردون فلا يحكم فيكم غيره.

قوله تعالى: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» من مقول القول و توصيف لشأنهم يوم القيامة كما أن الآيه السابقه توصيف لشأنه تعالى يومئذ.

فقوله: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ أَي أَنْكُمْ لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْجِزُوهُ تَعَالَى يَوْمئِذٍ بِالْفُوتِ مِنْهُ وَ الْخُرُوجِ مِنْ حُكْمِهِ وَ سُلْطَانِهِ بِالْفِرَارِ وَ الْخُرُوجِ مِنْ مَلِكِهِ وَ النُّفُوزِ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَ السَّمَاءِ، فالآيه تجرى مجرى قوله: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَاَنْفُذُوا»: الرحمن: ٣٣.

و قيل: الكلام فى معنى «من فى السماء» فحذف من لدلاله الكلام عليه و التقدير و ما أنتم بمعجزين فى الأرض و لا من فى السماء بمعجزين فى السماء.

و هو بعيد و دلالة الكلام عليه غير مسلمه و لو بنى عليه لكفى فيه أن الخطاب للأعم من البشر بتغليب جانب البشر المخاطبين على غيرهم من الجن و الملك و المعنى: و ما أنتم معاشر الخلق بمعجزين فى الأرض و لا فى السماء.

و قوله: «وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» أى ليس لكم اليوم ولى من دون الله يتولى أمركم فيغنيكم من الله و لا نصير ينصركم فيقوى جانبكم و يتم ناقص قوتكم فيظهركم عليه سبحانه.

فالآيه - كما ترى - تنفى ظهورهم على الله و تعجزهم له بالخروج و الامتناع عن حكمه بأقسامه فلا هم يستقلون بذلك و هو قوله: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» إلخ و لا غيرهم يستقل بذلك و هو قوله: «وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ» و لا المجموع منهم و من غيرهم يعجزه تعالى و هو قوله: «وَلَا نَصِيرٍ».

قوله تعالى: «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ لِقَائِهِ أُولَئِكَ يَنْسَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولَئِكَ

«خطاب مصروف إلى النبي ص خارج من مقول القول السابق «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ» إلخ و المطلوب فيه أن ينبئه (ص) صريح الحق فيمن يشقى و يهلك يوم القيامة فإنه أبهم ذلك في قوله أولاً: «يُعَذَّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ».

و من الدليل عليه الخطاب في «أُولَئِكَ» مرتين و لو كان من كلام النبي ص لقليل: «أولئككم».

و يؤيد ذلك أيضاً قوله: «مَنْ رَحِمْتِي» فإن الانتقال من مثل قولنا: أولئك يئسوا من رحمه الله أو من رحمته بسياق الغيبة على ما يقتضيه المقام إلى قوله: «أُولَئِكَ يَنْتَسِبُونَ مِنْ رَحْمَتِي» يفيد التصديق و الاعتراف مضافاً إلى أصل الإخبار فيفيد صريح التعيين لأهل العذاب، و يؤيد ذلك أيضاً تكرار الإشارة و ما في السياق من التأكيد.

و كان في تخصيص النبي ص بهذا الإخبار تقويه لنفسه الشريفه و عزلاً لهم عن صلاحه السمع لمثله و هم لا يؤمنون.

و المراد بآيات الله-على ما يفيد إطلاق اللفظ-جميع الأدلة الدالة على الوحدانية و النبوه و المعاد من الآيات الكونية و المعجزات النبويه و منها القرآن فالكفر بآيات الله يشمل بعمومه الكفر بالمعاد فذكر الكفر باللقاء و هو المعاد بعد الكفر بالآيات من ذكر الخاص بعد العام و الوجه فيه الإشارة إلى أهميه الإيمان بالمعاد إذ مع إنكار المعاد يلغو أمر الدين الحق من أصله و هو ظاهر.

و المراد بالرحمه ما يقابل العذاب و يلزم الجنه و قد تكرر في كلامه تعالى إطلاق الرحمه عليها بالملازمه كقوله: «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ» ، :الجائيه: ٣٠ و قوله: «يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيمًا»: الإنسان: ٣١.

و المراد بإسناد اليأس إليهم إما تلبسهم به حقيقه فإنهم لجحدهم الحياه الآخره آيسون من السعاده المؤبده و الجنه الخالده و إما أنه كناية عن قضائه تعالى المحتوم أن الجنه لا يدخلها كافر.

و المعنى: و الذين جحدوا آيات الله الداله على الدين الحق و خاصه المعاد أولئك يئسوا من رحمه و الجنه و أولئك لهم عذاب أليم.

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ إلخ، تفرّيع على قوله في صدر القصة: «وَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ .

و ظاهر قوله: «قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ» أن كلا من طرفي التريديد قول طائفة منهم و المراد بالقتل القتل بالسيف و نحوه فهو قولهم أول ما ائتمروا ليجازوه و إن اتفقوا بعد ذلك على إحراقه كما قال «قَالُوا حَرِّقُوهُ وَ انصُرُوا آلِهَتَكُمْ» ، :الأنبياء: ٦٨ و يمكن أن يكون التريديد من الجميع لترددهم في أمره أولا ثم اتفاهم على إحراقه.

و قوله: «فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ» فيه حذف و إيجاز و تقديره ثم اتفقوا على إحراقه فأضرموا نارا فألقوه فيها فأنجاه الله منها، و قد فصلت القصة في مواضع من كلامه تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إلى آخر الآيه إذ كان لا حجه عقليه لهم على اتخاذ الأوثان لم يبق لهم مما يستنون به إلا- الاستنان بسنه من يعظمونه و يحترمون جانبه كالآباء للأبناء و الرؤساء المعظمين لأتباعهم و الأصدقاء لأصدقائهم و بالأخره الأمه لأفرادها فهذا السبب الرابط هو عمدته ما يحفظ السنن القوميه معمولا بها قائمه على ساقها.

فالاستنان بسنه الوثنيه بالحقيقه من آثار الموت الاجتماعيه يرى العامه ذلك بعضهم من بعض فتبعته الموده القوميه على تقليده و الاستنان به مثله ثم هذا الاستنان نفسه يحفظ الموده القوميه و يقيم الاتحاد و الاتفاق على ساقه.

هذه حال العامه منهم و أما الخاصه فربما ركوا في ذلك إلى ما يحسبونه حجه و ما هو بحجه كقولهم إن الله سبحانه أجل من أن يحيط به حس أو وهم أو عقل فلا- يتعلق به توجهنا العبادى فمن الواجب أن نتقرب إلى بعض من له به عناية كالملائكه و الجن ليقربونا إليه زلفى و يشفعوا لنا عنده.

فقوله: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ خطاب منه (ع) لعامه قومه فى أمر اتخاذهم الأوثان للموده القوميه ليصلحوا به شأن حياتهم الدنيا الاجتماعيه، و قد أجابوه بذلك حيث سألهم عن شأنهم «إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَ قَوْمِهِ

مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، قَالُوا وَحَدَّثْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ، :الأنبياء: ٥٣ «قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَحَدَّثْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ»: الشعراء: ٧٤.

و من هنا يظهر أن قوله: «مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ» صالح لأن يكون منصوبا بنزع الخافض بتقدير لام التعليل و الموده على هذا سبب مؤد إلى اتخاذ الأوثان، و أن يكون مفعولا- له، و الموده غايه مقصوده من اتخاذ الأوثان، لكن ذيل الآية إنما تلائم الوجه الثانى على ما سيظهر.

ثم عقب (ع) بقوله: «إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ» إلخ، بقوله: «ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» يبين لهم عاقبه اتخاذهم الأوثان للموده و هو باطن هذه الموده المقصوده الذى سيظهر يوم تبلى السرائر فإنهم توسلوا إلى هذا المتاع القليل بالشرك الذى هو أعظم الظلم و أكبر الكبائر الموبقه و اجتمعوا عليه و توافقوا لكنهم سيبدو لهم حقيقه عملهم و يلحق بهم وبال فيتبرأ بعضهم من بعض و ينكره بعضهم على بعض.

و المراد بكفر بعضهم ببعض كفر آلهتهم بهم و تبريهم منهم، كما قال تعالى:

«سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا»، :مریم: ٨٢ و قال: «وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْزَكِكُمْ»، :فاطر: ١٤ و فى معناه: تبرى المتبوعين من تابعيهم، كما قال تعالى: «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوْا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ»، :البقره: ١٦٦ و المراد بلعن بعضهم بعضا لعن كل بعض صاحبه، قال تعالى: «كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا»: الأعراف: ٣٨.

ثم عقب ذلك بقوله: «وَ مَا أَوْكُمُ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» إشاره إلى لحوق الوبال و وقوع الجزاء و هو النار التى فيها الهلاك المؤبد و لا ناصر ينصرهم و يدفع عنهم العذاب فهم إنما توسلوا إلى الموده ليتناصروا و يتعاونوا و يتعاضدوا فى الحياه لكنها عادت يوم القيامه معاداه و مضاده و أورثت تبريا و خذلانا.

قوله تعالى: «فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَ قَالَ إِنَّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أى آمن به لوط و الإيمان يتعدى باللام كما يتعدى بالباء و المعنى واحد.

وقوله: « وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي » قيل الضمير راجع إلى لوط، وقيل:

راجع إلى إبراهيم ويؤيده قوله تعالى حكاية عن إبراهيم « وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّهْدِينِ »: الصافات: ٩٩.

و كأن المراد بالمهاجرة إلى الله هجره وطنه و خروجه من بين قومه المشركين إلى أرض لا يعترضه فيها المشركون و لا يمنعونه من عباده ربه فعد المهاجرة مهاجرة إلى الله من المجاز العقلي.

وقوله: « إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » أى عزيز لا يذل من نصره حكيم لا يضع من حفظه.

قوله تعالى: « وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ » معناه ظاهر.

قوله تعالى: « وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ » الأجر هو الجزاء الذى يقابل العمل و يعود إلى عامله و الفرق بينه و بين الأجره أن الأجره تختص بالجزاء الدنيوى و الأجر يعم الدنيا و الآخرة، و الفرق بينه و بين الجزاء أن الأجر لا يقال إلا فى الخير و النافع، و الجزاء يعم الخير و الشر و النافع و الضار.

و الغالب فى كلامه تعالى استعمال لفظ الأجر فى جزاء العمل العبودى الذى أعده الله سبحانه لعباده المؤمنين فى الآخرة من مقامات القرب و درجات الولايه و منها الجنة، نعم وقع فى قوله تعالى حكاية عن يوسف (ع): « إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ »: يوسف: ٩٠ و قوله: « وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ »: يوسف: ٥٦ إطلاق الأجر على الجزاء الدنيوى الحسن.

فقوله: « وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا » يمكن أن يكون المراد به إتياء الأجر الدنيوى الحسن و الأنسب على هذا أن يكون « فى الدنيا » متعلقا بالأجر لا بالإتياء و ربما تأيد هذا المعنى بقوله تعالى فيه (ع) فى موضع آخر: « وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ » ،: النحل: ١٢٢ فإن الظاهر أن المراد بالحسنه الحياه الحسنه أو العيشه الحسنه و إتيائها فعلية إعطائها دون تقديرها و كتابتها.

و يمكن أن يكون المراد به تقديم ما أعد لعامة المؤمنين فى الآخرة من مقامات

القرب في حقه (ع) وإتاؤه ذلك في الدنيا وقد تقدم إحصاء ما يذكره القرآن الكريم من مقاماته (ع) في قصصه من تفسير سورة الأنعام.

وقوله: «وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» تقدم الكلام فيه في تفسير قوله تعالى:

«وَلَقَدْ اضْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» البقرة: ١٣٠ في الجزء الأول من الكتاب.

قوله تعالى: «وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ» أي وأرسلنا لوطاً أو واذكر لوطاً إذ قال لقومه، وقوله: «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ» إخبار بداعي الاستعجاب والإنكار، والمراد بالفاحشه إتيان الذكران.

وقوله: «مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ» استئناف يوضح معنى الفاحشه ويؤكد، وكأن المراد أن هذا العمل لم يشع في قوم قبلهم هذا الشيع أو الجملة حال من فاعل «لَتَأْتُونَ».

قوله تعالى: «أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ» إلى آخر الآية، استفهام من أمر من الحرى أن لا يصدقه سامع ولا يقبله ذو لب ولذا أكد بالنون واللام، وهذا السياق يشهد أن المراد بإتيان الرجل اللواط وبقطع السبيل إهمال طريق التناسل وإغاؤها وهي إتيان النساء، فقطع السبيل كناية عن الإعراض عن النساء وترك نكاحهن، وإتيانهم المنكر في ناديهم - النادي هو المجلس الذي يجتمعون فيه ولا يسمى ناديه إلا إذا كان فيه أهله - الإتيان بالفحشاء أو بمقدماتها الشنيعة بمرأى من الجماعة.

وقيل: المراد بقطع السبيل قطع سبيل الماره بديارهم فإنهم كانوا يفعلون هذا الفعل بالمجتازين من ديارهم وكانوا يرمون ابن السبيل بالحجارة بالخذف فأصابه كان أولى به فيأخذون ماله وينكحونه ويغرمونه ثلاثة دراهم وكان لهم قاض يقضى بذلك وقيل: بل كانوا يقطعون الطرق، وقد عرفت أن السياق يقضى بخلاف ذلك.

وقيل: المراد بإتيان المنكر في النادي أن مجالسهم كانت تشتمل على أنواع المنكرات والقبايح مثل الشتم والسخف والقمار وخذف الأحجار على من مر بهم وضرب المعازف والمزامير وكشف العورات واللواط ونحو ذلك وقد عرفت ما يقتضيه السياق.



وقوله: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» استهزاء و سخرية منهم، و يظهر من جوابهم أنه كان ينذرهم بعذاب الله و قد قال الله في قصته في موضع آخر: «وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ»: القمر: ٣٦.

قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ» سؤال للفتح و دعاء منه عليهم، و قد عددهم مفسدين لعملهم الذى يفسد الأرض و يقطع النسل و يهدد الإنسانية بالفناء.

قوله تعالى: «وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ» إجمال قصه هلاك قوم لوط، و قد كان ذلك برسل من الملائكة أرسلهم الله أولا إلى إبراهيم (ع) فبشروه و بشروا امرأته ياسحاق و يعقوب ثم أخبروه بأنهم مرسلون لإهلاك قوم لوط، و القصه مفصله فى سورة هود و غيرها.

وقوله: «قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ» أى قالوا لإبراهيم، و فى الإتيان بلفظ الإشارة القريبه-هذه القريه-دلاله على قربها من الأرض التى كان إبراهيم (ع) نازلا بها، و هى الأرض المقدسه.

وقوله: «إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ» تعليل لإهلاكهم بأنهم ظالمون قد استقرت فيهم رذيله الظلم، و قد كان مقتضى الظاهر أن يقال: إنهم كانوا ظالمين فوضع المظهر موضع المضمرة للإشارة إلى أن ظلمهم ظلم خاص بهم يستوجب الهلاك و ليس من مطلق الظلم الذى كان الناس مبتلين به يومئذ كأنه قيل: إن أهلها بما أنهم أهلها ظالمون.

قوله تعالى: «قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهٗ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ» ظاهر السياق أنه (ع) كان يريد بقوله: «إِنَّ فِيهَا لُوطًا» أن يصرف العذاب بأن فيها لوطا و إهلاك أهلها يشمله فأجابوه بأنهم لا يخفى عليهم ذلك بل معه غيره ممن لا يشمله العذاب و هم أهله إلا امرأته.

لكنه (ع) لم يكن ليجهل أن الله سبحانه لا يعذب لوطا و هو نبي مرسل، و إن شمل العذاب جميع من سواه من أهل قريته و لا أنه يخوفه و يزعره و يفزعه بقهره عليهم بل كان (ع) يريد بقوله: «إِنَّ فِيهَا لُوطًا» أن يصرف العذاب عن أهل القريه كرامه للوط لا أن يدفعه عن لوط، فأجيب بأنهم مأمورون بإنجائه و إخراجه من بين أهل القريه و معه أهله إلا امرأته كانت من الغابرين.

و الدليل على هذا الذى ذكرنا قوله تعالى فى سورة هود فى هذا الموضع من القصة:

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ، يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: هود: ٧٦ فالآيات أظهر ما يكون فى أن إبراهيم(ع) كان يدافع عن قوم لوط لا عن لوط نفسه.

فظاهر كلامه(ع) فى الآيه التى نحن فيها الدفاع عن لوط و على ذلك جراه الرسل فأبقوا كلامه على ظاهره و أجابوا بأنهم ما كانوا ليجهلوا ذلك فهم أعلم بمن فيها و عالمون بأن فيها لوطا و معه أهله ممن لا ينبغى أن يعذب لكنهم سينجونه و أهله إلا امرأته، لكن الذى أراد إبراهيم(ع) بكلامه دفع العذاب عن أهل القرية فأجيب بأنه من الأمر المحتوم على ما تشير إليه آيات سورة هود.

و للقوم فى قوله: ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾، و قوله: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ مشاجرات طويلة أعرضنا عن التعرض لها لعدم الجدوى، من أراد الوقوف عليها فليراجع المطولات.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ إلى آخر الآيه، ضميرا الجمع فى «سِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ» للرسول و الباء للسببيه أى أخذته المساءه و هى سوء الحال بسببهم و ضاقت طاقته بسببهم لكونهم فى صور شبان حسان مرد يخاف عليهم من القوم ثم قصد القوم إياهم بالسوء و ضعف لوط من أن يدفعهم عنهم و هم ضيف له نازلون بداره.

و قوله: ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ أى لا خطر محتملا- يهددك و لا- مقطوعا يقع عليك فإن الخوف إنما هو فى المكروه الممكن و الحزن فى المكروه الواقع.

و قوله: ﴿إِنَّا مُنْجُوكَ وَ أَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أى الباقين فى العذاب تعليل لئفى الخوف و الحزن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بيان لما يشير إليه قوله: ﴿إِنَّا مُنْجُوكَ وَ أَهْلَكَ﴾ من العذاب، و الرجز العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ضمير التأنيث للقرية

و الترك الإبقاء أى أبقينا من القرية علامه واضحه لقوم يعقلون ليعتبروا بها فيتقوا الله و هى الآثار الباقية منها بعد خرابها بنزول العذاب.

و هى اليوم مجهوله المحلل لا- أثر منها و ربما يقال: إن الماء غمرها بعد و هى بحر لوط، لكن الآيه ظاهره- كما ترى- أنها كانت ظاهره معروفه فى زمن نزول القرآن و أوضح منها قوله تعالى: «وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ» ، الحجر: ٧٦ و قوله: «وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ أَفْلًا تَعْقِلُونَ» :الصافات: ١٣٨.

قوله تعالى: «وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» يدعوهم إلى عباده الله و هو التوحيد و إلى رجاء اليوم الآخر و هو الاعتقاد بالمعاد و أن لا يفسدوا فى الأرض و كانت عمدته إفسادهم فيها - على ما ذكر فى قصتهم فى مواضع آخر-نقص الميزان و المكيال.

قوله تعالى: «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ» الرجفه الاضطراب الشديد على ما ذكره الراغب، و الجثم و الجثوم فى المكان القعود فيه أو البروك على الأرض و هو كناية عن الموت و المعنى: فكذبوا شعيبا فأخذهم الاضطراب الشديد أو الزلزله الشديده فأصبحوا فى دارهم ميتين لا حراك بهم.

و قال فى قصتهم فى موضع آخر: «وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ» ، هود: ٩٤ و يستظهر من ذلك أنهم أهلكوا بالصيحه و الرجفه.

قوله تعالى: «وَ عَادًا وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ» إلى آخر الآيه غير السياق تفننا فبدأ بذكر عاد و ثمود و كذا فى الآيه التاليه بدأ بذكر قارون و فرعون و هامان بخلاف قصص الأمم المذكورين سابقا حيث بدأ بذكر أنبيائهم كنوح و إبراهيم و لوط و شعيب. و قوله: «وَ عَادًا وَ ثَمُودَ» منصوبان بفعل مقدر تقديره و اذكر عادا و ثمود.

و قوله: «وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» تزيين الشيطان لهم أعمالهم كناية استعاريه عن تحبيب أعمالهم السيئه إليهم و تأكيد تعلقهم بها و صده إياهم عن السبيل صرفهم عن سبيل الله التى هى سبيل الفطره، و لذا قال بعضهم: إن المراد بكونهم مستبصرين أنهم كانوا قبل ذلك على الفطره الساذجه.

لكن الظاهر كما تقدم فى تفسير قوله: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ»: البقره: ٢١٣ أن عهد الفطره الساذجه كان قبل بعثه نوح(ع) و عاد و ثمود كانوا بعد نوح فكونهم مستبصرين قبل انصدادهم عن السبيل هو كونهم يعيشون على عباده الله و دين التوحيد و هو دين الفطره.

قوله تعالى: «وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَاقْتَدُوا بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ» السبق استعاره كناية من الغلبه، و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: «فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ» إلى آخر الآيه أى كل واحده من الأمم المذكورين أخذناها بذنبا ثم أخذ فى التفصيل فقال: «فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا» و الحاصب الحجاره و قيل: الريح التى ترمى بالحصى و على الأول فهم قوم لوط، و على الثانى قوم عاد» و مِنْهُمْ مَنْ أَخَذْتَهُ الصَّيْحَةَ» و هم قوم ثمود و قوم شعيب» و مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ» و هو قارون» و مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا» و هم قوم نوح و فرعون و هامان و قومهما.

ثم عاد سبحانه إلى كفه القصص المذكوره و ما انتهى إليه أمر تلك الأمم من الإخذ و العذاب فبين بيان عام أن الذى أوقعهم فيما وقعوا لم يكن بظلم منه سبحانه بل بظلم منهم لأنفسهم فقال: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» أى فيجازيهم الله على ظلمهم لأن الدار دار الفتنة و الامتحان و هى السنه الإلهيه التى لا معدل عنها فمن اهتدى فقد اهتدى لنفسه و من ضل فعليها.

### (بحث روائى)

فى الكافى، بإسناده عن أبى عمرو الزبيرى عن أبى عبد الله(ع): فى حديث يذكر فيه معانى الكفر قال: و الوجه الخامس من الكفر كفر البراءه قال تعالى: «وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا - مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» يعنى يتبرأ بعضكم من بعض الحديث.

أقول: و روى هذا المعنى فى التوحيد، عن على(ع):\* فى حديث طويل يجيب فيه عما سئل عنه- من تهافت الآيات و فيه: و الكفر فى هذه الآيه البراءه- يقول: يتبرأ

بعضهم من بعض، ونظيرها في سورة إبراهيم قول الشيطان: «إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ» وقول إبراهيم خليل الرحمن: «كَفَرْنَا بِكُمْ» أي تبرأنا.

و في الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن جابر\*: أن النبي ص نهى عن الخذف (١) وهو قول الله: «و تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ».

أقول: و روى هذا المعنى أيضا عن عده من أصحاب الجوامع عن أم هانئ بنت أبي طالب و لفظ الحديث: قالت: سألت رسول الله ص عن قول الله: «و تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ» قال: كانوا يجلسون بالطريق فيخذفون ابن السبيل و يسخرون منهم.

و في الكافي، بإسناده عن أبي زيد الحماد عن أبي عبد الله (ع): في حديث نزول الملائكة على إبراهيم بالبشرى قال: فقال لهم إبراهيم: لما ذا جئتم؟ قالوا: في إهلاك قوم لوط. فقال لهم: إن كان فيها مائة من المؤمنين أ تهلكونهم؟ فقال جبرئيل: لا.

قال: فإن كان فيها خمسون؟ قال: لا. قال: فإن كان فيها ثلاثون؟ قال: لا. قال:

فإن كان فيها عشرون؟ قال: لا. قال: فإن كان فيها عشرة؟ قال: لا. قال: فإن كان فيها خمسة؟ قال: لا. قال: فإن كان فيها واحد؟ قال: لا. قال: فإن فيها لوطا؟ قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجينه و أهله - إلا امرأته كانت من الغابرين.

قال الحسن بن علي (ع): لا أعلم هذا القول إلا و هو يستبقيهم - و هو قول الله عز و جل: «يُجَادِلْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ».

## [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٥٥]

### إشارة

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٤٤) أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥) وَ لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَ الْهُنَا وَ الْهُنَا وَ أَحَدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧) وَ مَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَ لَا تَحْطُ بِبَيِّنَاتِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩) وَ قَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ إِذْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنًا وَ بَيِّنَاتٍ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْحَاسِرُونَ (٥٢) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ لَوْ لَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَ لَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)

---

١-١) الخذف بالحصاه و النواه الرمى بها من بين السبابتين.



تتضمن الآيات تذييلاً لقصص أولئك الأمم الماضية الهالكة بمثل ضربه الله سبحانه لاتخاذهم أولياء من دون الله فبين فيه أن بناءهم ذلك أوهن البناء ينادى ببطلانه وفساده خلق السماوات والأرض وأنهم ليس لهم من دونه من ولي كما يذكره هذا الكتاب.

و من هنا ينتقل إلى أمر النبي ص بتلاوه هذا الكتاب الذى أوحى إليه وإقامه الصلاة و دعوه أهل الكتاب بقول لين و مجادله حسناء و يجيب عن اقتراح المشركين على النبي ص أن يأتيهم بآيات غير القرآن و أن يعجلهم بالعذاب الذى ينذرهم به.

قوله تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا» إلى آخر الآية، العنكبوت معروف و يطلق على الواحد و الجمع و يذكر و يؤنث.

العنايه فى قوله: «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا» إلخ، باتخاذ الأولياء من دون الله و لذا جىء بالموصول و الصله كما أن العنايه فى قوله: «كَمَثَلِ الْعُنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا» إلى اتخاذها البيت فيقول المعنى إلى أن صفه المشركين فى اتخاذهم من دون الله أولياء كصفه العنكبوت فى اتخاذها بيتا له نبأ، و هو الوصف الذى يدل عليه تنكير «بَيْتًا».

و يكون قوله: «إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنكَبُوتِ» بيانا لصفه البيت الذى أخذته العنكبوت و لم يقل: إن أوهن البيوت لبيتها كما هو مقتضى الظاهر أخذا للجمله بمنزله المثل السائر الذى لا يتغير.

و المعنى: أن اتخاذهم من دون الله أولياء و هم آلهتهم الذين يتولونهم و يركنون



إليهم كاتخاذ العنكبوت بيتا هو أو هن البيوت إذ ليس له من آثار البيت إلا اسمه لا يدفع حرا ولا بردا ولا يكن شخصا ولا يقى من مكروه كذلك ليس لولايه أوليائهم إلا الاسم فقط لا ينفعون ولا يضررون ولا يملكون موتا ولا حياه ولا نشورا.

و مورد المثل هو اتخاذ المشركين آلهه من دون الله، فتبدل الآلهه من الأولياء لكون السبب الداعى لهم إلى اتخاذ الآلهه زعمهم أن لهم ولايه لأمرهم و تدبيرا لشأنهم من جلب الخير إليهم و دفع الشر عنهم و الشفاعه فى حقهم.

و الآيه-مضافا إلى إيفاء هذه النكته-تشمل بإطلاقها كل من اتخذ فى أمر من الأمور و شأن من الشؤون وليا من دون الله يركن إليه و يراه مستقلا فى أثره الذى يرجوه منه و إن لم يعد من الأصنام إلا أن يرجع ولايته إلى ولايه الله كولايه الرسول و الأئمه و المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾: يوسف: ١٠٦.

و قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أى لو كانوا يعلمون أن مثلهم كمثل العنكبوت ما اتخذوهم أولياء. كذا قيل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يمكن أن يكون «مَا» فى «مَا يَدْعُونَ» موصوله أو نافية أو استفهاميه أو مصدرية و «مِنْ» فى «مِنْ شَيْءٍ» على الاحتمال الثانى زائده للتأكيد و على الباقي للتبيين و أرجح الاحتمالات الأولان و أرجحهما أولهما.

و المعنى: على الثانى أن الله يعلم أنهم ليسوا يدعون من دونه شيئا أى إن الذى يعبدونه من الآلهه لا حقيقه له فيكون كما قال صاحب الكشاف توكيدا للمثل و زياده عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا.

و المعنى: على الأول أن الله يعلم الشىء الذى يدعون من دونه و لا- يجهل ذلك فيكون كناية عن أن المثل الذى ضربه فى محله، و ليس لأوليائهم من الولايه إلا اسمها.

و يؤكد هذا المعنى الاسمان الكريمان: العزيز الحكيم فى آخر الآيه فهو تعالى العزيز الذى لا يغلبه شىء فلا يشاركه فى تدبير ملكه أحد كما لا يشاركه فى الخلق و الإيجاد أحد، الحكيم الذى يأتى بالمتقن من الفعل و التدبير فلا يفوض تدبير خلقه إلى أحد، و هذا كالتمهيد لما سيبين فى قوله: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾.

قوله تعالى: « وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ » يشير إلى أن الأمثال المضروبه في القرآن على أنها عامه تفرع أسماع عامه الناس، لكن الإشراف على حقيقه معانيها و لب مقاصدها خاصه لأهل العلم ممن يعقل حقائق الأمور و لا ينجمد على ظواهرها.

و الدليل على هذا المعنى قوله: « وَمَا يَعْقِلُهَا » دون أن يقول: و ما يؤمن بها أو ما فى معناه.

فالأمثال المضروبه فى كلامه تعالى يختلف الناس فى تلقيها باختلاف أفهامهم فمن سامع لا حظ له منها إلا تلقى ألفاظها و تصور مفاهيمها الساذجه من غير تعمق فيها و سبر لأغوارها، و من سامع يتلقى بسمعه ما يسمعه هؤلاء ثم يغور فى مقاصدها العميقه و يعقل حقائقها الأنيقه.

و فيه تنبيه على أن تمثيل اتخاذهم أولياء من دون الله باتخاذ العنكبوت بيتا هو أوهن البيوت ليس مجرد تمثيل شعرى و دعوى خاليه من البينه بل متك على حجه برهانيه و حقيقه حقه ثابتة و هى التى تشير إليه الآية التاليه.

قوله تعالى: « خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ » المراد بكون خلق السماوات و الأرض بالحق نفي اللب فى خلقها، كما قال تعالى: « وَمِمَّا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ »: الدخان: ٣٩.

فخلق السماوات و الأرض على نظام ثابت لا يتغير و سنه إلهيه جاريه لا تختلف و لا تتخلف، و الخلق و التدبير لا يختلفان حقيقه و لا ينفك أحدهما عن الآخر (١)، و إذ كان الخلق و الصنع ينتهى إليه تعالى انتهاء ضروريا و لا محيص فالتدبير أيضا له و لا محيص و ما من شىء غيره تعالى إلا و هو مخلوقه القائم به المملوك له لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا، و من المحال قيامه بشىء من تدبير أمر نفسه أو غيره بحيث يستقل به مستغنيا

ص: ١٣٢

١ - ١) و ذلك أن موطن التدبير الحوادث الجاريه فى الكون و معناه تعقيب حادث بحادث آخر على نظم و ترتيب يؤدى إلى غايات حقه و حقيقته خلق حادث بعد حادث فالتدبير هو الخلق و الإيجاد باعتبار قياس الشىء إلى آخر مثله و انضمامه إليه فليس وراء الخلق و الإيجاد شىء منه.

فى أمره عنه تعالى هذا هو الحق الذى لا لعب فيه و الجد الذى لا هزل فيه.

فلما تولى بعض خلقه أمر بعض لم يكن ذلك منه ولايه حق لكونه لا يملك شيئاً بحقيقه معنى الملك بل كان ذلك منه جارياً على اللعب و تفويضه تعالى أمر التدبير إليه لعباً منه تعالى و تقديس إذ ليس إلا فرضاً لا حقيقه له و وهما لا واقع له و هو معنى اللعب.

و منه يظهر أن ولايه من يدعون ولايته ليس لها إلا اسم الولاية من غير مسمى كما أن بيت العنكبوت كذلك.

و قوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَمَآيَهٗ لِلْمُؤْمِنِينَ» تخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الآية لهم و غيرهم لكون المتفاعلين بها هم المؤمنون دون غيرهم.

قوله تعالى: «أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ» إلخ، لما ذكر إجمال قصص الأمم و ما انتهى إليه شركهم و ارتكابهم الفحشاء و المنكر من الشقاء اللازم و الخسران الدائم انتقل من ذلك - مستأنفاً للكلام - إلى أمره (ص) بتلاوه ما أوحى إليه من الكتاب لكونه خير رادع عن الشرك و ارتكاب الفحشاء و المنكر بما فيه من الآيات البينات التى تتضمن حججاً نيره على الحق و تشتمل على القصص و العبر و المواعظ و التبشير و الإنذار و الوعد و الوعيد يرتدع بتلاوه آياته تاليه و من سمعه.

و شفعه بالأمر بإقامه الصلاة التى هى خير العمل و علل ذلك بقوله: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» و السياق يشهد أن المراد بهذا النهى ردع طبيعه العمل عن الفحشاء و المنكر بنحو الاقتضاء دون العليه التامه.

فلطبيعه هذا التوجه العبادى - إذ أتى به العبد و هو يكرره كل يوم خمس مرات و يداوم عليه و خاصه إذا زاول عليه فى مجتمع صالح يؤتى فيه بمثل ما أتى به و يهتم فيه بما اهتم - به أن يردعه عن كل معصيه كبيره يستشعنه الذوق الدينى كقتل النفس عدواناً و أكل مال اليتيم ظلماً و الزنا و اللواط، و عن كل ما ينكره الطبع السليم و الفطره المستقيمه ردعاً جامعاً بين التلقين و العمل.

و ذلك أنه يلقنه أولاً بما فيه من الذكر الإيمان بوحدانيتها تعالى و رساله و جزاء يوم الجزاء و أن يخاطب ربه بإخلاص العباده و الاستعانه به و سؤال الهدايه إلى صراطه

المستقيم متعوذاً من غضبه و من الضلال، و يحمله ثانياً على أن يتوجه بروحه و بدنه إلى ساحة العظمة و الكبرياء و يذكر ربه بحمده و الثناء عليه و تسيحه و تكبيره ثم السلام على نفسه و أتراه و جميع الصالحين من عباد الله.

مضافاً إلى حملة إياه على التطهر من الحدث و الخبث في بدنه و الطهاره في لباسه و التحرز عن الغضب في لباسه و مكانه و استقبال بيت ربه فالإنسان لو داوم على صلاته مده يسيره و استعمل في إقامتها بعض الصدق أثبت ذلك في نفسه ملكه الارتداع عن الفحشاء و المنكر البته، و لو أنك و كلت على نفسك من يربيتها صالحة تصلح بها لهذا الشأن و تتحلى بأدب العبوديه لم يأمرك بأزيد مما تأمرك به الصلاه و لا روضك بأزيد مما تروضك به.

و قد استشكل على الآيه بأنا كثيراً ما نجد من المصلين من لا يبالي ارتكاب الكبائر و لا يرتدع عن المنكرات فلا تنهاه صلاته عن الفحشاء و المنكر.

و لذلك ذكر بعضهم أن الصلاه في الآيه بمعنى الدعاء و المراد الدعوه إلى أمر الله و المعنى: أقم الدعوه إلى أمر الله فإن ذلك يردع الناس عن الفحشاء و المنكر. و فيه أنه صرف الكلام عن ظاهره.

و ذكر آخرون أن الصلاه في الآيه في معنى النكره و المعنى أن بعض أنواع الصلاه أو أفرادها يوجب الانتهاه عن الفحشاء و المنكر و هو كذلك و ليس المراد الاستغراق حتى يرد الإشكال.

و ذكر قوم أن المراد نهيها عن الفحشاء و المنكر ما دامت قائمه و المصلي في صلاته كأنه قيل: إن المصلي ما دام مصلياً في شغل من معصيه الله بإتيان الفحشاء و المنكر.

و قال بعضهم: إن الآيه على ظاهرها و الصلاه بمنزله من ينهى و يقول: لا- تفعل كذا و لا تقترف كذا لكن النهي لا يستوجب الانتهاه فليس نهى الصلاه بأعظم من نهيه تعالى كما في قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» ، النحل: ٩٠ و نهيه تعالى لا يستوجب الانتهاه و ليس الإشكال إلا مبني على توهم استلزام النهي للانتهاه و هو توهم باطل.

و عن بعضهم في دفع الإشكال أن الصلاه تقام لذكر الله كما قال تعالى: «أَقِمِ

الصَّلَاةُ لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ ذَلِكَ عَنِ الْإِنْيَانِ بِمَا يَكْرَهُهُ وَ كَلِّ مِنْ تَرَاهُ يَصَلِي وَيَأْتِي بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَهُوَ بِحَيْثُ لَوْ لَمْ يَصَلْ لَكَانَ أَشَدَّ إِتْيَانًا فَقَدْ أَثَرَتِ الصَّلَاةُ فِي تَقْلِيلِ فَحْشَائِهِ وَ مَنكَرِهِ.

وَأَنْتِ خَيْرٌ بِأَنْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَجْوِبَةِ لَا يَلَائِمُ سِيَاقَ الْحُكْمِ وَ التَّعْلِيلِ فِي الْآيَةِ فَإِنَّ الَّذِي يُعْطِيهِ السِّيَاقُ أَنَّ الْأَمْرَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ إِنَّمَا عَلَّلَ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ» لِئَيْدِ أَنَّ الصَّلَاةَ عَمَلٌ عِبَادِي يُوْرَثُ إِقَامَتَهُ صِفَهُ رُوحِيَةً فِي الْإِنْسَانِ تَكُونُ رَادِعَةً لَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ فَتَنْزِعُ النَّفْسَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ تَتَطَهَّرُ عَنْ قَذَارِهِ الذَّنُوبِ وَ الْآثَامِ.

فَالْمُرَادُ بِهِ التَّوَسُّلُ إِلَى مَلِكِهِ الْارْتِدَاعِ الَّتِي هِيَ مِنْ آثَارِ طَبِيعَةِ الصَّلَاةِ بِنَحْوِ الْاِقْتِضَاءِ لَا أَنَّهَا أَثَرٌ بَعْضُ أَفْرَادِ طَبِيعَةِ الصَّلَاةِ كَمَا فِي الْجَوَابِ الثَّانِي، وَ لَا أَنَّهَا أَثَرُ الْاِسْتِغَالِ بِالصَّلَاةِ مَا دَامَ مُشْتَغَلًا بِهَا كَمَا فِي الْجَوَابِ الثَّلَاثِ، وَ لَا أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ التَّوَسُّلُ إِلَى تَلْقَى نَهْيِ الصَّلَاةِ فَحَسَبَ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْاِنْتِهَاءِ عَنْ نَهْيِهَا كَأَنَّهُ قِيلَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَسْمَعَ نَهْيَهَا كَمَا فِي الْجَوَابِ الرَّابِعِ، وَ لَا أَنَّ الْمُرَادَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِئِنِّهَاكَ الذِّكْرُ الَّذِي تُشْتَمَلُ عَلَيْهِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ كَمَا فِي الْجَوَابِ الْخَامِسِ.

فَالْحَقُّ فِي الْجَوَابِ أَنَّ الرَّدْعَ أَثَرُ طَبِيعَةِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ تُوْجِهَ خَاصَّ عِبَادِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ هُوَ بِنَحْوِ الْاِقْتِضَاءِ دُونَ الْاِسْتِجَابِ وَ الْعَلِيَّةِ التَّامَّةِ فَرُبَّمَا تَخَلَّفَ عَنْ أَثَرِهَا لِمُقَارَنَةِ بَعْضِ الْمَوَانِعِ الَّتِي تُضْعَفُ الذِّكْرَ وَ تَقْرِبُهُ مِنَ الْغَفْلَةِ وَ الْاِنْصِرَافِ عَنْ حَاقِ الذِّكْرِ فَكَلَّمَا قَوَى الذِّكْرَ وَ كَمَلَ الْحُضُورَ وَ الْخُشُوعَ وَ تَمَحَّضَ الْاِخْلَاصَ زَادَ أَثَرُ الرَّدْعِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ كَلَّمَا ضَعْفَ ضَعْفَ الْأَثَرِ.

وَأَنْتِ إِذَا تَأَمَّلْتِ حَالَ بَعْضِ مَنْ تَسْمَى بِالْاِسْلَامِ مِنَ النَّاسِ وَ هُوَ تَارِكُ الصَّلَاةِ وَجَدْتِهِ يَضِيعُ بِاِضَاعَةِ الصَّلَاةِ فَرِيضَةَ الصُّومِ وَ الْحَجِّ وَ الزَّكَاةِ وَ الْخُمْسِ وَ عَامَهُ الْوَاجِبَاتِ الدِّيْنِيَّةِ وَ لَا يَفْرُقُ بَيْنَ طَاهِرٍ وَ نَجَسٍ وَ حَلَالٍ وَ حَرَامٍ فَيَذْهَبُ لُوْجْهَهُ لَا يَلُوِي عَلَى شَيْءٍ ثُمَّ إِذَا قَسْتِ إِلَيْهِ حَالَ مَنْ يَأْتِي بِأَدْنَى مَرَاتِبِ الصَّلَاةِ مِمَّا يَسْقُطُ بِهِ التَّكْلِيفُ، وَجَدْتَهُ مَرْتَدَعًا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَقْتَرِفُهُ تَارِكُ الصَّلَاةِ غَيْرَ مَكْتَرِثٍ بِهِ ثُمَّ إِذَا قَسْتِ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الْاِهْتِمَامِ بِأَمْرِ الصَّلَاةِ وَجَدْتَهُ أَكْثَرَ ارْتِدَاعًا مِنْهُ وَ عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ.

وقوله: «وَلَمَذِكُرِ اللَّهُ أَكْبَرُ» قال الراغب في المفردات:، الذكر تاره يقال و يراد به هيئه للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفه و هو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه و الذكر يقال اعتبارا باستحضاره. و تاره يقال لحضور الشئ القلب أو القول و لذلك قيل:الذكر ذكران ذكر عن نسيان و ذكر لا- عن نسيان بل عن إدامه الحفظ،و كل قول يقال له ذكر.انتهى.

و الظاهر أن الأصل في معناه هو المعنى الأول و تسميه اللفظ ذكرا إنما هو لاشتماله على المعنى القلبى و الذكر القلبى بالنسبه إلى اللفظى كالأثر المترتب على سببه و الغايه المقصوده من الفعل.

و الصلاه تسمى ذكرا لاشتمالها على الأذكار القولية من تهليل و تحميد و تنزيه و هى باعتبار آخر مصداق من مصاديق الذكر لأنها بمجموعها ممثل لعبوديه العبد لله سبحانه كما قال: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ»، :الجمعه: ٩٠ و هى باعتبار آخر أمر يترتب عليه الذكر ترتب الغايه على ذى الغايه يشير إليه قوله تعالى:

«وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» :طه: ١٤.

و الذكر الذى هو غايه مترتبه على الصلاه أعنى الذكر القلبى بمعنى استحضار المذكور فى ظرف الإدراك بعد غيبته نسيانا أو إدامه استحضاره،أفضل عمل يتصور صدوره عن الإنسان و أعلاه كعبا و أعظمه قدرا و أثرا فإنه السعاده الأخيره التى هيئت للإنسان و مفتاح كل خير.

ثم إن الظاهر من سياق قوله: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» إن قوله: «وَلَمَذِكُرِ اللَّهُ أَكْبَرُ» متصل به مبين لأثر آخر للصلاه و هو أكبر مما بين قبله، فيقع قوله: «وَلَمَذِكُرِ اللَّهُ أَكْبَرُ» موقع الإضراب و الترقى و يكون المراد الذكر القلبى الذى يترتب على الصلاه ترتب الغايه على ذى الغايه فكأنه قيل:أقم الصلاه لتردعك عن الفحشاء و المنكر بل الذى تفيده من ذكر الله الحاصل بها أكبر من ذلك أى من النهى عن الفحشاء و المنكر لأنه أعظم ما يناله الإنسان من الخير و هو مفتاح كل خير و النهى عن الفحشاء و المنكر بعض الخير.

و من المحتمل أن يراد بالذكر ما تشتمل عليه الصلاه من الذكر أو نفس الصلاه.

و الجمله أيضا واقعه موقع الإضراب، والمعنى: بل الذى تشتمل عليه الصلاه من ذكر الله أو نفس الصلاة التى هى ذكر الله أكبر من هذا الأثر الذى هو النهى عن الفحشاء والمنكر لأن النهى أثر من آثارها الحسنه و «لَمَذُكُرِ اللَّهِ» على الاحتمالين جميعا من المصدر المضاف إلى مفعوله و المفضل عليه لقوله: «أَكْبَرُ» هو النهى عن الفحشاء و المنكر.

و لهم فى معنى الذكر و كون المضاف إليه فاعلا أو مفعولا للمصدر و كون المفضل عليه خاصا أو عاما أقوال أخر.

ف قيل: معنى الآية: ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لله تعالى و ذلك أن الله تعالى يذكر من ذكره لقوله: «فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ»، البقره: ١٥٢ و قيل: المعنى:

ذكر الله تعالى العبد أكبر من الصلاه، و قيل: المعنى: لذكر الله العبد أكبر من كل شىء.

و قيل: المعنى: لذكر العبد لله فى الصلاه أكبر من سائر أركان الصلاه، و قيل:

المعنى: لذكر العبد لله فى الصلاه أكبر من ذكره خارج الصلاه، و قيل: المعنى: لذكر العبد لله أكبر من سائر أعماله، و قيل: المعنى: للصلاه أكبر من سائر الطاعات و قيل: المعنى: لذكر العبد لله عند الفحشاء و المنكر و ذكر نهيه عنهما أكبر من زجر الصلاه و ردعها، و قيل: إن قوله: «أَكْبَرُ» معرى من معنى التفضيل لا يحتاج إلى مفضل عليه كقوله: «مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو».

فهذه أقوال لهم متفرقه أغمضنا عن البحث عما فيها إثارا للاختصار، و التدبر فى الآية يكفى مئونه البحث على أن التحكم فى بعضها ظاهر لا يخفى.

و قوله: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ» أى ما تفعلونه من خير أو شر فعليكم أن تراقبوه و لا تغفلوا عنه ففيه حث و تحريض على المراقبه و خاصه على القول الأول.

قوله تعالى: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» لما أمر فى قوله: «أُتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ» إلخ، بالتبليغ و الدعوه من طريق تلاوه الكتاب عقبه بيان كيفية الدعوه فنهى عن مجادله أهل الكتاب و هم على ما يقتضيه الإطلاق اليهود و النصارى و يلحق بهم المجوس و الصابئون- إلا بالمجادله- التى هى أحسن المجادله.

و المجادله إنما تحسن إذا لم تتضمن إغلاظا و طعنا و إهانته، فمن حسنها أن تقارن

رفقا و لينا فى القول لا يتأذى به الخصم و أن يقترب المجدال من خصمه و يدنو منه حتى يتفقا و يتعاضدا لإظهار الحق من غير لجاج و عناد فإذا اجتمع فيها لين الكلام و الاقتراب بوجه زادت حسنا على حسن فكانت أحسن.

و لهذا لما نهى عن مجادلتهم إلا بالتي هي أحسن استثنى منه الذين ظلموا منهم، فإن المراد بالظلم بقريته السياق كون الخصم بحيث لا ينفعه الرفق و اللين و الاقتراب فى المطلوب بل يتلقى حسن الجدل نوع مذله و هوان للمجدال و يعتبره تمويها و احتيالا لصرفه عن معتقده فهؤلاء الظالمون لا ينجح معهم المجداله بالأحسن.

و لهذا أيضا عقب الكلام ببيان كيفية الاقتراب معهم و بناء المجداله على كلمه يجتمع فيها الخصمان فيتقاربان معه و يتعاضدان على ظهور الحق فقال: «و قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلَيْنَا وَ إِلَيْكُمْ وَ أَحَدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: «وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ» أى على تلك الصفة و هى الإسلام لله و تصديق كتبه و رسله أنزلنا إليك القرآن.

و قيل: المعنى: مثل ما أنزلنا إلى موسى و عيسى الكتاب أنزلنا إليك الكتاب و هو القرآن.

فقوله: «فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» إلخ، تفریع على نحو نزول الكتاب أى لما كان القرآن نازلا فى الإسلام لله و تصديق كتبه و رسله فأهل الكتاب يؤمنون به بحسب الطبع لما عندهم من الإيمان بالله و تصديق كتبه و رسله، و من هؤلاء و هم المشركون من عبده الأوثان من يؤمن به و ما يجحد بآياتنا و لا ينكرها من أهل الكتاب و هؤلاء المشركين إلا الكافرون و هم الساترون للحق بالباطل.

و قد احتمل أن يكون المراد بالذين آتيناهم الكتاب المسلمين و المشار إليه بهؤلاء أهل الكتاب و هو بعيد، و مثله فى البعد إرجاع الضمير فى «يؤمن به» إلى النبى ص.

و فى قوله: «وَ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ» نوع استقلال لمن آمن به من المشركين.

قوله تعالى: «وَ مَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَ لَآ تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَازَتْكَ أَبْصَابُ الْمُبْطِلُونَ» التلاوه هى القراءه سواء كانت عن حفظ أو عن كتاب مخطوط و المراد به



فى الآيه الثانى بقريئه المقام؁ و الخط الكتابه؁ و المبطلون جمع مبطل و هو الذى يأتى بالباطل من القول؁ و يقال أيضا للذى يبطل الحق أى يدعى بطلانه؁ و الأنسب فى الآيه المعنى الثانى و إن جاز أن يراد المعنى الأول.

و ظاهر التعبير فى قوله: «وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا» الخ؁ نفى العاده أى لم يكن من عادتك أن تتلو و تخط كما يدل عليه قوله فى موضع آخر: «فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ»: يونس: ١٦.

و قيل المراد به نفى القدره أى ما كنت تقدر أن تتلو و تخط من قبله و الوجه الأول أنسب بالنسبه إلى سياق الحجه و قد أقامها لتثبيت حقيه القرآن و نزوله من عنده.

و تقييد قوله: «وَلَا تَخْطُهُ» بقوله: «بِيَمِينِكَ» نوع من التمثيل يفيد التأكيد كقول القائل: رأيت به عيني و سمعته بأذنى.

و المعنى: و ما كان من عادتك قبل نزول القرآن أن تقرأ كتابا و لا كان من عادتك أن تخط كتابا و تكتبه- أى ما كنت تحسن القراءة و الكتابه لكونك أميا- لو كان كذلك لارتاب هؤلاء المبطلون الذين يبطلون الحق بدعوى أنه باطل لكن لما لم تحسن القراءة و الكتابه و استمرت على ذلك و عرفوك على هذه الحال لمخالطتك لهم و معاشرتكم معهم لم يبق محل ريب لهم فى أمر القرآن النازل إليك أنه كلام الله تعالى و ليس تلفيقا لفقته من كتب السابقين و نقلته من أقاصيصهم و غيرهم حتى يرتاب المبطلون و يعتذروا به.

قوله تعالى: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ» إضراب عن مقدر يستفاد من الآيه السابقه كأنه لما نفى عنه (ص) التلاوه و الخط معا تحصل من ذلك أن القرآن ليس بكتاب مؤلف مخطوط فأضرب عن هذا المقدر بقوله: «بَلْ هُوَ - أى القرآن - آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ».

و قوله: «وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ» المراد بالظلم بقريئه المقام الظلم لآيات الله بتكذيبها و الاستكبار عن قبولها عنادا و تعنتا.

قوله تعالى: «وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ» لما ذكر الكتاب و أمر النبى ص أن يتلوه و يدعوهم إليه به و أن منهم

من يؤمن به و منهم من لا يؤمن به و هم الكافرون الظالمون أشار في هذه الآيه و الآيتين بعدها إلى عدم اعتنائهم بالقرآن الذى هو آيه النبوه و اقتراحهم على النبى ص أن يأتيهم بآيات غيره و الجواب عنه.

فقوله: «وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ» اقتراح منهم أن يأتيهم بآيات غير القرآن تعريضا منهم أنه ليس بآيه و زعما منهم أن النبى يجب أن يكون ذا قوه إلهيه غيبه يقوى على كل ما يريد، و فى قولهم: لو لا أنزل عليه، دون أن يقولوا: لو لا يأتينا بآيات نوع سخره كقولهم: «يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ»: الحجر: ٧.

و قوله: «قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» جواب عن زعمهم أن من يدعى الرساله يدعى قوه غيبه يقدر بها على كل ما أراد بأن الآيات عند الله ينزلها متى ما أراد و كيفما شاء لا يشاركه فى القدره عليها غيره فليس إلى النبى شىء إلا أن يشاء الله ثم زاده بيانا بقصر شأن النبى ص فى الإنذار فحسب بقوله: «إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ».

قوله تعالى: «أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ» إلى آخر الآيه توطئه و تمهيد للجواب عن تعريضهم بالقرآن أنه ليس بآيه، و الاستفهام للإنكار و الخطاب للنبى ص أى يكفهم آيه هذا الكتاب الذى أنزلناه عليك و هو يتلى عليهم فيسمعونه و يعرفون مكانته من الإعجاز و هو مملو رحمة و تذكره للمؤمنين.

قوله تعالى: «قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا» إلقاء جواب إلى النبى ص ليجيبهم به و هو أن الله سبحانه شهيد بينى و بينكم فيما نتخاصم فيه و هو أمر الرساله فإنه سبحانه يشهد فى كلامه الذى أنزله على رسالتي و هو تعالى يعلم ما فى السماوات و الأرض من غير أن يجهل شيئا و كفى بشهادته لى دليلا على دعواى.

و ليس لهم أن يقولوا إنه ليس بكلام الله لمكان تحديه مره بعد مره فى خلال الآيات و منه يعلم أن قوله: «قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا» ليس دعوى مجردة أو كلاما خطايا بل هو بيان استدلالى و حجه قاطعه على ما عرفت.

و قوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» قصر الخسران فيهم لعدم إيمانهم بالله بالكفر بكتابه الذى فيه شهادته على الرساله و هم بكفرهم بالله

الحق يؤمنون بالباطل و لذلك خسروا في إيمانهم.

قوله تعالى: « وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ لَوْ لَّا أَجَلَ مَسِيٍّ لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَ لِيَأْتِيَهُمْ بَعْتَهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ » إشاره إلى قولهم كقول متقدميهم: اتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين، و قد حكى الله عنهم استعجالهم في قوله: « وَ لئن أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّه مَعْدُودَةً لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ »: هود: ٨.

و المراد بالأجل المسمى هو الذى قضاه لبنى آدم حين أهبط آدم إلى الأرض فقال:

« وَ لَكُمْ فِي الْمَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ » ، البقره: ٣٦ و قال: « وَ لِكُلِّ أُمَّه أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ »: الأعراف: ٣٤.

و هذا العذاب الذى يحول بينه و بينهم الأجل المسمى هو الذى يستحقونه لمطلق أعمالهم السيئه كما قال عز من قائل: « وَ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا » ، الكهف: ٥٨ و لا ينافى ذلك تعجيل العذاب بنزول الآيات المقترحه على الرسول من غير إمهال و إنظار، قال تعالى: « وَ مَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ »: إسرء: ٥٩.

قوله تعالى: « يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ »، يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ «إلى آخر الآيه، تكرر « يَسْتَعْجِلُونَكَ » للدلاله على كمال جهلهم و فساد فهمهم و أن استعجالهم استعجال لأمر مؤجل لا معجل أولا و استعجال لعذاب واقع لا صارف له عنهم لأنهم مجزيون بأعمالهم التى لا تفارقهم ثانيا.

و الغشاوه و الغشايه التغطيه بنحو الإحاطه، و قوله: « يَوْمَ يَغْشَاهُمْ » ظرف لقوله:

« لَمُحِيطَةٌ » و الباقي ظاهر.

### (بحث روائى)

فى المجمع، فى قوله تعالى: « وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ »:

روى الواحدى بالإسناد عن جابر قال: تلا النبى ص هذه الآيه—و قال: العالم الذى يعقل عن الله—فعمل بطاعته و اجتنب سخطه.

و فيه، في قوله تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ»:

روى أنس بن مالك عن النبي ص: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا:

أقول: ورواه في الدر المنثور، عن عمران بن الحصين و ابن مسعود و ابن عباس و ابن عمر عنه (ص) ورواه القمي في تفسيره مضمرا مرسلا .

و فيه، و أيضا عن النبي ص: لا صلاة لمن لم تطع الصلاة و طاعه الصلاة أن تنتهي عن الفحشاء و المنكر:

أقول: ورواه في الدر المنثور، عن ابن مسعود و غيره .

و فيه، وروى أنس: أن فتى من الأنصار كان يصلى الصلوات مع رسول الله ص - و يرتكب الفواحش فوصف ذلك لرسول الله ص فقال: إن صلاته تنهاه يوما ما .

و فيه، وروى أصحابنا عن أبي عبد الله (ع) قال\*: من أحب أن يعلم قبلت صلاته أم لم تقبل، فلينظر هل منعه صلاته عن الفحشاء و المنكر - فبقدر ما منعه قبلت صلاته .

و في تفسير القمي، في قوله تعالى: «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ»:

في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر (ع): في قوله: «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» يقول: ذكر الله لأهل الصلاة أكبر من ذكرهم إياه - ألا ترى أنه يقول: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» .

أقول: و هذا أحد المعاني التي تقدم نقلها .

و في نور الثقلين، عن مجمع البيان، وروى أصحابنا عن أبي عبد الله (ع) قال:

ذكر الله عند ما أحل و حرم .

و فيه، عن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ص: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أن تموت و لسانك رطب من ذكر الله عز و جل .

و فيه، و قال (ص): يا معاذ إن السابقين الذين يسهرون بذكر الله عز و جل - و من أحب أن يرتع في رياض الجنة - فليكثر من ذكر الله عز و جل .

و في الكافي، بإسناده عن العبدى عن أبي عبد الله (ع): في قول الله عز و جل: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» قال: هم الأئمة .

أقول: و هذا المعنى مروى في الكافي، و في بصائر الدرجات، بعده طرق: و هو من الجرى بمعنى انطباق الآيه على أكمل المصاديق

بدليل الروايه الآتيه.

ص: ١٤٢

و فى البصائر، بإسناده عن بريد بن معاوية عن أبى جعفر (ع) قال: قلت له:

«بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

» فقال: أنتم هم من عسى أن يكونوا؟.

و فى الدر المنثور، أخرج الإسماعيلى فى معجمه و ابن مردويه من طريق يحيى بن جعدة عن أبى هريره قال\*: كان ناس من أصحاب رسول الله ص يكتبون من التوراه فذكروا ذلك لرسول الله ص فقال: إن أحقق الحقيق و أضل الضلاله قوم رغبا-عما جاء به نبيهم إلى نبي غير نبيهم- و إلى أمه غير أمتهم ثم أنزل الله: «أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ» الآية.

و فيه، أخرج ابن عساکر عن ابن أبى مليكه قال: "أهدى عبد الله بن عامر بن كريز إلى عائشه هديه-فظنت أنه عبد الله بن عمر فردتها-وقالت: يتتبع الكتب و قد قال الله: «أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ» فقيل لها: إنه عبد الله بن عامر فقبلها.

أقول: ظاهر الروايتين و خاصه الأولى الآيه فى بعض الصحابه و سياق الآيات يأبى ذلك.

## [سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

### اشاره

يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَبَوَّئْتُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرًا لِلْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلَيَّ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) وَ كَائِيْنٌ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠)

لما استفرغ الكلام فى توبيخ من ارتد عن دينه من المؤمنين خوف الفتنة عطف الكلام على بقيه المؤمنين ممن استضعفه المشركون بمكة و كانوا يهددونهم بالفتنة و العذاب فأمرهم أن يصبروا و يتوكلوا على ربهم و أن يهاجروا منها إن أشكل عليهم أمر الدين و إقامه فرائضه، و أن لا يخافوا أمر الرزق فإن الرزق على الله سبحانه و هو يرزقهم إن ارتحلوا و هاجروا كما كان يرزقهم فى مقامهم.

قوله تعالى: «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِيَّ وَأَسَعَهُ فَأَيَّ فَاعْبُدُونِ» توجيه للخطاب إلى المؤمنين الذين وقعوا فى أرض الكفر لا يقدر على التظاهر بالدين الحق و الاستئان بسنته و يدل على ذلك ذيل الآيه.

و قوله: «إِنَّ أَرْضِيَّ وَأَسَعَهُ» الذى يظهر من السياق أن المراد بالأرض هذه الأرض التى نعيش عليها و إضافتها إلى ضمير التكلم للإشارة إلى أن جميع الأرض لا فرق عنده فى أن يعبد فى أى قطعه منها كانت، و وسعه الأرض كناية عن أنه إن امتنع فى ناحيه من نواحيها أخذ الدين الحق و العمل به فهناك نواح غيرها لا يمتنع فيها ذلك فعبادته تعالى وحده ليست بممتنعه على أى حال.

و قوله: «فَأَيَّ فَاعْبُدُونِ» الفاء الأولى للتفريع على سعه الأرض أى إذا كان كذلك فاعبدونى وحدى و الفاء الثانية فاء الجزاء للشرط المحذوف المدلول عليه بالكلام و الظاهر أن تقديم «أَيَّ» لإفاده الحصر فىكون قصر قلب و المعنى: لا تعبدوا غيرى بل اعبدونى، و قوله: «فَاعْبُدُونِ» قائم مقام الجزاء.

و محصل المعنى: أن أرضى و اسعه إن امتنع عليكم عبادتى فى ناحيه منها تسعكم لعبادتى أخرى منها فإذا كان كذلك فاعبدونى وحدى و لا تعبدوا غيرى فإن لم يمكنكم عبادتى فى قطعه منها فهاجروا إلى غيرها و اعبدونى وحدى فيها.

قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» الآيه تأكيد للأمر السابق فى قوله: «فَأَيَّ فَاعْبُدُونِ» و كالتوطئه لقوله الآتى: «الَّذِينَ صَبَرُوا» إلخ.

و قوله: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» من الاستعارة بالكناية و المراد أن كل نفس

ستموت لا محاله، والالتفات في قوله: «ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» من سياق التكلم وحده إلى سياق التكلم مع الغير للدلالة على العظمة.

و محصل المعنى: أن الحياة الدنيا ليست إلا أياما قلائل و الموت وراءه ثم الرجوع إلينا للحساب فلا يصدنكم زينه الحياة الدنيا- و هى زينه فانيه- عن التهيؤ للقاء الله بالإيمان و العمل فففيه السعادة الباقية و فى الحرمان منه هلاك مؤبد مخلد.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا» إلخ، بيان لأجر الإيمان و العمل الصالح بعد الموت و الرجوع إلى الله و فيه حث و ترغيب للمؤمنين على الصبر فى الله و التوكل على الله، و التبوئه الإنزال على وجه الإقامة، و الغرف جمع غرفه و هى فى الدار، العلية العالیه.

و قد بين تعالى أولا ثواب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ثم سماهم عاملين إذ قال:

«نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» ثم فسر العاملین بقوله: «الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فعاد بذلك الصبر و التوكل سمة خاصه للمؤمنين فدل بذلك كله أن المؤمن إنما يرضى عن إيمانه إذا صبر فى الله و توكل عليه، فعلى المؤمن أن يصبر فى الله على كل أذى و جفوه ما يجد إلى العيشه الدينيه سبيلا فإذا تعذرت عليه إقامة مراسم الدين فى أرضه فليخرج و ليهاجر إلى أرض غيرها و ليصبر على ما يصيبه من التعب و العناء فى الله.

قوله تعالى: «الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» و وصف للعالمين، و الصبر أعم من الصبر عند المصيبة و الصبر على الطاعة و الصبر على المعصية، و إن كان المورد مورد الصبر عند المصيبة فهو المناسب لحال المؤمنين بمكة المأمورين بالهجرة.

قوله تعالى: «وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» كأين للتكثير، و حمل الرزق هو ادخاره كما يفعل الإنسان و النمل و الفأر و النحل من سائر الحيوان.

و فى الآيه تطيب لفس المؤمن و تقويه لقلوبهم أنهم لو هاجروا فى الله أتاهم رزقهم أينما كانوا و لا يموتون جوعا فرازقهم ربهم دون أوطانهم، يقول: و كثير من



الدواب لا رزق مدخر لها يرزقها الله و يرزقكم معاشر الآدميين الذين يدخرون الأرزاق و هو السميع العليم.

و فى تذليل الآيه بالاسمين الكريمين السميع العليم إشاره إلى الحجه على مضمونها و هو أن الإنسان و سائر الدواب محتاجون إلى الرزق يسألون الله ذلك بلسان حاجتهم إليه و الله سبحانه سميع للدعاء عليم بحوائج خلقه و مقتضى الاسمين الكريمين أن يرزقهم.

### (بحث روائى)

فى تفسير القمى، و فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع): فى قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ» يقول: لا- تطيعوا أهل الفسق من الملوك فإن خفتموهم أن يفتنوكم عن دينكم فإن أرضى واسعها، و هو يقول: «فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ» فقال: «أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا».

و فى المجمع: و قال أبو عبد الله(ع): معناه إذا عصى الله فى أرض أنت بها فاخرج منها إلى غيرها.

و فى العيون، بإسناده إلى الرضا(ع) قال: قال رسول الله ص: لما نزلت «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» قلت: يا رب أ يموت الخلائق كلهم و يبقى الأنبياء؟ فنزلت «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ»:

أقول: و رواه أيضا فى الدر المنثور، عن ابن مردويه عن على

، و لا يخلو متنه عن شىء فإن قوله: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» يخبر عن موته(ص) و موت سائر الناس، و كان(ص) يعلم أن الأنبياء المتقدمين عليه ماتوا فلا معنى لقوله: أ يموت الخلائق كلهم و يبقى الأنبياء.

و فى الجمع، عن عطاء عن ابن عمر قال: خرجنا مع رسول الله ص حتى دخلنا بعض حيطان الأنصار- فجعل يلتقط من التمر و يأكل فقال لى: يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟ فقلت: لا أشتهيه يا رسول الله. قال: أنا أشتهيه و هذه صبح رابعه منذ لم أذق طعاما- و لو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى و قيصر- فكيف بك يا ابن عمر

إذا بقيت مع قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف اليقين فوالله ما برحنا حتى نزلت « وَكَأَيُّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » أقول: وقد روى الرواية في الدر المنثور، وضعف سندها و هي مع ذلك لا- تلائم وقوع الآية في سياق ما تقدمها.

## [سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٦١ الى ٦٩]

### اشاره

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ سَيَّخَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣) وَ مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) فَمَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيُكْفَرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) أَوْ لَمْ يَبْهتُوا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَ يُتَخَافُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧) وَ مِنْ أَظْلَمِ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٦٨) وَ الَّذِينَ جَاهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)

الآيات تصرف الخطاب عن المؤمنين إلى النبي ص و هو فى المعنى خطاب عام يشمل الجميع و إن كان فى اللفظ خاصا به (ص) لأن الحجج المذكوره فيها مما يناله الجميع.

و الآيات تذكر مناقضات فى آراء المشركين فيما ألقى فى الفصل السابق على المؤمنين فأمنوا به فإنهم يعترفون أن خالق السماوات و الأرض و مدبر الشمس و القمر - و عليهما مدار الأرزاق - هو الله و أن منزل الماء من السماء و محيى الأرض بعد موتها هو الله سبحانه ثم يدعون غيره ليرزقهم و هم يعبدونه تعالى إذا ركبوا البحر ثم إذا أنجاهم عبدوا غيره و يقيمون فى حرم آمن و هو نعمه لهم فيؤمنون بالباطل و يجحدون الحق و يكفرون بنعمه الله.

و ما ختمت به السوره من قوله: «و الَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» يلائم ما فى مفتتح السوره «أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ - إِلَى أَنْ قَالَ - وَ مَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ» إلخ.

قوله تعالى: «و لئن سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنى يُؤْفَكُونَ».

خلق السماوات و الأرض من الإيجاد و تسخير الشمس و القمر - و ذلك بتحويل حالاتهما بالطلوع و الغروب و القرب و البعد من الأرض - من التدبير الذى يتفرع عليه كينونه أرزاق الإنسان و سائر الحيوان و هذا الخلق و التدبير لا ينفك أحدهما عن الآخر فمن اعترف بأحدهما فليعترف بالآخر.

و إذا كان الله هو الخالق و بيده تدبير السماوات و يتبعه تدبير الأرض و كينونه الأرزاق كان هو الذى يجب أن يدعى للرزق و سائر التدبير فمن العجب حينئذ أن يصرف عنه الإنسان إلى غيره ممن لا يملك شيئا و هو قوله: «فَاَنى يُؤْفَكُونَ» أى فإذا كان الخلق و تدبير الشمس و القمر إليه تعالى فكيف يصرف هؤلاء إلى دعوه غيره من الأصنام و عبادته.

قوله تعالى: «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ

«فى الآيه تصريح بما تلوح إليه الآيه السابقه، و القدر التضييق و يقابله البسط و المراد به لازم معناه و هو التوسعه، و وضع الظاهر موضع المضمرة فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» للدلاله على تعليل الحكم، و المعنى: و هو بكل شىء عليم لأنه الله.

و المعنى: الله يوسع الرزق على من يشاء من عباده و يضيقه على من يشاء -و لا يشاء إلا على طبق المصلحه- لأنه بكل شىء عليم لأنه الله الذى هو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال.

قوله تعالى: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا» -إلى قوله- «لَا يَعْقِلُونَ» المراد بإحياء الأرض بعد موتها إنبات النبات فى الربيع.

و قوله: «قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» أى احمد الله على تمام الحججه عليهم باعترافهم بأن الله هو المدبر لأمر خلقه فلزمهم أن يعبدوه دون غيره من الأصنام و أرباب الأصنام.

و قوله: «يَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» أى لا- يتدبرون الآيات و لا- يحكمون العقول حتى يعرفوا الله و يميزوا الحق من الباطل فهم لا يعقلون حق التعقل.

قوله تعالى: «وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» الله ما يلهيك و يشغلك عما يهملك فالحياء الدنيا من الله لأنها تلهى الإنسان و تشغله بزيتها المزوقه الفانيه عن الحياه الخالده الباقية.

و اللعب فعل أو أفعال منتظمه انتظاما خياليا لغايه خياليه كملاعب الصبيان و الحياه الدنيا لعب لأنها فانيه سريعه البطلان كلعب الصبيان يجتمعون عليه و يتولعون به ساعه ثم يتفرقون و سرعان ما يتفرقون.

على أن عامه المقاصد التى يتنافس فيها المتنافسون و يتكالب عليه الظالمون أمور وهميه سرايبه كالأموال و الأزواج و البنين و أنواع التقدم و التصدر و الرئاسة و المولويه و الخدم و الأنصار و غيرها فالإنسان لا يملك شيئا منها إلا فى ظرف الوهم و الخيال.

و أما الحياه الآخره التى يعيش فيها الإنسان بكماله الواقعى الذى اكتسبه بإيمانه و عمله الصالح فهى المهمه التى لا لهو فى الاشتغال بها و الجهد الذى لا لعب فيها و لا لغو و لا تأثيم، و البقاء الذى لا فناء معه، و اللذه التى لا ألم، عندها و السعاده التى لا شقاء دونها، فهى الحياه بحقيقه معنى الكلمه.

و هذا معنى قوله سبحانه: «وَمَا لِهَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّا لَدَّارَ الْآخِرَةِ لَهِيَ الْحَيَوَانُ».

و فى الآيه- كما ترى- قصر الحياه الدنيا فى اللهو و اللعب و الإشاره إليها بهذه المفيده للتحقير و قصر الحياه الآخره فى الحيوان و هو الحياه و تأكيده بأدوات التأكيد كان و اللام و ضمير الفصل و الجملة الاسميه.

و قوله: «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» أى لو كانوا يعلمون لعلموا أن الأمر كما وصفنا.

قوله تعالى: «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» تفریع على ما تحصل من الآيات السابقه من شأنهم و هو أنهم يؤفكون و أن كثيرا منهم لا يعقلون أى لما كانوا يؤفكون و يصرفون عن عبادته إلى عباده غيره و أكثرهم لا يعقلون و يناقضون أنفسهم بالاعتراف و الجحد فَإِذَا رَكِبُوا «إلخ».

و الركوب الاستعلاء بالجلوس على الشىء المتحرك و هو متعد بنفسه و تعديته فى الآيه بفى لتضمنه معنى الاستقرار أو ما يشبهه، و المعنى: فإذا ركبو مستقرين فى الفلك أو استقروا فى الفلك راكبين، و معنى الآيه ظاهر و هى تحكى عنهم تناقضا آخر و كفرانا للنعمه.

قوله تعالى: «لِيُكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» اللام فى «لِيُكْفُرُوا» و «لِيَتَمَتَّعُوا» لام الأمر و أمر الأمر بما لا يرتضيه تهديد و إنذار كقولك لمن تهدده: «افعل ما شئت»، قال تعالى: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»: حم السجده: ٤٠.

و احتمال كون اللام للغايه، و المعنى: أنهم يأتون بهذه الأعمال لتنتهى بهم إلى كفران النعمه التى آتيناهم و إلى التمتع، و أول الوجهين أوفق لقوله فى ذيل الآيه:

«فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ»، و يؤيده قوله فى موضع آخر: «لِيُكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ»، : الروم: ٣٤ و لذا قرأه من قرأ «وَ لِيَتَمَتَّعُوا» بسكون اللام إذ لا يسكن غير لام الأمر.

قوله تعالى: «أَوْ لَمْ يَرَوْا إِذْ جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَ يَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ» الحرم الأيمن هو مكه و ما حولها و قد جعله الله مأمنا بدعاء إبراهيم(ع) و التخطف

كالخطف استلاب الشيء بسرعته واختلاسه وقد كانت العرب يومئذ تعيش في التغاور والتناهب ولا يزالون يغير بعضهم على بعض بالقتل والسبي والنهب لكنهم يحترمون الحرم ولا يتعرضون لمن أقام بها فيها.

والمعنى: أ و لم ينظروا أنا جعلنا حرما آمنا لا- يتعرض لمن فيه بقتل أو سبي أو نهب و الحال أن الناس يختلسون من حولهم خارج الحرم.

وقوله: « أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ » توبيخ آخر لهم حيث يقابلون هذه النعمة و هي نعمه عظيمه بالكفران لكنهم يؤمنون بالأصنام و هي باطله ليس لها إلا الاسم.

قوله تعالى: « وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ » تهديد لهم بالنار بتوسيمهم بأشد الظلم و أعظمه و هو افتراء الكذب على الله بالقول بالآلهه و أن الله اتخذهم شركاء لنفسه، و تكذيب الإنسان بالحق لما جاءه و الوصفان جميعا موجودان فيهم فقد عبدوا الأصنام و كذبوا بالقرآن لما جاءهم فهم كفرون و مثنوى الكافرين و محل إقامتهم في الآخرة جهنم.

قوله تعالى: « وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » الجهد الوسع و الطاقه و المجاهده استفراغ الوسع في مدافعه العدو و الجهاد ثلاثة أضرب:

مجاهده العدو الظاهر، و مجاهده الشيطان، و مجاهده النفس كذا ذكره الراغب.

و قوله: « جَاهِدُوا فِينَا » أى استقر جهادهم فينا و هو استعاره كناية عن كون جهده مبذولا فيما يتعلق به تعالى من اعتقاد عمل، فلا ينصرف عن الإيمان به و الائتمار بأوامره و الانتهاء عن نواهي بصارف يصرفه.

و قوله: « لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا » أثبت لنفسه سبلا و هي أيا ما كانت تنتهى إليه تعالى فإنما السبيل سبيل لتأديته إلى ذى السبيل و هو غايتها فسبله هي الطرق المقربة منه و الهدايه إليه تعالى، و إذ كانت نفس المجاهده من الهدايه كانت الهدايه إلى السبيل هدايه على هدايه فتطبق على مثل قوله تعالى: « وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى »: محمد: ١٧.

و مما تقدم يظهر أن لا حاجه فى قوله: « فِينَا » إلى تقدير مضاف كشأن و التقدير فى شأننا.

وقوله: «وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» قيل أى معيه النصره و المعونه و تقدم الجهاد المحتاج إليهما قرينه قويه على إرادته ذلك. انتهى. و هو وجه حسن و أحسن منه أن يفسر بمعيه الرحمه و العنايه فيشمل معيه النصره و المعونه و غيرهما من أقسام العنايات التى له سبحانه بالمحسنين من عباده لكامل عنايته بهم و شمول رحمته لهم، و هذه المعيه أخص من معيه الوجود الذى ينبئ عنه قوله تعالى: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ»: الحديد: ٤.

و قد تقدمت الإشارة إلى أن الآية خاتمه للسوره منعطفه على فاتحتها.

### (بحث روائى)

فى الدر المنثور، أخرج ابن أبى الدنيا و البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى جعفر قال: قال رسول الله ص: يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الحيوان- و هو يسعى لدار الغرور.

وفيه، أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنهم قالوا: يا محمد ما يمنعنا أن ندخل فى دينك- إلا مخافه أن يتخطفنا الناس لقلتنا و العرب أكثر منا- فمتى بلغهم أنا قد دخلنا فى دينك اختطفنا- فكنا أكله رأس فأنزل الله: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا» الآية.

و فى تفسير القمى، فى قوله تعالى: «وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا- لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ»:

فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) قال: هذه الآية لآل محمد (ع) ولأشباعهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهِمْ سَيَّغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعِيدٍ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَ وَعِدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثَارُوا الْأَرْضِ وَ عَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسَاؤُا السُّوَاىِ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ (١٠) اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْبِئُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَ كَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضِهِ يُحِبُّونَ (١٥) وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ لِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦) فَسَبِّحْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)



تفتتح السوره بوعد من الله و هو أن الروم ستغلب الفرس فى بضع سنين بعد انهزامهم أيام نزول السوره عن الفرس ثم تنتقل منه إلى ذكر ميعاد أكبر و هو الوعد بيوم يرجع الكل فيه إلى الله و تقيم الحجه على المعاد ثم تنعطف إلى ذكر آيات الربوبيه و تصف صفاته تعالى الخاصه به ثم تختتم السوره بوعد النصر للنبي ص و تؤكد القول فيه إذ تقول: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ» و قد قيل قبيل ذلك: «وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ».

فغرض السوره هو الوعد القطعى منه تعالى بنصره دينه و قد قدم عليه نصر الروم على الفرس فى بضع سنين من حين النزول ليستدل بإنجاز هذا الوعد على إنجاز ذلك الوعد، و كذا يحتج به و من طريق العقل على أنه سينجز وعده بيوم القيامه لا ريب فيه.

قوله تعالى: «غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ» الروم جيل من الناس على ساحل البحر الأبيض بالمغرب كانت لهم إمبراطوريه وسيعه منبسطة إلى الشامات وقعت بينهم وبين الفرس حرب عوان في بعض نواحي الشام قريبا من الحجاز فغلبت الفرس وانهزمت الروم، والظاهر أن المراد بالأرض أرض الحجاز واللام للعهد.

قوله تعالى: «وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ» ضمير الجمع الأول للروم وكذا الثالث و أما الثاني فقد قيل إنه للفرس والمعنى: و الروم من بعد غلبه الفرس سيغلبون، ويمكن أن يكون الغلب من المصدر المبني للمفعول و الضمير للروم كالضميرين قبلها و بعدها فلا تختلف الضمائر و المعنى: و الروم من بعد مغلوبيتهم سيغلبون. و البضع من العدد من ثلاثة إلى تسعه.

□  
قوله تعالى: «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدِ» قبل و بعد مبنيان على الضم فهناك مضاف إليه مقدر و التقدير لله الأمر من قبل أن غلبت الروم و من بعد أن غلبت يأمر بما يشاء فينصر من يشاء و يخذل من يشاء.

و قيل: المعنى لله الأمر من قبل كونهم غالبين و هو وقت كونهم مغلوبين و من بعد كونهم مغلوبين و هو وقت كونهم غالبين أى وقت كونهم مغلوبين و وقت كونهم غالبين و المعنى الأول أرجح إن لم يكن راجحا متعينا.

□ □  
قوله تعالى: «وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» الظرف متعلق بيفرح و كذا قوله «يَنْصُرُ» و المعنى: و يوم إذ يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله الروم، ثم استأنف و قال: «يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ» تقريرا لقوله: «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدِ».

و قوله: «وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» أى عزيز يعز بنصره من يشاء رحيم يخص برحمته من يشاء.

و فى الآيه وجوه آخر ضعيفه ذكروها:

منها: أن قوله «وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ» عطف على قوله: «مِنْ قَبْلُ» و المراد به شمول سلطنته تعالى لجميع الأزمنه الثلاثه: الماضى و المستقبل و الحال كأنه قيل: لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ ثم ابتداء و قيل: يفرح المؤمنون بنصر الله. و فيه أنه يبطل

انسجام الآيه و ينقطع به آخرها عن أولها.

و منها: أن قوله: «بِنَصْرِ» متعلق بقوله: «الْمُؤْمِنُونَ» دون «يَفْرَحُ» و يدل بالملازمه المقاميه أن غلبه الروم بنصر من الله.

و فيه أن لازمه أن يفرح المؤمنون يوم غلبه الفرس و يوم غلبه الروم جميعا فإن في الغلبه نصرا و كل نصر من الله قال تعالى: «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»: آل عمران: ١٢٦ فقصر فرح المؤمنين بالنصر بيوم غلبه الروم ترجيح بلا مرجح فافهمه.

و منها: أن المراد بنصر الله نصر المؤمنين على المشركين يوم بدر دون نصر الروم على الفرس و إن توافق النصران زمانا فكأنه قيل: إن الروم سيغلبون في بضع سنين و يوم يغلبون يغلب المؤمنون المشركين فيفرحون بنصر الله إياهم.

و فيه أن هذا المعنى لا يلائم قوله بعد: «يُنْصَرُ مَنْ يَشَاءُ».

و منها: أن المراد بالنصر نصر المؤمنين بصدق إخبارهم بغلبه الروم، و قيل: النصر هو استيلاء بعض الكفار على بعض و تفرق كلمتهم و انكسار شوكتهم. و هذان و ما يشبههما وجوه لا يعاب بها.

قوله تعالى: «وَعِدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» «وَعَدَ اللَّهُ» مفعول مطلق محذوف العامل و التقدير وعد الله وعدا و إخلاف الوعد خلاف إنجازه و قوله: «وَعَدَ اللَّهُ» تأكيد و تقرير للوعد السابق في قوله: «سَيَغْلِبُونَ» و «يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ» كما أن قوله: «لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ» تأكيد و تقرير لقوله: «وَعَدَ اللَّهُ».

و قوله: «لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ» كقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ»: الرعد: ٣١ و خلف الوعد و إن لم يكن قبيحا بالذات لأنه ربما يحسن عند الاضطرار لكنه سبحانه لا يضطره ضروره فلا يحسن منه خلف الوعد في حال.

على أن خلف الوعد يلازم النقص دائما و يستحيل النقص عليه تعالى.

على أنه تعالى أخبر في كلامه بأنه لا يخلف الميعاد و هو أصدق الصادقين و هو القائل عز من قائل: «وَ الْحَقُّ أَقُولُ» -ص: ٨٤.

و قوله: «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» أى هم جهلاء بشئونه تعالى لا يثقون بوعدده و يقيسونه إلى أمثالهم ممن يصدق و يكذب و ينجز و يخلف.

قوله تعالى: «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» جملة «يَعْلَمُونَ» على ما ذكره في الكشف، بدل من قوله: «لَا يَعْلَمُونَ» وفي هذا الإبدال من النكته أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا انتهى.

وقيل: الجملة استثنائية لبيان موجب جهلهم بأن وعد الله حق وأن الله الأمر من قبل ومن بعد وأنه ينصر المؤمنين على الكافرين. انتهى وهذا أظهر.

و تنكير «ظَاهِرًا» للتحقير و ظاهر الحياه الدنيا ما يقابل باطنها و هو الذى يناله حواسهم الظاهره من زينه الحياه فيرشدهم إلى اقتنائها و العكوف عليها و الإخلاق إليها و نسيان ما وراءها من الحياه الآخره و المعارف المتعلقة بها و الغفله عما فيه خيرهم و نفعهم بحقيقه معنى الكلمه.

وقيل: الظهور فى الآيه بمعنى الزوال و استشهد بقوله:

و غيرها الواشون أنى أحبها

و تلك شكاه ظاهر عنك عارها

و المعنى: يعلمون أمرا زائلا لا بقاء له لكنه معنى شاذ الاستعمال.

قوله تعالى: «أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى» إلخ المراد من خلق السماوات والأرض وما بينهما - وذلك جملة العالم المشهود - بالحق أنها لم تخلق عبثا لا غاية لها وراءها بأن يوجد و يعدم ثم يوجد ثم يعدم من غير غرض و غاية فهو تعالى إنما خلقها لغايه تترتب عليها.

ثم إن العالم بأجزائها ليس بدائم الوجود غير منقطع الآخر حتى يحتمل كون كل جزء لاحق غايه للجزء السابق و كل آت خلفا لماضيه بل هو بأجزائه فان بئد فهناك غاية مقصوده من خلق العالم ستظهر بعد فناء العالم و هذا المعنى هو المراد بتقييد قوله:

«مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا» بقوله: «وَأَجَلٍ مُّسَمًّى» بعد تقييده بقوله: «إِلَّا بِالْحَقِّ».

فقوله: «أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ» الاستفهام للتعجب، و كونهم فى أنفسهم استعاره كناية عن فراغ البال و حضور الذهن كأنهم عند اشتغالهم بأمور الدنيا و سعيهم للمعيشه و تشوش البال يعيرون عن أنفسهم فيكونون عند حضور الذهن حاضرين مستقرين

فى أنفسهم فىكون تفكرهم حىنئذ مجتمعا غير متفرق فىهدىهم إلى الحق و ىرشدهم إلى الواقع.

وقىل: المراد بتفكرهم فى أنفسهم أن ىتفكروا فى خلق أنفسهم و أن الواحد منهم محدث و المحدث-بالفتح-ىحتاج إلى محدث-بالكسر-قدىم حى قادر عىلم حكىم فلا ىخلق ما ىخلق عبثا بل لغاىه مطلوبه و لىست تعود إلىه نفسه لغناء المطلق بل إلى الخلق و هو الثواب و لا ىكون إلا لصالح العمل فلا بد من دىن مشرع ىمىز العمل الصالح من السىئ فلا بد من دار ىمتحنون فىها و هى الدنىا و دار ىثابون فىها و هى الآخرة.

و فىه أن الجملة أعنى قوله: «أَ وَ لَمْ ىتَفَكَّرُوا فى أَنْفُسِهِمْ» صالح فى نفسه لأن ىراد منها هذا المعنى لكن اتصال قوله: «مَا خَلَقَ اللّهُ السَّمَاوَاتِ» إلخ، بها ىأباه لاستلزامه بطلان الاتصال لعدم الارتباط بین صدر الآىه و ذىلها على هذا التقدير.

و قوله: «مَا خَلَقَ اللّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَیْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُّسَمًّى» هو الفكر الذى ىجب علیهم أن ىمعنوا فىه النظر فى أنفسهم و تقريره على ما تقدم أن الله سبحانه ما خلق هذا العالم كلا و لا بعضا إلا خلقا ملابسا للحق أو مصاحبا للحق أى لغاىه حقیقه لا- عبثا لا غاىه له و لا إلى أجل معین فلا ىبقى شىء منها إلى ما لا نهایه له بل ىفنى و ىنقطع و إذا كان كل من أجزاءه و المجموع مخلوقا ذا غاىه تترتب علیها و لىس شىء منها دائم الوجود كانت غاىته مترتبه علیه بعد انقطاع وجوده و فنائه، و هذا هو الآخرة التى ستظهر بعد انقضاء الدنىا و فنائها.

و قوله: «وَ إِنَّ كَثِیْرًا مِنَ النَّاسِ ىلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَاْفِرُونَ» مسوق سوق التعجىب كما بدأت الآىه باستفهام التعجىب، و المراد بلىقاء الله هو الرجوع إلىه فى المعاد، و قد عبر عنه باللىقاء لىزداد كفرهم به عجبا فكىف ىمكن أن ىبتدءوا منه ثم لا ىنتهوا إلىه، و لذلك أكده ىان إشاره إلى أن الكفر بالمعاد من شأنه فى نفسه أن لا ىصدق به.

قوله تعالى: «أَ وَ لَمْ ىسِّئُوا فى الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا كَیْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِیْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ» إلى آخر الآىه، لما ذكر كفر كثیر من الناس بالمعاد و ذلك أمر ىلغو معه الدىن الحق ذكرهم حال الأمم الكافره و ما انتهت إلىه من سوء العذاب لعلهم ىعتبرون بها فىرجعوا عما هم علیه من الكفر. و إثارة الأرض قلبها ظهر البطن للحرث و التعمیر و نحو ذلك.

وقوله: «وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» أى بالكفر والمعاصى.

قوله تعالى: «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَاىَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ» بيان لما انتهى إليه أمر أولئك الظالمين ولذا عبر بثم، و«عَاقِبَتَهُ» بالنصب خبر كان و اسمه «السُّوَاىَ» قدم الخبر عليه لإفاده الحصر و«أَسَاءُوا» مقطوع عن المتعلق بمعنى عملوا السوء، و السوآى الخلة التى يسوء صاحبها و المراد بها سوء العذاب و «أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» بحذف لام التعليل و التقدير لتكذيبهم بآيات الله و استهزائهم بها.

و المعنى: ثم كان سوء العذاب هو الذى انتهى إليه أمر أولئك الذين عملوا السوء لم تكن لهم عاقبه غيرها لتكذيبهم بآيات الله و استهزائهم بها.

وقيل: إن «السُّوَاىَ» مفعول لقوله: «أَسَاءُوا» و خبر كان هو قوله: «أَنْ كَذَّبُوا» إلخ، و المراد أن المعاصى ساقطهم إلى الكفر بتكذيب آيات الله و الاستهزاء بها.

و فيه: أنه فى نفسه معنى صحيح لكن المناسب للمقام هو المعنى الأول لأن المقام مقام الاعتبار و الإنذار و المناسب له بيان انتهاء معاصيهم إلى سوء العذاب لا انتهاء معاصيهم المتفرقة إلى التكذيب و الاستهزاء الذى هو أعظمها.

قوله تعالى: «اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» بعد ما ذكر الحجه و تكذيب كثير من الناس لخص القول فى نتيجتها و هو أن البدء و العود بيده سبحانه و سيرجع إليه الجميع، و المراد بالخلق المخلوقون، و لذا أرجع إليه ضمير الجمع فى ترجعون.

قوله تعالى: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ» ذكر حال المجرمين بعد قيام الساعة و هى ساعه الرجوع إليه تعالى للحساب و الجزاء، و الإبلas اليأس من الله و فيه كل الشقاء.

قوله تعالى: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ» يريد أنهم على بأسهم من الرحمه من ناحيه أعمالهم أنفسهم آيسون من آلهتهم الذين اتخذوهم شركاء لله فعبدوهم ليشفعوا لهم عند الله كما كانوا يقولون فى الدنيا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله و كانوا بعباده شركائهم كافرين ساترين.

قوله تعالى: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُ يَتَفَرَّقُونَ» - إلى قوله - مُحْضَرُونَ قال

فى المجمع: الروضة البستان المتناهى منظرا وطيبا. انتهى. وقال فى المفردات: الحبر الأثر المستحسن - إلى أن قال - وقوله عز و  
جل: «فِي رَوْضِهِ يُحْبَرُونَ» أى يفرحون حتى يظهر عليهم حبار نعيمهم. انتهى.

و المراد بـتفرق الخلق يومئذ تميز المؤمنين الصالحين من المجرمين و دخول هؤلاء النار و دخول أولئك الجنة على ما يشير إليه  
الآيتان التاليتان.

و لزوم هذا التميز و التفرق فى الوجود هو الذى أخذه الله سبحانه حجه على ثبوت المعاد حيث قال: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا  
السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ: الجاثية: ٢١.

قوله تعالى: «فَسَيُبْحَثُ اللَّهُ فِي يَوْمِ تَمْسُونَ وَ حِينَ تُصَيَّبُحُونَ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهَرُونَ» لما ذكر أنه  
يبدأ الخلق ثم يعيدهم و يرجعهم للقائه فيفرقهم طائفتين: أهل الجنة و النعمة و أهل النار و العذاب، أما أهل الجنة فهم المؤمنون  
العاملون للصلح و أما أهل النار فهم الكفار المكذبون لآيات الله و قد ذكر أنهم كانوا فى الدنيا أهل قوة و نعمه لكنهم نسوا  
الآخرة و كذبوا بآيات الله و استهزءوا بها حتى انتهى بهم الأمر إلى سوء العذاب عذاب الاستئصال جزاء لظلمهم أنفسهم و ما  
ظلمهم الله و لكن كانوا أنفسهم يظلمون.

فتحصل من ذلك أن فى دار الخلقه تدبيرا إلهيا متقنا صالحا جميلا - على أجمل ما يكون و أن للإنسان على توالى الأزمنة و  
الدهور آثاما و خطيئات من العقيدة السيئة فى حق ربه و اتخاذ شركاء له و إنكار لقائه إلى سائر المعاصى.

ذيل الكلام بتسبيحه كلما تجدد حين بعد حين و تحميده على صنعه و تدبيره فى السماوات و الأرض و هو مجموع العالم  
المشهود فهو سبحانه منزه عن هذه الاعتقادات الباطلة و الأعمال الرديه و محمود فى جميع ما خلقه و دبره فى السماوات و  
الأرض.

و من هناك يظهر:

أولا: أن التسبيح و التحميد فى الآيتين إنشاء تنزيه و ثناء منه تعالى لا من غيره حتى يكون المعنى: قولوا سبحان الله و قولوا الحمد  
لله فقد تكرر فى كلامه تعالى تسبيحه و تحميده لنفسه كقوله: «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ»: الصافات: ١٨٠ و قوله:

«لَبَّارِكُ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ»: الفرقان: ١.

ص: ١٦٠

و ثانيا: أن المراد بالتسبيح و التحميد معاهما المطلق دون الصلوات اليوميه المفروضه كما يقول به أكثر القائلين بكون القول مقدرًا. و المعنى: قولوا سبحان الله و قولوا الحمد لله.

و ثالثا: أن قوله: «وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» معترضه واقعه بين المعطوف و المعطوف عليه، و قوله: «وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ» معطوفان على محل «حِينَ تُمْسُونَ» لا- على قوله: «فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» حتى يختص المساء و الصباح بالتسبيح و السماوات و الأرض و العشى و الظهيره بالتحميد بل الأوقات و ما فيها للتسبيح و الأمكنه و ما فيها للتحميد.

فالسباق يشير إلى أن ما في السماوات و الأرض من خلق و أمر هو الله يستدعى بحسنه حمدا و ثناء لله سبحانه و أن للإنسان على مر الدهور و تغير الأزمنه و الأوقات من الشرك و المعصيه ما يتنزه عنه ساحه قدسه تعالى و تقدس.

نعم هاهنا اعتبار آخر يتداخل فيه التحميد و التسبيح و هو أن الأزمنه و الأوقات على تغيرها و تصرمها من جمله ما في السماوات و الأرض فهي بوجودها يثنى على الله تعالى، ثم كل ما في السماوات و الأرض بفقرها إليه تعالى و ذلتها دونه و نقصها بالنسبه إلى كماله تعالى تسبحه كما قال: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»، :إسراء: ٤٤ لكن هذا الاعتبار غير منظور إليه في الآيتين اللتين نحن فيهما.

و للمفسرين في الآيتين أقوال أخر متفرقه أشرنا إلى المهم منها في الوجوه التي قدمناها.

و تغيير السياق في قوله: «وَعَشِيًّا» لكون العشى لم يبين منه فعل من باب الإفعال بخلاف المساء و الصباح و الظهيره حيث بنى منها الإمساء و الإصباح و الإظهار بمعنى الدخول في المساء و الصباح و الظهيره كذا قيل.

و الخطاب الذي في الآيتين في قوله: «تُمْسُونَ وَتُظْهِرُونَ وَتُصْبِحُونَ» ليس من الالتفات في شيء بل تعميم للخطاب الذي للنبي ص منذ شرعت السوره، و المعنى:



فإذا كان الأمر على هذه السبيل فالله منزه حينما دخلتم أنتم معاشر البشر في مساء و حينما دخلتم في صباح و في العشى و حينما دخلتم في ظهيره و له الثناء الجميل في السماوات و الأرض.

و نظير هذا التعميم ما في قوله سابقا: «تَمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» و لاحقا في قوله:

« وَ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ».

قوله تعالى: «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ» ظاهر إخراج الحي من الميت و بالعكس خلق ذوى الحياه من الأرض الميتة ثم تبديل ذوى الحياه أرضا ميتة، و قد فسر بخلق المؤمن من الكافر و خلق الكافر من المؤمن فإنه يعد المؤمن حيا و الكافر ميتا، قال تعالى: «أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا»: الأنعام: ١٢٢.

و أما إحياء الأرض بعد موتها فهو انتعاش الأرض و ابتهاجها بالنبات في الربيع و الصيف بعد خمودها في الخريف و الشتاء، و قوله: «وَ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ» أى تبعثون و تخرجون من قبوركم بإحياء جديد كإحياء الأرض بعد موتها، و قد تقدم تفسير نظير صدر الآيه و ذيلها مرارا.

### (بحث روائى)

فى الدر المنثور، أخرج أحمد و الترمذى و حسنه و النسائى و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و الطبرانى فى الكبير و الحاكم و صححه و ابن مردويه و البيهقى فى الدلائل و الضياء عن ابن عباس: " فى قوله: «الم غُلِبَتِ الرُّومُ» قال: غلبت و غلبت.

قال: كان المشركون يحبون أن يظهر فارس على الروم، لأنهم أصحاب أوثان، و كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس - لأنهم أصحاب كتاب، فذكروه لأبى بكر فذكره أبو بكر لرسول الله ص - فقال له رسول الله ص: أما إنهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم فقالوا: اجعل بيننا و بينك أجلا - فإن ظهرنا كان لنا كذا و كذا و إن ظهرتم كان لكم كذا و كذا - فجعل لهم خمس سنين فلم يظهروا - فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ص - فقال: أ لا جعلته - أراه - قال: دون العشر، فظهرت الروم بعد ذلك - فذلك قوله: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فغلبت ثم غلبت بعد.

يقول الله: «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ» قال سفيان: سمعت أنهم قد ظهروا يوم بدر.

أقول: و في هذا المعنى روايات أخر مختلفه المضامين في الجملة ففي بعضها أن المقامره كانت بين أبي بكر و أبي بن خلف و في بعضها أنها كانت بين المسلمين و المشركين و كان أبو بكر من قبل المسلمين و أبي من قبل المشركين، و في بعضها أنها كانت بين الطائفتين، و في بعضها بين أبي بكر و بين المشركين كما في هذه الروايه.

ثم الأجل المضروب في بعضها ثلاث سنين، و في بعضها خمس، و في بعضها ست، و في بعضها سبع سنين.

و في بعضها أن الأجل المضروب أولاً انقضى بمكه و هو سبع سنين فمادهم أبو بكر سنتين بأمر من النبي ص فغلبت الروم، و في بعضها خلافه.

ثم في بعضها أن الأجل الثاني انقضى بمكه و في بعضها أنه انقضى بعد الهجره و كانت غلبه الروم يوم بدر، و في بعضها يوم الحديبيه.

و في بعضها أن أبا بكر لما قمرهم بغلبه الروم أخذ منهم الخطر و هو مائه قلووس و جاء به إلى النبي ص فقال: إنه سحت تصدق به.

و الذي تتفق فيه الروايات أنه قامرهم فقمهم و كان القمار بإشاره من النبي ص و وجه ذلك بأنه كان قبل تحريم القمار فإنه حرم مع الخمر في سوره المائده و قد نزلت في آخر عهد النبي ص.

و قد تحقق بما قدمناه في تفسير آيه الخمر و الميسر أن الخمر كانت محرمة من أول البعته و كان من المعروف من الدين أنه يحرم الخمر و الزنا.

على أن الخمر و الميسر من الإثم بنص آيه البقره: «يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ». X الآيه X: البقره: ٢١٩ و الإثم محرم بنص آيه الأعراف: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ»، X الآيه X: الأعراف: ٣٣ و الأعراف من العتائق النازله بمكه فمن الممتنع أن يشير النبي ص بالمقامره.

و على تقدير تأخر الحرمة إلى آخر عهد النبي ص يشكل قوله (ص) لأبي بكر لما أتى بالخطر إليه أنه سحت ثم قوله: تصدق به. فلا سبيل إلى تصحيح شيء من ذلك

بالموازين الفقيهيه و قد تكلفوا فى توجيه ذلك بما لا يزيد إلا إشكالا.

ثم إن ما فى الروايه أن الفرس كانوا عبده الأوثان لا يوافق ما كان عليه القوم فإنهم و إن كانوا مشركين لكنهم كانوا لا يتخذون أوثانا.

و فى تفسير القمى، "فى قوله: «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» قال: يرون حاضر الدنيا و يتغافلون عن الآخره.

و فى الخصال: و سئل الصادق(ع) عن قول الله تعالى: «أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ» فقال: أ و لم ينظروا فى القرآن.

و فى تفسير القمى، "و قوله عز و جل: «و يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَخُونَ» قال:

إلى الجنة و النار.

## [سوره الروم (٣٠): الآيات ٢٠ الى ٢٦]

### اشاره

وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠) وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ (٢٢) وَ مِنْ آيَاتِهِ مَدَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ ابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥) وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦)

يذكر فى هذا الفصل عده من الآيات الداله على وحدانيته تعالى فى الربوبيه و الألوهيه، و يشار فيها إلى امتزاج الخلق و التدبير و تداخلهما ليتضح بذلك أن الربوبيه بمعنى ملك التدبير و الألوهيه بمعنى المعبوديه بالحق لا يستحقهما إلا الله الذى خلق الأشياء و أوجدها، لا كما يزعم الوثنى أن الخلق لله وحده و التدبير و العباده لأرباب الأصنام ليكونوا شفعاء لهم عند الله، و ليس له سبحانه إلا أنه رب الأرباب و إله الآلهه.

قوله تعالى: « وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ » المراد بالخلق من تراب انتهاء خلقه الإنسان إلى الأرض فإن مراتب تكون الإنسان من مضغه أو علقه أو نطفه أو غيرها مركبات أرضيه تنتهى إلى العناصر الأرضيه.

و قوله: « ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ » إذا فجائيه أى يفاجئكم أنكم أناسى تنتشرون فى الأرض أى يخلقكم من تركيبات أرضيه المترقب منها كينونه أرضيه ميتة أخرى مثلها لكن يفاجئكم دفعه أنه يصير بشرا ذوى حياه و شعور عقلى ينتشرون فى الأرض فى سبيل تدمير أمر الحياه فقوله: « ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ » فى معنى قوله: « ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ »: المؤمنون: ١٤.

فخلق الإنسان أى جمع أجزائه من الأرض و تأليفها آيه و كينونه هذا المجموع إنسانا ذا حياه و شعور عقلى آيه أو آيات أخر تدل على صانع حى عليم يدبر الأمر و يجرى هذا النظام العجيب.

و قد ظهر بهذا المعنى أن « ثُمَّ » للتراخى الرتبى و الجملة معطوفه على قوله:

« خَلَقَكُمْ » لا على قوله: « أَنْ خَلَقَكُمْ ».

قوله تعالى: « وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا »

إلى آخر الآيه، قال الراغب: يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى من الحيوانات المتزاوجه: زوج و لكل قرينين فيها و فى غيرها: زوج، قال تعالى: «فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى» و قال: «و زَوْجَكَ الْجَنَّةَ» و زوجه لغه رديئه و جمعها زوجات- إلى أن قال- و جمع الزوج أزواج. انتهى.

فقوله: «أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا» أى خلق لأجلكم- أو لينفعكم- من جنسكم قرائن و ذلك أن كل واحد من الرجل و المرأة مجهز بجهاز التناسل تجهيزا يتم فعله بمقارنه الآخر و يتم بمجموعهما أمر التوالد و التناسل فكل واحد منهما ناقص فى نفسه مفتقر إلى الآخر و يحصل من المجموع واحد تام له أن يلد و ينسل، و لهذا النقص و الافتقار يتحرك الواحد منهما إلى الآخر حتى إذا اتصل به سكن إليه لأن كل ناقص مشتاق إلى كماله و كل مفتقر مائل إلى ما يزيل فقره و هذا هو الشبق المودع فى كل من هذين القرينين.

و قوله: «و جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً» الموده كأنها الحب الظاهر أثره فى مقام العمل فنسبه الموده إلى الحب كنسبه الخضوع الظاهر أثره فى مقام العمل إلى الخشوع الذى هو نوع تأثر نفسانى عن العظمة و الكبرياء.

و الرحمه نوع تأثر نفسانى عن مشاهده حرمان المحروم عن الكمال و حاجته إلى رفع نقيصته يدعو الراحم إلى إنجائه من الحرمان و رفع نقصه.

و من أجل موارد الموده و الرحمه المجتمع المنزلى فإن الزوجين يتلازمان بالموده و المحبه و هما معا و خاصه الزوجه يرحمان الصغار من الأولاد لما يريان ضعفهم و عجزهم عن القيام بواجب العمل لرفع الحوائج الحيويه فيقومان بواجب العمل فى حفظهم و حراستهم و تغذيتهم و كسوتهم و إيوائهم و تربيتهم و لو لا هذه الرحمه لانقطع النسل و لم يعش النوع قط.

و نظير هذه الموده و الرحمه مشهود فى المجتمع الكبير المدنى بين أفراد المجتمع فالواحد منهم يأنس بغيره بالموده و يرحم المساكين و العجزة و الضعفاء الذين لا يستطيعون القيام بواجبات الحياه.

و المراد بالموده و الرحمه فى الآيه الأوليان على ما يعطيه مناسبه السياق أو الأخيرتان على ما يعطيه إطلاق الآيه.

وقوله: «لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» لأنهم إذا تفكروا في الأصول التكوينية التي يبعث الإنسان إلى عقد المجتمع من الذكوره و الأنوثة الداعيتين إلى الاجتماع المنزلى و الموده و الرحمه الباعثتين على الاجتماع المدنى ثم ما يترتب على هذا الاجتماع من بقاء النوع و استكمال الإنسان في حياته الدنيا و الأخرى عثروا من عجائب الآيات الإلهيه فى تدبير أمر هذا النوع على ما يبهر به عقولهم و تدهش به أحلامهم.

قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاختلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ» إلى آخر الآيه. الظاهر أن يكون المراد باختلاف الألسن اختلاف اللغات من العربيه و الفارسيه و الأردويه و غيرها و باختلاف الألوان اختلاف الأمم فى ألوانهم كالبياض و السواد و الصفرة و الحمرة.

و يمكن أن يستفاد اختلاف الألسنه من جهه النغم و الأصوات و نحو التكلم و النطق و باختلاف الألوان اختلاف كل فردين من أفراد الإنسان بحسب اللون لو دقق فيه النظر على ما يقول به علماء هذا الشأن.

فالباحثون عن العالم الكبير يعثرون فى نظام الخلقه على آيات دقيقه داله على أن الصنع و الإيجاد مع النظام الجارى فيه لا يقوم إلا بالله و لا ينتهى إلا إليه.

قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ» إلى آخر الآيه، الفضل الزيادة على مقدار الحاجه و يطلق على العطيّه لأن المعطى إنما يعطى ما فضل من مقدار حاجته، و المراد به فى الآيه الكريمه الرزق فابتغاء الفضل طلب الرزق.

و فى خلق الإنسان ذا قوى فعاله تبعته إلى طلب الرزق و رفع حوائج الحياه للبقاء بالحركه و السعى ثم هدايته إلى الاستراحه و السكون لرفع متاعب السعى و تجديد تجهيز القوى و تخصيص الليل و النهار المتعاقبين للسعى و السكون و التسيب إلى وجود الليل و النهار بأوضاع سماويه قائمه بالأرض و الشمس لآيات نافعه لمن له سمع و اع يعقل ما يسمع فإذا وجده حقا اتبعه.

قال فى الكشف، فى الآيه: هذا من باب اللف و ترتيبه: و من آياته منامكم و ابتغائكم من فضله بالليل و النهار إلا أنه فصل بين القرنيين الأولين بالقرنيين الآخرين لأنهما زمانان و الزمان و الواقع فيه كشيء واحد مع إعانه اللف على الاتحاد و يجوز أن

يراد منامكم فى الزمانين و ابتغاؤكم فيهما، و الظاهر هو الأول لتكرره فى القرآن و أسد المعانى ما دل عليه القرآن. انتهى.

و قد ظهر مما تقدم معنى تذييل الآيه بقوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ».

قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» الظاهر أن الفعل نزل منزله المصدر و لذلك لم يصدر بأن المصدريه كما صدر به قوله: «أَنْ خَلَقَكُمْ» و قوله: «أَنْ خَلَقَ لَكُمْ» و تنزيل الفعل منزله المصدر لغه عربيه جيده و عليه يحمل المثل السائر: (و تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) و لا ضير فى حمل كلامه تعالى عليه فهو تعالى يأتى فى مفتتح هذه الآيات بفنون التعبير كقوله:

«مَنَامُكُمْ» «يُرِيكُمْ» «أَنْ تَقُومَ».

و احتمال فى قوله: «يُرِيكُمْ» أن يكون بحذف أن المصدريه و التقدير أن يريكم البرق و أيد بقراءه النصب فى يريكم.

و احتمال أن يكون من حذف المضاف، و التقدير: و من آياته آيه أن يريكم البرق، و احتمال أن يكون التقدير و من آياته آيه البرق ثم استونف فقيل: يريكم البرق إلخ، و احتمال أن يكون «مِنْ آيَاتِهِ» متعلقا بقوله: «يُرِيكُمْ»، و التقدير:

و يريكم من آياته البرق، و احتمال أن يكون «مِنْ آيَاتِهِ» حالا من البرق، و التقدير:

و يريكم البرق حال كون البرق من آياته.

و هذه وجوه متفرقه لا يخفى عليك بعدها على أن بعضها يخرج الكلام فى الآيه عن موافقه السياق فى الآيات السابقه النظيره له كالوجهين الأخيرين.

و قوله: «خَوْفًا وَطَمَعًا» أى خوفا من الصاعقه و طمعا فى المطر، و قوله:

«وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» تقدم تفسيره كرارا، و قوله:

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» أى إن أهل التعقل يفقهون أن هناك عنايه متعلقه بهذه المصالح فليس مجرد اتفاق و صدفه.

قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ» القيام مقابل القعود و لما كان أعدل حالات الإنسان حيث يقوى به على عامه أعماله أستعير لثبوت الشىء و استقراره على أعدل حالاته كما يستعار

لتدبير الأمر، قال تعالى: «أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» الرعد: ٣٣.

و المراد بقيام السماء و الأرض بأمر من الله ثبوتهما على حالهما من حركة و سكون و تغير و ثبات بأمره تعالى و قد عرف أمره بقوله: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» يس: ٨٢.

و قوله: «ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ» «إِذَا» الأولى شرطيه و «إِذَا» الثانية فجائيه قائمه مقام فاء الجزاء و «مِنَ الْأَرْضِ» متعلق بقوله:

« دَعْوَةً » و الجملة معطوفه على محل الجملة الأولى لأن المراد بالجملة أعنى قوله: «ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ» إلخ البعث و الرجوع إلى الله و ليس فى عداد الآيات بل الجملة إخبار بأمر احتج عليه سابقا و سيحتج عليه لاحقا.

و أما قول القائل: إن الجملة على تأويل المفرد و هى معطوفه على «أَنْ تَقُومَ» و التقدير و من آياته قيام السماء و الأرض بأمره ثم خروجكم إذا دعاكم دعوه من الأرض.

فلازمه كون البعث معدودا من الآيات و ليس منها على أن البعث أحد الأصول الثلاثة التى يحتج بالآيات عليه، و لا يحتج به على التوحيد مثلا بل لو احتج فبالتوحيد عليه فافهم ذلك.

و لما كانت الآيات المذكوره من خلق البشر من تراب و خلقهم أزواجا و اختلاف ألسنتهم و ألوانهم و منامهم و ابتغائهم من فضله و إراءه البرق و تنزيل الماء من السماء كلها آيات راجعه إلى تدبير أمر الإنسان كان المراد بقوله: «أَنْ تَقُومَ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ» بمعونه السياق ثبات السماء و الأرض على وضعهما الطبيعى و حالهما العاديه ملائمتين لحياه النوع الإنسانى المرتبطه بهما و كان قوله: «ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ» إلخ مترتبا على ذلك ترتب التأخير أى إن خروجهم من الأرض متأخر عن هذا القيام مقارن لخراجهما كما ينبىء به آيات كثيره فى مواضع مختلفه من كلامه تعالى.

و يظهر بذلك أيضا أن المراد من قوله السابق «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» خلقهما من جهه ما يرتبطان بالحياه البشريه و ينفعانها.

و قد رتبت الآيات المذكوره آخذه من بدء خلق الإنسان و تكونه ثم تصنفه صنفين: الذكر و الأنثى ثم ارتباط وجوده بالسماء و الأرض و اختلاف ألسنتهم و ألوانهم



ثم السعى فى طلب الرزق و سكون المنام ثم إراءه البرق و تنزيل الأمطار حتى تنتهى إلى قيام السماء و الأرض إلى أجل مسمى ليتم لهذا النوم الإنسانى ما قدر له من أمد الحياه و يعقب ذلك البعث فهذا بعض ما فى ترتيب ذكر هذه الآيات من النكات.

و قد رتبت الفواصل أعنى قوله «يَتَفَكَّرُونَ» «لِلْعَالَمِينَ» «يَسْمَعُونَ» «يَعْقِلُونَ» على هذا الترتيب لأن الإنسان يتفكر فيصير عالما ثم إذا سمع شيئا من الحقائق وعاه ثم عقله و الله أعلم.

قوله تعالى: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَائِتُونَ» كانت الآيات المذكوره مسوقه لإثبات ربوبيته تعالى و ألوهيته كما تقدمت الإشارة إليه و لما انتهى الكلام إلى ذكر البعث و الرجوع إلى الله عقب ذلك بالبرهان على إمكانه و الحجه مأخوذه من الخلق و التدبير المذكورين فى الآيات السابقه.

فقوله: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» إشاره إلى إحاطه ملكه الحقيقى لجميع من فى السماوات و الأرض و هم المحشورون إليه و ذلك لأن وجودهم من جميع الجهات قائم به تعالى قيام فقر و حاجه لا استقلال و لا استغناء لهم عنه بوجه من الوجوه و هذا هو الملك الحقيقى الذى أثره جواز تصرف المالك فى ملكه كيف شاء فله تعالى أن يتصرف فى مملوكيه بنقلهم من النشأه الدنيا إلى النشأه الآخره.

و قد أكد ذلك بقوله: «كُلُّ لَهُ قَائِتُونَ» و القنوت لزوم الطاعه مع الخضوع -على ما ذكره الراغب فى المفردات-، و المراد بالطاعه مع الخضوع الطاعه التكوينيّه -على ما يعطيه السياق- دون التشريعيه التى ربما تخلفت.

و ذلك أنهم الملائكه و الجن و الإنس فأما الملائكه فليس عندهم إلا خضوع الطاعه، و أما الجن و الإنس فهم مطيعون منقادون للعلل و الأسباب الكونيه و كلما احتالوا فى إلغاء أثر عله من العلل أو سبب من الأسباب الكونيه توسلوا إلى عله أخرى و سبب آخر كونى ثم علمهم و إرادتهم كاختيارهم جميعا من الأسباب الكونيه فلا يكون إلا ما شاء الله أى الذى تمت عله فى الخارج و لا يتحقق مما شاءوا إلا ما أذن فيه و شاءه فهو المالك لهم و لما يملكونه.

وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ضَرَبَ لَكُمْ  
 مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنَّفُسَكُمْ كَذَلِكَ  
 نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٩) فَأَقِمْ  
 وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)  
 مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ  
 فَرِحُونَ (٣٢) وَ إِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا  
 آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥) وَ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا  
 بِهَا وَ إِن تَصَّبَّهُمْ سَيْئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) أَوْ لَعْنُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْسِبُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَ الْمَسْكِينِ وَ الْإِنْسَانَ السَّبِيلَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَ أُولَئِكَ هُمُ  
 الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوهَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوهَا عِنْدَ اللَّهِ وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاهٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْمُضْعِفُونَ (٣٩)

لما انساق الاحتجاج على الوحدانية و المعاد من طريق عد الآيات الداله على ذلك بقوله: «وَمِنْ آيَاتِهِ» إلى قوله: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» الآية، وهو من صفات الفعل غير سياق الاحتجاج بالآيات إلى سياق الاحتجاج بصفاته الفعلية و أوردها إلى آخر السوره فى أربعة فصول يورد فى كل فصل شيئاً من صفات الفعل المستوحى للوحدانية و المعاد و هى قوله: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» إلخ، و قوله: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ» إلخ، و قوله: «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ» إلخ، و قوله: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ» إلخ.

و إنما لم يبدأ الفصل الأول باسم الجلاله كما بدأ به فى الفصول الأخر لسبق ذكره فى الآية السابقه عليه المتصله به أعنى قوله: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَه قَانِتُونَ» الذى هو كالبرزخ المتوسط بين السياقين، فقوله: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» فصل فى صوره الوصل.

قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» إلى آخر الآية، بدء الخلق إنشاؤه ابتداء من غير مثال سابق و الإعاده إنشاء بعد إنشاء.

و قوله: «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» الضمير الأول للإعاده المفهوم من قوله: «يُعِيدُهُ» و الضمير الثانى راجع إليه تعالى على ما يتبادر من السياق.

و قد استشكل قوله: «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» الدال ظاهراً على كون الإعاده أسهل و أهون عليه من البدء و هو ينافى كون قدرته مطلقه غير محدوده فإن القدره

اللامتناهيه لا تختلف حالها في تعلقها بشيء دون شيء فتعلقها بالصعب و السهل على السواء فلا معنى لاسم التفضيل هاهنا.

و قد أجب عنه بوجه:

منها: أن ضمير «عَلَيْهِ» راجع إلى الخلق دونه تعالى و الإعادة أهون على الخلق لأنه مسبوق بالابتداء الذى يسهل الفعل على الفاعل بتحقيقه منه مره أو أزيد بخلاف الابتداء الذى لا يسبقه فعل، فالابتداء أصعب بالطبع بالنسبه إلى الإعادة و الإعادة بالعكس، فالمعنى: أن الإعادة أهون من البدء بالنسبه إلى الخلق و إذا كان كذلك بالنسبه إلى الخلق فما ظنك بالخالق.

و فيه أن رجوع الضمير إلى الخلق خلاف ظاهر الآية.

و منها: أن أفعل هاهنا منسلخ عن معنى التفضيل فأهون عليه بمعنى هين عليه نظير قوله: «مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ».

و فيه أنه تحكم ظاهر لا دليل عليه.

و منها: أن التفضيل إنما هو للإعادة في نفسها بالقياس إلى الإنشاء الابتدائي لا بالنسبه إليه تعالى و وقوع التفضيل بين فعل منه و فعل لا بأس به كما في قوله تعالى:

«لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ»: المؤمن: ٥٧.

و هذا هو الذى يستفاد من كلام الزمخشري إذ يقول: فإن قلت: ما بال الإعادة استعظمت في قوله: «ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ» حتى كأنها فضلت على قيام السماوات و الأرض بأمره ثم هونت بعد ذلك؟ قلت: الإعادة في نفسها عظيمه لكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء. انتهى.

و فيه أن تقييد الوصف بقوله: «عَلَيْهِ» أصدق شاهد على أن القياس الواقع بين الإعادة و الإنشاء إنما هو بالنسبه إليه تعالى لا بين نفس الإعادة و الإنشاء فالإشكال على ما كان.

و منها: أن التفضيل إنما هو بالنظر إلى الأصول الدائره بين الناس و الموازين المتبعه عندهم لا بالنظر إلى الأمر في نفسه، لما يرون أن تكرر الوقوع حتى لمره واحده يوجب سهولته على الفاعل بالنسبه إلى الفعل غير المسبوق بمثله فكأنه قيل: و الإعادة

أهون عليه بالنظر إلى أصولكم العلميه المتبعه عندكم و إلا فالإنشاء و الإعاده بالنسبه إليه تعالى على السواء.

و فيه أنه معنى صحيح فى نفسه لكن الشأن فى استفادته من اللفظ و لا شاهد عليه من جهة لفظ الآيه.

و منها: ما ذكره أيضا فى الكشاف، قال: و وجه آخر و هو أن الإنشاء من قبيل التفضل الذى يتخير فيه الفاعل بين أن يفعل و أن لا يفعل و الإعاده من قبيل الواجب الذى لا بد له من فعله لأنها لجزاء الأعمال و جزاؤها واجب و الأفعال إما محال و المحال ممتنع أصلا خارج عن المقذور و أما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف و هو القبيح و هو رديف المحال لأن الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الإحاله، و إما تفضل و التفضل حاله بين بين للفاعل أن يفعل و أن لا يفعل، و إما واجب لا بد من فعله و لا سبيل إلى الإخلال به.

فكان الواجب أبعد الأفعال من الامتناع و أقربها من الحصول فلما كانت الإعاده من قبيل الواجب كانت أبعد الأفعال من الامتناع و إذا كانت أبعدا من الامتناع كانت أدخلها فى التأتى و التسهل فكانت أهون منها و إذا كانت أهون منها كانت أهون من الإنشاء انتهى.

و فيه أولا: أنه مبنى على تحقق الأشياء بالأولويه دون الوجوب و قد تحقق فى محله بطلانه.

و ثانيا: أن القرب و البعد اللذين ذكرهما تصوير عقلى محض و السهوله و الصعوبه وصفان وجوديان يتصف بهما وجود الشيء من حيث صدوره عن فاعله الموجد له و لا يبتنى الوصف الوجودى على الاعتبار العقلى.

و ثالثا: أن الإنشاء أيضا كالإعاده فى الابتداء على المصلحه و هى الغايه فما لم يكن الإنشاء ذا مصلحه موجب لم يتحقق كما أن الإعاده كذلك فهما فى القرب و البعد من الامتناع على السواء كما قيل.

و رابعا: أن مقتضى هذا الوجه كون الإعاده أهون من الإنشاء بالنظر إلى أنفسهما فيعود فى الحقيقه إلى الوجه الثالث و يتوجه إليه ما توجه إليه.

و الذى ينبغى أن يقال أن الجملة أعنى قوله: « وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ » معلى بقوله بعده: « وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » فهو الحجه المثبته لقوله: « وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ».

و المستفاد من قوله: « وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى » الخ، إن كل وصف كمالى يمثل به شىء فى السماوات و الأرض كالحياه و القدره و العلم و الملك و الجود و الكرم و العظمه و الكبرياء و غيرها فله سبحانه أعلى ذلك الوصف و أرفعها من مرتبه تلك الموجودات المحدوده كما قال: « وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى »: الأعراف: ١٨٠.

و ذلك أن كل وصف من أوصاف الكمال اتصف به شىء مما فى السماوات و الأرض فله فى حد نفسه ما يقابله فإنه مما أفاضه الله عليه و هو فى نفسه خال عنه فالحى منها ميت فى ذاته و القادر منها عاجز فى ذاته و لذلك كان الوصف فيها محدودا مقيدا بشىء دون شىء و حال دون حال، و هكذا فالعلم فيها مثلا- ليس مطلقا غير محدود بل محدود مخلوط بالجهل بما وراءه و كذلك الحياه و القدره و الملك و العظمه و غيرها.

و الله سبحانه هو المفيض لهذه الصفات من فضله و الذى له من معنى هذه الصفات مطلق غير محدود و صرف غير مخلوط فلا جهل فى مقابل علمه و لا ممات يقابل حياته و هكذا فله سبحانه من كل صفه يتصف به الموجودات السماويه و الأرضيه- و هى صفات غير ممحظه و لا مطلقه- ما هو أعلاها أى مطلقها و محضاها.

فكل صفه توجد فيه تعالى و فى غيره من المخلوقات، فالذى فيه أعلاها و أفضلها و الذى فى غيره مفضول بالنسبه إلى ما عنده.

و لما كانت الإعاده متصفه بالهون إذا قيس إلى الإنشاء فيما عند الخلق فهو عنده تعالى أهون أى هون محض غير مخلوط بصعوبه و مشقه بخلاف ما عندنا معاشر الخلق و لا- يلزم منه أن يكون فى الإنشاء صعوبه و مشقه عليه تعالى لأن المشقه و الصعوبه فى الفعل تتبع قدره الفاعل بالتعاكس فكما قلت القدره كثر المشقه و كلما كثر قلت حتى إذا كانت القدره غير متناهيه انعدمت المشقه من رأس، و قدرته تعالى غير متناهيه فلا يشق عليه فعل أصلا و هو المستفاد من قوله: « إِنَّ اللَّهَ عَلِيٌّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » فإن القدره إذا جاز تعلقها بكل شىء لم تكن إلا غير متناهيه فافهم ذلك.

وقوله: «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» تقدم أنه في مقام الحجج بالنسبه إلى قوله: «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» ومحصله أن كل صفه كماله يتصف به شيء مما في السماوات والأرض من جمال أو جلال فإن لله سبحانه أعلاها أى مطلقها من غير تقييد ومحضها من غير شوب و صرفها من غير خلط.

وقوله: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» في مقام التعليل بالنسبه إلى قوله: «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ» إلخ، أى إنه تعالى عزيز واجد لكل ما يفقده غيره ممتنع من أن يمتنع عليه شيء حكيم لا- يعرض فعله فتور، ولو لم تكن صفه من صفاته مثلا- أعلى مما عند غيره من الممكنات كانت محدوده غير مطلقه ومخلوطه غير صرفه غير خاليه من النقص والقصور فاستدله ذاك القصور فلم يكن عزيزا على الإطلاق وأحدث ذاك النقص في فعله ثلمه وفتورا فلم يكن حكيما على الإطلاق.

قوله تعالى: «ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَيْلٌ لَّكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ» إلخ، «مِنْ» في قوله: «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» لابتداء الغايه أى ضرب لكم مثلا متخذًا من أنفسكم منتزعا من الحالات التي لديكم، وقوله: «هَيْلٌ لَّكُمْ» شروع في المثل المضروب والاستفهام للإنكار، و«مَا» في «مِنْ مَا مَلَكَتْ» للنوع أى من نوع ما ملكت أيمانكم من العبيد والإماء، و«مِنْ» في «مِنْ شُرَكَاءَ» زائده وهو مبتدأ، وقوله: «فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» تفریع على الشركه، و«فَأَنْتُمْ» خطاب شامل للمالكين والمملوكين على طريق التغليب، وقوله: «تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ» أى تخافون المماليك الشركاء أن تستبدوا في تصرف المال المشترك من غير إذن منهم ورضى كما تخافون أنفسكم من الشركاء الأحرار.

وهذا مثل ضربه الله لبيان بطلان ما يزعمون أن الله سبحانه مما خلق شركاء في الألوهيه والربوبيه وقد ألقى المثل في صوره الاستفهام الإنكارى: هل يوجد بين ممالیککم من العبيد والإماء من يكونون شركاء لكم في الأموال التي رزقناكم -والحال أنهم ممالیککم لكم تملكونهم وما في أيديهم- بحيث تخافونهم من التصرف في أموالكم بغير إذن منهم ورضى كما تخافون الشركاء الأحرار من نوع أنفسكم!؟

لا يكون ذلك أبدا ولا يجوز أن يكون المملوك شريكا لمولاه في ماله وإذا لم

يجز فكيف يجوز أن يكون بعض من خلقه الله كالملائكة و الجن و هم عبيده المملوكون شركاء له فيما يملك من مخلوقيه و آلهه و أربابا من دونه؟.

ثم تم الكلام بقوله: «كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» و فيه تمهيد لما يتلوه من الكلام.

قوله تعالى: «بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» إضراب عما يستفاد من ذيل الآيه السابقه و التقدير و هؤلاء المشركون لم يبنوا شركهم على التعقل بل اتبعوا فى ذلك أهواءهم بغير علم.

و كان مقتضى الظاهر أن يقال: بل اتبع الذين أشركوا و إنما بدله من قوله:

«بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا» فوصفهم بالظلم ليتعلل به ما سيصفهم بالضلال فى قوله: «فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ» فالظلم يستتبع الإضلال الإلهي، قال تعالى: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ»: إبراهيم: ٢٧.

فقوله: «فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ» استفهام إنكارى مدلوله الإيثار من نعمه الهدايه للمشركين المتبعين لأهوائهم مع ظهور الحق لهم لمكان ظلمهم الموجب لإضلالهم و قد تكرر فى كلامه تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

و قوله: «وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» نفى لنجاتهم بنصره الناصرين لهم من غيرهم بعد ما لم ينالوا النجاه من الضلال و تبعاته من عند أنفسهم لإضلال الله لهم و نفى الجمع دليل على أن لغيرهم ناصرين كالشفعاء.

و قول القائل إن معنى نفى الناصرين لهم أنه ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو المشهور من مقابله الجمع بالجمع غير مطرد.

و معنى الآيه: بل اتبع الذين ظلموا بشركهم أهواءهم بغير علم و تعقل فأضلهم الله بظلمهم و لا هادى يهديهم و ليس لهم ناصرون ينصرونهم.

قوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» الكلام متفرع على ما تحصل



من الآيات السابقة المثبته للمبدأ والمعاد أى إذا ثبت أن الخلق والتدبير لله وحده لا شريك له وهو سييئ و يحاسب و لا نجاه لمن أعرض عنه و أقبل على غيره فأقم وجهك للدين و الزمه فإنه الدين الذى تدعو إليه الخلقه الإلهيه.

وقيل:الكلام متفرع على معنى التسليه المفهوم من سياق البيان السابق الدال على ما هو الحق و أن المشركين لظلمهم اتبعوا الأهواء و أعرضوا عن التعقل الصحيح فأضلهم الله و لم يأذن لناصر ينصرهم بالهدايه و لا لمنقذ ينقذهم من الضلال لا أنت و لا غيرك فاستئس منهم و اهتم بخاصه نفسك و من تبعك من المؤمنين و أقم وجهك و من تبعك للدين.

فقوله: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ» المراد بإقامه الوجه للدين الإقبال عليه بالتوجه من غير غفله منه كالمقبل على الشىء بقصر النظر فيه بحيث لا يلتفت عنه يمينا و شمالا و الظاهر أن اللام فى الدين للعهد و المراد به الإسلام.

و قوله: «حَنِيفاً» حال من فاعل أقم و جوز أن يكون حالا- من الدين أو حالا من الوجه و الأول أظهر و أنسب للسياق، و الحنف ميل القدمين إلى الوسط و المراد به الاعتدال.

و قوله: «فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» الفطره بناء نوع من الفطر بمعنى الإيجاد و الإبداع و «فَطَرَتَ اللَّهُ» منصوب على الإغراء أى الزم الفطره فيه إشاره إلى أن هذا الدين الذى يجب إقامه الوجه له هو الذى يهتف به الخلقه و يهدى إليه الفطره الإلهيه التى لا تبديل لها.

و ذلك أنه ليس الدين إلا سنه الحياه و السبيل التى يجب على الإنسان أن يسلكها حتى يسعد فى حياته فلا غايه للإنسان يتبعها إلا- السعاده و قد هدى كل نوع من أنواع الخليقه إلى سعاده التى هى بغيه حياته بفطرته و نوع خلقته و جهز فى وجوده بما يناسب غايته من التجهيز، قال تعالى: «رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» ، طه: ٥٠ و قال: «الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى» :الأعلى: ٣.

فالإنسان كسائر الأنواع المخلوقه مفطور بفطرته تهديه إلى تتميم نواقصه و رفع حوائجه و تهتف له بما ينفعه و ما يضره فى حياته، قال تعالى: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا»

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، :الشمس: ٨ و هو مع ذلك مجهز بما يتم له به ما يجب له أن يقصده من العمل، قال تعالى: «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ» :عبس: ٢٠.

فلإنسان فطره خاصه تهديه إلى سنه خاصه فى الحياه و سبيل معينه ذات غايه مشخصه ليس له إلا أن يسلكها خاصه و هو قوله: «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» و ليس الإنسان العائش فى هذه النشأه إلا نوعا واحدا لا يختلف ما ينفعه و ما يضره بالنظر إلى هذه البنيه المؤلفه من روح و بدن فما للإنسان من جهه أنه إنسان إلا سعادته واحده و شقاء واحد فمن الضرورى حينئذ أن يكون تجاه عمله سنه واحده ثابتة يهديه إليها هاد واحد ثابت.

و ليكن ذاك الهادى هو الفطره و نوع الخلقه و لذلك عقب قوله «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» بقوله: «لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ».

فلو اختلفت سعادته الإنسان باختلاف أفراده لم ينعقد مجتمع واحد صالح يضمن سعادته الأفراد المجتمعين، و لو اختلفت السعادته باختلاف الأقطار التى تعيش فيها الأمم المختلفه بمعنى أن يكون الأساس الوحيد للسنه الاجتماعيه أعنى الدين هو ما يقتضيه حكم المنطقه كان الإنسان أنواعا مختلفه باختلاف الأقطار، و لو اختلفت السعادته باختلاف الأزمنه بمعنى أن تكون الأعصار و القرون هى الأساس الوحيد للسنه الدينيه اختلفت نوعيه كل قرن و جيل مع من ورثوا من آبائهم أو أخلفوا من أبنائهم و لم يسر الاجتماع الإنسانى سير التكامل و لم تكن الإنسانيه متوجهه من النقص إلى الكمال إذ لا- يتحقق النقص و الكمال إلا مع أمر مشترك ثابت محفوظ بينهما.

و ليس المراد بهذا إنكار أن يكون لاختلاف الأفراد أو الأمكنه أو الأزمنه بعض التأثير فى انتظام السنه الدينيه فى الجمله بل إثبات أن الأساس للسنه الدينيه هو البنيه الإنسانيه التى هى حقيقه واحده ثابتة مشتركه بين الأفراد، فلإنسانيه سنه واحده ثابتة بثبات أساسها الذى هو الإنسان و هى التى تدير رحى الإنسانيه مع ما يلحق بها من السنن الجزئيه المختلفه باختلاف الأفراد أو الأمكنه أو الأزمنه.

و هذا هو الذى يشير إلى قوله بعد: «ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» و سنزيد المقام إيضاحا فى بحث مستقل إن شاء الله تعالى.

و للقوم فى مفردات الآيه و معناها أقوال آخر متفرقه:

منها: أن المراد بإقامه الوجه تسديد العمل فإن الوجه هو ما يتوجه إليه و هو العمل و إقامته تسديده.

و فيه: أن وجه العمل هو غايته المقصوده منه و هى غير العمل و الذى فى الآيه هو « فَأَقِمَّ وَجْهَكَ » و لم يقل فأقم وجه عملك.

و منها: أن « فِطَّرَتَ اللَّهُ » منصوب بتقدير أعنى و الفطره هى المله، و المعنى:

اثبت و أدم الاستقامه للدين أعنى المله التى خلق الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله.

و فيه: أنه مبنى على اختلاف المراد بالفطره و هى المله و « فِطَّرَ النَّاسَ » و هو الخلقه و التفكيك خلاف ظاهر الآيه و لو أخذ « فِطَّرَ النَّاسَ » بمعنى الإدانه أى الحمل على الدين و هو التوحيد بقى قوله: « لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ » لا يلائم ما قبله.

على أن فيه خلاف ظاهر آخر و هو حمل الدين على التوحيد، و لو أخذ الدين بمعنى الإسلام أو مجموع الدين كله و أبقيت الفطره على معناه المتبادر منها و هو الخلقه لم يستقم تقدير « أعنى » فإن الدين بهذا المعنى غير الفطره بمعنى الخلقه.

و منها: أن « فِطَّرَتَ » بدل من « حَنِيفًا » و الفطره بمعنى المله و يرد عليه ما يرد على سابقه.

و منها: أن « فِطَّرَتَ » مفعول مطلق لفعل محذوف مقدر، و التقدير: فطر الله فطره فطر الناس عليها و فساده غنى عن البيان.

و منها: أن معناه اتبع من الدين ما ذلك عليه فطره الله و هو ما ذلك عليه ابتداء خلقه للأشياء لأنه خلقهم و ركبهم و صورهم على وجه يدل على أن لهم صانعا قادرا عالما حيا قديما واحدا لا يشبه شيئا و لا يشبهه شيء.

و فيه أنه مبنى على كون « فِطَّرَتَ » منصوبا بتقدير اتبع و قد ذكره أبو السعود و قبله أبو مسلم المفسر فيكون المراد من اتباع الفطره اتباع دلالة الفطره بمعنى الخلقه و المراد بعدم تبديل الخلق عدم تغييره فى الدلاله على الصانع بما له من الصفات الكريمة، و هذا قريب من المعنى الذى قدمناه للآيه بحمل « فِطَّرَتَ » على الإغراء لكن يبقى عليه أن الآيه عامه لا دليل على تخصيصها بالتوحيد.

و منها: أن لا فى قوله: «لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» تفيد النهى أى لا تبدلوا خلق الله أى دينه الذى أمرتم بالتمسك به، أو لا تبدلوا خلق الله بإنكار دلالته على التوحيد و منه ما نسب إلى ابن عباس أن المراد به النهى عن الخصاص.

و فيه أن لا دليل على أخذ الخلق بمعنى الدين و لا موجب لتسميه الإعراض عن دلاله الخلقه أو إنكارها تبديلا لخلق الله. و أما ما نسب إلى ابن عباس ففساده ظاهر.

و منها: ما ذكره الرازى فى التفسير الكبير، قال: و يحتمل أن يقال: خلق الله الخلق لعبادته و هم كلهم عبيده لا تبدل لخلق الله أى ليس كونهم عبيدا مثل كون المملوك عبدا للإنسان فإنه ينتقل عنه إلى غيره و يخرج عن ملكه بالعتق بل لا-خروج للخلق عن العباده و العبوديه. و هذا لبيان فساد قول من يقول: العباده لتحصيل الكمال و العبد يكمل بالعباده فلا يبقى عليه تكليف، و قول المشركين: إن الناقص لا يصلح لعباده الله و إنما الإنسان عبد الكواكب و الكواكب عبيد الله، و قول النصارى إن عيسى كان يحل الله فيه و صار إلها فقال: لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ بل كلهم عبيد لا خروج لهم عن ذلك. انتهى.

و فيه أنه مغالطه بين الملك و العباده التكوينيين و الملك و العباده التشريعيين فإن ملكه تعالى الذى لا يقبل الانتقال و البطلان ملك تكوينى بمعنى قيام وجود الأشياء به تعالى و العباده التى بإزائه عباده تكوينيه و هو خضوع ذوات الأشياء له تعالى و لا تقبل التبديل و الترك كما فى قوله: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»، :إسراء: ٤٤ و أما العباده الدينيه التى تقبل التبديل و الترك فهى عباده تشريعيه بإزاء الملك التشريعى المعتبر له تعالى فافهمه.

و لو دل قوله: «لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» على عدم تبديل الملك و العباده و العبوديه لدل على التكويني منهما و الذى يبدله القائلون بارتفاع التكليف عن الإنسان الكامل أو بعباده الكواكب أو المسيح فإنما يعنى به التشريعى منهما.

قوله تعالى: «مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» تعميم للخطاب بعد تخصيصه بالنبي ص نظير قوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ»، :الطلاق: ١ و قوله: «فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتُمْ وَ مَنْ تَابَ مَعَكُمْ وَ لَا تَطْغَوْا»، :هود: ١١٢

فيثول المعنى إلى نحو من قولنا: فأقم وجهك للدين حنيفاً أنت و من معك منيبين إلى الله، و الإنايه الرجوع بالتوبه.

و قوله: « وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ » التقوى بحسب دلاله المقام يشمل امثال أوامره و الانتهاء عن نواهيه تعالى فاختصاص إقامه الصلاه من بين سائر العبادات بالذكر للاعتناء بشأنها فهى عمود الدين.

و قوله: « وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » القول فى اختصاصه من بين المحرمات بالذكر نظير القول فى الصلاه فالشرك بالله أكبر الكبائر الموبقه، و قد قال تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»، :النساء: ٤٨ إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: « مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » «من» للتبيين و « مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ » إلخ، بيان للمشركين و فيه تعريفهم بأخص صفاتهم فى دينهم و هو تفرقهم فى دينهم و عودهم شيعه شيعه و حزبا حزبا يفرح و يسر كل شيعه و حزب بما عندهم من الدين و السبب فى ذلك ما ذكره قبيل هذا بقوله: « بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ » فبين أنهم بنوا دينهم على أساس الأهواء و أنه لا يهديهم و لا هادى غيره.

و من المعلوم أن هوى النفس لا- يتفق فى النفوس بل و لا- يثبت على حال واحده دون أن يختلف باختلاف الأحوال و إذا كان هو الأساس للدين لم يلبث دون أن يسير بسير الأهواء و ينزل بنزولها، و لا فرق فى ذلك بين الدين الباطل و الدين الحق المبنى على أساس الهوى.

و من هنا يظهر أن النهى عن تفرق الكلمه فى الدين نهى فى الحقيقه عن بناء الدين على أساس الهوى دون العقل، و ربما احتمل كون الآيه استئنافا من الكلام و هو لا يلائم السياق.

و فى الآيه ذم للمشركين بما عندهم من صفه التفرق فى الكلمه و التحزب فى الدين.

قوله تعالى: « وَ إِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ » التعبير بالمس للدلاله على القله و الخفه و تنكير ضر

و رحمه أيضا لذلك و المعنى: إذا أصاب الناس شىء من الضر و لو قليلا- كمرض ما و فقر ما و شده ما دعوا ربهم و هو الله سبحانه حال كونهم راجعين من غيره ثم إذا أذاقهم الله من عنده رحمه إذا فريق من هؤلاء الناس بربهم الذى كانوا يدعون و يعترفون بربوبيته يشركون باتخاذ الأنداد و الشركاء.

أى إنهم كافرون للنعمه طبعاً و إن اعترفوا بها عند الضر و قد أخذ لذلك فريقاً منهم لأن منهم من ليس كذلك.

قوله تعالى: «لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» تهديد لأولئك المشركين عند إذاقه الرحمه و اللام فى «لِيَكْفُرُوا» للأمر الغائب و قوله: «فَتَمَتَّعُوا» متفرع على سابقه و هو أمر آخر و الأمران جميعاً للتهديد، و الالتفات من الأمر الغائب إلى الأمر الحاضر لثوران الوجد و السخط من تفریطهم فى جنب الله و استهانتهم بأمره فقد بلغ منهم ذلك أن يتضرعوا عند الضر و يكفروا إذا كشف.

قوله تعالى: «أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ» «أَمْ» منقطعه و المراد بالإنزال الاعلام أو التعليم مجازاً، و السلطان البرهان، و المراد بالتكلم الدلاله مجازاً فالمعنى بل أعلمناهم برهاناً فهو يدل على ما كانوا به يشركون أو بشركهم.

و يمكن أن يراد بالسلطان ذو السلطان و هو الملك فلا مجاز فى الإنزال و التكلم و المعنى: بل أنزلنا عليهم ملكاً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أو بشركهم.

قوله تعالى: «وَ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ» الإذاقه كالمس تدل على قليل النيل و يسيره، و القنوط اليأس.

و إذا الأولى شرطيه و الثانيه فجائيه و المقابله بين «إِذَا» فى إذاقه الرحمه و «إِنْ» فى إصابه السيئه لأن الرحمه كثيره قطعيه و السيئه قليله احتماليه، و نسبه الرحمه إليه تعالى دون السيئه لأن الرحمه وجوديه مفاضه منه تعالى و السيئه عدميه هى عدم الإفاضه و لذا عللها بقوله: «بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ»، و فى تعليل السيئه بذلك و عدم التعليل فى جانب الرحمه بشىء إشارة إلى أن الرحمه تفضل.

و التعبير فى الرحمه بقوله: «فَرِحُوا» و فى السيئه بقوله: «إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ» للدلاله على حدوث القنوط و لم يكن بمتروك فإن الرحمه و السيئه بيد الله و الرحمه واسعه

و لهذا عبر بالمضارع الدال على الحال لتمثيل حالهم.

و المراد بالآيه بيان أن الناس لا يعدو نظرهم ظاهر ما يشاهدونه من النعمه و النقمه إذا وجدوا فرحوا بها من غير أن يتبصروا و يعقلوا أن الأمر بيد غيرهم و بمشيئه من ربهم إذا لم يشأ لم يكن، و إذا فقدوا قنطوا كان ليس ذلك بإذن من ربهم و إذا لم يشأ لم يأذن و فتح باب النعمه فهم ظاهريون سطحيون.

و بهذا يتضح أن لا تدافع بين هذه الآيه و بين قوله السابق: «وَ إِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ» الآيه و ذلك أن مدلول هذه الآيه أن أفهامهم سطحيه إذا وجدوا فرحوا و إذا فقدوا قنطوا و مدلول تلك أنهم إذا وجدوا فرحوا و إذا فقدوا دعوا الله و هم قانطون من الشيء و أسبابه منيبين راجعين إلى الله سبحانه فلا تدافع.

و ربما أوجب بأن المراد بالناس فى هذه الآيه فريق آخر غير الفريق المراد بالناس فى الآيه السابقه و لو فرض اتحادهما كان ما ذكر من دعائهم فى حال و قنوطهم فى حال أخرى.

و أوجب عنه أيضا بأن الدعاء لسانى جار على العاده و لا ينافى القنوط الذى هو أمر قلبى و أنت خير بما فى كل من الجوابين من الفتور.

و أوجب أيضا أن المراد بقنوطهم فعلهم فعل القانطين كالاهتمام بجمع الذخائر أيام الغلاء. و فيه مضافا إلى عدم الدليل على ذلك أنه لا يلائم معنى المفاجأه فى القنوط.

قوله تعالى: «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» بيان لخطئهم فى المبادره إلى الفرح و القنوط عند إذاقه الرحمه و إصابه السيئه فإن الرزق فى سعته و ضيقه تابع لمشيئه الله فعلى الإنسان أن يعلم أن الرحمه التى ذاقها و السيئه التى أصابته ممكنه الزوال بمشيئه الله سبحانه و لا موجب للفرح بما لا يؤمن فقده و لا للقنوط مما يرجى زواله.

و أما أنه أمر ظاهر للإنسان مقطوع به كأنه يراه فلأن الرزق الذى يناله الإنسان أو يكتسبه متوقف الوجود على ألوف و ألوف من الأسباب و الشرائط ليس الإنسان الذى يراه لنفسه إلا أحد تلك الأسباب و لا السبب الذى يركن إليه و يطيب به نفسا إلا بعض تلك الأسباب و عامه الأسباب منتهيه إليه سبحانه فهو الذى يعطى و يمنع و هو

الذى يبسط و يقدر أى يوسع و يضيق، و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: «فَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ» إلخ، ذو القربى صاحب القرابه من الأرحام و المسكين أسوأ حالا من الفقير و ابن السبيل المسافر ذو الحاجه، و إضافه الحق إلى الضمير تدل على أن لذى القربى حقا ثابتا، و الخطاب للنبي ص، فظاهر الآيه بما تحتف به من القرائن أن المراد بها الخمس و التكليف للنبي ص و يتبعه غيره ممن كلف بالخمس، و القرابه على أى حال قرابه النبي ص كما فى آيه الخمس، هذا كله على تقدير كون الآيه مدنيه و أما على تقدير كونها مكيه كسائر آيات السوره فالمراد مطلق الإحسان للقرابه و المسكين و ابن السبيل.

و لعموم الآيه معنى عمم ذكره أثره الجميل فقال: «ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

قوله تعالى: «وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيَرْزُقُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْزُقُوا عِنْدَ اللَّهِ، وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ» الربا نماء المال، و قوله: «لِيَرْزُقُوا» إلخ، يشير إلى وجه التسميه، فالمراد أن المال الذى تؤتونه الناس ليزيد فى أموالهم لا إرادته لوجه الله-بقريته ذكر إرادته الوجه فى مقابله-فليس يزيد و ينمو عند الله أى لا تثابون عليه لعدم قصد الوجه.

و قوله: «وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ» المراد بالزكاه مطلق الصدقه أى إعطاء المال لوجه الله من غير تبذير، و المضغف ذو الضعف، و المعنى: و ما أعطيتم من المال صدقه تريدون وجه الله فأولئك هم الذين يضاعف لهم مالهم أو ثوابهم.

فالمراد بالربا و الزكاه بقريته المقابله و ما احتف بهما من الشواهد، الربا الحلال و هو العطيه من غير قربه، و الصدقه و هى إعطاء المال مع قصد القربه. هذا كله على تقدير كون الآيه مكيه و أما على تقدير كونها مدنيه فالمراد بالربا الربا المحرم و بالزكاه هى الزكاه المفروضه.

و هذه الآيه و التى قبلها أشبه بالمدنيات منهما بالمكيات و لا اعتبار بما يدعى من الروايه أو الإجماع المنقول.



فى العيون، عن عبيد الله بن عباس قال\*: قام رسول الله ص فىنا خطيبا-فقال فى آخر خطبته:نحن كلمه التقوى و سبيل الهدى و المثل الأعلى-و الحججه العظمى و العروه الوثقى. الحديث.

و فى تفسير القمى، فى قوله تعالى: «ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ» الآية-أن سبب نزولها-أن قريشا كانوا يحجون البيت بحج إبراهيم(ع)-و يلبون تلبيته:ليبيك اللهم ليبيك لا شريك لك ليبيك-إن الحمد و النعمه لك و الملك لا شريك لك.

فجاءهم إبليس فى صوره شيخ فغير تلبيتهم-إلى قول:ليبيك اللهم لا-شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه و ما ملك. فكانت قريش تلبى هذه التلبيه حتى بعث رسول الله ص-فأنكر عليهم ذلك و قال:إنه شرك.

فأنزل الله عز و جل: «ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ-هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» أى أترضون أنتم فيما تملكون أن يكون لكم فيه شريك؟ فكيف ترضون أن تجعلوا لى شريكا فيما أملك؟.

و فى الكافى، بإسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله(ع)\*: فى قوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا» قال:هى الولاية.

و فيه، بإسناده عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله(ع)قال\*: قلت: «فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» قال:التوحيد:

أقول:و رواه أيضا عن الحلبي و زواره عنه(ع)و رواه الصدوق فى التوحيد، عن العلاء بن فضيل و زواره و بكير عنه(ع).

و فى روضه الكافى، بإسناده عن إسماعيل الجعفى عن أبى جعفر(ع)قال\*: كانت شريعته نوح(ع)-أن يعبد الله بالتوحيد و الإخلاص و خلع الأنداد، و هو الفطره التى فطر الناس عليها.

و فى تفسير القمى، بإسناده عن الهيثم الرماني عن الرضا عن أبيه عن جده عن أبيه محمد بن على(ع): فى قوله عز و جل: «فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» قال:

هو لا إله إلا الله محمد رسول الله-على أمير المؤمنين ولي الله إلى هاهنا التوحيد.

أقول: وروى هذا المعنى في بصائر الدرجات، عن أبي عبد الله (ع)، ورواه في التوحيد، عن عبد الرحمن مولى أبي جعفر عنه (ع).

و معنى كون الفطره هى الشهادات الثلاث أن الإنسان مفطور على الاعتراف بالله لا شريك له بما يجد من الحاجه إلى الأسباب المحتاجه إلى ما وراءها و هو التوحيد و بما يجد من النقص المحوج إلى دين يدين به ليكمله و هو النبوه، و بما يجد من الحاجه إلى الدخول فى ولايه الله بتنظيم العمل بالدين و هو الولايه و الفاتح لها فى الإسلام هو على (ع)، و ليس معناه أن كل إنسان حتى الإنسان الأولى يدين بفطرته بخصوص الشهادات الثلاث.

و إلى هذا يتول معنى الروايه السابقه أنها الولايه فإنها تستلزم التوحيد و النبوه و كذا ما مر من تفسيره الفطره بالتوحيد فإن التوحيد هو القول بوحدانيه الله تعالى المستجمع لصفات الكمال المستلزمه للمعاد و النبوه و الولايه فالمال فى تفسيرها بالشهادات الثلاث و التوحيد و الولايه واحد.

و فى المحاسن، بإسناده عن زراره قال: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله عز و جل « فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا » قال: فطرهم على معرفه أنه ربهم-و لولا ذلك لم يعلموا إذا ستلوا من ربهم و من رازقهم؟.

و فى الكافى، بإسناده عن الحسين بن نعيم الصحاف عن أبي عبد الله (ع) فى حديث قال: فقال (ع): إن الله عز و جل خلق الناس كلهم-على الفطره التى فطرهم عليها-لا- يعرفون إيماننا بشريعته و لا كفرا بجحود-ثم بعث الله عز و جل الرسل يدعو العباد إلى الإيمان به فمنهم من هدى الله و منهم من لم يهده.

أقول: و فى هذا المعنى روايات أخر و ارده فى تفسير قوله تعالى: « كَمَا نَ الْنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً »: البقره: ٢١٣ و المراد فيها بالإنسان الفطرى الإنسان الساذج الذى يعيش على الفطره الإنسانيه الذى لم يفسده الأوهام الفكرية و الأهواء النفسانيه فإنه بالقوه القريبه من الفعل بالنسبه إلى أصول العقائد الحقه و كليات الشرائع الإلهيه فإنه يعيش ببعث و تحريك من فطرته و خصوص خلقته. و أما الاهتداء إلى خصوص العقائد الحقه

و تفاصيل الشرائع الإلهيه فيتوقف على هدايه خاصه إلهيه من طريق النبوه من الجزء الثاني من الكتاب.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن حماد بن عمرو الصفار قال: سألت قتاده عن قوله تعالى: «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» فقال: حدثنى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ص: «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» قال: دين الله.

و فيه، أخرج البخارى و مسلم و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن مردويه عن أبى هريره قال: قال رسول الله ص: ما من مولود إلا يولد على الفطره- فأبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه- كما تنتج البهيمة بهيمه جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ قال أبو هريره: اقرءوا إن شئتم «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» الآية.

أقول:

و رواه أيضا عن مالك و أبى داود و ابن مردويه عن أبى هريره عنه (ص) و لفظه: كل مولود يولد على الفطره- فأبواه يهودانه و ينصرانه- كما تنتج الإبل من بهيمه جمعاء هل تحس من جدعاء.

و رواه أيضا فى الكافى، بإسناده عن زراره عن أبى جعفر (ع) فى حديث قال:

قال رسول الله ص: كل مولود يولد على الفطره يعنى على المعرفه بأن الله خالقه. الحديث.

و فى التوحيد، بإسناده عن عمر قال: قال رسول الله ص: لا تضربوا أطفالكم على بكائهم- فإن بكاءهم أربعة أشهر شهاده أن لا إله إلا الله، و أربعة أشهر الصلاه على النبى و أربعة أشهر الدعاء لوالديه.

أقول: هو حديث لطيف و معناه: أن الطفل فى الأربعة أشهر الأولى لا يعرف أحدا و إنما يحس بالحاجه فيطلب بالبكاء رفعها و الرفع لها هو الله سبحانه فهو يتضرع إليه و يشهد له بالوحدانيه.

و فى الأربعة أشهر الثانيه يعرف من والديه واسطه ما بينه و بين رافع حاجته من غير أن يعرفهما بشخصيهما و الواسطه بينه و بين ربه هو النبى فبكاؤه طلب الرحمه من ربه للنبى حتى يصل بتوسطه إليه.

و فى الأربعة أشهر الثالثه يميز والديه بشخصيهما عن غيرهما فبكاؤه دعاء منه لهما و طلب جريان الرحمه من طريقهما إليه. وفى الحديث ألطف الإشاره إلى كيفيه جريان

الفيض من مجرى الوسائط فافهم ذلك.

و فى المجمع، فى قوله تعالى: « وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ »:

و روى أبو سعيد الخدرى و غيره: أنه لما نزلت هذه الآية على النبى ص - أعطى فاطمه (ع) فدكا و سلمه إليها - و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (ع) .

و فى الكافى، بإسناده عن إبراهيم اليمانى عن أبى عبد الله (ع) قال: الربا رباءان:

ربا يؤكل و ربا لا يؤكل، فأما الذى يؤكل فهديتك إلى الرجل - تطلب منه الثواب أفضل منها فذلك الربا الذى يؤكل، و هو قول الله عز و جل: « وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيُزْبَوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزْبُوا عِنْدَ اللَّهِ » و أما الذى لا يؤكل فهو الذى نهى الله عنه و أوعده عليه النار:

أقول: و رواه أيضا فى التهذيب، عن إبراهيم بن عمر عنه (ع)، و فى تفسير القمى، عن حفص بن غياث عنه (ع)، و فى المجمع، مرسلا عن أبى جعفر (ع) .

و فى المجمع، فى قوله تعالى: « فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ » قال أمير المؤمنين (ع):

فرض الله الصلاه تنزيها عن الكبر، و الزكاه تسبيبا للرزق، و الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق، و صله الأرحام منماه للعدد.

و فى الفقيه،: خطبه للزهراء (ع) و فيها: ففرض الله الإيمان تطهيرا من الشرك و الصلاه - تنزيها عن الكبر و الزكاه زياده فى الرزق.

### (كلام فى معنى كون الدين فطريا، فى فصول)

١- إذا تأملنا هذه الأنواع الموجوده التى تتكون و تتكامل تدريجا سواء كانت ذوات حياه و شعور كأنواع الحيوان أو ذات حياه فقط كأنواع النبات أو ميتة غير ذى حياه كسائر الأنواع الطبيعىة - على ما يظهر لنا - وجدنا كل نوع منها يسير فى وجوده سيرا تكوينيا معينيا ذا مراحل مختلفه بعضها قبل بعض و بعضها بعد بعض يرد النوع فى كل منها بعد المرور بالبعض الذى قبله و قبل الوصول إلى ما بعده و لا يزال يستكمل بطى هذه المنازل حتى ينتهى إلى آخرها و هو نهايه كماله.

نجد هذه المراتب المطويه بحركه النوع يلازم كل منها مقامه الخاص به لا يستقدم و لا يستأخر من لدن حركه النوع فى وجوده إلى أن تنتهى إلى كماله فيبينها

رابطه تكوينيه يربط بها بعض المراتب ببعض بحيث لا يتجافى و لا ينتقل إلى غير مكانه و من هنا يستنتج أن للنوع غايه تكوينيه يتوجه إليها من أول وجوده حتى يبلغها.

فالجوزه الواحده مثلا- إذا استقرت فى الأرض استقرارا يهيئها للنمو على اجتماع مما يتوقف عليه النمو من العلل و الشرائط كالرطوبه و الحراره و غيرهما أخذ لبها فى النمو و شق القشر و شرع فى ازدياد من أقطار جسمه و لم يزل يزيد و ينمو حتى يصل إلى حد يعود فيه شجره قويه خضراء مثمره و لا يختلف حاله فى مسيره هذا التكوينى و هو فى أول وجوده قاصدا قاصدا تكوينيا إلى غايته التكوينيه التى هى مرتبه الشجره الكامله المثمره.

و كذا الواحد من نوع الحيوان كالواحد من الضأن مثلا لا نشك فى أنها فى أول تكونها جنينا متوجهه إلى غايته النوعيه التى هى مرتبه الضأنه الكامله التى لها خواصها فلا تضل عن سبيلها التكوينيه الخاصه بها إلى سبيل غيرها و لا تنسى غايته يوما فتسير إلى غير غايته كغايه الفيله مثلا أو غايه شجره الجوز مثلا فكل نوع من الأنواع التكوينيه له مسير خاص فى استكمال الوجود ذو مراتب خاصه مترتبه بعضها على بعض تنتهى إلى مرتبه هى غايه النوع ذاتا يطلبها طلبا تكوينيا بحركته التكوينيه و النوع فى وجوده مجهز بما هو وسيله حركته و بلوغه إلى غايته.

و هذا التوجه التكوينى لاستناده إلى الله يسمى هدايه عامه إلهيه و هى كما عرفت لا تضل و لا تخطئ فى تسيير كل نوع مسيره التكوينى و سوقه إلى غايته الوجوديه بالاستكمال التدريجى و بإعمال قواه و أدواته التى جهز بها لتسهيل مسيره إلى غايته، قال تعالى: «رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» طه: ٥٠ و قال: «الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى» الأعلی: ٥.

٢- نوع الإنسان غير مستثنى من كليه الحكم المذكور أعنى شمول الهدايه العامه له فنحن نعلم أن النطفه الإنسانيه من حين تشرع فى التكون متوجهه إلى مرتبه إنسان تام كامل له آثاره و خواصه قد قطع فى مسيره مراحل الجنينيه و الطفولييه و المراهقه و الشباب و الكهوله و الشيب.

غير أن الإنسان يفارق سائر الأنواع الحيوانيه و النباتيه و غيرها فيما نعلم فى أمر (1) و هو أنه لسعه حاجته التكوينييه و كثره نواقصه الوجوديه لا- يقدر على تميم نواقصه الوجوديه و رفع حوائجه الحيويه وحده بمعنى أن الواحد من الإنسان لا- تتم له حياته الإنسانيه و هو وحده بل يحتاج إلى اجتماع منزلى ثم اجتماع مدنى يجتمع فيه مع غيره بالازدواج و التعاون و التعاضد فيسعى الكل بجميع قواهم التى جهزوا بها للكل ثم يقسم الحاصل من عملهم بين الكل فيذهب كل بنصيبه على قدر زنته الاجتماعيه.

و قد عرفت فى سابق مباحث هذا الكتاب أن المدنيه ليست بطبيعته للإنسان بمعنى أن ينبعث إليه من ناحيه طبيعته الإنسانيه ابتداء بل له طبيعته مستخدمه لغيره لثمن نفسه ما وجد إليه سبيلا- فهو يستخدم الأمور الطبيعيه ثم أقسام النبات و الحيوان فى سبيل مقاصده الحيويه فهو باستخدام فرد مثله أو أفراد أمثاله أجزاً لكنه يجد سائر الأفراد أمثاله فى الأميال و المقاصد و فى الجهازات و القوى فيضطر إلى المسالمة و أن يسلم لهم حقوقاً مثل ما يراه لنفسه.

و ينتهى هذا التضارب بين المنافع أن يشارك البعض البعض فى العمل التعاونى ثم يقسم الحاصل من الأعمال بين الجميع و يعطى منه لكل ما يستحقه.

و كيف كان فالمجتمع الإنسانى لا يتم انعقاده و لا يعمر إلا بأصول علميه و قوانين اجتماعيه يحترمها الكل و حافظ يحفظها من الضيعه و يجريها فى المجتمع و عند ذلك تطيب لهم العيشه و تشرف عليهم السعاده.

أما الأصول العلميه فهى معرفته إجمالاً بما عليه نشأ الوجود من الحقيقه و ما عليه الإنسان من حيث البدايه و النهايه فإن المذاهب المختلفه مؤثره فى خصوص السنن المعمول بها فى المجتمعات فالمعتقدون فى الإنسان أنه مادي محض ليس له من الحياه إلا الحياه المعجله المؤجله بالموت و أن ليس فى دار الوجود إلا- السبب المادى الكائن الفاسده ينظمون سنن اجتماعهم، بحيث تؤديهم إلى اللذائذ المحسوسه و الكمالات الماديه ما وراءها شىء.

ص: ١٩١

١-١) و عامه الحيوان و إن كان لها شىء من الاجتماع الحيوى لكنه يسير فى جنب الاجتماع لا يعبأ به.

والمعتقدون بصانع وراء المادة كالوثنيه بينون سننهم وقوانينهم على إرضاء الآلهه ليسعدوهم فى حياتهم الدنيويه و المعتقدون بالمبدإ و المعاد بينون حياتهم على أساس يسعدهم فى الحياه الدنيويه ثم فى الحياه المؤبده التى بعد الموت فصور الحياه الاجتماعيه تختلف باختلاف الأصول الاعتقاديه فى حقيقه العالم و الإنسان الذى هو جزء من أجزائه.

و أما القوانين و السنن الاجتماعيه فلو لا وجود قوانين و سنن مشتركه يحترمها المجتمعون جميعهم أو أكثرهم و يتسلمونها تفرق الجمع و انحل المجتمع.

و هذه السنن و القوانين قضايا كليه عمليه صورها: يجب أن يفعل كذا عند كذا أو يحرم أو يجوز و هى أيا ما كانت معتبره فى العمل لغايات مصلحه للاجتماع و المجتمع تترتب عليها تسمى مصالح الأعمال و مفسدها.

٣- قد عرفت أن الإنسان إنما ينال ما قدر له من كمال و سعادته بعقد مجتمع صالح يحكم فيه سنن و قوانين صالحه تضمن بلوغه و نياله سعادته التى تليق به و هذه السعاده أمر أو أمور كماله تكوينيه تلحق الإنسان الناقص الذى هو أيضا موجود تكوينى فتجعله إنسانا كاملا فى نوعه تاما فى وجوده.

فهذه السنن و القوانين -و هى قضايا عمليه اعتباريه- واقعته بين نقص الإنسان و كماله متوسطه كالعبره بين المنزلتين و هى كما عرفت تابعه للمصالح التى هى كمال أو كمالات إنسانيه، و هذه الكمالات أمور حقيقيه مسانحه ملائمه للنواقص التى هى مصاديق حوائج الإنسان الحقيقيه.

فحوائج الإنسان الحقيقيه هى التى وضعت هذه القضايا العمليه و اعتبرت هذه النواميس الاعتباريه، و المراد بالحوائج هى ما تطلبه النفس الإنسانيه بأميلها و عزائمها و يصدق العقل الذى هو القوه الوحيده التى تميز بين الخير و النافع و بين الشر و الضار دون ما تطلبه الأهواء النفسانيه مما لا يصدق العقل فإنه كمال حيوانى غير إنسانى.

فأصول هذه السنن و القوانين يجب أن تكون الحوائج الحقيقه التى هى بحسب الواقع حوائج لا- بحسب تشخيص الأهواء النفسانيه.

و قد عرفت أن الصنع و الإيجاد قد جهز كل نوع من الأنواع- و منها الإنسان-

من القوى و الأدوات بما يرتفع بفعاليته حوائجه و يسلك به سبيل الكمال و منه يستنتج أن للجهازات التكوينية التي جهز بها الإنسان اقتضاءات للقضايا العملية المسماه بالسنين و القوانين التي بالعمل بها يستقر الإنسان في مقر كماله مثل السنن و القوانين الراجعه إلى التغذى المعبره بما أن الإنسان مجهز بجهاز التغذى و الراجعه إلى النكاح بما أن الإنسان مجهز بجهاز التوالد و التناسل.

فتبين أن من الواجب أن يتخذ الدين-أى الأصول العلميه و السنن و القوانين العمليه التي تضمن باتخاذها و العمل بها سعادته الإنسان الحقيقيه-من اقتضاءات الخلقه الإنسانيه و ينطبق التشريع على الفطره و التكوين و هذا هو المراد بكون الدين فطريا و هو قوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ».

٤-قد عرفت معنى كون الدين فطريا فالإسلام يسمى دين الفطره لما أن الفطره الإنسانيه تقتضيه و تهدي إليه.

و يسمى إسلاما لما أن فيه تسليم العبد لإرادته الله سبحانه منه، و مصداق الإراده و هى صفه الفعل تجمع العلل المؤلفه من خصوص خلقه الإنسان و ما يحتف به من مقتضيات الكون العام على اقتضاء الفعل أو الترك قال تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ».

و يسمى دين الله لأنه الذى يريده الله من عباده من فعل أو ترك، بما مر من معنى الإراده.

و يسمى سبيل الله لما أنه السبيل التي أرادها الله أن يسلكها الإنسان لتنتهى به إلى كماله و سعاده، قال تعالى: «الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا»: الأعراف: ٤٥.

و أما أن الدين الحق يجب أن يؤخذ من طريق الوحي و النبوه و لا يكفى فيه العقل فقد تقدم بيانه فى مباحث النبوه و غيرها من مباحث الكتاب.



اشاره

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠) ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٢) فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ (٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥) وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِيَجْزِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)

(بيان)

هذا هو الفصل الثاني من الفصول الأربعة التي يحتج فيها بالأفعال الخاصه به و إن شئت فقل: بأسماء الأفعال على إبطال الشركاء و نفى ربوبيتهم و ألوهيتهم و على إثبات المعاد.

قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ» إلخ، اسم الجلاله مبتدأ و «الَّذِي خَلَقَكُمْ» خبره، و كذا قوله: «مَنْ يَفْعَلُ» إلخ مبتدأ خبره «مِنْ شُرَكَائِكُمْ» المقدم عليه و الاستفهام إنكارى و قد ذكر فى تركيب الآيه احتمالات أخر.

و المعنى: أن الله سبحانه هو الذى اتصف بكذا و كذا وصفا من أوصاف الألوهيه و الربوبيه فهل من الآلهه الذين تدعون أنهم آلهه من يفعل شيئا من ذلكم يعنى من الخلق و الرزق و الإماته و الإحياء و إذ ليس منهم من يفعل شيئا من ذلكم فالله سبحانه هو إلهكم و ربكم لا إله إلا هو.

و لعل الوجه فى ذكر الخلق مع الرزق و الإحياء و الإماته مع تكرر تقدم ذكره فى سلك الاحتجاجات السابقه الإشاره إلى أن الرزق لا ينفك عن الخلق بمعنى أن بعض الخلق يسمى بالقياس إلى بعض آخر يديم بقاءه به رزقا فالرزق فى الحقيقه من الخلق فالذى يخلق الخلق هو الذى يرزق الرزق.

فليس لهم أن يقولوا: إن الرزق و كذا المحيى و المميت بعض آلهتنا كما ربما يدعيه بعضهم أن مدبر عالم الإنسان بعض الآلهه و مدبر كل شأن من شئون العالم من الخيرات و الشرور بعضهم لكنهم لا يختلفون أن الخلق و الإيجاد منه تعالى لا يشاركه فى ذلك أحد فإذا سلم ذلك و من المسلم أن الرزق مثلا خلق و كذا سائر الشئون لا تنفك عن الخلق رجوع الأمر كالخلق إليه تعالى و لم يبق لآلهتهم شأن من الشئون.

ثم نزه سبحانه نفسه عن شركهم فقال: «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

قوله تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» الآيه بظاهر لفظها عامه لا- تختص بزمان دون زمان أو بمكان أو بواقعه خاصه، فالمراد بالبر و البحر معناهما المعروف و يستوعبان سطح الكره الأرضيه.

و المراد بالفساد الظاهر المصائب و البلايا الظاهره فيهما الشامله لمنطقه من مناطق الأرض من الزلازل و قطع الأمطار و السنين و الأمراض الساريه و الحروب و الغارات و ارتفاع الأمن و بالجمله كل ما يفسد النظام الصالح الجارى فى العالم الأرضى سواء كان

مستندا إلى اختيار الناس أو غير مستند إليه. فكل ذلك فساد ظاهر في البر أو البحر مخل بطيب العيش الإنساني.

وقوله: «بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» أي بسبب أعمالهم التي يعملونها من شرك أو معصية وقد تقدم في تفسير قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»، X الآيه X: الأعراف: ٩٦ و أيضا في مباحث النبوه من الجزء الثاني من الكتاب أن بين أعمال الناس و الحوادث الكونيه رباطه مستقيمه يتأثر إحداهما من صلاح الأخرى و فسادها.

وقوله: «لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا» اللام للغايه، أي ظهر ما ظهر لأجل أن يذيقهم الله وبال بعض أعمالهم السيئه بل ليذيقهم نفس ما عملوا و قد ظهر في صوره الوبال و إنما كان بعض ما عملوا لأن الله سبحانه برحمته يعفو عن بعض كما قال: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ»: الشورى: ٣٠.

و الآيه ناظره إلى الوبال الدينوى و مذاقه بعضه لأ- كله من غير نظر إلى وبال الأعمال الأ-خروى فما قيل: إن المراد مذاقه الوبال الدينوى و تأخير الوبال الأ-خروى إلى يوم القيامة لا دليل عليه و لعله جعل تقدير الكلام: «ليذيقهم بعض جزاء ما عملوا مع أن التقدير «ليذيقهم جزاء بعض ما عملوا»، لأن الذى يحوجنا إلى تقدير المضاف- لو أحوجنا- هو أن الراجع إليهم ثانيا فى صوره الفساد هو جزاء أعمالهم لا نفس أعمالهم فالذى أذيقوا هو جزاء بعض ما عملوا لا بعض جزاء ما عملوا.

وقوله: «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أي يذيقهم ما يذيقهم رجاء أن يرجعوا من شركهم و معاصيهم إلى التوحيد و الطاعة.

و وجه اتصال الآيه بما قبلها أنه لما احتج فى الآيه السابقه على التوحيد و نزهه عن شركهم أشار فى هذه الآيه إلى ما يستتبع الشرك- و هو معصيه- من الفساد فى الأرض و مذاقه وبال السيئات فبين ذلك بيان عام.

و لهم فى الآيه تفاسير مختلفه عجيبه كقول بعضهم المراد بالأرض أرض مكه و قول بعضهم: المراد بالبر القفار التى لا يجرى فيها نهر و بالبحر كل قريه على شاطئ نهر عظيم، و قول بعضهم: البر الفيافى و مواضع القبائل و البحر السواحل و المدن التى عند

البحر و النهر، و قول بعضهم: البر البريه و البحر المواضع المخصبه الخضره، و قول بعضهم:

إن هناك مضافا محذوفا و التقدير فى البر و مدن البحر، و لعل الذى دعاهم إلى هذه الأقاويل ما ورد أن الآيه ناظره إلى القحط الذى وقع بمكه إثر دعاء النبى ص على قريش لما لجوا فى كفرهم و داموا على عنادهم فأرادوا تطبيق الآيه على سبب النزول فوقوا فيما وقعوا من التكلف.

و قول بعضهم: إن المراد بالفساد فى البر قتل ابن آدم أخاه و فى البحر أخذ كل سفينه غصبا و هو كما ترى.

قوله تعالى: « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ » أمر للنبي ص أن يأمرهم أن يسيروا فى الأرض فينظروا إلى آثار الذين كانوا من قبل حيث خربت ديارهم و عفت آثارهم و بادوا عن آخرهم و انقطع دابرهم بأنواع من النوائب و البلايا كان أكثرهم مشركين فأذاقهم الله بعض ما عملوا ليعتبر به المعترفون فيرجعوا إلى التوحيد، فالآيه فى مقام الاستشهاد لمضمون الآيه السابقه.

قوله تعالى: « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ » تفریع على ما تقدمه أى إذا كان الشرك و الكفر بالحق بهذه المثابه و له وبال سيلحق بالمتلبس به فأقم وجهك للدين القيم.

و قوله: « مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ » متعلق بقوله: « فَأَقِمْ » و المرد مصدر ميمى بمعنى الرد و هو بمعنى الراد و اليوم الذى لا مرد له من الله يوم القيامة.

و قوله: « يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ » أصله يتصدعون، و التصدع فى الأصل تفرق أجزاء الأوانى ثم استعمل فى مطلق التفرق كما قيل، و المراد به - كما قيل - تفرقهم يومئذ إلى الجنة و النار.

و قيل: المراد تفرق الناس بأشخاصهم كما يشير إليه قوله تعالى: « يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ». . القارعه: ٤ و لكل وجه، و لعل الأظهر امتياز الفريقين كما سيأتى.

قوله تعالى: « مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ » الظاهر أنه تفسیر لقوله فى الآيه السابقه: « يَتَفَرَّقُونَ » و قوله: « مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ » أى وبال

كفره بتقدير المضاف أو نفس كفره الذى سينقلب عليه نارا يخلد فيها و هذا أحد الفريقين.

وقوله: «وَمِنْ عَمَلٍ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» مهد الفراش بسطه و إبطاؤه، و هؤلاء الفريق الآخر الذين آمنوا و عملوا الصالحات، و قد جرىء بالجزاء «فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» جمعا نظرا إلى المعنى، كما أنه جرىء به مفردا فى الشرطيه السابقه «فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» نظرا إلى اللفظ، و اكتفى فى الشرط بذكر العمل الصالح و لم يذكر الإيمان معه لأن العمل إنما يصلح بالإيمان على أنه مذكور فى الآيه التاليه.

و المعنى: و الذين عملوا عملا صالحا-بعد الإيمان-فلاأنفسهم يوطئون ما يعيشون به و يستقرون عليه.

وقوله تعالى: «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» قال الراغب: الجزاء الغناء و الكفايه، قال الله تعالى: «لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً»، و قال: «لَا يَجْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ لِجَارٍ عَنِ الْوَالِدِ شَيْئاً» و الجزاء ما فيه الكفايه من المقابله إن خيرا فخير و إن شرا فشر، يقال: جزيته كذا و بكذا. انتهى.

و قوله: «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ» اللام للغايه و لا ينافى عد ما يؤتيهم جزاء-فيه معنى المقابله-عده من فضله و فيه معنى عدم الاستحقاق و ذلك لأنهم بأعيانهم و ما يصدر عنهم من أعمالهم ملكك طلق الله سبحانه فلا يملكون لأنفسهم شيئا حتى يستحقوا به أجرا، و أين العبوديه من الملك و الاستحقاق فما يؤتونه من الجزاء فضل من غير استحقاق.

لكنه سبحانه بفضله و رحمته اعتبر لهم ملكا لأعمالهم فى عين أنه يملكهم و يملك أعمالهم فجعل لهم بذلك حقا يستحقونه، و جعل ما ينالونه من الجنه و الزلفى أجرا مقابلا لأعمالهم و هذا الحق المجعول أيضا فضل آخر منه سبحانه.

و منشأ ذلك حبه تعالى لهم لأنهم لما أحبوا ربهم أقاموا وجوههم للدين القيم و اتبعوا الرسول فيما دعا إليه فأحبهم الله كما قال: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»: آل عمران: ٣١.

و لذا كانت الآيه تعد ما يؤتيهم الله من الثواب جزاء و فيه معنى المقابله و المبادله

و تعد ذلك من فضله نظرا إلى أن نفس هذه المقابلة و المبادله فضل منه سبحانه و منشؤه حبه تعالى لهم كما يومئ إليه تذييل الآيه بقوله: «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ».

و من هنا يظهر أن قوله: «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ»، يفيد التعليل بالنسبه إلى جانبى النفى و الإثبات جميعا أى أنه تعالى يخص المؤمنين العاملين للصالحات بهذا الفضل و يحرم الكافرين منه لأنه يحب هؤلاء و لا يحب هؤلاء.

قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ بِأَمْرِهِ وَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»، المراد بكون الرياح مبشرات تبشيرها بالمطر حيث تهب قبيل نزوله.

و قوله: «و لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» عطف على موضع مبشرات لما فيه من معنى التعليل و التقدير يرسل الرياح لتبشركم و ليذيقكم من رحمته و المراد بإذاقه الرحمه إصابه أنواع النعم المترته على جريان الرياح كتلقيح الأشجار و دفع العفونات و تصفيه الأجواء و غير ذلك مما يشمله إطلاق الجملة.

و قوله: «و لِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ بِأَمْرِهِ» أى لجريان الرياح و هبوبها. و قوله: «و لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى لتطلبوا من رزقه الذى هو من فضله.

و قوله: «و لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»، غايه معنويه كما أن الغايات المذكوره من قبل غايات صوريه، و الشكر هو استعمال النعمه بنحو ينبئ عن إنعام منعمه أو الثناء اللفظى عليه بذكر إنعامه، و ينطبق بالأخره على عبادته و لذلك جىء بلعل المفيده للرجاء فإن الغايات المعنويه الاعتباريه ربما تخلفت.

قوله تعالى: «و لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» قال الراغب: أصل الجرم- بالفتح فالسكون- قطع الثمره عن الشجر- إلى أن قال- و أجرم صار ذا جرم نحو أثمر و أتمر و ألبن و أستعير ذلك لكل اكتساب مكروه، و لا يكاد يقال فى عامه كلامهم للكيس المحمود انتهى.

و الآيه كالمعترضه و كأنها مسوقه لبيان أن للمؤمنين حقا على ربهم و هو نصرهم فى الدنيا و الآخره و منه الانتقام من المجرمين، و هذا الحق مجعول من قبله تعالى لهم على

نفسه فلا يرد عليه محذور لزوم كونه تعالى مغلوبا في نفسه مقهورا محكوما لغيره.

وقوله: «فَأَنْتَقِمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا» الفاء فصيحه أى فآمن بعضهم و أجزم آخرون فانتقمنا من المجرمين و كان حقا علينا نصر المؤمنين بإنجائهم من العذاب و إهلاك مخالفهم، و فى الآيه بعض الإشعار بأن الانتقام من المجرمين لأجل المؤمنين فإنه من النصر.

### (بحث روائى)

فى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» قال: فى البر فساد الحيوان إذا لم يمطر - وكذلك هلاك دواب البحر بذلك.

و قال الصادق (ع): حياه دواب البحر بالمطر - فإذا كف المطر ظهر الفساد فى البر و البحر، و ذلك إذا كثرت الذنوب و المعاصى. أقول: و هو من الجرى.

و فى روضه الكافى، بإسناده عن أبى الربيع الشامى قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز و جل: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ - فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ» فقال: عنى بذلك أى انظروا فى القرآن - فانظروا كيف كان عاقبه الذين من قبلكم.

و فى المجمع، فى قوله: «وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ بِهِمْ يَمْهَدُونَ» روى منصور بن حازم عن أبى عبد الله (ع) قال: إن العمل الصالح ليسبق صاحبه إلى الجنة - فيمهد له كما يمهد لأحدهم خادمه فراشه.

و فيه، و جاءت الروايه عن أم الدرداء أنها قالت: سمعت رسول الله ص يقول:

ما من امرئ يرد عن عرض أخيه - إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم قرأ: «وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»:

أقول: و رواه فى الدر المنثور، عن ابن أبى حاتم و الطبرانى و ابن مردويه عن أبى الدرداء .

اشاره

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنِيْرٌ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَزَلَ الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْتَلِينَ (٤٩) فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْحَى الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١) فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣)

(بيان)

هذا هو الفصل الثالث من الآيات المحتجة من طريق أفعاله تعالى و إن شئت فقل:

أسماء أفعاله و عمدته غرضها الاحتجاج على المعاد، و لما كان عمدته إنكارهم و جحودهم متوجها إلى المعاد و بإنكاره يلغو الأحكام و الشرائع فيلغو التوحيد عقب الاحتجاج بإيئاس النبي ص و أمره بأن يشتغل بدعوه في نفسه استعداد الإيمان و صلاحية الإسلام و التسليم للحق.

قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنِيْرٌ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ» إلى آخر الآيه، الإشاره التحريك و النشر و السحاب الغمام و السماء جهه العلو فكل ما علاك و أظلك فهو سماء و الكسف بالكسر فالفتح جمع كسفه و هي القطعه و الودق



القطر من المطر و الخلال جمع خله و هى الفرجه.

و المعنى: الله الذى يرسل الرياح فتحرك و تنشر سحابا و يبسط ذلك السحاب فى جهه العلو من الجو كيف يشاء سبحانه و يجعله قطعات متراكبه متراكمه فترى قطر المطر يخرج من فرجه فإذا أصاب بذلك المطر من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون لأنه ماده حياتهم و حياه الحيوان و النبات.

قوله تعالى: «وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُتْلِسِينَ» الإبلاب:

اليأس و القنوط.

و ضمير «يُنَزَّلُ» للمطر و كذا ضمير «مِنْ قَبْلِهِ» على ما قيل، و عليه يكون «مِنْ قَبْلِهِ» تأكيدا لقوله: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ» و فائده التأكيد-على ما قيل- الاعلام بسرعه تغلب قلوب البشر من اليأس إلى الاستبشار، و ذلك أن قوله: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ» يحتتمل الفسحه فى الزمان فجاء «مِنْ قَبْلِهِ» للدلاله على الاتصال و دفع ذلك الاحتمال.

و فى الكشف، أن قوله: «مِنْ قَبْلِهِ» من باب التكرير و التوكيد كقوله تعالى:

«فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا» و معنى التوكيد فيه الدلاله على أن عهدهم بالمطر قد تطاول و بعد فاستحكم بأسهم و تمادى إبلابهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك. انتهى.

و ربما قيل: إن ضمير «مِنْ قَبْلِهِ» لإرسال الرياح، و المعنى: و إن كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبل إرسال الرياح لآيسين قانطين.

قوله تعالى: «فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» الآثار جمع الأثر و هو ما يبقى بعد الشئ فيدل عليه كأثر القدم و أثر البناء و أستعير لكل ما يتفرع على شئ، و المراد برحمه الله المطر النازل من السحاب الذى بسطته الرياح، و آثارها ما يترتب على نزول المطر من النبات و الأشجار و الأثمار و هى بعينها آثار حياه الأرض بعد موتها.

و لذا قال: «فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» فجعل آثار الرحمه التى هى المطر كيفية إحياء الأرض بعد موتها، فحياء الأرض بعد موتها

من آثار الرحمة و النبات و الأشجار و الأثمار من آثار حياتها و هى أيضا من آثار الرحمة و التدبير تدبير إلهى يتفرع على خلقه الرياح و السحاب و المطر.

و قوله: «إِنَّ ذَاتِكَ لَمُحِي الْمَوْتِي» الإشارة بذلك إليه تعالى بما له من الرحمة التى من آثارها إحياء الأرض بعد موتها، و فى الإشارة البعيدة تعظيم، و المراد بالموتى موتى الإنسان أو الإنسان و غيره من ذوى الحياه.

و المراد بقوله: «إِنَّ ذَاتِكَ لَمُحِي الْمَوْتِي» الدلاله على المماثله بين إحياء الأرض الميتة و إحياء الموتى إذ فى كل منهما موت هو سقوط آثار الحياه من شىء محفوظ و حياه هى تجدد تلك الآثار بعد سقوطها، و قد تحقق الإحياء فى الأرض و النبات و حياه الإنسان و غيره من ذوى الحياه مثلها و حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد، فإذا جاز الإحياء فى بعض هذه الأمثال و هو الأرض و النبات فليجز فى البعض الآخر.

و قوله: «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» تقرير للإحياء المذكور ببيان آخر و هو عموم القدره فإن القدره غير محدوده و لا متناهيه فيشمل الإحياء بعد الموت و إلزام تقيدها و قد فرضت مطلقه غير محدوده.

قوله تعالى: «وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصِيفًا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ» ضمير «فَرَأَوْهُ» للنبات المفهوم من السياق، و قوله «لَظَلُّوا» جواب للقسم قائم مقام الجزاء، و المعنى: و أقسم لئن أرسلنا ريحا بارده فضربت زروعهم و أشجارهم بالصفار و رأوه لظلوا بعده كافرين بنعمه.

ففى الآيه تويخهم بالتقلب السريع فى النعمه و النقمه، فإذا لاحت لهم النعمه بادروا إلى الاستبشار، و إذا أخذ بعض ما أنعم الله به من فضله لم يلبثوا دون أن يكفروا بالمسلمات من النعم.

و قيل: ضمير «فَرَأَوْهُ» للسحاب لأن السحاب إذا كان أصفر لم يمطر، و قيل:

للريح فإنه يذكر و يؤنث، و القولان بعيدان.

قوله تعالى: «فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى» - إلى قوله - «فَهُمْ مُسْلِمُونَ» تعليل لما يفهم من السياق السابق كأنه قيل: لا تشتغل و لا تحزن بهؤلاء الذين تتبدل بهم الأحوال من إبلاس و استبشار و كفر و من عدم الإيمان بآياتنا و عدم تعقلها فإنهم موتى و صم و عمى

و أنت لا تقدر على إسماعهم و هدايتهم و إنما تسمع و تهدي من يؤمن بآياتنا أى يعقل هذه الحجج و يصدقها فهم مسلمون. و قد تقدم تفسير الآيتين فى سورة النمل.

## [سورة الروم (٣٠): الآيات ٥٤ الى ٦٠]

### إشارة

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لَكِنَّا كُنَّا كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧) وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخَفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)

### (بيان)

هذا هو الفصل الرابع من الآيات و هو كسابقه و فيها ختام السورة.

قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً» إلخ، الضعف و القوه متقابلان، و «مِنْ» فى قوله: «مِنْ»

للابتداء أى ابتداء خلقكم من ضعف أى ابتداءكم ضعفاء، ومصادقه على ما تفيده المقابله أول الطفوليه و إن أمكن صدقه على النطفه.

و المراد بالقوه بعد الضعف بلوغ الأشد و بالضعف بعد القوه الشيخوخه و لذا عطف عليه «شَيْبَةً» عطف تفسير، و تنكير «ضَعْفٍ» و «قُوَّةٌ» للدلاله على الإبهام و عدم تعين المقدار لاختلاف الأفراد فى ذلك.

و قوله: «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» أى كما شاء الضعف فخلقه ثم القوه بعده فخلقها ثم الضعف بعدها فخلقه و فى ذلك أتم الإشاره إلى أن تتالى هذه الأحوال من الخلق و إذ كان هذا النقل من حال إلى حال فى عين أنه تدبير خلقا فهو لله الخالق للأشياء فليس لقائل منهم أن يقول: إن ذلك من التدبير الراجع إلى إله الإنسان، مثلا كما يقوله الوثنيه.

ثم تمم الكلام بالعلم و القدره فقال: «وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ».

قوله تعالى: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ»، هذه الآيات كالذنايه للآيات السابقه العاده للآيات و الحجج على وحدانيته تعالى و البعث، و كالتمهيد و التوطئه للآيه التى تختتم بها السوره فإنه لما عد شيئا من الآيات و الحجج و أشار إلى أنهم ليسوا ممن يتربق منهم الإيمان أو يطمع فى إيمانهم أراد أن يبين أنهم فى جهل من الحق يتلقون الحديث الحق باطلا و الآيات الصريحه الدلاله منجزه عن دلالتها و كذلك يؤفكون و لا عذر لهم يعتذرون به.

و هذا الإفك و التقلب من الحق إلى الباطل يدوم عليهم و يلازمهم حتى قيام الساعه فيظنون أنهم لم يلبثوا فى قبورهم فيما بين الموت و البعث غير ساعه من نهار فاشتبه عليهم أمر البعث كما اشتبه عليهم كل حق فظنوه باطلا.

فقوله: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ»، يحكى عنهم اشتباه الأمر عليهم فى أمر الفصل بين الدنيا و يوم البعث حتى ظنوه ساعه من ساعات الدنيا.

و قوله: «كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ» أى يصرفون من الحق إلى الباطل فيدعون إلى الحق و يقام عليه الحجج و الآيات فيظنونه باطلا من القول و خرافه من الرأى.

قوله تعالى: « وَقَالَ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ إِنَّ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ » إلخ، رد منهم لقول المجرمين: « مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ » فإن المجرمين لإخلادهم إلى الأرض و توغلهم في نشأة الدنيا يرون يوم البعث و الفصل بينه و بين الدنيا محكوما بنظام الدنيا فقدروا الفصل بساعه و هو مقدار قليل من الزمان كأنهم ظنوا أنهم بعد في الدنيا لأنه مبلغ علمهم.

فرد عليهم أهل العلم و الإيمان أن اللبث مقدر بالفصل بين الدنيا و يوم البعث و هو الفصل الذى يشير إليه قوله: « وَ مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ »: المؤمنون: ١٠٠.

فاستنتجوا منه أن اليوم يوم البعث و لكن المجرمين لما كانوا فى ريب من البعث و لم يكن لهم يقين بغير الدنيا ظنوا أنهم لم يمر بهم إلا -ساعه من ساعات الدنيا و هذا معنى قولهم: « لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »، أى كنتم جاهلين مرتابين لا يقين لكم بهذا اليوم و لذلك اشتبه عليكم أمر اللبث.

و من هنا يظهر أن المراد بقوله: « أوتوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ »، اليقين و الالتزام بمقتضاه و أن العلم بمعنى اليقين بالله و بآياته و الإيمان بمعنى الالتزام بمقتضى اليقين من الموهبه الإلهيه، و من هنا يظهر أيضا أن المراد بكتاب الله الكتب (١) السماويه أو خصوص القرآن لا غيره و قول بعضهم: إن فى الآيه تقديم و تأخيرا و التقدير و قال الذين أوتوا العلم و الإيمان فى كتاب الله لقد لبثتم إلى يوم البعث لا يعتد به.

قوله تعالى: « فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ » الاستعتاب طلب العتبي، و العتبي إزالة العتاب أى لا ينفعهم المعذره عن ظلمهم و لا يطلب منهم أن يزيلوا العتاب عن أنفسهم.

قوله تعالى: « وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ » إلخ، إشاره

ص: ٢٠٦

١- ١) و يمكن أن يكون المراد بكتاب الله اللوح المحفوظ فيكون ذلك استدلالا على قولهم بكتاب الله و يكون نظير ما فى قوله: « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق »، الجاثيه: ٢٩ بناء على ما سيأتى من معناه « منه ».

إلى كونهم مأفوكين مصروفين عن الحق حيث لا ينفعهم مثل يقرب الحق من قلوبهم لأنها مطبوع عليها، ولذا عقبه بقوله: «وَلَيْسَ جِنَّتُهُمْ بِأَيِّهِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ» أى جاءون بالباطل وهذا القول منهم لأنهم مصروفون عن الحق يرون كل حق باطلا، ووضع الموصول و الصله موضع الضمير للدلاله على سبب القول.

قوله تعالى: «كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»، أى يجهلون بالله و آياته و منها البعث و هم يصرون على جهلهم و ارتيابهم.

قوله تعالى: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ»، أى فاصبر على ما يواجهونك به من قولهم: «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ» و سائر تهكماتهم، إن وعد الله أنه ينصرك حق كما أوما إليه بقوله: «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصِيرُ الْمُؤْمِنِينَ»، و لا يستخفنك الذين لا يوقنون بوعد الله سبحانه.

و قول بعضهم: إن المعنى لا- يوقنون بما تتلو عليهم من الآيات البينات بتكذيبهم لها و إيذائهم لك بأباطيلهم، ليس بشيء و قد بدأت السوره بالوعد و ختمت بالوعد و الوعدان جميعا بالنصره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) وَمَنْ الذَّاسِ مَنْ يَشْتَرِ لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَمَا أَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَزَاءُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَآلَقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١١)

غرض السوره كما يومئ إليه فاتحتها وخاتمتها ويشير إليه سياق عامه آياتها الدعوه إلى التوحيد والإيقان بالمعاد والأخذ بكليات شرائع الدين.

و يلوح من صدر السوره أنها نزلت في بعض المشركين حيث كان يصد الناس عن استماع القرآن بنشر بعض أحاديث مزوقه ملهيه كما ورد فيه الأثر في سبب نزول قوله:

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ «الآيه، و سيوافي حديثه.

فنزلت السوره تبين أصول عقائد الدين و كليات شرائعه الحقه و قصت شيئا من خبر لقمان الحكيم و مواعظه تجاه أحاديثهم الملهيه.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها. و من غرر الآيات فيها قوله تعالى: « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ ۗ «الآيه.

قوله تعالى: « تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ -إلى قوله- يُوقِنُونَ » تقدم تفسير مفردات هذه الآيات في السور السابقه.

وقد وصف الكتاب بالحكيم إشعارا بأنه ليس من لهو الحديث من شيء بل كتاب لا انثلام فيه ليدخله لهو الحديث و باطل القول، و وصفه أيضا بأنه هدى و رحمه للمحسنين تميما لصفه حكمته فهو يهدى إلى الواقع الحق و يوصل إليه لا كاللهو الشاغل للإنسان عما يهيمه، و هو رحمه لا نقمه صارفه عن النعمه.

و وصف المحسنين بإقامه الصلاه و إيتاء الزكاه اللتين هما العمدتان في الأعمال و بالإيقان بالآخره و يستلزم التوحيد و الرساله و عامه التقوى، كل ذلك مقابله الكتاب للهو الحديث المصغى إليه لمن يستمع لهو الحديث.

قوله تعالى: « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۗ «إلخ، اللهو ما يشغلك عما يهيمك، و لهو الحديث: الحديث الذي يلهى عن الحق بنفسه كالحكايات الخرافيه و القصص الداعيه إلى الفساد و الفجور، أو بما يقارنه كالتغنى بالشعر أو بالملاهى و المزامير و المعازف فكل ذلك يشمل لهو الحديث.



وقوله: «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» مقتضى السياق أن يكون المراد بسبيل الله القرآن الكريم بما فيه من المعارف الحقه الاعتقادية والعلميه و خاصه قصص الأنبياء و أممهم الخاليه فإن لهو الحديث و الأساطير المزوقه المختلفه تعارض أولا هذه القصص ثم تهدم ببيان سائر المعارف الحقه و توهنها فى أنظار الناس.

و يؤيد ذلك قوله بعد: «و يَتَّخِذُهَا هُزُوءًا» فإن لهو الحديث بما أنه حديث كما سمعت يعارض أولا الحديث و يتخذه سخريا.

فالمراد بسبيل الله القرآن بما فيه من القصص و المعارف و كأن مراد من كان يشتري لهو الحديث أن يضل الناس بصرفهم عن القرآن و أن يتخذ القرآن هزوا بأنه حديث مثله و أساطير كأساطيره.

وقوله: «بِغَيْرِ عِلْمٍ» متعلق بيضل و هو فى الحقيقه وصف ضلال الضالين دون إضلال المضلين و إن كانوا أيضا لا علم لهم ثم هددهم بقوله: «أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ» أى مذل يوهنهم و يذلهم حذاء استكبارهم فى الدنيا.

قوله تعالى: «وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَ لِيَ مُشْتَكِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا» الخ، وصف لذاك الذى يشتري لهو الحديث ليضل الناس عن القرآن و يهزأ به و الوقر الحمل الثقيل و المراد بكون الوقر على أذنيه أن يشد عليهما ما يمنع من السمع و قيل: هو كناية عن الصمم.

و المعنى: و إذا تلى على هذا المشتري لهو الحديث آياتنا أى القرآن ولى و أعرض عنها و هو مستكبر كأن لم يسمعها قط كأنه أصم فبشره بعذاب أليم.

و قد أعيد إلى من يشتري ضمير الأفراد أولا كما فى «يَشْتَرِي» و «لِيُضِلَّ» و «يَتَّخِذُهَا» باعتبار اللفظ و الضمير الجمع، ثانيا باعتبار المعنى ثم ضمير الأفراد باعتبار اللفظ كما فى «عَلَيْهِ» و غيره كذا قيل، و من الممكن أن يكون ضمير «لَهُمْ» فى الآيه السابقه راجعا إلى مجموع المضل و الضالين المدلول عليهم بالسياق فتكون الضمائر الراجعه إلى «مِنْ» مفرده جميعا.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ» - إلى قوله - «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» رجوع بعد إنذار ذاك المشتري و تهديده بالعذاب المهين ثم العذاب

الأليم إلى تبشير المحسنين و تطيب أنفسهم بجنه النعيم الخالده الموعوده من قبله تعالى و وعده الحق.

و لما كان غرض من اشترى لهو الحديث أن يلتبس الأمر على من يضل به بغير علم فيحسب القرآن من الأساطير الباطله كأساطيره و يهين به و كان لا يعتنى بما تتلى عليه من الآيات مستكبرا و ذلك استهانه بالله سبحانه أكد أولا ما وعده للمحسنين بقوله:

«وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا» ثم وصف ثانيا نفسه بالعزه المطلقه، فلا يطرأ عليه ذله و أهانه و الحكمه المطلقه فلا يداخل كلامه باطل و لا هزل و خرافه.

ثم وصفه ثالثا بأنه الذى يدبر أمر السماء و الأرض و النبات و الحيوان و الإنسان لأنه خالقها فله أن يعد هؤلاء بالجنه و أولئك بالعذاب و هو قوله: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» إلخ.

قوله تعالى: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» إلخ، تقدم فى تفسير قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» الرعد: ٢ أن قوله: «تَرَوْنَهَا» يحتمل أن يكون قيذا توضيحيا، و المعنى أنكم ترونها و لا أعمده لها، و أن يكون قيذا احترازيا و المعنى خلقها بغير أعمده مرثيه إشعارا بأن هناك أعمده غير مرثيه.

و قوله: «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» أى ألقى فيها جبالا شامخه لئلا تضطرب بكم و فيه إشعار بأن بين الجبال و الزلازل رابطه مستقيمه.

و قوله: «وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» أى نشر فى الأرض من كل حيوان يدب عليها.

و قوله: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ» أى و أنزلنا من جهه العلو ماء و هو المطر و أنبتنا فيها شيئا من كل زوج نباتى شريف فيه منافع و له فوائد، و فيه إشاره إلى تزوج النبات و قد تقدم الكلام فيه فى نظيره.

و الالتفات فيها من الغيبه إلى التكلم مع الغير للإشاره إلى كمال العناية بأمره كما قيل.

قوله تعالى: «هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»، لما أراهم خلقه و تدبيره تعالى للسموات و الأرض و ما عليها فأثبت به ربوبيته و ألوهيته تعالى كلفهم أن يروه شيئا من خلق آلهتهم إن كانوا آلهه و أربابا فإن

لم يقدرُوا على إراءه شىء ثبت بذلك وحدانيته تعالى فى ألوهيته و ربوبيته.

و إنما كلفهم بإراءه شىء من خلق آلتهم-و هم يعترفون أن الخلق لله وحده و لا يسندون إلى آلتهم خلقا و إنما ينسبون إليهم التدبير فقط، لأنه نسب إلى الله خلقا هو بعينه تدبير من غير انفكاك، فلو كان لآلتهم تدبير فى العالم كان لهم خلق ما يدبرون أمره و إذ ليس لهم خلق فليس لهم تدبير فلا إله إلا الله و لا رب غيره.

و قد سقت الآيه خطابا من النبى ص لأن نوع هذا الخطاب «فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» لا يستقيم من غيره (ص).

### (بحث روائى)

فى المجمع، "نزل قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» فى الضر بن الحارث بن علقمه بن كلده-بن عبد الدار بن قصى بن كلاب- كان يتجر فيخرج إلى فارس فيشترى أخبار الأعاجم-و يحدث بها قريشا و يقول لهم: إن محمدا يحدثكم بحديث عاد و ثمود-و أنا أحدثكم بحديث رستم و إسفنديار-و أخبار الأكاسره فيستمعون حديثه و يتركون استماع القرآن!" عن الكلبي.

أقول: و روى هذا المعنى فى الدر المنثور، عن البيهقى عن ابن عباس، و لا- يبعد أن يكون ذلك سبب نزول تمام السوره كما تقدمت الإشارة إليه.

و فى المعانى، بإسناده عن يحيى بن عباد عن أبي عبد الله (ع): قلت: قوله عز و جل: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» قال: منه الغناء.

أقول: و روى هذا المعنى فى الكافى، بإسناده عن مهرا ن عنه (ع)، و بإسناده عن الوشاء عن الرضا عنه (ع)، و بإسناده عن الحسن بن هارون عنه (ع).

و فى الكافى، بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال: سمعته يقول:

الغناء مما أوعد الله عليه النار و تلا هذه الآيه: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَهَا هُزُوًا- أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ».

و فيه، بإسناده عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر (ع) عن كسب المغنيات

فقال: التي يدخل عليها الرجال حرام-و التي تدعى إلى الأعراس ليس به بأس-و هو قول الله عز و جل: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ».

و في المجمع، و روى أبو أمامه عن النبي ص قال: لا يحل تعليم المغنيات و لا بيعهن و أثمانهن حرام-و قد نزل تصديق ذلك في كتاب الله: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» الآية:

أقول: و رواه في الدر المنثور، عن جم غفير من أصحاب الجوامع عن أبي أمامه عنه (ص).

و فيه، و روى عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: هو الطعن في الحق و الاستهزاء به و ما كان أبو جهل و أصحابه يجيئون به إذ قال: يا معاشر قريش-أ لا أطعمكم من الزقوم الذي يخوفكم به صاحبكم؟ ثم أرسل إلى زبد و تمر فقال: هذا هو الزقوم الذي يخوفكم به. قال: و منه الغناء.

و في الدر المنثور، أخرج ابن أبي الدنيا عن علي بن الحسين قال: ما قدست أمه فيها البربط.

و في تفسير القمي، في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر (ع): في قوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ-لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» فهو النضر بن الحارث بن علقمه بن كلده-من بني عبد الدار بن قصي، و كان النضر ذا روايه لأحاديث الناس و أشعارهم، يقول الله عز و جل: «وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَ لَّىٰ مُسْتَكْبِرًا» الآية.

و فيه، عن أبيه عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا (ع) قال: قلت له:

أخبرني عن قول الله تعالى: «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ» قال: هي محبوبه إلى الأرض و شبك بين أصابعه. فقلت: كيف تكون محبوبه إلى الأرض و الله يقول: «رَفَعَ السَّمَاءِ وَأْتِ بِغَيْرِ عَمَةٍ دِرَؤُنَهَا؟» فقال: سبحان الله أ ليس يقول: «بِغَيْرِ عَمَةٍ دِرَؤُنَهَا؟» فقلت: بلى. فقال: فثم عمد و لكن لا ترونها.

إشارة

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَصَبِّحْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتُهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَيَّ وَهْنٌ وَفَضَّلْتُهُ فِي عَامَتَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي سَمَاوَاتٍ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِصْبِرْ عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)

(بيان)

في الآيات إشارة إلى إتيان لقمان الحكمة ونبذه من حكمه و مواعظه لابنه و لم يذكر في القرآن إلا في هذه السورة و يناسب المورد من حيث مقابله قصته الممثلة حكمه و مواعظه لما قص من حديث من كان يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم و يتخذها هزوا.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ» الخ، الحكمة على ما يستفاد من موارد استعمالها هي المعرفة العلمية النافعة و هي وسط الاعتدال بين الجهل والجربة. وقوله: «أَنْ اشْكُرْ لِي» قيل: هو بتقدير القول أي و قلنا: أَنْ اشْكُرْ لِي .

و الظاهر أنه تفسير إتيائه الحكمة من غير تقدير القول، و ذلك أن حقيقة الشكر هي وضع النعم في موضعها الذي ينبغي له بحيث يشير إلى إنعام المنعم، و إيقاعه كما هو حقه يتوقف على معرفه المنعم و معرفه نعمه بما هي نعمه و كيفيه وضعها موضعه بحيث يحكى عن إنعامه فإيتاؤه الحكمة بعث له إلى الشكر فإيتاء الحكمة أمر بالشكر بالملازمه.

و في قوله: «أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ» التفات من التكلم مع الغير إلى الغيبه و ذلك أن التكلم مع الغير من المتكلم إظهار للعظمه بالتكلم عن قبل نفسه و خدمه و قول أن اشكر لنا على هذا لا يناسب التوحيد في الشكر و هو ظاهر.

و قوله: «وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» استغناء منه تعالى أن نفع الشكر إنما يرجع إلى نفس الشاكر و الكفر لا يتضرر به إلا نفسه دونه سبحانه و من يشكر فإنما يوقع الشكر لنفع نفسه و لا ينتفع به الله سبحانه لغناه المطلق و من كفر فإنما يتضرر به نفسه إن الله غنى لا يؤثر فيه الشكر نفعاً و لا ضراً حميد محمود على ما أنعم سواء شكر أو كفر.

و في التعبير عن الشكر بالمضارع الدال على الاستمرار و في الكفر بالماضى الدال على المره إشعار بأن الشكر إنما ينفع مع الاستمرار لكن الكفر يتضرر بالمره منه.

قوله تعالى: «وَ إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» عظمه كل عمل بعظمه أثره و عظمه المعصيه بعظمه المعصى فإن مؤاخذه العظيم عظيمه فأعظم المعاصى معصيه الله لعظمته و كبريائه فوق كل عظمه و كبرياء بأنه الله لا شريك له و أعظم معاصيه معصيته في أنه الله لا شريك له.

و قوله: «إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» حيث أطلق عظمته من غير تقييد بقياسه إلى سائر المعاصى يدل على أن له من العظمه ما لا يقدر بقدر.

قوله تعالى: «وَ وَصَّيْنَا الْأَبْنَانَ بِوَالِدَيْهِ» إلى آخر الآيه، اعتراض واقع بين الكلام المنقول عن لقمان و ليس من كلام لقمان و إنما اطردها هنا للدلاله على وجوب

شكر الوالدين كوجوب الشكر لله بل هو من شكره تعالى لانتهاهه إلى وصيته و أمره تعالى، فشكرهما عباده له تعالى و عبادته شكر.

و قوله: «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي الْعَامَيْنِ» ذكر بعض ما تحملته أمه من المحنة والأذى في حمله و تربيته ليكون داعيا له إلى شكرهما و خاصة الأم.

و الوهن الضعف و هو حال بمعنى ذات وهن أو مفعول مطلق و التقدير تهن وهنا على وهن، و الفصال الفطم و ترك الإرضاع، و معنى كون الفصال في عامين تحققه بتحقيق العامين فيثول إلى كون الإرضاع عامين، و إذا ضم إلى قوله تعالى: «وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا»، الأحقاف: ١٥ بقى لأقل الحمل ستة أشهر، و ستكرر الإشارة إليه فيما سيأتي (١).

و قوله: «أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لَوْلَا دَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ» تفسير لقوله: «وَ صَيَّنَا» إلخ، في أول الآيه أى كانت وصيتنا هو أمرنا بشكرهما كما أمرناه بشكر الله، و قوله: «إِلَيَّ الْمَصِيرُ» إنذار و تأكيد للأمر بالشكر.

و القول في الالتفات الواقع في الآيه في قوله: «أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لَوْلَا دَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ» إلخ، من سياق التكلم مع الغير إلى سياق التكلم وحده كالقول في الالتفات في قوله السابق: «أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ».

قوله تعالى: «وَ إِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ بِيٍّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا» إلى آخر الآيه. أى إن ألحا عليك بالمجاهده أن تجعل ما ليس لك علم به أو بحقيقته شريكا لى فلا تطعهما و لا تشرك بى، و المراد بكون الشريك المفروض لا علم به كونه معدوما مجهولا مطلقا لا يتعلق به علم فيثول المعنى: لا تشرك بى ما ليس بشىء، هذا محصل ما ذكره فى الكشف، و ربما أيدته قوله تعالى: «أَتَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ» يونس: ١٨.

و قيل: «تُشْرِكُ» بمعنى تكفر و «مَا» بمعنى الذى، و المعنى: و إن جاهداك أن تكفر بى كفر لا حجه لك به فلا تطعهما و يؤيده تكرار نفى السلطان على الشريك

ص: ٢١٦

فى كلامه تعالى كقوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ، يوسف: ٤٠ إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ﴾ الجملتان كالتلخيص و التوضيح لما تقدم فى الآيتين من الوصيه بهما و النهى عن إطاعتها إن جاهدا على الشرك بالله.

يقول سبحانه: يجب على الإنسان أن يصاحبهما فى الأمور الدنيوية غير الدين الذى هو سبيل الله صحابا معروفا و معاشره متعارفه غير منكروه من رعايه حالهما بالرفق و اللين من غير جفاء و خشونه و تحمل المشاق التى تلحقه من جهتهما فليست الدنيا إلا أياما معدوده متصرمه، و أما الوالدين فإن كانا ممن أناب إلى الله فلتتبع سبيلهما و إلا فسيل غيرهما ممن أناب إلى الله.

و من هنا يظهر أن فى قوله: ﴿وَ اتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ﴾ إيجازا لطيفا فهو يفيد أنهما لو كانا من المنيين إلى الله فلتتبع سبيلهما و إلا فلا يطاعا و لتتبع سبيل غيرهما ممن أناب إلى الله.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أى هذا الذى ذكر، تكليفكم فى الدنيا ثم ترجعون إلى يوم القيامة فأظهر لكم حقيقه أعمالكم التى عملتموها فى الدنيا فأقضى بينكم على حسب ما تقتضيه أعمالكم من خير أو شر.

و بما مر يظهر أن قوله: ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ يفيد أولا قصر المصاحبه بالمعروف فى الأمور الدنيوية دون الدينيه، و ثانيا: تهوين أمر الصحبه و أنها ليست إلا فى أيام قلائل فلا كثير ضير فى تحمل مشاق خدمتهما، و ثالثا المقابله ليوم الرجوع إلى الله المشار إليه بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ إلخ.

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمُ الصَّخْرَةَ آلَٰتٍ لِّكُلِّ قَوْمٍ مِّمَّا تَدْعُونَهُمْ فَاخْتَفَاؤْهَا بِالْآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَهَا وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّهَا حَصَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الخ، ذكروا أن الضمير فى «إِنَّهَا» للخير و الشر لدلاله السياق على ذلك و هو أيضا اسم كان و «مِثْقَالَ حَبَّةٍ» خبره، و المراد بكونها فى صخره اختفاؤها بالاستقرار فى جوف الصخره الصماء أو فى السماوات أو فى الأرض، و المراد بالآيات بها إحضارها للحساب و الجزاء.



كان الفصل السابق من كلامه المنقول راجعا إلى التوحيد و نفى الشريك و ما فى هذه الآيه فصل ثان فى المعاد و فيه حساب الأعمال، و المعنى: يا بنى إن تكن الخصلة التى عملت من خير أو شر أخف الأشياء و أدقها كمثل حبه من خردل فتكن تلك الخصلة الصغيره مستقره فى جوف صخره أو فى أى مكان من السماوات و الأرض يأت بها الله للحساب و الجزاء لأن الله لطيف ينفذ علمه فى أعماق الأشياء و يصل إلى كل خفى خبير يعلم كنه الموجودات.

قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ الآية و ما بعدها من كلامه راجع إلى نبذه من الأعمال و الأخلاق الفاضله.

فمن الأعمال الصلاه التى هى عمود الدين و يتلوها الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و من الأخلاق الصبر على ما يصيب من مصيبه.

و قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ الإشاره إلى الصبر و الإشاره البعيده للتعظيم و الترفيع و قول بعضهم: إن الإشاره إلى جميع ما تقدم من الصلاه و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الصبر ليس فى محله لتكرر عد الصبر من عزم الأمور فى كلامه تعالى كقوله: ﴿وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: الشورى: ٤٣ و قوله:

﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: آل عمران: ١٨٦.

و العزم -على ما ذكره الراغب- عقد القلب على إمضاء الأمر و كون الصبر- و هو حبس النفس فى الأمر- من العزم إنما هو من حيث إن العقد القلبي ما لم ينحل و ينفصم ثبت الإنسان على الأمر الذى عقد عليه فالصبر لازم الجد فى العقد و المحافظه عليه و هو من قدره النفس و شهامتها.

و قول بعضهم: إن المعنى أن ذلك من عزيمة الله و إيجابه فى الأمور بعيد و كذا قول بعضهم: إن العزم هو الجزم و هو لغه هذيل.

قوله تعالى: ﴿وَ لَا تُصَيِّرْ كَفْرًا لِلنَّاسِ وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ قال الراغب: الصعر ميل فى العنق و التصعير إمالته عن النظر كبرا قال: ﴿وَ لَا تُصَعِّرْ كَفْرًا لِلنَّاسِ﴾ و قال: المرح شده الفرح و التوسع فيه انتهى.

فالمعنى: لا تعرض بوجهك عن الناس تكبرا و لا تمش في الأرض مشيه من اشتد فرحه إن الله لا يحب كل من تأخذه الخيلاء-و هو التكبر بتخيل الفضيله-و أكثر من الفخر. و قال بعضهم إن معنى: « لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ » لا تلو عنقك لهم تذلا عند الحاجه و فيه أنه لا يلائمه ذيل الآيه.

قوله تعالى: « وَ أَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » القصد في الشيء الاعتدال فيه و الغض -على ما ذكره الراغب-النقصان من الطرف و الصوت فغض الصوت النقص و القصر فيه.

و المعنى: و خذ بالاعتدال في مشيك و بالنقص و القصر في صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير لمبالغتها في رفعه.

## (بحث روائي)

### إشارة

في الكافي، بإسناده عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول:

إن من الكبائر عقوق الوالدين-و اليأس من روح الله و الأمن من مكر الله

و قد روى:

أكبر الكبائر الشرك بالله.

و في الفقيه، في الحقوق المرويه عن سيد العابدين (ع):\* حق الله الأ-كبر عليك أن تعبده و لا تشرك به شيئا-فإذا فعلت ذلك بإخلاص-جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا و الآخرة.

قال: و أما حق أمك-أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحدا-و أعطتك من ثمره قلبها ما لا يعطى أحد أحدا-و وقتك بجميع جوارحها، و لم تبال أن تجوع و تطعمك، و تعطش و تسقيك، و تعرى و تكسوك، و تضحى و تظلك، و تهجر النوم لأجلك، و وقتك الحر و البرد لتكون لها-فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله و توفيقه.

و أما حق أبيك فأن تعلم أنه أصلك-فإنك لولاه لم تكن فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك-فاعلم أن أباك أصل النعمه عليك فيه-فاحمد الله و اشكره على قدر ذلك و لا قوه إلا بالله.

و في الكافي، بإسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (ع) قال: جاء رجل

إلى النبي ص- فقال: يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال:

أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أباك.

و في المناقب: مر الحسين بن علي (ع)- على عبد الرحمن بن عمرو بن العاص.

فقال عبد الله: من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء- فلينظر إلى هذا المجتاز و ما كلمته منذ ليالي صفين.

فأتى به أبو سعيد الخدرى إلى الحسين (ع)- فقال له الحسين (ع): أتعلم أنى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء- و تقاتلنى و أبى يوم صفين؟ و الله إن أبى لخير منى.

فاستعذر- و قال إن النبي ص قال لى: أطع أباك. فقال له الحسين (ع): أ ما سمعت قول الله عز و جل: «وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا»

و قال رسول الله ص: إنما الطاعة بالمعروف، و قوله: لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

و فى الفقيه، فى ألفاظه (ص) الموجزه: لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

و فى الكافى، بإسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر (ع) قال: سمعته يقول: اتقوا المحقرات من الذنوب فإن لها طالبا، يقول أحدكم أذنب و أستغفر إن الله عز و جل يقول: «وَ نَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَرَهُمْ- وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ- و قال عز و جل: «إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ- يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ».

و فيه، بإسناده إلى معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم- و أحب ذلك إلى الله عز و جل- فقال: ما أعلم شيئا بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة. الحديث.

و فيه، بإسناده عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الرضا (ع) أنه قال: الصلاة قربان كل تقى.

و فى المجمع: «وَ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ» من المشقه و الأذى- فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر: عن على (ع).

و فيه: فى قوله تعالى: «وَ لَا تُصَيِّرْ كُفْرًا لِلنَّاسِ» أى و لا تمل و جهك من الناس بكل- و لا تعرض عنك استخفافا به، و هذا المعنى قول ابن عباس و أبى عبد الله (ع).

و فى الدر المنثور، أخرج الطبرانى و ابن عدى و ابن مردويه عن أبى أيوب الأنصارى: أن رسول الله ص سئل عن قول الله: «وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ» قال:

إلى الشدق.

و فى المجمع، فى قوله تعالى: «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ»: و

روى عن أبى عبد الله (ع) قال: هى العطسه المرتفعه القبيحه- و الرجل يرفع صوته بالحديث رفعا قبيحا- إلا أن يكون داعيا أو يقرأ القرآن.

أقول: و فى جميع هذه المعانى و خاصه فى العقوق روايات كثيره متظافره.

### (كلام فى قصة لقمان و نبذ من حكمه، فى فصلين)

١- لم يرد اسم لقمان فى كلامه تعالى إلا فى سورة لقمان و لم يذكر من قصصه إلا ما فى قوله عز من قائل: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ» و قد وردت فى قصته و حكمه روايات كثيره مختلفه و نحن نورد بعض ما كان منها أقرب إلى الاعتبار.

فى الكافى، عن بعض أصحابنا رفعه إلى هشام بن الحكم قال: قال لى أبو الحسن موسى بن جعفر (ع): يا هشام- إن الله قال: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ» قال:

الفهم و العقل.

و فى المجمع، روى نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ص يقول: حقا أقول لم يكن لقمان نبيا- و لكن كان عبدا كثير التفكير حسن اليقين- أحب الله فأحبه و من عليه بالحكمه-.

كان نائما نصف النهار إذ جاءه نداء: يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفه فى الأرض- تحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت إن خيرنى ربى قبلت العافيه- و لم أقبل البلاء و إن هو عزم على فسمعا و طاعه- فيانى أعلم أنه إن فعل بى ذلك أعاننى و عصمنى.

فقلت الملائكه بصوت لا يراهم: لم يا لقمان؟ قال: لأن الحكم أشد المنازل و أكدها- يغشاها الظلم من كل مكان إن وفى فبالحرى أن ينجو، و إن أخطأ أخطأ طريق الجنه، و من يكن فى الدنيا ذليلا و فى الآخره شريفا خيرا- من أن يكون فى الدنيا شريفا و فى الآخره ذليلا- و من تخير الدنيا على الآخره تفته الدنيا و لا يصيب الآخره.

ف عجبت الملائكة من حسن منطقه-فنام نومه فأعطى الحكمة فانتبه يتكلم بها-ثم كان يوازر داود بحكمته فقال له داود:طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة و صرفت عنك البلوى.

و فى الدر المشهور،أخرج ابن مردويه عن أبى هريره قال:قال رسول الله ص:

أ تدرؤن ما كان لقمان؟قالوا:الله و رسوله أعلم.قال:كان حبشيا.

٢-و فى تفسير القمى، بإسناده عن حماد قال: سألت أبا عبد الله(ع)-عن لقمان و حكمته التى ذكرها الله عز و جل،فقال:أما و الله ما أوتى لقمان الحكمة-بحسب و لا مال و لا أهل و لا بسط فى جسم و لا جمال.

و لكنه كان رجلا قويا فى أمر الله-متورعا فى الله ساكتا مستكينا-عميق النظر طويل الفكر حديد النظر- مستغن بالعبر لم ينم نهارا قط-و لم يره أحد من الناس على بول و لا غائط-و لا اغتسال لشده تستره و عموق نظره-و تحفظه فى أمره،و لم يضحك من شىء قط مخافه الإثم-و لم يغضب قط،و لم يمازح إنسانا قط،و لم يفرح بشىء أتاه من أمر الدنيا-و لا حزن منها على شىء قط- و قد نكح من النساء و ولد له من الأولاد الكثير و قدم أكثرهم أفرطا فما بكى على موت أحد منهم.

و لم يمر برجلين يختصمان أو يقتتلان إلا أصلح بينهما-و لم يمض عنهما حتى تحابا، و لم يسمع قولا قط من أحد استحسنة-إلا سأل عن تفسيره و عمن أخذه،و كان يكثر مجالسه الفقهاء و الحكماء،و كان يغشى القضاء و الملوك و السلاطين-فيرثى للقضاء مما ابتلوا به،و يرحم الملوك و السلاطين لغرتهم بالله و طمأنينتهم فى ذلك،و يعتبر و يتعلم ما يغلب به نفسه و يجاهد به هواه-و يحترز به من الشيطان يداوى قلبه بالفكر-و يداوى نفسه بالعبر،و كان لا- يظعن إلا- فيما يعنيه-فبذلك أوتى الحكمة و منح العصمه.

و إن الله تبارك و تعالى أمر طوائف من الملائكة-حين انتصف النهار و هدأت العيون بالقائله-فنادوا لقمان حيث يسمع و لا يراهم فقالوا:يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفه فى الأرض تحكم بين الناس؟فقال لقمان:إن أمرنى الله بذلك فالسمع و الطاعة- لأنه إن فعل ذلك أعاننى عليه و علمنى و عصمنى-و إن هو خيرنى قبلت العافيه.مفقال الملائكة:يا لقمان لم؟قال:لأن الحكم بين الناس بأشد المنازل-و أكثر

فتنا و بلاء يخذل و لا- يعان و يغشاه الظلم من كل مكان-و صاحبه فيه بين أمرين إن أصاب فيه الحق-فبالحرى أن يسلم و إن أخطأ أخطأ طريق الجنة،و من يكن في الدنيا ذليلاً ضعيفاً كان أهون عليه في المعاد-من أن يكون حكماً سرياً شريفاً،و من اختار الدنيا على الآخرة يخسرهما كليهما-تزول هذه و لا تدرك تلك.

قال:فتعجب الملائكة من حكمته-و استحسّن الرحمن منطقته-فلما أمسى و أخذ مضجعه من الليل-أنزل الله عليه الحكمه فغشاه بها من قرنه إلى قدمه-و هو نائم و غطاه بالحكمه غطاء فاستيقظ-و هو أحكم الناس في زمانه،و خرج على الناس ينطق بالحكمه و يبثها فيها.

قال:فلما أوتى الحكم بالخلافه و لم يقبلها-أمر الله عز و جل الملائكة فنادت داود بالخلافه فقبلها-و لم يشترط فيها بشرط لقمان-فأعطاه الله عز و جل الخلافه في الأرض و ابتلى بها غير مره كل ذلك يهوى في الخطأ-يقيله الله و يغفر له،و كان لقمان يكثر زياره داود(ع)-و يعظه بمواعظه و حكمته و فضل علمه،و كان داود يقول له:طوبى لك يا لقمان-أوتيت الحكمه و صرفت عنك البليه-و أعطى داود الخلافه و ابتلى بالحكم و الفتنة.

ثم قال أبو عبد الله(ع)في قول الله عز و جل: «وَ إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ »قال:فوعظ لقمان ابنه بآثار (1)حتى تفطر و انشق.

و كان فيما وعظه به يا حماد أن قال:يا بنى إنك منذ سقطت إلى الدنيا استدبرتها و استقبلت الآخرة فدار أنت إليها تسير أقرب إليك من دار أنت عنها متباعدا.يا بنى جالس العلماء و زاحمهم بركبتك و لا تجادلهم فيمنعوك،و خذ من الدنيا بلاغا و لا ترفضها-فتكون عيالا على الناس،و لا تدخل فيها دخولا يضر بآخرتك،و صم صوما يقطع شهوتك-و لا تصم صياما يمنعك من الصلاة-فإن الصلاة أحب إلى الله من الصيام.

يا بنى:إن الدنيا بحر عميق قد هلك فيها عالم كثير-فاجعل سفينتك فيها الإيمان و اجعل شراعها التوكل،و اجعل زادك فيها تقوى الله-فإن نجوت فبرحمه الله و إن

ص: ٢٢٣

(١- ١) بآثار ابنه و التفطر و الانشقاق كناية عن كمال التأثر.

هلكت فيذنوبك.

يا بني: إن تأدبت صغيرا انتفعت به كبيرا-و من عنى بالأدب اهتم به،و من اهتم به تكلف علمه و من تكلف علمه اشتد له طلبه-و من اشتد له طلبه أدرك منفعته فاتخذة عادة-فإنك تخلف في سلفك و ينتفع به من خلفك-و يرتجيك فيه راغب و يخشى صولتك راهب،و إياك و الكسل عنه بالطلب لغيره-فإن غلبت على الدنيا فلا- تغلبن على الآخرة و إذا فاتك طلب العلم في مظانه-فقد غلبت على الآخرة-و اجعل في أيامك و لياليك و ساعاتك نصيبا في طلب العلم-فإنك لن تجد له تضييعا أشد من تركه-و لا- تمارين فيه لجوجا-و لا- تجادلن فقيها و لا تعادين سلطانا،و لا تماشين ظلوما و لا تصادقنه-و لا تؤاخين فاسقا و لا تصاحبن متهما-و اخزن علمك كما تخزن ورقك.

يا بني: خف الله عز و جل خوفا-لو أتيت القيامة ببر الثقلين خفت أن يعذبك و ارج الله رجاء-لو وافيت القيامة بإثم الثقلين رجوت أن يغفر الله لك.

فقال له ابنه: يا أبت-كيف أطيق هذا و إنما لي قلب واحد؟فقال له لقمان:

يا بني: لو استخرج قلب المؤمن يوجد فيه نوران-نور للخوف و نور للرجاء-لو وزنا لما رجع أحدهما على الآخر بمثقال ذره-فمن يؤمن بالله يصدق ما قال الله عز و جل-و من يصدق ما قال الله يفعل ما أمر الله،و من لم يفعل ما أمر الله لم يصدق ما قال الله-فإن هذه الأخلاق يشهد بعضها لبعض.

فمن يؤمن بالله إيمانا صادقا يعمل لله خالصا ناصحا-و من يعمل لله خالصا ناصحا فقد آمن بالله صادقا-و من أطاع الله خافه،و من خافه فقد أحبه،و من أحبه فقد اتبع أمره-و من اتبع أمره استوجب جنته و مرضاته،و من لم يتبع رضوان الله فقد هان عليه سخطه-نعوذ بالله من سخط الله.

يا بني: لا- تركز إلى الدنيا و لا- تشغل قلبك بها-فما خلق الله خلقا هو أهون عليه منها-ألا- ترى أنه لم يجعل نعيمها ثواب المطيعين-و لم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين.

و في قرب الإسناد:،هارون عن ابن صدقه عن جعفر عن أبيه(ع): قيل للقمان:

ما الذي أجمعت عليه من حكمتك؟قال: لا أتكلف ما قد كفيته و لا أضيع ما وليته. -

و في البحار،عن قصص الأنبياء بإسناده عن جابر عن أبي جعفر(ع)قال: كان

فيما وعظ به لقمان ابنه أن قال: يا بني: إن تك في شك من الموت-فارفع عن نفسك النوم و لن تستطيع ذلك-و إن كنت في شك من البعث-فارفع عن نفسك الانتباه و لن تستطيع ذلك-فإنك إذا فكرت في هذا-علمت أن نفسك بيد غيرك-و إنما النوم بمنزله الموت-و إنما اليقظه بعد النوم بمنزله البعث بعد الموت،و قال:قال لقمان لابنه:يا بني لا تقترب فيكون أبعد لك و لا تبعد فتهان،كل دابه تحب مثلها و ابن آدم (١)لا يحب مثله.لا تنشر (٢)بزك إلا-عند باغيه،و كما ليس بين الكيش و الذئب خله،كذلك ليس بين البار و الفاجر خله،من يقترب من الزفت تعلق به بعضه-كذلك من يشارك الفاجر يتعلم من طرفه،من يحب المرء يشتم،و من يدخل مدخل السوء يتهم،و من يقارن قرين السوء لا يسلم،و من لا يملك لسانه يندم.

و قال يا بني صاحب مائه و لا تعاد واحدا،يا بني إنما هو خلاقك و خلقك فخالقك دينك و خلقك بينك و بين الناس-فلا تبغضن إليهم و تعلم محاسن الأخلاق.

يا بني كن عبدا للأخيار و لا تكن ولدا للأشرار.يا بني أد الأمانه تسلم دنياك و آخرتك-و كن أمينا فإن الله لا يحب الخائنين.يا بني لا تر الناس أنك تخشى الله و قلبك فاجر.

و في الكافي،بإسناده عن يحيى بن عقبة الأزدي عن أبي عبد الله(ع) قال: كان فيما وعظ به لقمان لابنه-يا بني إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم-فلم يبق ما جمعوا و لم يبق من جمعوا له،و إنما أنت عبد مستأجر-قد أمرت بعمل و وعدت عليه أجر- فأوف عملك و استوف أجرك،و لا تكن في هذه الدنيا بمنزله شاه-وقعت في زرع أخضر فأكلت حتى سمت-فكان حتفها عند سمنها،و لكن اجعل الدنيا بمنزله قنطره على نهر جزت عليها فتركتها-و لم ترجع إليها آخر الدهر أخربها-و لا تعمرها فإنك لم تؤمر بعمارتها.

و اعلم أنك ستسأل غدا-إذا وقفت بين يدي الله عز و جل عن أربع:شبابك فيما

ص: ٢٢٥

١-١) أى أن ابن آدم لا يجب أن يكافيه غيره في مزيه من المزايا

٢-٢) أى لا تظهر متاعك إلا عند طالبه.



أبليته، و عمرك فيما أفنيت، و مالك مما اكتسبته و فيما أنفقت، فتأهب لذلك و أعد له جواباً - و لا تأس على ما فاتك من الدنيا - فإن قليل الدنيا لا يدوم بقاءه - و كثيرها لا يؤمن بلاؤه فخذ حذرَكَ، و جد في أمرَكَ، و اكشف الغطاء عن وجهك، و تعرض لمعروف ربك، و جدد التوبه في قلبك، و أكمش في فراقك قبل أن يقصد قصدك، و يقضى قضاؤك، و يحال بينك و بين ما تريد.

و في البحار، عن القصص بإسناده عن حماد عن الصادق (ع) قال: قال لقمان:

يا بنى إياك و الضجر و سوء الخلق و قله الصبر - فلا يستقيم على هذه الخصال صاحب، و ألزم نفسك التؤده (١) في أمورك - و صبر على مئونات الإخوان نفسك، و حسن مع جميع الناس خلقك.

يا بنى إن عدمك ما تصل به قرابتك - و تفضل به على إخوانك - فلا يعدمنك حسن الخلق و بسط البشر - فإن من أحسن خلقه أحبه الأختيار و جانبه الفجار، و اقع بقسم الله ليصفو عيشك - فإن أردت أن تجمع عز الدنيا - فاقطع طمعك مما في أيدي الناس - فإنما بلغ الأنبياء و الصديقون ما بلغوا بقطع طمعهم.

أقول: و الأخبار في مواعظه كثيره اكتفينا منها بما أوردناه إثارة للاختصار.

## [سوره لقمان (٣١): الآيات ٢٠ الى ٣٤]

### إشارة

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَحَدَّثَنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١) وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ (٢٤) وَلَئِنَّ سَاءَ أَلْتُهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنْفُسًا وَّاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهم مَوْجٌ كَالظُّلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ الْوَالِدِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)

---

١-١) التؤده-بضم التاء كهمزه-السكون و الرزانه.



رجوع إلى ما قبل القصة من آيات الوجدانية و نفى الشريك و أدلتها المنتهية إلى قوله: «هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً» رجوع إلى ما قبل قصة لقمان و هو الدليل على أن الخطاب للمشركين و إن كان ذيل الآية يشعر بعموم الخطاب.

و عليه فصدر الآية من تنمة كلام النبي ص و يتصل بقوله: «هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» و لا التفات في قوله: «أَلَمْ تَرَوْا».

و على تقدير كونه من كلامه تعالى ففي قوله: «أَلَمْ تَرَوْا» التفات من سياق الغيبة الذى فى قوله: «بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» إلى الخطاب، و الالتفات فى مثل هذه الموارد يكون لاشتداد وجد المتكلم و تأكيد غيظه من جهل المخاطبين و تماديهم فى غيهم بحيث لا- ينفعهم دلاله و لا- ينجح فيهم إشاره فيواجهون بذكر ما هو بمرأى منهم و مسمع لعلهم يتنبهوا عن نومتهم و ينتزعوا عن غفلتهم.

و كيف كان فالمراد بتسخير السماوات و الأرض للإنسان و هم يرون ذلك ما نشاهده من ارتباط أجزاء الكون بعضها ببعض فى نظام عام يدبر أمر العالم عامه و الإنسان خاصه لكونه أشرف أجزاء هذا العالم المحسوس بما فيه من الشعور و الإرادة فقد سخر الله الكون لأجله.

والتسخير قهر الفاعل في فعله بحيث يفعله على ما يستدعيه القاهر ويريده كتسخير الكاتب القلم للكتابة و كما يسخر المولى عبده و المخدوم خادمه في أن يفعل باختياره وإرادته ما يختاره و يريده المولى و المخدوم و الأسباب الكونية كائنه ما كانت تفعل بسببيتها الخاصه ما يريده الله من نظام يدبر به العالم الإنساني.

و مما مر يظهر أن اللام في «لَكُمْ» للتعليل الغائي و المعنى لأجلكم و المسخر بالكسر هو الله تعالى دون الإنسان، و ربما احتمال كون اللام للملك و المسخر بالكسر هو الإنسان بمشيئه من الله تعالى كما يشاهد من تقدم الإنسان بمرور الزمان في تسخير أجزاء الكون و استخدامه لها في سبيل مقاصده لكن لا يلائمه تصدير الكلام بقوله: «أَلَمْ تَرَوْا».

و قوله: «وَ أَشَبَّحَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً» الإسباغ الإتمام و الإيساع أى أتم و أوسع عليكم نعمه، و النعم جمع نعمه و هو في الأصل بناء النوع و غلب عليه استعماله في ما يلائم الإنسان فيستلذ منه، و المراد بالنعم الظاهره و الباطنه بناء على كون الخطاب للمشركين النعم الظاهره للحس كالسمع و البصر و سائر الجوارح و الصحه و العافيه و الطيبات من الرزق و النعم الغائبه عن الحس كالشعور و الإراده و العقل.

و بناء على عموم الخطاب لجميع الناس الظاهره من النعم هى ما ظهر للحس كما تقدم و كالدين الذى به ينتظم أمور دنياهم و آخرتهم و الباطنه منها كما تقدم و كالمقامات المعنويه التى تنال بإخلاص العمل.

و قوله: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدًى وَ لَا كِتَابٍ مُنِيرٍ» رجوع الخطاب إلى النبى ص على ما كان فى السياق السابق، و المجادله المخاصمه النظرية بطريق المغالبه، و المقابله بين العلم و الهدى و الكتاب تلوح بأن المراد بالعلم ما هو مكتسب من حجه عقلية، و بالهدى ما يفيضه الله بالوحى أو الإلهام، و بالكتاب الكتاب السماوى المنتهى إليه تعالى بالوحى النبوى و لذلك وصفه بالمنير فهذه طرق ثلاث من العلم لا رابع لها.

فمعنى قوله: يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ كَذَا وَ كَذَا أنه يجادل فى وحدانيته تعالى فى الربوبية و الألوهية بغير حجه يصح الركون إليها بل عن تقليد.

قوله تعالى: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

«إلخ، ضمائر الجمع راجعه إلى « مِنْ » باعتبار المعنى كما أن ضمير الأفراد في الآية السابقة راجع إليه باعتبار اللفظ.

وقوله: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» في التعبير بما أنزل الله من غير أن يقال: اتبعوا الكتاب أو القرآن إشارة إلى كون الدعوه دعوه ذات حجه لا تحكم فيها لأن نزول الكتاب مؤيد بحجه النبوه فكأنه قيل: و إذا دعوا إلى دين التوحيد الذى يدل عليه الكتاب المقطوع بنزوله من عند الله سبحانه، و بعبارة أخرى إذا ألقى إليهم القول مع الحجه قابله بالتحكم من غير حجه فقالوا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا.

وقوله: «أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ» أى أ يتبعون آباءهم و لو كان الشيطان يدعوهم بهذا الاتباع إلى عذاب السعير؟ فالاستفهام للإنكار و لو وصله معطوفه على محذوف مثلها و التقدير أ يتبعونهم لو لم يدعهم الشيطان و لو دعاهم.

و محصل الكلام: أن الاتباع إنما يحسن إذا كانوا على الحق و أما لو كانوا على الباطل و كان اتباعا يدعوهم به إلى الشقاء و عذاب السعير و هو كذلك فإنه اتباع فى عباده غير الله و لا معبود غيره.

قوله تعالى: «وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» استئناف و يحتمل أن يكون حالا من مفعول «يَدْعُوهُمْ» و فى معنى الجملة الحالية ضمير عائد إليهم، و المعنى: أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى كذا و الحال أن من أسلم وجهه إلى الله كذا فقد نجا و أفلح و الحال أن عاقبه الأمور ترجع إلى الله فيجب أن يكون هو المعبود.

و إسلام الوجه إلى الله تسليمه له و هو إقبال الإنسان بكليته عليه بالعباده و إعراضه عن سواه. و الإحسان الإتيان بالأعمال الصالحة عن إيقان بالآخره كما فسره به فى أول السوره «هُدًى وَ رَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» و العروه الوثقى المستمسك الذى لا انفصام له.

و المعنى: و من وحد الله و عمل صالحا مع اليقين بالمعاد فهو ناج غير هالك البتة فى عاقبه أمره لأنها إلى الله و هو الذى يعده بالنجاه و الفلاح.

و من هنا يظهر أن قوله: «وَ إِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» فى مقام التعليل لقوله:

« فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ » بما أنه استعاره تمثليه عن النجاه و الفلاح.

قوله تعالى: « وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ -إلى قوله- إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ » تسليه للنبي ص و تطيب لنفسه أن لا يغلبه الحزن و هم بالآخرة راجعون إليه تعالى فينبؤهم بما عملوا أى يظهر لهم حقيقه أعمالهم و تبعاتها و هى النار.

و قوله: « نُمَتَّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّ طَرْهُمَ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ » كشف عن حقيقه حالهم بيان آخر فإن البيان السابق « إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا » ربما أوهم أنهم ما داموا متنعمين فى الدنيا خارجون من قدره الله ثم إذا ماتوا أو بعثوا دخلوا فيما خرجوا منه فانتقم منهم بالعذاب جىء بهذا البيان للدلاله على أنهم غير خارجين من التدبير قط و إنما يمتنعهم فى الدنيا قليلا ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ فهم مغلوبون مهجورون على كل حال و أمرهم إلى الله دائما لن يعجزوا الله فى حال التنعم و لا غيرها.

قوله تعالى: « وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ يَلِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » إشاره إلى أنهم مفطورون على التوحيد معترفون به من حيث لا يشعرون، فإنهم إن سئلوا عن خلق السماوات و الأرض اعترفوا بأنه الله عز اسمه و إذا كان الخالق هو هو فالمدبر لها هو هو لأن التدبير لا ينفك عن الخلق، و إذا كان مدبر الأمر و المنعم الذى ييسط و يقبض و يرجى و يخاف هو فالمعبود هو هو وحده لا شريك له فقد اعترفوا بالوحده من حيث لا يعلمون.

و لذلك أمره (ص) أن يحمد الله على اعترافهم من حيث لا يشعرون فقال: « قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ » ثم أشار إلى أن كون أكثرهم لا يعلمون معنى اعترافهم أن الله هو الخالق و ما يستلزمه فقال: « بَلِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » نعم قليل منهم يعلمون ذلك و لكنهم لا يطاوعون الحق بل يجحدونه و قد أيقنوا به كما قال تعالى: « وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ »: النمل: ١٤.

قوله تعالى: « لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » لما كان اعترافهم بأن الخالق هو الله سبحانه إنما يثبت التوحد بالربوبيه و الألوهيه إذا كان التدبير و التصرف إليه تعالى و كان نفس الخلق كافيا فى استلزامه اكتفى به فى تمام الحججه و استحمد النبي ص و استجهل القوم لغفلتهم.

ثم احتج عليه ثانيا من طريق انحصار الملك الحقيقي فيه تعالى لكونه غنيا محمودا مطلقا و تقريره أنه تعالى مبدئ كل خلق و معطى كل كمال فهو واجد لكل ما يحتاج إليه الأشياء فهو غنى على الإطلاق إذ لو لم يكن غنيا من جهه من الجهات لم يكن مبدئا له معطيا لكماله هذا خلف، و إذا كان غنيا على الإطلاق كان له ما فى السماوات و الأرض فهو المالك لكل شىء على الإطلاق فله أن يتصرف فيها كيف شاء فكل تدبير و تصرف يقع فى العالم فهو له إذ لو كان شىء من التدبير لغيره لا له كان مالكة ذلك الغير دونه و إذا كان التدبير و التصرف له تعالى فهو رب العالمين و الإله الذى يعبد و يشكر إنعامه و إحسانه.

و هذا هو الذى يشير إليه قوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ فقوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي﴾ الخ، حجه على وحدانيته و قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ تعليل للملك.

و أما قوله: ﴿الْحَمِيدُ﴾ أى المحمود فى أفعاله فهو مبدأ آخر للحجه و ذلك أن الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى و كل جميل فى العالم فهو له سبحانه فإليه يعود الثناء فيه فهو حميد على الإطلاق و لو كان شىء من هذا التدبير المتقن الجميل من غيره تعالى من غير انتساب إليه لكان الحمد و الثناء لغيره تعالى لا له فلا يكون حميدا على الإطلاق و بالنسبه إلى كل شىء و قد فرض أنه حميد على الإطلاق هذا خلف.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ الخ، «مِنْ شَجَرَةٍ» بيان للموصول و الشجره واحد الشجر و تفيد فى المقام—هى فى سياق «لَوْ» الاستغراق أى كل شجره فى الأرض، و المراد بالبحر مطلق البحر، و قوله: ﴿يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ أى يعينه بالانضياف إليه سبعة أمثاله و الظاهر أن المراد بالسبعه التكثير دون خصوص هذا العدد و الكلمه هى اللفظ الدال على معنى، و قد أطلق فى كلامه تعالى على الوجود المفاض بأمره تعالى، و قد قال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: يس: ٨٢ و قد أطلق على المسيح (ع) الكلمه فى قوله: ﴿وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ النساء: ١٧١.

فالمعنى: و لو جعل أشجار الأرض أقلاما و أخذ البحر و أضيف إليه سبعة أمثاله و جعل المجموع مدادا فكتب كلمات الله— بتبديلها ألفاظا داله عليها—بتلك



الأقلام من ذلك المداد لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات الله لكونها غير متناهية.

و من هنا يظهر أن فى الكلام إجازا بالحذف و أن قوله: «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» فى مقام التعليل، و المعنى: لأنه تعالى عزيز لا يعزه و لا يقهره شىء فهذه الكتابه لا ينفد بها ما هو من عنده حكيم لا يفوض التدبير إلى غيره.

و الآيه متصله بما قبلها من حيث دلالتة على كون تدبير الخلق له سبحانه لا لغيره فسيقت هذه الآيه للدلاله على سعة تدبيره و كثره أوامره التكوينية فى الخلق و التدبير إلى حيث ينفد البحر الممدود بسبعة أمثاله لو جعل مدادا و كتبت به أشجار الأرض المجعوله أقلاما قبل أن ينفد أوامره و كلماته.

قوله تعالى: «مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» سوق للكلام إلى إمكان الحشر و خاصه من جهه استبعادهم المعاد لكثره عدد الموتى و اختلاطهم بالأرض من غير تميز بعضهم من بعض.

فقال تعالى: «مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ» فى الإمكان و التأتى فإنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن و لا يعجزه كثره و لا يتفاوت بالنسبه إليه الواحد و الجمع، و ذكر الخلق مع البعث للدلاله على عدم الفرق بين البدء و العود من حيث السهوله و الصعوبه بل لا يتصف فعله بالسهوله و الصعوبه.

و يشهد لما ذكر إضافه الخلق و البعث إلى ضمير الجمع المخاطب و المراد به الناس ثم تنظيره بالنفس الواحده، و المعنى: ليس خلقكم معاشر الناس على كثرتمكم و لا بعثكم إلا كخلق نفس واحد و بعثها فأنتم على كثرتمكم و النفس الواحده سواء لأنه لو أشكل عليه بعث الجميع على كثرتهم و البعث لجزاء الأعمال فإنما يشكل من جهه الجهل بمختلف أعمالكم على كثرتها و اختلاط بعضها ببعض لكنه ليس يجهل شيئا منها لأنه سميع لأقوالكم بصير بأعمالكم و بعباره أخرى عليم بأعمالكم من طريق المشاهده.

و بما مر يندفع الاعتراض على الآيه بأن المناسب لتعليل كون خلق الكثير و بعثهم كنفس واحد أن يعلل بمثل قولنا: إن الله على كل شىء قدير أو قوى عزيز أو ما يشبه ذلك لا بمثل السميع البصير الذى لا ارتباط له بالخلق و البعث.

و ذلك أن الإشكال الذى تعرضت الآيه لدفعه هو أن البعث لجزاء الأعمال و هى

على كثرتها واندماج بعضها في بعض كيف تتميز حتى تجزى عليها فالإشكال متوجه إلى ما ذكره قبل ثلاث آيات بقوله: «فَنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» وقد أوجب بأنه كيف يخفى عليه شيء من الأقوال والأعمال وهو سميع بصير لا يشد عن مشاهدته قول ولا فعل.

وقد كان ذيل قوله السابق: «فَنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» بقوله: «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» وهو مبني على أن الجزاء على حسب ما يحمله القلب من الحسنه والسيئه كما يشير إليه قوله: «وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ»، البقره: ٢٨٤ و جواب عن هذا الإشكال لو وجه إلى ما تحمله القلوب على كثرتة فيجاب عنه أن الله عليم بذات الصدور و لو وجه إلى نفس الأعمال الخارجيه من الأقوال والأفعال فالجواب عنه بما في هذه الآيه التي نحن فيها: «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ»، فالإشكال و الجواب بوجه نظير ما وقع في قوله تعالى: «قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ قَالَ عَلَّمَهُمَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ» طه: ٥٢، فافهم.

وقد أجابوا عن الاعتراض بأجوبه أخرى غير تامه من أراد الوقوف عليها فليراجع المطولات.

قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِخُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُرْسِخُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى» إلخ، استشهاد لما تقدم في الآيه السابقه من علمه بالأعمال بأن التدبير الجارى فى نظام الليل و النهار حيث يزيد هذا و ينقص ذاك و بالعكس بحسب الفصول المختلفه و بقاع الأرض المتفرقه فى نظم ثابت جار على اختلافه، و كذا التدبير الجارى فى الشمس و القمر على اختلاف طلوعهما و غروبهما و اختلاف جريانهما و مسيرهما بحسب الحس و كل منهما يجرى لأجل مسمى و لا اختلاف و لا تشوش فى النظام الدقيق الذى لهما فهذا كله مما يمتنع من غير علم و خبره من مدبرها.

فالمراد بإيلاج الليل فى النهار أخذ الليل فى الطول و إشغاله بعض ساعات النهار من قبل و بإيلاج النهار فى الليل عكس ذلك، و المراد بجريان الشمس و القمر المسخرين إلى أجل مسمى انتهاء كل وضع من أوضاعهما إلى وقت محدود مقدر ثم عودهما إلى بدء فمن شاهد هذا النظام الدقيق الجارى و أمعن فيه لم يشك فى أن مدبره إنما يدبره عن علم لا يخالطه جهل و ليس ذلك عن صدفه و اتفاق.

وقوله: «وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» عطف على موضع «أَنَّ اللَّهَ يُورِثُ» والتقدير أ لم تر أن الله بما تعملون خبير و ذلك لأن من شاهد نظام الليل و النهار و الشمس و القمر لم يكذب يغفل عن كون صانعه عليما بجلائل أعماله و دقائقها، كذا قيل.

و فيه أن استنتاج العلم بالأعمال من العلم بالنظام الجارى فى الليل و النهار و الشمس و القمر و إن صح فى نفسه فهو علم حدسى لا مصحح لتسميتها رؤيه و هو ظاهر.

و لعل المراد من مشاهدته خبرته تعالى بالأعمال أن الإنسان لو أمعن فى النظام الجارى فى أعمال نفسه بما أنها صادرة عن العالم الإنسانى موزعه من جهه إلى الأعمال الصادرة عن القوى الظاهره من سمع و بصر و شم و ذوق و لمس و الصادرة عن القوى الباطنه المدركه أو الفعاله أو من جهه إلى بعض القوى و الأدوات أو كلها و من جهه إلى جاذبه و دافعه و من جهه إلى سنى العمر من طفوليه و رهاق و شباب و شيب إلى غير ذلك.

ثم فى ارتباط بعضها ببعض و استخدام بعضها لبعض و اهتداء النفس إلى وضع كل فى موضعه الذى يليق به و حركته بهذه القافله من القوى و الأعمال نحو غايتها من الكمال و سعادتها فى المال و تورطها فى ورطات عالم الماده و موطن الزينه و الفتنة فمن ناج أو هالك.

فإذا أمعن فى هذا النظام المحير للأحلام لم يرتب أنه تقدير قدره ربه و نظام نظمه صانعه العليم التقدير و مشاهدته هذا النظام العلمى العجيب مشاهدته أنه بما يعملون خبير، و الله العالم.

قوله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» لما ذكر سبحانه أن منه بدء كل شىء فيستند إليه فى وجوده و تدبير أمره و أن إليه عود كل شىء من غير فرق بين الواحد و الكثير و أنه ليس إلى من يدعون من دونه خلق و لا أمر جمع الجميع تحت بيان واحد جامع فقال مشيراً إلى ما تقدم:

«ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ» إلخ.

توضيحه أن الحق هو الثابت من جهه ثبوته و الباطل يقابل الحق فهو اللاتابت من جهه عدم ثبوته، وقوله: «بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» بما فيه من ضمير الفصل و تعريف

الخبر باللام يفيد القصر أعنى حصر المبتدأ في الخبر.

□  
ف قوله: «بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» قصر له تعالى في الثبوت، أى هو ثابت لا يشوب ثبوته بطلان و بعباره أخرى هو ثابت من جميع الجهات و بعباره ثالثه هو موجود على كل تقدير فوجوده مطلق غير مقيد بقيد و لا مشروط بشرط فوجوده ضرورى و عدمه ممتنع و غيره من الموجودات الممكنه موجود على تقدير و هو تقدير وجود سببه و هو الوجود المقيد الذى يوجد بغيره من غير ضروره فى ذاته.

و إذا كان حقيه الشىء هو ثبوته فهو تعالى حق بذاته و غيره إنما يحق و يتحقق به.

و إذا تأملت هذا المعنى حق تأمله وجدت أولاً: أن الأشياء بأجمعها تستند فى وجودها إليه تعالى و أيضاً تستند فى النظام الجارى فيها عامه و فى النظمات الجزئيه الجاريه فى كل نوع من أنواعها و كل فرد من أفرادها إليه تعالى.

و ثانياً: أن الكمالات الوجوديه التى هى صفات الوجود كالعلم و القدره و الحياه و السمع و البصر و الوحده و الخلق و الملك و الغنى و الحمد و الخبره-مما عد فى الآيات السابقه أو لم يعد-صفات قائمه به تعالى على حسب ما يليق بساحه كبريائه و عز قدسه لأنها صفات وجوديه و الوجود قائم به تعالى فهى إما عين ذاته كالعلم و القدره و إما صفات خارجه عن ذاته منتزعه عن فعله كالخلق و الرزق و الرحمه.

و ثالثاً: أن قبول الشريك فى ذاته أو فى تدبيره و كل ما يحمل معنى الفقد و النقص مسلوب عنه تعالى و هذه هى الصفات السلبيه كنفى الشريك و نفى التعدد و نفى الجسم و المكان و الزمان و الجهل و العجز و البطلان و الزوال إلى غيرها.

فإن إطلاق وجوده و عدم تقيده بقيد ينفى عنه كل معنى عدمى أى إثبات الوجود مطلقاً فإن مرجع نفى النفى إلى الإثبات.

□  
و لعل قوله: «وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» يفيد ثبوت الصفات له بكلتا مرحلتيها بناء على أن اسم «الْعَلِيُّ» يفيد معنى تنزهه عن ما لا يليق بساحته فهو مجمع الصفات السلبيه و الكبير يفيد سعته لكل كمال وجودى فهو مجمع الصفات الثبوتيه.

و أن صدر الآيه برهان على ذيلها و ذيلها برهان على استجماعه تعالى الصفات الثبوتيه و السلبيه جميعاً على ما تقدم تقريره فهو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال

فهو الله عز اسمه.

وقوله: «وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ» يجرى فيه ما جرى فى قوله: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» فالذى يدعونه من الآلهة ليس لهم من الحقيقة شىء ولا إلههم من الخلق والتدبير شىء لأن الشريك فى الألوهية والربوبية باطلا لا حق فيه وإذ كان باطلا على كل تقدير فلا يستند إليه خلق ولا تدبير مطلقا.

والحق والعالى والكبير ثلاثه من الأسماء الحسنى وقد تحقق مما تقدم أن الحق فى معنى الواجب الوجود وأن العلى من الصفات السلبيه والكبير من الصفات الثبوتيه قريب المعنى من قولنا: المستجمع لصفات الكمال.

قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ» إلخ، الباء فى «بِنِعْمَتِ اللَّهِ» للسببيه وذكر النعمه كالتوطئه لآخر الآيه وفيه تلويح إلى وجوب شكره على نعمته لأن شكر المنعم واجب.

والمعنى: أ لم تر أن الفلك تجرى وتسير فى البحر بسبب نعمه الله وهى أسباب جريانها من الريح و رطوبه الماء وغير ذلك.

واحتمل بعضهم أن الباء للتعديه أو المعيه والمراد بالنعمه ما تحمله السفن من الطعام وسائر أمتعه الحياه.

وقد تمم الآيه بقوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» والصبار الشكور أى كثير الصبر عند الضراء وكثير الشكر عند النعماء كناية عن المؤمن على ما قيل.

قوله تعالى: «وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلْمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» إلخ، قال الراغب: الظله سحابه تظل وأكثر ما يقال فيما يستوخم ويكره، قال: «كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ» «عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ» انتهى.

والمعنى: وإذا غشيهم وأحاط بهم فى البحر موج كقطع السحاب انقطعوا إلى الله ودعوه للنجاه حال كونهم مخلصين له الدين أى وفى ذلك دليل على أن فطرتهم على التوحيد.

وقوله: «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ» المقتصد سألک القصد أى الطريق المستقيم والمراد به التوحيد الذى دلتهم عليه فطرتهم إذ ذلك، وفى التعبير بمن التبعضيه

استقلال عدتهم أى فلما نجا الله سبحانه هؤلاء الداعين بالإخلاص إلى البر فقليل منهم المقتصدون.

وقوله: « وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ » الختار مبالغه من الختر وهو شدة الغدر و فى السياق دليل على الاستكثار و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ » لما ساق الحجج و المواعظ الشافيه الوافيه جمعهم فى خاتمتها فى خطاب عام يدعوهم إلى التقوى و ينذرهم بيوم القيامة الذى لا يغنى فيه مغن إلا الإيمان و التقوى.

قال الراغب: الجزء الغنى و الكفايه، و قال: يقال: غررت فلانا أصبت غرته و نلت منه ما أريد و الغره غفله فى اليقظه و الغرار غفله مع غفوه، إلى أن قال: فالغرور كل ما يغر الإنسان من مال و جاه و شهوه و شيطان و قد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين و بالدنيا لما قيل: الدنيا تغر و تضر و تمر انتهى.

فمعنى الآية: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ » و هو الله سبحانه « وَ أَحْشَوْا يَوْمًا » و هو يوم القيامة « لَا يَجْزَى » لا يغنى « وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانِبٌ » مغن كاف « عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا » إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ « بِالْبَعْثِ » حَقٌّ « ثَابِتٌ لَا يَخْلَفُ » فَلَا تُغَرَّنُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا « بزيتها الغاره » وَ لَا يُغَرَّنُكُمُ بِاللَّهِ الْعُرُورُ « أى جنس ما يغر الإنسان من شئون الحياه الدنيا أو خصوص الشيطان.

قوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » الغيث المطر و معنى جمل الآية ظاهر.

و قد عد سبحانه أمورا ثلاثة مما تعلق به علمه و هى العلم بالساعه و هو مما استأثر الله علمه لنفسه لا يعلمه إلا هو و يدل على القصر قوله: « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ » و تنزيل الغيث و علم ما فى الأرحام و يختصان به تعالى إلا أن يعلمه غيره.

و عد أمرين آخرين يجهل بهما الإنسان و بذلك يجهل كل ما سيجرى عليه من الحوادث و هو قوله: « وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا » و قوله: « وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ».

و كان المراد تذكره أن الله يعلم كل ما دق و جل حتى مثل الساعه التي لا يتيسر علمها للخلق و أنتم تجهلون أهم ما يهتمكم من العلم فالله يعلم و أنتم لا تعلمون فإياكم أن تشرکوا به و تمردوا عن أمره و تعرضوا عن دعوته فتهلكوا بجهلكم.

### (بحث روائی)

فی کمال الدین، بإسناده إلى حماد بن أبي زياد قال: سألت سيدي موسى بن جعفر (ع) عن قول الله عز و جل: «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً» فقال: النعمه الظاهره الإمام الظاهر، و الباطنه الإمام الغائب.

أقول: هو من الجرى و الآيه أعم مدلولاً.

و فی تفسیر القمی، بإسناده عن جابر قال: قال رجل عند أبي جعفر (ع):

« وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً » قال: أما النعمه الظاهره فالنبي ص - و ما جاء به من معرفه الله عز و جل و توحیده - و أما النعمه الباطنه فولایتنا أهل البيت و عقد مودتنا. الحديث.

أقول: هو كسابقه.

و فی المجمع، فی قوله تعالى: «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ» الآيه، و:

فی روايه الضحاک عن ابن عباس قال: سألت النبي ص عنه فقال: يا ابن عباس أما ما ظهر فالإسلام - و ما سوى الله من خلقك و ما أفاض عليك من الرزق - و أما ما بطن فستر مساوی عملك و لم يفضحك به، يا ابن عباس إن الله تعالى يقول: ثلاثه جعلتهن للمؤمن و لم يكن له:

صلاه المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله، و جعلت له ثلث ماله أكفر به عنه خطايا، و الثالث سترت مساوی عمله و لم أفضحه بشيء منه - و لو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم.

أقول: روى ما يقرب منه في الدر المنثور، بطرق عن ابن عباس، و الحديث كسابقه من الجرى.

و فی التوحيد، بإسناده عن عمر بن أذینه عن أبي جعفر (ع):\* في حديث: و قال رسول الله ص: كل مولود يولد على الفطره يعنى على المعرفه بأن الله خالقه - فذلك قوله عز و جل: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ».

و في تفسير القمي، "في قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ» قال: السفن تجري في البحر بقدره الله.

و فيه، "في قوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» قال: الذي يصبر على الفقر و الفاقة و يشكر الله عز و جل على جميع أحواله.

و في المجمع، "في الآية و

في الحديث: الإيمان نصفان: نصف صبر و نصف شكر.

أقول: و هو مأخوذ من الآية فقد مر أنه كناية عن المؤمن.

و في تفسير القمي، "في قوله تعالى: «إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ» قال: الختار الخداع و في قوله: «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» قال: ذلك القيامة.

و في إرشاد المفيد: من كلام أمير المؤمنين (ع) لرجل -سَمِعَهُ يَذِمُّ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَا يَجِبُ أَنْ يَقُولَ فِي مَعْنَاهَا: الدُّنْيَا دَارُ صَدَقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَ دَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهَمَّ عَنْهَا، وَ دَارُ غَنَى لِمَنْ تَزُودَ مِنْهَا، مَسْجِدَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَ مَهْبَطَ وَحْيِهِ، وَ مَصَلَى مَلَائِكَتِهِ وَ مَتَجَرَّ أَوْلِيَائِهِ، اِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَ رَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ فَمَنْ ذَا يَذِمُّهَا؟ وَ قَدْ آذَنَتْ بَيْنَهَا، وَ نَادَتْ بِفِرَاقِهَا، وَ نَعَتْ نَفْسَهَا، فَشَوَّقَتْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ، وَ حَذَرَتْ بِبَلَائِهَا الْبَلَاءَ تَخْوِيفًا وَ تَحْذِيرًا وَ تَرْغِيبًا وَ تَرْهِيبًا.

فيا أيها الدمام للدنيا و المغتر بتغيرها متى غرتك؟ أم بمصارع آباءك في البلى أم بمصارع أمهاتك تحت الثرى؟ كم عللت بكفيك و مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء- و استوصفت لهم الأطباء، و تلتمس لهم الدواء، لم تنفعهم بطلبك و لم تشفعهم بشفاعتك مثلت بهم الدنيا مصرعك و مضجعك- حيث لا ينفعك بكاؤك و لا تغني عنك أجاؤك.

و في الخصال، عن أبي أسامة عن أبي عبد الله (ع) قال: قال: أ لا أخبركم بخمسة لم يطلع الله عليها أحدا من خلقه؟ قال: قلت: بلى قال: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ».

أقول: هناك روايات كثيرة جدا عن النبي و الأئمة (ع) تخبر عن مستقبل حالهم و عن زمان موتهم و مكانه و هي تقيده هذه الرواية و ما في معناها من الروايات بالتعليم الإلهي لكن بعض الروايات يأبى التقييد و لا يعبا بأمرها.



و فى الدر المثور، أخرج ابن المنذر عن بكرمه: أن رجلا يقال له الوراث-من بنى مازن بن حفصه بن قيس غيلان جاء إلى النبى ص فقال: يا محمد، متى تقوم الساعة؟ و قد أجدبت بلادنا فمتى تخصب؟ و قد تركت امرأتى حبلى فمتى تلد؟ و قد علمت ما كسبت اليوم فما ذا أكسب غدا؟ و قد علمت بأى أرض ولدت فأى أرض أموت؟ فنزلت هذه الآيه.

أقول: الحديث لا يخلو من شىء لعدم انطباق الآيه على فقرات السؤال.

و فيه، أخرج ابن مردويه عن على بن أبى طالب قال: لم يعم على نبيكم (ص) إلا- الخمس من سرائر الغيب- هذه الآيه فى آخر لقمان إلى آخر السوره.

ص: ٢٤١

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سِنِينَ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مِمَّا تَشْكُرُونَ (٩) وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) وَ لَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَ لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَ لَكِنِ حَقُّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)

غرض السوره تقرير المبدأ و المعاد و إقامه الحجه عليهما و دفع ما يختلج القلوب فى ذلك مع إشاره إلى النبوه و الكتاب ثم بيان ما يتميز به الفريقان المؤمنون بآيات الله حقا و الفاسقون الخارجون عن زى العبوديه و وعد أولئك بما هو فوق تصور المتصورين من الثواب و وعيد هؤلاء بالانتقام الشديد بأليم العذاب المخلد و أنهم سيدوقون عذابا أدنى دون العذاب الأكبر، و تختتم السوره بتأكيد الوعيد و أمر النبى ص بالانتظار كما هم منتظرون.

و هى مكيه إلا- ثلاث آيات نزلت- كما قيل- بالمدينه و هى قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا» إلى تمام ثلاث آيات.

و الذى أوردناه من آياتها يتضمن الفصل الأول من فصلى غرض السوره الذى أشرنا إليه.

قوله تعالى: «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، أى هذا تنزيل الكتاب، و التنزيل مصدر بمعنى اسم المفعول و إضافته إلى الكتاب من إضافه الصفه إلى الموصوف، و المعنى: هذا هو الكتاب المنزل لا ريب فيه.

و قوله: «مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» فيه براعه استهلال لما فى غرض السوره أن يتعاطى بيانه من الوجدانيه و المعاد اللذين ينكرهما الوثنيه لما مر مرارا أنهم لا يقولون برب

العالمين بل يثبتون لكل عالم إلهها و لمجموع الآلهه إلهها هو الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا.

قوله تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ» الخ، أم منقطعه، والمعنى: بل يقولون افترى القرآن على الله و ليس من عنده فرده بقوله: «بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ» الخ.

وقوله: «لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ» قيل: يعنى قريشا فإنهم لم يأتهم نبي قبله (ص) بخلاف غيرهم من قبائل العرب فإنهم أتاهم بعض الأنبياء كخالد بن سنان العبسى و حنظله على ما فى الروايات.

وقيل: المراد به أهل الفتره بين عيسى و محمد ص فكانوا كأنهم فى غفله عما لزمهم من حق نعم الله و ما خلقهم له من العباده و فيه أن معنى الفتره هو عدم انبعث نبي له شريعته و كتاب و أما الفتره عن مطلق النبوه فلا نسلم تحققها و خلو جميع الزمان و هو قريب من ستة قرون من النبي مطلقا.

وقوله: «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» غايه رجائيه لإرسال الرسول و الترجى قائم بالمقام أو بالمخاطب دون المتكلم كما تقدم فى نظائره.

قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْمَازُجَاتِ وَاللَّيْلِ النَّهَارَ» الخ، إلى قوله - أ فَلَا تَتَذَكَّرُونَ » تقدم الكلام فى تفسير قوله: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْمَازُجَاتِ» الخ، فى نظائره من الآيات و تقدم أيضا أن الاستواء على العرش كناية عن مقام تدبير الموجودات بنظام عام إجمالى يحكم على الجميع و لذا اتبع العرش فى أغلب ما وقع فيه من الموارد بما فيه معنى التدبير كقوله: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ»: الأعراف: ٥٤ و قوله: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ» ، يونس: ٣ و قوله: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ» ، الحديد: ٤ و قوله: «ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ»: البروج: ١٦.

و الوجه فى ذكر الاستواء على العرش، بعد ذكر خلق السماوات و الأرض أن الكلام فى اختصاص الربوبيه و الألوهيه بالله وحده و مجرد استناد الخلقه إليه تعالى لا ينفذ فى إبطال ما يقول به الوثنيه شيئا فإنهم لا ينكرون استناد الخلقه إليه وحده و إنما يقولون باستناد التدبير و هو الربوبيه للعالم إلى آلهتهم ثم اختصاص الألوهيه و هى المعبوديه بآلهتهم و الله تعالى من الشأن أنه رب الأرباب و إله الآلهه.

فكان من الواجب عند إقامه الحججه لإبطال قولهم إن يذكر أمر الخلقه ثم يتعقب بأمر التدبير لمكان تلازمهما و عدم انفكاك أحدهما من الآخر حتى يكون موجد الأشياء و خالقها هو الذى يربها و يدبر أمرها فيكون ربا وحده و إلها وحده كما أنه موجد خالق وحده.

و لذلك بعينه ذكر أمر التدبير بعد ذكر الخلقه فى الآيه التى نحن فيها إذ قيل:

« خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ - وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ » فالولايه و الشفاعة كالاستواء على العرش من شئون التدبير.

و قوله: « مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ » الولى هو الذى يملك تدبير أمر الشىء و من المعلوم أن أمورنا و الشئون التى تقوم به حياتنا قائمه بالوجود محكوم مدبره للنظام العام الحاكم فى الأشياء عامه و ما يخص بنا من نظام خاص، و النظام أيا ما كان من لوازم خصوصيات خلق الأشياء و الخلقه كيفما كانت مستنده إليه تعالى فهو تعالى و لينا القائم بأمرنا المدبر لشئوننا و أمورنا، كما هو ولى كل شىء كذلك وحده لا شريك له.

و الشفيع -على ما تقدم فى مباحث الشفاعة فى الجزء الأول من الكتاب- هو الذى ينضم إلى سبب ناقص فيتم سببته و تأثيره، و الشفاعة تتميم السبب الناقص فى تأثيره و إذا طبقناها على الأسباب و المسببات الخارجيه كانت أجزاء الأسباب المركبه و شرائطها بعضها شفيعا لبعض لتتميم حصه من الأثر منسوبه إليه كما أن كلا من السحاب و المطر و الشمس و الظل و غيرها شفيع للنبات.

و إذ كان موجد الأسباب و أجزائها و الرابط بينها و بين المسببات هو الله سبحانه فهو الشفيع بالحقيقه الذى يتم نقصها و يقيم صلبها فالله سبحانه هو الشفيع بالحقيقه لا شفيع غيره.

و بيان آخر أدق قد تقدم فى البحث عن الأسماء الحسنى فى الجزء الثامن من الكتاب أن أسماء تعالى الحسنى و سائط بينه و بين خلقه فى إيصال الفيض إليهم فهو تعالى يرزقهم مثلا- بما أنه رازق جواد غنى رحيم و يشفى المريض بما أنه شاف معاف رءوف رحيم و يهلك الظالمين بما أنه شديد البطش ذو انتقام عزيز و هكذا.

فما من شيء من المخلوقات المركبة الوجود إلا و يتوسط لوجوده عده من الأسماء الحسنی بعضها فوق بعض و بعضها فى عرض بعض و كل ما هو أخص منها يتوسط بين الشيء و بين الأعم منها كما أن الشافى يتوسط بين المريض و بين الرؤوف الرحيم و الرحيم يتوسط بينه و بين القدير و هكذا.

و التوسط المذكور فى الحقيقة تتميم لتأثير السبب فيه و إن شئت فقل هو تقريب للشيء من السبب لفعليه تأثيره و ينتج منه أنه تعالى شفيع ببعض أسمائه عند بعض فهو الشفيع ليس من دونه شفيع فى الحقيقة فافهم.

و قد تبين بما مر أن لا إشكال فى إطلاق الشفيع عليه تعالى بمعنى كونه شفيعا بنفسه عند نفسه و حقيقة توسط صفه من صفاته الكريمة بين الشيء و صفه من صفاته كما يستعاض من سخطه إلى رحمته و من عدله إلى فضله، و أما كونه تعالى شفيعا بمعنى شفاعته لشيء عند غيره فهو مما لا يجوز البتة.

و القوم لتقريبهم إشكال إطلاق الشفيع عليه تعالى على المعنى الثانى أى بمعنى كونه شفيعا عند غيره اختلفوا فى تفسير الآيه على أقوال:

فقال بعضهم: إن دون فى قوله: «مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا شَفِيعٍ» بمعنى عند و «مِنْ دُونِهِ» حال من ضمير «لَكُمْ» و المعنى: ما لكم حال كونكم مجاوزين دونه و من عند ولى و لا شفيع أى لا ولى لكم و لا شفيع ففيه نفى الولى و الشفيع لهم عند الله.

و فيه أن دون و إن صح كونه بمعنى عند لكن وجود «مِنْ» قرينه على أنه بمعنى غير، و لا معنى لأخذ المجاوزه و رجوع «مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ» إلى معنى «ما لكم عنده».

و قال بعضهم: إن الشفيع فى الآيه بمعنى الناصر مجازا و دون بمعنى غير و «مِنْ دُونِهِ» حال من «وَلِيٍّ» و المعنى: ما لكم ولى و لا ناصر غيره، و فيه أنه تجوز من غير موجب.

و قال بعضهم إن إطلاق الشفيع هنا من قبيل المشاكلة التقديرية لما أن المشركين المنذرين كثيرا ما كانوا يقولون فى آلهتهم: هؤلاء شفاعونا و يزعمون أن كل واحد منهم شفيع لهم و المعنى: على هذا لو فرض و قدر أن الإله ولى شفيع ما لكم ولى و لا شفيع غير الله سبحانه.

و قال بعضهم: إن دون بمعنى عند و الضمير في « مِنْ دُونِهِ » للعذاب، و المعنى:

ليس لكم من دون عذابه ولى، أى قريب ينفعكم و يرد عذابه عنكم و لا شفيع يشفع لكم.

و فيه أن إرجاع الضمير إلى العذاب تحكم من غير دليل، و يرد على جميع هذه الوجوه أنها تكلفات ناشئة من أخذ الشفيع غير المشفوع عنده و قد عرفت أن المعنى تحليلي و الشفيع و المشفوع عنده واحد.

و قوله: « أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ » استفهام توبيخي يوبخهم على استمرارهم على الإيعراض عن أدله العقول حتى يتذكروا أن الملك و التدبير لله سبحانه و هو المعبود بالحق ليس لهم دونه ولى و لا شفيع كما يزعمون ذلك لآلهتهم.

قوله تعالى: « يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سِنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ » تتميم لبيان أن تدبير أمر الموجودات قائم به سبحانه و هذا هو القرينه على أن المراد بالأمر في الآيه الشأن دون الأمر المقابل للنهى.

و التدبير وضع الشىء فى دابر الشىء و الإتيان بالأمر بعد الأمر فيرجع إلى إظهار وجود الحوادث واحدا بعد واحد كالسلسله المتصله بين السماء و الأرض و قد قال تعالى:

«وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» ، :الحجر: ٢١ و قال:

«إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» :القمر: ٤٩.

و قوله: « ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ » بعد قوله: « يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ » لا- يخلو من إشعار بأن « يُدَبِّرُ » مضمن معنى التنزيل و المعنى: يدبر الأمر منزلا أو ينزله مدبرا- من السماء إلى الأرض و لعله الأمر الذى يشير إليه قوله: « فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا » :حم السجده: ١٢.

و فى قوله: « يَعْرُجُ إِلَيْهِ » إشعار بأن المراد بالسماء مقام القرب الذى تنتهى إليه أزمه الأمور دون السماء بمعنى جهه العلو أو ناحيه من نواحي العالم الجسمانى فإن الأمر قد وصف قبل العروج بالنزول فظاهر العروج أنه صعود من الطريق التى نزل منها، و لم يذكر هناك إلا علو هو السماء، و سفلى هو الأرض و نزول و عروج فالنزول من السماء و العروج إلى الله يشعر بأن السماء هو مقام الحضور الذى يصدر منه تدبير

الأمر أو أن موطن تدبير الأمر الأرضى هو السماء و الله المحيط بكل شىء ينزل التدبير الأرضى من هذا الموطن، و لعل هذا هو الأقرب إلى الفهم بالنظر إلى قوله: «وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا».

و قوله: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ» معناه على أى حال أنه فى ظرف لو طبق على ما فى الأرض من زمان الحوادث و مقدار حركتها انطبق على ألف سنة مما نعهده فإن من المسلم أن الزمان الذى يقدره ما نعهده من الليل و النهار و الشهور و السنين لا يتجاوز العالم الأرضى.

و إذ كان المراد بالسماء هو عالم القرب و الحضور و هو مما لا سبيل للزمان إليه كان المراد أنه وعاء لو طبق على مقدار حركة الحوادث فى الأرض كان مقداره ألف سنة مما تعدون.

و أما أن هذا المقدار هل هو مقدار النزول و اللبث و العروج أو مقدار مجموع النزول و العروج دون اللبث أو مقدار كل واحد من النزول و العروج أو مقدار نفس العروج فقط بناء على أن «فِي يَوْمٍ» قيد لقوله: «يَعْرُجُ إِلَيْهِ» فقط كما وقع فى قوله:

«تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»: المعارج: ٤.

ثم على تقدير كون الظرف قيذا للعروج هل العروج مطلق عروج الحوادث إلى الله أو العروج يوم القيامة و هو مقدار يوم القيامة، و أما كونه خمسين ألف سنة فهو بالنسبة إلى الكافر من حيث الشقه أو أن الألف سنة مقدار مشهد من مشاهد يوم القيامة و هو خمسون موقفا كل موقف مقداره ألف سنة.

ثم المراد بقوله: «مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ» هل هو التحديد حقيقه أو المراد مجرد التكرير كما فى قوله: «يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ» ، البقره: ٩٦ أى يعمر عمرا طويلا جدا و إن كان هذا الاحتمال بعيدا من السياق.

و الآيه- كما ترى- تحتل الاحتمالات جميعا و لكل منها وجه و الأقرب من بينها إلى الذهن كون «فِي يَوْمٍ» قيذا لقوله: «ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ» و كون المراد بيوم عروج الأمر مشهدا من خمسين مشهدا من مشاهد يوم القيامة، و الله أعلم.

قوله تعالى: «ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» تقدم تفسير مفردات الآيه، و مناسبة الأسماء الثلاثة الكريمه للمقام ظاهره.



قوله تعالى: «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» قال الراغب: الحسن عبارته عن كل مبهج-بصيغه الفاعل-مرغوب فيه وذلك ثلاثه أضرب: مستحسن من جهة العقل و مستحسن من جهة الهوى و مستحسن من جهة الحس. انتهى. وهذا تعريف له من جهة خاصته و انقسامه بانقسام الإدراكات الإنسانية.

و حقيقته ملائمه أجزاء الشىء بعضها لبعض و المجموع للغرض و الغايه الخارجيه منه فحسن الوجه تلاؤم أجزاءه من العين و الحاجب و الأنف و الفم و غيرها، و حسن العدل ملائمه للغرض من الاجتماع المدنى و هو نيل كل ذى حق حقه، و هكذا.

و التدبر فى خلقه الأشياء و كل منها فى نفسه متلائم الأجزاء بعضها لبعض و المجموع من وجوده مجهز بما يلائم كماله و سعاده تجهيزاً لا أتم و لا أكمل منه يعطى أن كلا منها حسن فى نفسه حسناً لا أتم و أكمل منه بالنظر إلى نفسه.

و أما ما نرى من المساءه و القبح فى الأشياء فلاحد أمرين: إما لكون الشىء السيئ ذا عنوان عدمى يعود إليه المساءه لا لوجوده فى نفسه كالظلم و الزنا فإن الظلم ليس بسيئ قبيح بما أنه فعل من الأفعال بل بما أنه مبطل لحق ثابت و الزنا ليس بسيئ قبيح من جهة نفس العمل الخارجى الذى هو مشترك بينه و بين النكاح بل بما أن فيه مخالفه للنهى الشرعى أو للمصلحه الاجتماعيه.

أو بقياسه إلى شىء آخر فيعرضه المساءه و القبح من طريق المقاييسه كقياس الحنظل إلى البطيخ و قياس الشوك إلى الورد و قياس العقرب إلى الإنسان فإن المساءه إنما تطرأ هذه الأشياء من طريق القياس إلى مقابلاتها ثم قياسها إلى طبعنا، و يرجع هذا الوجه من المساءه إلى الوجه الأول بالحقيقه.

و كيف كان فالشىء بما أنه موجود مخلوق لا يتصف بالمساءه و يدل عليه الآيه «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» إذا انضم إلى قوله: «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ»: الزمر: ٦٢ فينتجان أولاً: أن الخلقه تلازم الحسن فكل مخلوق حسن من حيث هو مخلوق.

و ثانياً: أن كل سيئ و قبيح ليس بمخلوق من حيث هو سيئ قبيح كالمعاصى و السيئات من حيث هى معاص و سيئات و الأشياء السيئه من جهة القياس.

قوله تعالى: «وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ» المراد بالإنسان النوع فالمبدو خلقه

من طين هو النوع الذى ينتهى أفراده إلى من خلق من طين من غير تناسل من أب و أم كآدم و زوجه(ع)،و الدليل على ذلك قوله بعده: « ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُيْلِهِ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ » فالنسل الولاده بانفصال المولود عن الوالدين و المقابله بين بدء الخلق و بين النسل لا- يلائم كون المراد ببدء الخلق بدء خلق الإنسان المخلوق من ماء مهين، و لو كان المراد ذلك لكان حق الكلام أن يقال: ثم جعله سلاله من ماء مهين فافهمه.

و قوله: « ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُيْلِهِ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ » السلاله كما فى المجمع،الصفوه التى تنسل أى تنزع من غيرها و يسمى ماء الرجل سلاله لانسلاله من صلبه،و المهين من الهون و هو الضعف و الحقاره و ثم للتراخى الزمانى.

و المعنى: ثم جعل ولادته بطريق الانفصال من صفوه من ماء ضعيف أو حقير.

قوله تعالى: « ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ » التسويه التصوير و تتميم العمل، و فى قوله: « نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ » استعاره بالكنايه بتشبيه الروح بالنفس الذى يتنفس به ثم نفخه فى قالب من سواه،و إضافه الروح إليه تعالى إضافه تشرifiه،و المعنى:

ثم صور الإنسان المبدو خلقه من الطين و المجمعول نسله من سلاله من ماء مهين و نفخ فيه من روح شريف منسوب إليه تعالى.

قوله تعالى: « وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » امتنان بنعمه الإدراك الحسى و الفكرى فالسمع و البصر للمحسوسات و القلوب للفكريات أعم من الإدراكات الجزئيه الخياليه و الكلبيه العقليه.

و قوله: « قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » أى تشكرون شكرا قليلا،و الجملة اعتراضيه فى محل التوبيخ و قيل:الجملة حاله،و المعنى:جعل لكم الأبصار و الأفئده و الحال أنكم تشكرون قليلا،و الجملة على أى حال مسوقه للبت و الشكوى و التوبيخ.

و الالتفات فى قوله: « وَ جَعَلَ لَكُمْ » إلخ،من الغيبه إلى خطاب الجمع لتسجيل أن الإنعام الإلهى الشامل للجميع يربو على شكرهم فهم قاصرون أو أكثرهم مقصرون.

قوله تعالى: « وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِذَا لَفَىٰ خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ » حجه من منكرى البعث مبنيه على الاستبعاد.و الضلال فى الأرض قيل:هو الضيعه كما يقال:ضلت النعمه أى ضاعت،و قيل:هو بمعنى الغيبه،و كيف

كان فمرادهم به أينا إذا متنا وانتشرت أجزاء أبداننا فى الأرض و صرنا بحيث لا تميز لأجزائنا من سائر أجزاء الأرض و لا خبر عنا نفع فى خلق جديد و نخلق ثانيا خلقنا الأول؟ و الاستفهام للإنكار، و الخلق الجديد هو البعث.

و قوله: «بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ» إضراب عن فحوى قولهم: «أ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ» كأنه قيل: إنهم لا يجحدون الخلق الجديد لجحدهم قدرتنا على ذلك أو لسبب آخر بل هم كافرون بالرجوع إلينا و لقائنا و لذا جىء فى الجواب عن قولهم بما يدل على الرجوع.

قوله تعالى: «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» توفى الشىء أخذته تاما كاملا كتوفى الحق و توفى الدين من المديون.

و قوله: «مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ» قيل: أى و كل بإماتتكم و قبض أرواحكم و الآيه مطلقه ظاهره فى أعم من ذلك.

و قد نسب التوفى فى الآيه إلى ملك الموت، و فى قوله: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» الزمر: ٤٢ إليه تعالى، و فى قوله: «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا» ، الأنعام: ٦١ و قوله: «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» ، النحل: ٢٨ إلى الرسل و الملائكة نظرا إلى اختلاف مراتب الأسباب فالسبب القريب الملائكة الرسل أعوان ملك الموت و فوقهم ملك الموت الأمر بذلك المجرى لأمر الله و الله من ورائهم محيط و هو السبب الأعلى و مسبب الأسباب فذلك بوجه كمثل كتابه الإنسان بالقلم فالقلم كاتب و اليد كاتبه و الإنسان كاتب.

و قوله: «ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» هو الرجوع الذى عبر عنه فى الآيه السابقة باللقاء و موطنه البعث المترتب على التوفى و المتراخى عنه، كما يدل عليه العطف بضم الداله على التراخى.

و الآيه-على أى تقدير-جواب عن الاحتجاج بضلال الموتى فى الأرض على نفى البعث و من المعلوم أن إماتة ملك الموت لهم ليس يحسم ماده الإشكال فيبقى قوله:

«ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» دعوى خاليه عن الدليل فى مقابل دعواهم المدلل و الكلام

الإلهى أنزه ساحه أن يتعاطى هذا النوع من المحاجه.

لكنه تعالى أمر رسوله أن يجيب عن حجتهم المبنيه على الاستبعاد بأن حقيقه الموت ليس بطلانا لكم و ضلالا منكم فى الأرض بل ملك الموت الموكل بكم يأخذكم تامين كاملين من أجسادكم أى ينزع أرواحكم من أبدانكم بمعنى قطع علاقتها من الأبدان و أرواحكم تمام حقيقتكم فأنتم أى ما يعنى بلفظه «كم» محفوظون لا يضل منكم شىء فى الأرض و إنما يضل الأبدان و تتغير من حال إلى حال و قد كانت فى معرض التغير من أول كينونتها. ثم إنكم محفوظون حتى ترجعوا إلى ربكم بالبعث و رجوع الأرواح إلى أجسادها.

و بهذا يندفع حجتهم على نفي المعاد بضلالهم سواء قررت على نحو الاستبعاد أو قررت على أن تلاشى البدن يبطل شخصيه الإنسان فينعدم و لا معنى لإعاده المعدوم فإن حقيقه الإنسان هى نفسه التى يحكى عنها بقول «أنا» و هى غير البدن و البدن تابع لها فى شخصيته و هى لا تلاشى بالموت و لا تنعدم بل محفوظه فى قدره الله حتى يؤذن فى رجوعها إلى ربها للحساب و الجزاء فيبعث على الشريطة التى ذكر الله سبحانه.

و ظهر بما تقدم أولا وجه اتصال قوله: «قُلْ يَتَوَفَّاكُم» إلخ بقوله: «أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ» إلخ و أنه جواب حاسم للإشكال قاطع للشبهه، و قد أشكل الأمر على بعض من فسر التوفى بمطلق الإماتة من غير التفات إلى نكته التعبير بلفظ التوفى فتكلف فى توجيه اتصال الآيتين بما لا يرتضيه العقل السليم.

و ثانيا: أن الآيه من أوضح الآيات القرآنيه الداله على تجرد النفس بمعنى كونها غير البدن أو شىء من حالات البدن.

قوله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ» نكس الرأس إطراقه و طأطأته، و المراد بالمجرمين بقرينه ذيل الآيه خصوص المنكرين للمعاد فاللام فيه لا تخلو من معنى العهد أى هؤلاء الذين يجحدون المعاد و يقولون: «أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ» إلخ.

و فى التعبير عن البعث بقوله: «عِنْدَ رَبِّهِمْ» محاذاه لما تقدم من قوله: «يَلْهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ» أى واقفون موقفا من اللقاء لا يسعهم إنكاره، و قولهم: «أَبْصَرْنَا»

«و مسألتهم الرجوع للعمل الصالح لما ينجلي لهم أن النجاه فى الإيمان و العمل الصالح و قد حصل لهم الإيمان اليقيني و بقى العمل الصالح و لذا يعترفون باليقين و يسألون الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحا فيتم لهم سببا النجاه.

و المعنى: و لو ترى إذ هؤلاء الذين يجرمون بإنكار لقاء الله مطرقوا رءوسهم عند ربهم فى موقف اللقاء من الخزى و الذل و الندم يقولون ربنا أبصرنا بالمشاهده و سمعنا بالطاعة فارجعنا نعمل عملا صالحا إنا موقنون و المحصل أنك تراهم يجحدون اللقاء و لو تراهم إذ أحاط بهم الخزى و الذل فنكسوا رءوسهم و اعترفوا بما ينكرونه اليوم و سألوا العود إلى هاهنا و لن يعودوا.

قوله تعالى: «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى» إلى آخر الآيه أى لو شئنا أن نعطي كل نفس أعم من المؤمنه و الكافره الهدى الذى يختص بها و يناسبها لأعطيناه لها بأن نشاء من طريق اختيار الكافر و إرادته أن يتلبس بالهدى فيتلبس بها من طريق الاختيار و الإراده كما شئنا فى المؤمن كذلك فتلبس بالهدى باختيار منه و إرادته من دون أن ينجر إلى الإلجاء و الاضطرار فيبطل التكليف و يلغو الجزاء.

و قوله: «وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أى و لكن هناك قضاء سابق منى محتوم و هو إملاء جهنم من الجنه و الناس أجمعين و هو قوله لإبليس لما امتنع من سجده آدم و قال: «فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ»... «فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ» ، :ص ٨٥ فقضى أن يدخل متبعى إبليس العذاب المخلد.

و لازم ذلك أن لا يهديهم لظلمهم و فسقهم بالخروج عن زى العبوديه كما قال:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ» ، :التوبه: ٨٠ إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: «فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ» إلى آخر الآيه، تفریع على قوله: «وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي» و النسيان ذهول صورته الشىء عن الذاكره و يكنى به عن عدم الاعتناء بما يهم الشىء و هو المراد فى الآيه.

و المعنى: فإذا كان من القضاء إذاقه العذاب لمتبعى إبليس فذوقوا العذاب بسبب

عدم اعتنائكم بقاء هذا اليوم حتى جحدتموه و لم تعملوا صالحا تثابون به فيه لأننا لم نعتن بما يهكمم في هذا اليوم من السعاده و النجاه، و قوله: « وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » تأكيد و توضيح لسابقه أى إن الذوق الذى أمرنا به ذوق عذاب الخلد و نسيانهم لقاء يومهم هذا أعمالهم السيئه.

### (بحث روائى)

فى الدر المنثور، أخرج النحاس عن ابن عباس قال: "نزلت سورة السجده بمكه سوى ثلاث آيات « أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا » إلى تمام الآيات الثلاث.

وفيه، أخرج سعيد بن منصور و ابن أبى شيبه عن على قال: عزائم سجود القرآن الم تنزيل السجده، و حم تنزيل السجده، و النجم، و اقرأ باسم ربك الذى خلق.

و فى الخصال، عن أبى عبد الله (ع) قال: إن العزائم أربع: اقرأ باسم ربك الذى خلق، و النجم، و تنزيل السجده، و حم السجده.

و فى الدر المنثور، أخرج أحمد و الطبرانى عن الشريد بن سويد قال: أبصر النبى ص رجلا- قد أسبل إزاره- فقال له: ارفع إزارك، فقال: يا رسول الله إني أحنف تصطك ركبتي. قال: ارفع إزارك كل خلق الله حسن.

و فى الفقيه: سئل الصادق (ع) عن قول الله عز و جل: « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا » و عن قول الله عز و جل: « قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ » و عن قول الله عز و جل: « الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ » و « الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ » و عن قول الله عز و جل: « تَوَفَّيْتَهُ رُسُلَنَا » و عن قوله عز و جل: « وَ لَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ » و قد يموت فى الدنيا فى الساعه الواحده فى جميع الآفاق ما لا يحصيه إلا الله عز و جل، فكيف هذا؟.

فقال: إن الله تبارك و تعالى جعل لملك الموت أعوانا من الملائكه- يقبضون الأرواح بمنزله صاحب الشرطه- له أعوان من الإنس يبعثهم فى حوائجه- فيتوفاهم الملائكه و يتوفاهم ملك الموت من الملائكه مع ما يقبض هو، و يتوفاهم الله تعالى من ملك الموت.

و فى الدر المثور، أخرج ابن أبى حاتم و أبو الشيخ عن أبى جعفر محمد بن على قال:

دخل رسول الله ص على رجل من الأنصار يعودہ- فإذا ملك الموت عند رأسه فقال رسول الله ص: يا ملك الموت ارفق بصاحبى فإنه مؤمن- فقال: أبشر يا محمد فإنى بكل مؤمن رفيق.

و اعلم يا محمد إنى لأقبض روح ابن آدم فيصرخ أهله- فأقوم فى جانب من الدار فأقول: و الله ما لى من ذنب و إن لى لعوده و عوده الحذر الحذر- و ما خلق الله من أهل بيت و لا مدر و لا شعر و لا وبر فى بر و لا بحر- إلا و أنا أتصفحهم فى كل يوم و ليله خمس مرات- حتى إنى لأعرف بصغيرهم و كبيرهم منهم بأنفسهم. و الله يا محمد إنى لا- أقدر أن أقبض روح بعوضه- حتى يكون الله تبارك و تعالى هو الذى يأمر بقبضه.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى» قال: لو شئنا أن نجعلهم كلهم معصومين لقدرنا.

أقول: العصمه لا تنافى الاختيار فلا تنافى بين مضمون الروايه و ما قدمناه فى تفسير الآيه.

### (كلام فى كينونه الإنسان الأولى)

تقدم فى تفسير أول سوره النساء كلام فى هذا المعنى و كلامنا هذا كالتكملة له.

قدمنا هناك أن الآيات القرآنيه ظاهره ظهورا قريبا من الصراحه فى أن البشر الموجودين اليوم- و نحن منهم- ينتهون بالتناسل إلى زوج أى رجل و امرأه بعينهما و قد سمي الرجل فى القرآن بآدم و هما غير متكونين من أب و أم بل مخلوقان من تراب أو طين أو صلصال أو الأرض على اختلاف تعبيرات القرآن.

فهذا هو الذى يفيد الآيات ظهورا معتدا به و إن لم تكن نصه صريحه لا تقبل التأويل و لا المسأله من ضروريات الدين نعم يمكن عد انتهاء النسل الحاضر إلى آدم ضروريا من القرآن و أما أن آدم هذا هل أريد به آدم النوعى أعنى الطبيعه الإنسانيه الفاشيه فى الأشخاص أو عده معدوده من الأفراد هم أصول النسب و الآباء و الأمهات الأوليه أو فرد إنسانى واحد بالشخص؟.

و على هذا التقدير هل هو فرد من نوع الإنسان تولد من نوع آخر كالثور مثلا- على طريق تطور الأنواع و ظهور الأكل من الكامل و الكامل من الناقص و هكذا أو هو فرد من الإنسان كامل بالكمال الفكرى تولد من زوج من الإنسان غير المجهز بجهاز التعقل فكان مبدأ لظهور النوع الإنسانى المجهز بالتعقل القابل للتكيف و انفصاله من النوع غير المجهز بذلك فالبشر الموجودون اليوم نوع كامل من الإنسان ينتهى أفراده إلى الإنسان الأول الكامل الذى يسمى بآدم، و ينشعب هذا النوع الكامل بالتولد تطورا من نوع آخر من الإنسان ناقص فاقد للتعقل و هو يسير القهقرى فى أنواع حيوانيه مترتبه حتى ينتهى إلى أبسط الحيوان تجهيزا و أنقصها كمالا- و إن أخذنا من هناك سائرين لم نزل ننتقل من ناقص إلى كامل و من كامل إلى أكمل حتى ننتهى إلى الإنسان غير المجهز بالتعقل ثم إلى الإنسان الكامل كل ذلك فى سلسله نسيبه متصله مؤلفه من آباء و أعقاب.

أو أن سلسله التوالد و التناسل تنقطع بالاتصال بآدم و وزجه و هما متكونان من الأرض من غير تولد من أب و أم فليس شىء من هذه الصور ضروريا.

و كيف كان فظاهر الآيات القرآنيه هو الصورة الأخيره و هى انتهاء النسل الحاضر إلى آدم و وزجه المتكونين من الأرض من غير أب و أم.

غير أن الآيات لم تبين كيفيه خلق آدم من الأرض و أنه هل عملت فى خلقه علل و عوامل خارقه للعادة؟ و هل تمت خلقته بتكوين إلهى آنى من غير مهل فتبدل الجسد المصنوع من طين بدنا عاديا ذا روح إنسانى أو أنه عاد إنسانا تاما كاملا فى أزمنه معتد بها يتبدل عليه فيها استعداد بعد استعداد و صوره و شكل بعد صوره و شكل حتى تم الاستعداد فنفخ فيه الروح و بالجمله اجتمعت عليه من العلل و الشرائط نظير ما تجتمع على النطفه فى الرحم.

و من أوضح الدليل عليه قوله تعالى: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» ، آل عمران: ٥٩ فإن الآيه نزلت جوابا عن احتجاج النصارى على بنوه عيسى بأنه ولد من غير أب بشرى و لا ولد إلا بوالد فأبوه هو الله سبحانه، فرد فى الآيه بما محصله أن صفته كصفه آدم حيث خلقه الله من أديم



الأرض بغير والد يولده فلم لا يقولون بأن آدم ابن الله؟.

و لو كان المراد بخلقه من تراب انتهاء خلقته كسائر المتكونين من النطف إلى الأرض كان المعنى: أن صفه عيسى و لا أب له كمثل آدم حيث تنتهى خلقته كسائر الناس إلى الأرض، و من المعلوم أن لا خصوصيه لآدم على هذا المعنى حتى يؤخذ و يقاس إليه عيسى فيفسد معنى الآية في نفسه و من حيث الاحتجاج به على النصارى.

و بهذا يظهر دلالة جميع الآيات الدالة على خلق آدم من تراب أو طين أو نحو ذلك، على المطلوب كقوله: «إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ»، ص: ٧١ و قوله: «وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ»: الم السجده: ٧.

و أما قول من قال: إن المراد بآدم هو آدم النوعى دون الشخصى بمعنى الطبيعه الإنسانيه الخارجيه الفاشيه فى الأفراد، و المراد بينوه الأفراد له تكثر الأشخاص منه بانضمام القيود إليه و قصه دخوله الجنة و إخراجه منها لمعصيته بإغواء من الشيطان تمثيل تخيلى لمكانته فى نفسه و وقوفه موقف القرب ثم كونه فى معرض الهبوط باتباع الهوى و طاعه إبليس.

ففيه أنه مدفوع بالآيه السابقيه و ظواهر كثير من الآيات كقوله: «الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً»، النساء: ١ فلو كان المراد بالنفس الواحده آدم النوعى لم يبق لفرض الزوج لها محل و نظير الآية الآيات التى تفيد أن الله أدخله و زوجه الجنة و أنه و زوجه عصيا الله بالأكل من الشجره.

على أن أصل القول بآدم النوعى مبنى على قدم الأرض و الأنواع المتأصله و منها الإنسان و أن أفراده غير متناهيه من الجانبين و الأصول العلميه تبطل ذلك بتاتا.

و أما القول بكون النسل منتها إلى أفراد معدودين كأربعة أزواج مختلفين بياض اللون و سواده و حمرة و صفرة أو أزواج من الإنسان ناشئين بعضهم بالدنيا القديمه و بعضهم بالدنيا الحديثه و الأراضى المكشوفه أخيرا و فيها بشر قاطنون كأمريكا و أستراليا.

فمدفوع بجميع الآيات الداله على انتهاء النسل الحاضر إلى آدم و زوجه فإن المراد بآدم فيها إما شخص واحد إنسانى و إما الطبيعه الإنسانيه الفاشيه فى الأفراد و هو آدم

النوعى و أما الأفراد المعدودون فلا يحتمل لفظ الآيات ذلك البته.

على أنه مبنى على تباين الأصناف الأربعة من الإنسان:البيض و السود و الحمر و الصفر و كون كل من هذه الأصناف نوعا برأسه ينتهى إلى زوج غير ما ينتهى إليه الآخر أو كون قارات الأرض منفصلا بعضها عن بعض انفصالا أبديا غير مسبوق بالعدم، و قد ظهر بطلان هذه الفرضيات اليوم بطلانا كاد يلحقها بالبديهيات.

و أما القول بانتهاء النسل إلى زوج من الإنسان أو أزيد انفصلا أو انفصلوا من نوع آخر هو أقرب الأنواع إليه كالقرد مثلا انفصال الأكمل من الكامل تطورا.

ففيه أن الآيات السابقة الداله على خلق الإنسان الأول من تراب من غير أب و أم تدفعه.

على أن ما أقيم عليه من الحججه العلميه قاصر عن إثباته كما سنشير إليه فى الكلام على القول التالى.

و أما القول بانتهاء النسل إلى فردين من الإنسان الكامل بالكمال الفكرى من طريق التولد ثم انشعابهما و انفصالهما بالتطور من نوع آخر من الإنسان غير الكامل بالكمال الفكرى ثم انقراض الأصل و بقاء الفرع المتولد منهما على قاعده تنازع البقاء و انتخاب الأصلح.

فيدفعه قوله تعالى: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» على التقريب المتقدم و ما فى معناه من الآيات.

على أن الحججه التى أقيمت على هذا القول قاصره عن إثباته فإنها شواهد مأخوذه من التشريح التطبيقي و أجنه الحيوان و الآثار الحفريه الداله على التغير التدريجى فى صفات الأنواع و أعضائها و ظهور الحيوان تدريجا آخذا من الناقص إلى الكامل و خلق ما هو أبسط من الحيوان قبل ما هو أشد تركيبا.

و فيه أن ظهور النوع الكامل من حيث التجهيزات الحيويه بعد الناقص زمانا لا يدل على أزيد من تدرج المادة فى استكمالها لقبول الصور الحيوانيه المختلفه فهى قد استعدت لظهور الحياه الكامله فيها بعد الناقصه و الشريفه بعد الخسيسه و أما كون الكامل من الحيوان منشعبا من الناقص بالتولد و الاتصال النسبى فلا و لم يعثر هذا الفحص و البحث على غزارته و طول زمانه على فرد نوع كامل متولد من فرع نوع آخر على أن

يقف على نفس التولد دون الفرد و الفرد.

و ما وجد منها شاهدا على التغير التدريجي فإنما هو تغير فى نوع واحد بالانتقال من صفة لها إلى صفة أخرى لا يخرج بذلك عن نوعيته و المدعى خلاف ذلك.

فالذى يتسلم أن نشأه الحياه ذات مراتب مختلفه بالكمال و النقص و الشرف و الخسه و أعلى مراتبها الحياه الإنسانيه ثم ما يليها ثم الأمثل فالأمثل و أما أن ذلك من طريق تبدل كل نوع مما يجاوره من النوع الأكمل، فلا يفيد هذا الدليل على سبيل الاستنتاج.

نعم يوجب حدسا ما غير يقينى بذلك فالقول بتبدل الأنواع بالتطور فرضيه حدسيه تبنى عليها العلوم الطبيعیه اليوم و من الممكن أن يتغير يوما إلى خلافها بتقدم العلوم و توسع الأبحاث.

و ربما استدل على هذا القول بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ، آل عمران: ٣٣ بتقريب أن الاصطفاء هو انتخاب صفوه الشىء و إنما يصدق الانتخاب فيما إذا كان هناك جماعه يختار المصطفى من بينهم و يؤثر عليهم كما اصطفى كل من نوح و آل إبراهيم و آل عمران من بين قومهم و لازم ذلك أن يكون مع آدم قوم غيره فيصطفى من بينهم عليهم، و ليس إلا البشر الأولى غير المجهز بجهاز التعقل فاصطفى آدم من بينهم فجهز بالعقل فانتقل من مرتبه نوعيتهم إلى مرتبه الإنسان المجهز بالعقل الكامل بالنسبه إليهم ثم نسل و كثر نسله و انقرض الإنسان الأولى الناقص.

و فيه أن «الْعَالَمِينَ» فى الآيه جمع محلى باللام و هو يفيد العموم و يصدق على عامه البشر إلى يوم القيامة فهم مصطفون على جميع المعاصرين لهم و الجائين بعدهم كمثل قوله:

﴿ وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فما المانع من كون آدم مصطفى مختارا من بين أولاده ما خلا المذكورين منهم فى الآيه؟.

و على تقدير اختصاص الاصطفاء بما بين المعاصرين و عليهم ما هو المانع من كونه مصطفى مختارا من بين أولاده المعاصرين له و لا دلالة فى الآيه على كون اصطفاؤه أول خلقته قبل ولاده أولاده.

على أن اصطفاء آدم لو كان على الإنسان الأولى كما يذكره المستدل كان ذلك بما أنه مجهز بالعقل و كان ذلك مشتركاً بينه وبين بنى آدم جميعاً على الإنسان الأولى فكان تخصيص آدم في الآية بالذكر تخصيصاً من غير مخصص.

و ربما استدل بقوله: «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ»، X الآية X: الأعراف: ١١ بناء على أن «ثم» تدل على التراخي الزماني فقد كان للنوع الإنساني وجود قبل خلق آدم و أمر الملائكة بالسجده له.

و فيه أن «ثُمَّ» في الآية للترتيب الكلامي و هو كثير الورد في كلامه تعالى على أن هناك معنى آخر أشرنا إليه في تفسير الآية في الجزء الثامن من الكتاب.

و ربما استدل بقوله: «وَيَدَأُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ» الآيات و تقريبه أن الآية الأولى المتعرضه لأول خلق الإنسان تذكر خلقته الأولى من تراب التي يشترك فيها جميع الأفراد، و الآية الثالثة تذكر تسويته و نفخ الروح فيه و بالجملة كماله الإنساني و العطف بـ «ثم» تدل على توسط زمان معتد به بين أول خلقته من تراب و بين ظهوره بكماله.

و ليس هذا الزمان المتوسط إلا زمان توسط الأنواع الأخر التي تنتهي بتغيرها التدريجي إلى الإنسان الكامل و خاصه بالنظر إلى تنكر «سُلالَةٍ» المفيد للعموم.

و فيه أن قوله: «ثُمَّ سَوَّاهُ» عطف على قوله «يَدَأُ» و الآيات في مقام بيان ظهور النوع الإنساني بالخلق و أن بدأ خلقه و هو خلقه و هو خلق آدم كان من طين ثم بدل سلاله من ماء في ظهور أولاده، ثم تمت الخلقه سواء كان فيه أو في أولاده بالتسويه و نفخ الروح.

و هذا معنى صحيح يقبل الانطباق على اللفظ و لا يلزم منه حمل قوله: «ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ» على أنواع متوسطه بين الخلق من الطين و بين التسويه و نفخ الروح، و كون «سُلالَةٍ» نكرة لا يستلزم العموم فإن إفاده النكرة للعموم إنما هو فيما إذا وقعت في سياق النفي دون الإثبات.

و قد استدل بآيات أخر مربوطه بخلق الإنسان و آدم بنحو مما مر يعلم الجواب عنها بما قدمناه فلا موجب لنقلها و إطاله الكلام بالجواب عنها.

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَمَزُوا سَجْدًا وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ لِّمَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَمْ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) وَ لَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَ جَعَلْنَاهُ هُدًىٰ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يُوْفُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَ انْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ (٣٠)

الآيات تفرق بين المؤمنين بحقيقه معنى الإيمان و بين الفاسقين و الظالمين و تذكر لكل ما يلزمه من الآثار و التبعات ثم تنذر الظالمين بعذاب الدنيا و تأمر النبي ص بانتظار الفتح و عند ذلك تختتم السوره.

قوله تعالى: «إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» لما ذكر شطرا من الكلام فى الكفار الذين يجحدون لقاءه و يستكبرون فى الدنيا عن الإيمان و العمل الصالح أخذ فى صفه الذين يؤمنون بآيات ربهم و يخضعون للحق لما ذكروا و وعظوا.

فقوله: «إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا» حصر للإيمان بحقيقه معناه فيهم و معناه أن علامه التهيؤ للإيمان الحقيقى هو كذا و كذا.

و قوله: «الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا» ذكر سبحانه شيئا من أوصافهم و شيئا من أعمالهم، أما ما هو من أوصافهم فتذللهم لمقام الربوبية و عدم استكبارهم عن الخضوع لله و تسبيحه و حمده و هو قوله: «إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا» أى الداله على وحدانيته فى ربوبيته و ألوهيته و ما يلزمها من المعاد و الدعوه النبويه إلى الإيمان و العمل الصالح «خَرُّوا سُجَّدًا» أى سقطوا على الأرض ساجدين لله تذللا و استكانه «وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» أى نزهوه مقارنا للثناء الجميل عليه. و السجده و التسبيح و التحميد و إن كانت من الأفعال لكنها مظاهر لصفه التذلل و الخضوع لمقام الربوبية و الألوهية، و لذا أردفها بصفه تلازمها فقال: «وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ».

قوله تعالى: «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ» هذا معرفهم من حيث أعمالهم كما أن ما فى الآيه السابقه كان معرفهم من حيث أوصافهم.

فقوله: «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ» التجافى التحدى و الجنوب جمع جنب و هو الشق، و المضاجع جمع مضجع و هو الفراش و موضع النوم، و التجافى عن المضاجع كناية عن ترك النوم.

و قوله: «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا» حال من ضمير جنوبهم و المراد اشتغالهم بدعاء ربهم فى جوف الليل حين تنام العيون و تسكن الأنفاس لا- خوفا من سخطه تعالى فقط حتى يغشيهم اليأس من رحمه الله و لا طمعا فى ثوابه فقط حتى يأمنوا غضبه و مكره بل يدعونه خوفا و طمعا فيؤثرون فى دعائهم أدب العبوديه على ما يعثهم إليه الهدى و هذا التجافى و الدعاء ينطبق على النوافل الليلية.

و قوله: «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ» عمل آخر لهم و هو الإنفاق لله و فى سبيله.

قوله تعالى: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» تفریع لما لهم من الأوصاف و الأعمال يصف ما أعد الله لهم من الثواب.

و وقوع نفس و هى نكره فى سياق النفى يفيد العموم، و إضافه قره إلى أعين لا أعينهم تفيد أن فيما أخفى لهم قره عين كل ذى عين.

و المعنى: فلا- تعلم نفس من النفوس- أى هو فوق علمهم و تصورهم- ما أخفاه الله لهم مما تقر به عين كل ذى عين جزاء فى قبال ما كانوا يعملون فى الدنيا.

قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ» الإيمان سكون علمى خاص من النفس بالشىء و لازمه الالتزام العملى بما آمن به و الفسق هو الخروج عن الالتزام المذكور من فسقت التمره إذا خرجت عن قشرها و مآل معناه الخروج عن زى العبوديه.

و الاستفهام فى الآيه للإنكار، و قوله: «لَّا يَسْتَوُونَ» نفى لاستواء الفريقين تأكيدا لما يفيدہ الإنكار السابق.

قوله تعالى: «أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا

« المأوى المكان الذى يأوى إليه و يسكن فيه الإنسان، و النزول بضمين كل ما يعد للنازل فى بيت من الطعام و الشراب، ثم عمم كما قيل لكل عطيه، و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: « وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ » إلى آخر الآيه، كون النار مأواهم لازمه خلودهم فيها و لذلك عقبه بقوله: « كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا »، و قوله: « وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ » دليل على أن المراد بالذين فسقوا هم منكرو المعاد و خطابهم و هم فى النار بهذا الخطاب شماته بهم و كثيرا ما كانوا يشمتون فى الدنيا بالمؤمنين لقولهم بالمعاد.

قوله تعالى: « وَ لَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » لما كان غايه إذقتهم العذاب رجوعهم المرجو و الرجوع المرجو هو الرجوع إلى الله بالتوبه و الإنابه كان المراد بالعذاب الأدنى هو عذاب الدنيا النازل بهم للتخويف و الإنذار ليتوبوا دون عذاب الاستئصال و دون العذاب الذى بعد الموت و حينئذ المراد بالعذاب الأكبر عذاب يوم القيامة.

و المعنى: أقسم لنذيقنهم من العذاب الأدنى أى الأقرب مثل السنين و الأمراض و القتل و نحو ذلك قبل العذاب الأكبر يوم القيامة لعلهم يرجعون إلينا بالتوبه من شركهم و جحودهم.

قيل: سُمى عذاب الدنيا أدنى و لم يقل: الأصغر، حتى يقابل الأكبر لأن المقام مقام الإنذار و التخويف و لا يناسبه عد العذاب أصغر، و كذا لم يقل دون العذاب الأبعد حتى يقابل العذاب الأدنى لعدم ملاءمته مقام التخويف.

قوله تعالى: « وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِذَا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَّقِمُونَ » كأنه فى مقام التعليل لما تقدم من عذابهم بالعذاب الأكبر بما أنهم مكذبون فعليه بأنهم ظالمون أشد الظلم بالإعراض عن الآيات بعد التذكرة فيكونون مجرمين و الله منتقم منهم.

فقوله: « وَ مَنْ أَظْلَمُ » إلخ تعليل لعذابهم بأنهم ظالمون أشد الظلم ثم قوله: « إِذَا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَّقِمُونَ »، تعليل لعذاب الظالمين بأنهم مجرمون و العذاب انتقام منهم، و الله منتقم من المجرمين.



قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ» المراد بالكتاب التوراه و المريه الشك و الريب.

و قد اختلفوا فى مرجع الضمير فى قوله: «مِنْ لِقَائِهِ» و معنى الكلمه فقيل:

الضمير لموسى و هو مفعول اللقاء و التقدير فلا تكن فى مريه من لقاءك موسى و قد لقيه ليله المعراج كما وردت به الروايات فإن كانت السوره نازله بعد المعراج فهو تذكره لما قد وقع و إن كانت نازله قبله فهو وعد منه تعالى للنبي ص أنه سيراه.

و قيل: الضمير لموسى و المعنى: فلا تكن فى مريه من لقاءك موسى يوم القيامه.

و قيل: الضمير للكتاب و التقدير فلا تكن فى مريه من لقاء موسى الكتاب.

و قيل: التقدير من لقاءك الكتاب أو من لقاء الكتاب إياك.

و قيل: الضمير لما لقي موسى من الأذى من قومه و المعنى: فلا تكن فى مريه من لقاء الأذى كما لقيه موسى من قومه و أنت خير بأن الطبع السليم لا يقبل شيئا من هذه الوجوه—على أنها لا تفى لبيان وجه اتصال الآيه بما قبلها.

و من الممكن—و الله أعلم—أن يرجع ضمير لقائه إليه تعالى و المراد بلقائه البعث بعنايه أنه يوم يحضرون لربهم لا حجاب بينه و بينهم كما تقدم، و قد عبر عنه باللقاء قبل عده آيات فى قوله: «بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ»، ثم عبر عنه بما فى معناه فى قوله: «نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ».

فيكون المعنى: و لقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك القرآن فلا تكن فى مريه من البعث الذى ينطق به القرآن بالشك فى نفس القرآن و قد أيد نزول القرآن عليه (ص) بنزول التوراه على موسى فى مواضع من القرآن، و يؤيده قوله بعد: «وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» إلخ.

و يمكن أن يكون المراد بلقائه الانقطاع التام إليه تعالى عند وحى القرآن أو بعضه كما فى بعض الروايات، فيكون رجوعا إلى ما فى صدر السوره من قوله: «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، و ذيل الآيه أشد تأييدا لهذا الوجه من سابقه و الله أعلم.

و قوله: «وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ» أى هاديا فالمصدر بمعنى اسم الفاعل

أو بمعناه المصدرى مبالغه.

قوله تعالى: « وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ » أى و جعلنا من بنى إسرائيل أئمة يهدون الناس بأمرنا و إنما نصبناهم أئمة هداة للناس حين صبروا فى الدين و كانوا قبل ذلك موقنين بآياتنا.

و قد تقدم البحث عن معنى الإمامه و هدايه الإمام بأمر الله فى تفسير قوله:

« قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلدَّاسِ إِمَامًا » ، البقره: ١٢٤ و قوله: « وَ جَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا » ، الأنبياء: ٧٣ و غير ذلك من الموارد المناسبه.

و قد تضمنت هاتان الآيتان من الرحمه المنبسطة بالتوراه أنها هدى فى نفسه يهدى من اتبعه إلى الحق، و أنها أنشأت فى حجر تربيتها أناسا اجتباهم الله للإمامه فصاروا يهدون بأمره فهى مباركه للعمل بها و مباركه بعد العمل.

قوله تعالى: « إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » يريد اختلافهم فى الدين و إنما كان ذلك بغيا بينهم كما يذكره فى مواضع من كلامه كقوله:

« وَ لَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ X- إلى أن قال- X فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » :الجاثيه: ١٧.

فالمراد بقوله: « يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ » القضاء الفاصل بين الحق و الباطل و المحق و المبطل و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: « أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِنَا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَذَا، أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ إِنْجِيلًا، أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ تَوْرَةً، أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا » الخ، العطف على محذوف كأنه قيل: أ لم يبين لهم كذا و كذا، أ و لَمْ يَهْدِ لَهُمْ إِنْجِيلًا، و الهدايه بمعنى التبيين أو هو مضمن معنى التبيين و لذا عدى باللام.

و قوله: « كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ » مشير إلى الفاعل قائم مقامه، و المعنى:

أ و لم يبين لهم كثره من أهلكتنا من القرون و الحال أنهم يمشون فى مساكنهم.

و قوله: « إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ » المراد بالسمع سمع المواعظ المؤدى إلى طاعه الحق و قبوله.

قوله تعالى: « أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ » الخ، قال فى المجمع، السوق الحث على السير من ساقه يسوقه،

و قال: الجزر الأرض اليابسه التى ليس فيها نبات لانقطاع الأمطار عنها.انتهى.

و الزرع مصدر فى الأصل و المراد به هنا المزروع.

و الآيه تذكر آيه أخرى من آيات الله سبحانه تدل على حسن تدبيره للأشياء و خاصه ذوى الحياه منها كالأنعام و الإنسان،و المراد بسوق الماء إلى الأرض الخاليه من النبات سوق السحب الحامله للأمطار إليها،ففى نزول ماء المطر منها حياه الأرض و خروج الزرع و اغتذاء الإنسان و الأنعام التى يسخرها و يربيهامقاصد حياته.

و قوله: «أَفَلَا يُبْصِرُونَ» تنبيه و توبيخ و تخصيص هذه الآيه بالإبصار،و الآيه السابقه بالسمع لما أن العلم يهلك الأمم الماضين إنما هو بالأخبار التى تنال من طريق السمع و أما العلم بسوق الأمطار إلى الأرض الجزر و إخراج الزرع و اغتذاء الأنعام و الإنسان فالطريق إليه حاسه البصر.

قوله تعالى: «و يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ - إلى قوله- وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ» قال الراغب: الفتح إزالة الإغلاق و الإشكال- إلى أن قال-و فتح القضية فتاحا فصل الأمر فيها و أزال الإغلاق عنها،قال: «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» انتهى.

و قد تقدم فى الآيات السابقه مما يصدق عليه الفتح بمعنى الفصل أمران: أحدهما فصل بينهم يوم القيامة،و الآخر إذاقه العذاب الأدنى أو الانتقام منهم فى الدنيا و لذا فسر الفتح بعضهم بيوم القيامة فيكون معنى قولهم: مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ هو معنى قولهم المحكى كرارا فى كلامه تعالى: «مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

و فسرهم بعضهم بيوم بدر فإنه لم ينفع الذين قتلوا من المشركين إيمانهم بعد القتل.

و ذكر بعضهم أن المراد به فتح مكه و لا يلائمه الجواب المذكور فى قوله: «قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ» إلا- أن يقول قائل: إن إيمانهم يومئذ-و قد عاندوا الحق و قاتلوا النبى ص سنين و جاهدوا فى إطفاء نور الله- لم يكن إيمانا إلا نفاقا من غير أن يدخل فى قلوبهم و ينتفع به نفوسهم و قد أزموا بالإيمان و لم ينظروا.

و يمكن أن يكون المراد هو القضاء بين النبى ص و بين الأممه و يكون ذلك فى

آخر الزمان كما تقدمت الإشارة إليه في تفسير قوله: «وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ» X الآية X: يونس: 47.

و كيف كان فالمراد بالآيتين استعجال المشركين بالفتح و الجواب أنه فتح لا ينفع حال الذين كفروا إيمانهم لأنه ظرف لا ينفع نفسا إيمانها و لا أن العذاب يمهلهم و ينظرهم.

قوله تعالى: «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ انْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ» أمر بالإعراض عنهم و انتظار الفتح كما أنهم ينتظرون و إنما كانوا منتظرين موته أو قتله (ص) و بالجمله انقطاع دابر دعوته الحقه فلينتظر هو كما هم ينتظرون حتى يظهر الله الحق على الباطل و المحق على المبطل.

و من هذا السياق يظهر أن المراد بالفتح الفتح الدنيوي.

### (بحث روائى)

فى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن النبى ص قال: «تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ»، قال: هم الذين لا ينامون قبل العشاء فأثنى عليهم فلما ذكر ذلك جعل الرجل يعتزل فراشه مخافه أن تغلبه عينه فوقتها قبل أن ينام الصغير و يكسل الكبير.

أقول: و رواها أيضا فيه بطرق آخر موصوله و موقوفه، و روى صدر الحديث الشيخ فى أماليه بالإسناد عن الصادق (ع) فى الآيه و لفظه كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمه.

و فى الكافى، بإسناده عن سليمان بن خالد عن أبى جعفر (ع) قال: ألا أخبرك بالإسلام أصله و فرعه و ذروه سنامه؟ قلت: بلى جعلت فداك. قال: أما أصله فالصلاه و فرعه الزكاه و ذروه سنامه الجهاد.

ثم قال: إن شئت أخبرتك بأبواب الخير: قلت: نعم جعلت فداك. قال:

الصوم جنه و الصدقه تذهب بالخطيئه - و قيام الرجل فى جوف الليل يذكر الله ثم قرأ:

«تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ»

أقول: وروى هذا المعنى في المحاسن، بإسناده عن علي بن عبد العزيز عن الصادق (ع) وفي المجمع، عن الواحدى بالإسناد عن معاذ بن جبل عن النبي ص ورواه في الدر المنثور، عن الترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم عن معاذ عنه (ص).

و في الدر المنثور، أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: ذكر لنا رسول الله قيام الليل ففاضت عيناه - حتى تحادرت دموعه فقال: **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ .**

و فيه، أخرج ابن أبي شيبة و أحمد و مسلم و الطبرانى و ابن جرير و الحاكم و صححه و ابن مردويه و محمد بن نصر فى كتاب الصلاة من طريق أبى صخر عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال: بينما نحن عند رسول الله ص و هو يصف الجنة حتى انتهى -.

ثم قال: فيها ما لا عين رأت - ولا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر - ثم قرأ:

« **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ** » الآيتين .

و فى المجمع، و روى عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: ما من حسنه إلا و لها ثواب ميبين فى القرآن إلا صلاه الليل - فإن الله عز اسمه لم يبين ثوابها لعظم خطرها قال: « **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ** » الآية .

و فى تفسير القمى، حدثنى أبى عن عبد الرحمن بن أبى نجران عن عاصم بن حميد عن أبى عبد الله (ع) قال: ما من عمل حسن يعمله العبد - إلا و له ثواب فى القرآن إلا صلاه الليل - فإن الله عز و جل لم يبين ثوابها لعظيم خطره عنده، فقال جل ذكره:

« **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ - يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ -** » إلى قوله - **يَعْمَلُونَ** » ثم قال: إن الله عز و جل كرامه فى عباده المؤمنين - فى كل يوم جمعه فإذا كان يوم الجمعة - بعث الله إلى المؤمن ملكا معه حلتان فينتهى إلى باب الجنة - فيقول: استأذنوا لى على فلان - فيقال له هذا رسول ربك على الباب فيقول لأزواجه: أى شىء ترين على أحسن؟ فيقلن يا سيدنا و الذى أباحك الجنة - ما رأينا عليك أحسن من هذا الذى قد بعث إليك ربك - فيترز بواحد و يتعطف بالأخرى - فلا يمر بشىء إلا أضاء له حتى ينتهى إلى الموعد .

فإذا اجتمعوا تجلى لهم الرب تبارك و تعالى - فإذا نظروا إليه أى إلى رحمته خروا

سجدا- فيقول: عبادى ارفعوا رءوسكم ليس هنا يوم سجد- ولا عباده قد رفعت عنكم المئونه- فيقولون: يا ربنا و أى شىء أفضل مما أعطيتنا؟ أعطيتنا الجنة فيقول: لكم مثل ما فى أيديكم سبعين مره.

فيرجع المؤمن فى كل جمعه بسبعين ضعفا مثل ما فى يديه- و هو قوله: « وَ لَمَدِينًا مَزِيدٌ » و هو يوم الجمعة- إن ليلها ليله غراء و يومها يوم أزهرا- فآكثروا من التسبيح و التهليل و التكبير- و الثناء على الله عز و جل و الصلاه على رسول الله ص.

قال: فيمر المؤمن فلا يمر بشىء إلا أضاء له- حتى ينتهى إلى أزواجه فيقلن:

و الذى أباحنا الجنة، يا سيدنا ما رأيناك أحسن منك الساعة. فيقول: إنى نظرت إلى نور ربى- إلى أن قال:- قلت جعلت فداك زدنى. فقال: إن الله تعالى خلق جنه بيده- و لم يرها عين و لم يطلع عليها مخلوق- يفتحها الرب كل صباح فيقول: ازدادى ريحا ازدادى طيبا و هو قول الله: « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ».

أقول: ذيل الروايه تفسير لصدرها و قوله: أى إلى رحمه ربه. من كلام الراوى.

و فى الكافى، بإسناده عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبى عبد الله (ع) قال:

من أطمع مؤمنا حتى يشبعه- لم يدر أحد من خلق الله جل و عز ما له من الأجر- فى الآخرة لا ملك مقرب و لا نبى مرسل إلا الله رب العالمين.

و فى تفسير القمى، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع): فى قوله تعالى:

« أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ » قال: إن على بن أبى طالب و الوليد بن عقبه بن أبى معيط تشاجرا- فقال الفاسق وليد بن عقبه: أنا و الله أبسط منك لسانا و أحد منك سنانا- و أمثل منك جثوا فى الكتيبه. فقال على (ع): اسكت إنما أنت فاسق- فأنزل الله « أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ».

أقول: و رواه فى المجمع، عن الواحدى عن ابن عباس و فى الدر المنثور، عن كتاب الأغانى و الواحدى و ابن عدى و ابن مردويه و الخطيب و ابن عساكر عنه و أيضا عن ابن إسحاق و ابن جرير عن عطاء بن يسار و عن ابن أبى حاتم عن السدى عنه و أيضا عن ابن أبى حاتم عن ابن أبى ليلى مثله .

و فى الاحتجاج، عن الحسن بن على (ع): فى حديث يحاج فيه رجالا عند معاويه:

و أما أنت يا وليد بن عقبه-فوالله ما ألومك أن تبغض عليا-و قد جلدك فى الخمر ثمانين جلده-و قتل أباك صبيرا بيده يوم بدر  
أم كيف تسبه-و قد سماه الله مؤمنا فى عشر آيات من القرآن-و سماك فاسقا و هو قول الله عز و جل: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ  
كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ».

و فى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أبى إدريس الخولانى قال: سألت عباده بن الصامت عن قول الله: «وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ  
الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ» فقال: سألت رسول الله ص عنها فقال: هى المصائب و الأسقام و الأنصاب-عذاب للمسرف فى  
الدنيا دون عذاب الآخرة-قلت: يا رسول الله فما هى لنا؟ قال:

زكاه و طهور.

و فى المجمع، فى الروايه عن أبى جعفر و أبى عبد الله (ع): أن العذاب الأدنى الدابه و الدجال.

ص: ٢٧١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَوَالِيِّكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥) النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لَيْسَتِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨)



تتضمن السوره تفاريق من المعارف و الأحكام و القصص و العبر و المواعظ و فيها قصه غزوه الخندق و إشاره إلى قصه بنى القريظه من اليهود، و سياق آياتها يشهد بأنها مما نزلت بالمدينه.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّبِعِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أمر للنبي ص بتقوى الله و فيه تمهيد للنهي الذي بعده «وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ».

و فى سياق النهى-و قد جمع فيه بين الكافرين و المنافقين و نهى عن إطاعتهم- كشف عن أن الكافرين كانوا يسألونه أمرا لا يرتضيه الله سبحانه و كان المنافقون يؤيدونهم فى مسألتهم و يلحون، أمرا كان الله سبحانه بعلمه و حكمته قد قضى بخلافه و قد نزل الوحي الإلهي بخلافه، أمرا خطيرا لا- يؤمن مساعده الأسباب على خلافه إلا أن يشاء الله فحذر النبي ص عن إجابتهم إلى ملتسمهم و أمر بمتابعه ما أوحى الله إليه و التوكل عليه.

و بهذا يتأيد ما ورد فى أسباب النزول أن عده من صناديد قريش بعد وقعه أحد دخلوا المدينه بأمان من النبي ص و سألوا النبي ص أن يتركهم و آلهتهم فيتركوه و إلهه فنزلت الآيات و لم يجبهم النبي إلى ذلك و سيأتى فى البحث الروائي التالى.

و بما تقدم ظهر وجه تذييل الآيه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ و كذا تعقيب الآيه بالآيتين بعدها.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

الآية عامه في حد نفسها لكنها من حيث وقوعها في سياق النهي تأمر النبي ص باتباع ما نزل به الوحي فيما يسأله الكافرون و المنافقون و أتباعه إجراؤه عملاً بدليل قوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا».

قوله تعالى: «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا» الآية كآية السابقة في أنها عامه في حد نفسها، لكنها لوقوعها في سياق النهي السابق تدل على الأمر بالتوكل على الله فيما يأمره به الوحي و تشعر بأنه أمر صعب المنال بالنظر إلى الأسباب الظاهرية لا يسلم القلب معه من عارضه المخافة و الاضطراب إلا التوكل على الله سبحانه فإنه السبب الوحيد الذي لا يغلبه سبب مخالف.

قوله تعالى: «مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» كناية عن امتناع الجمع بين المتنافيين في الاعتقاد فإن القلب الواحد أى النفس الواحدة لا يسع اعتقادين متنافيين و رأيين متناقضين فإن كان هناك متنافيان فهما لقلبين و ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فالرجل الواحد لا يسعه أن يعتقد المتنافيين و يصدق بالمتناقضين و قوله: «فِي جَوْفِهِ» يفيد زياده التقرير كقوله: «وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»: الحج: ٤٦.

قيل: الجملة توطئه و تمهيد كالتعليل لما يتلوها من إلغاء أمر الظهار و التبنى فإن في الظهار جعل الزوجه بمنزله الأم و فى التبنى و الدعاء جعل ولد الغير ولدا لنفسه و الجمع بين الزوجيه و الأمومه و كذا الجمع بين بنوه الغير و بنوه نفسه جمع بين المتنافيين و لا يجتمعان إلا فى قلبين و ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه.

و لا- يبعد أن تكون الجملة فى مقام التعليل لقوله السابق: «لَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ» «وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ مِنْ رَبِّكَ» فإن طاعه الله و ولايته و طاعه الكفار و المنافقين و ولايتهم متنافيتان متباينتان كالتوحيد و الشرك لا يجتمعان فى القلب الواحد و ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه.

قوله تعالى: «وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ» كان الرجل فى الجاهليه يقول لزوجته أنت منى كظهر أمى أو ظهر ك على كظهر أمى فيشبه ظهرها بظهر أمه و كان يسمى ذلك ظهارا و يعد طلاقا لها، و قد ألغاه الإسلام.

فمفاد الآية أن الله لم يجعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن بقول ظهر ك على

كظهر أمة أمهات لكم و إذ لم يجعل ذلك فلا أثر لهذا القول و الجعل تشريعى.

قوله تعالى: «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ» الأدياء جمع دعى و هو المتخذ ولدا المدعو ابنا و قد كان الدعاء و التبني دائرا بينهم فى الجاهلية و كذا بين الأمم الراقية يومئذ كالروم و فارس و كانوا يرتبون على الدعى أحكام الولد الصلبى من التوارث و حرمة الازدواج و غيرهما و قد ألغاه الإسلام.

فمفاد الآيه أن الله لم يجعل الذين تدعونهم لأنفسكم أبناء لكم بحيث يجرى فيهم ما يجرى فى الأبناء الصليبين.

قوله تعالى: «ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» الإشاره بقوله: «ذَلِكُمْ» إلى ما تقدم من الظهار و الدعاء أو إلى الدعاء فقط و هو الأظهر و يؤيده اختصاص الآيه التاليه بحكم الدعاء فحسب.

و قوله: «قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ» أى إن نسبه الدعى إلى أنفسكم ليس إلا قولاً تقولونه بأفواهكم ليس له أثر وراء ذلك فهو كناية عن انتفاء الأثر كما فى قوله: «كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا»: المؤمنون: ١٠٠.

و قوله: «وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» معنى كون قوله: هو الحق أنه إن أخبر عن شىء كان الواقع مطابقاً لما أخبر به و إن أنشأ حكماً ترتب عليه آثاره و طابقت المصلحه الواقعيه.

و معنى هدايته السبيل أنه يحمل من هدايه على سبيل الحق التى فيها الخير و السعاده و فى الجملتين تلويح إلى أن دعوا أقوالكم و خذوا بقوله.

قوله تعالى: «أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ» إلى آخر الآيه. اللام فى «لِأَبَائِهِمْ» للاختصاص أى ادعوهم و هم مخصوصون بأبائهم أى انسبوهم إلى آبائهم و قوله:

«هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ» الضمير إلى المصدر المفهوم من قوله: «أَدْعُوهُمْ» نظير قوله:

«إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» و «أقسط» صيغه تفضيل من القسط بمعنى العدل.

و المعنى: انسبوهم إلى آبائهم- إذا دعوتموهم- لأن الدعاء لأبائهم أعدل عند الله.

و قوله: «فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِيكُمْ»، المراد بعدم

علمهم آباءهم عدم معرفتهم بأعيانهم، و الموالى هم الأولياء، و المعنى: و إن لم تعرفوا آباءهم فلا- تنسبهم إلى غير آباءهم بل ادعوهم بالإخوه و الولايه الدينيه.

و قوله: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُزَاءٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ» أى لا- ذنب لكم فى الذى أخطأتم به لسهو أو نسيان فدعوتهم لغير آباءهم و لكن الذى تعمدته قلوبكم ذنب أو و لكن تعمد قلوبكم بذلك فيه الذنب.

و قوله: «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» راجع إلى ما أخطئ به.

قوله تعالى: «الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَرْوَاجُهُمْ أَمْهَاتُهُمْ» أنفس المؤمنين هم المؤمنون فمعنى كون النبى أولى بهم من أنفسهم أنه أولى بهم منهم: و معنى الأولويه هو رجحان الجانب إذا دار الأمر بينه و بين ما هو أولى منه فالمحصل أن ما يراه المؤمن لنفسه من الحفظ و الكلاءه و المحبه و الكرامه و استجابته الدعوه و إنفاذ الإراده فالنبى أولى بذلك من نفسه و لو دار الأمر بين النبى و بين نفسه فى شىء من ذلك كان جانب النبى أرجح من جانب نفسه.

ففيما إذا توجه شىء من المخاطر إلى نفس النبى فليقه المؤمن بنفسه و يفده نفسه و ليكن النبى أحب إليه من نفسه و أكرم عنده من نفسه و لو دعت نفسه إلى شىء و النبى إلى خلافه أو أرادت نفسه منه شيئاً و أراد النبى خلافه كان المتعين استجابته النبى ص و طاعته و تقديمه على نفسه.

و كذا النبى ص أولى بهم فيما يتعلق بالأمر الدينويه أو الدينيه كل ذلك لمكان الإطلاق فى قوله: «الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ».

و من هنا يظهر ضعف ما قيل: إن المراد أنه أولى بهم فى الدعوه فإذا دعاهم إلى شىء و دعتهم أنفسهم إلى خلافه كان عليهم أن يطيعوه و يعصوا أنفسهم، فتكون الآيه فى معنى قوله: «وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ» ، النساء: ٥٩ و قوله: «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» ، النساء: ٦٤ و ما أشبه ذلك من الآيات و هو مدفوع بالإطلاق.

و كذا ما قيل إن المراد أن حكمه فيهم أنفذ من حكم بعضهم على بعض كما فى قوله:

«فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسِيَكُمْ» ، النور: ٦١ و يثول إلى أن ولايته على المؤمنين فوق ولايه بعضهم على بعض المدلول عليه بقوله: «الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» : براءه: ٧١.

و فيه أن السياق لا يساعد عليه.

وقوله: «وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» جعل تشريعي أى أنهم بمنزلة أمهاتهم فى وجوب تعظيمهن و حرمة نكاحهن بعد النبى ص كما سيأتى التصريح به فى قوله:

«وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا».

فالتنزيل إنما هو فى بعض آثار الأعمومه لا- فى جميع الآثار كالتوارث بينهن و بين المؤمنين و النظر فى وجوههن كالأمهات و حرمة بناتهن على المؤمنين لصيرورتهن أخوات لهم و كصيروره آبائهن و أمهاتهن أجدادا و جدات و إخوتهن و أخواتهن أخوالا و خالات للمؤمنين.

قوله تعالى: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ» إلخ، الأرحام جمع رحم و هى العضو الذى يحمل النطفه حتى تصير جنينا فيتولد، و إذ كانت القرابه النسبيه لازمه الانتهاء إلى رحم واحده عبر عن القرابه بالرحم فسمى ذوو القرابه أولى الأرحام.

و المراد بكون أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض، الأولويه فى التوارث، و قوله:

«فِي كِتَابِ اللَّهِ» المراد به اللوح المحفوظ أو القرآن أو السوره، و قوله: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ» مفضل عليه و المراد بالمؤمنين غير المهاجرين منهم، و المعنى: و ذوو القرابه بعضهم أولى ببعض من المهاجرين و سائر المؤمنين الذين كانوا يرثون بالمؤاخاه الدينيه، و هذه الأولويه فى كتاب الله و ربما احتمل كون قوله: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ» بيانا لقوله: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ».

و الآيه ناسخه لما كان فى صدر الإسلام من التوارث بالهجره و الموالاه فى الدين.

و قوله: «إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيْهِ أَوَّلِيَانِكُمْ مَعْرُوفًا» الاستثناء منقطع، و المراد بفعل المعروف إلى الأولياء الوصيه لهم بشىء من التركه، و قد حد شرعا بثلث المال فما دونه، و قوله:

«كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا» أى حكم فعل المعروف بالوصيه مسطور فى اللوح المحفوظ أو القرآن أو السوره.

قوله تعالى: «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا» إضافة الميثاق إلى ضمير النبيين دليل على أن المراد بالميثاق ميثاق خاص بهم كما أن ذكرهم بوصف النبوه مشعر بذلك فالميثاق

المأخوذ من النبيين ميثاق خاص من حيث إنهم نبون و هو غير الميثاق المأخوذ من عامه البشر الذى يشير إليه فى قوله: «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ» :الأعراف: ١٧٢.

وقد ذكر أخذ الميثاق من النبيين فى موضع آخر و هو قوله: «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حَكَمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَبْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا» :آل عمران: ٨١.

و الآيه المبسووث عنها و إن لم تبين ما هو الميثاق المأخوذ منهم و إن كانت فيها إشاره إلى أنه أمر متعلق بالنبوه لكن يمكن أن يستفاد من آيه آل عمران أن الميثاق مأخوذ على وحده الكلمه فى الدين و عدم الاختلاف فيه كما فى قوله: «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ» ، :الأنبياء: ٩٢ و قوله: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» :الشورى: ١٣.

وقد ذكر النبيين بلفظ عام يشمل الجميع ثم سمي خمسة منهم بأسمائهم بالعطف عليهم فقال: «وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ» و معنى العطف إخراجهم من بينهم و تخصيصهم بالذكر كأنه قيل: و إذ أخذنا الميثاق منكم أيها الخمسه و من باقى النبيين.

و لم يخصهم بالذكر على هذا النمط إلا لعظمه شأنهم و رفعه مكانهم فإنهم أولوا عزم و أصحاب شرائع و كتب و قد عدهم على ترتيب زمانهم: نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى بن مريم (ع)، لكن قدم ذكر النبى ص و هو آخرهم زمانا لفضله و شرفه و تقدمه على الجميع.

و قوله: «وَ أَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا» تأكيد و تغليظ للميثاق نظير قوله: «وَ لَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ» :هود: ٥٨.

قوله تعالى: «لَيْسَ بَلِّ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا» اللام فى «لَيْسَ بَلِّ» للتعليل أو للغايه و هو متعلق بمحذوف يدل عليه قوله: «وَ إِذْ أَخَذْنَا» و قوله: «وَ أَعَدَّ» معطوف على ذلك المحذوف، و التقدير فعل ذلك أى أخذ الميثاق

ليتمهد له سؤال الصادقين عن صدقهم و أعد للكافرين عذابا أليما.

و لم يقل: و ليعد للكافرين عذابا، إشاره أن عذابهم ليس من العلل الغائيه لأخذ الميثاق و إنما النقص من ناحيتهم و الخلف من قبلهم.

و أما سؤال الصادقين عن صدقهم فقول: المراد بالصادقين الأنبياء و سؤالهم عن صدقهم هو سؤالهم يوم القيامة عما جاءت به أممهم و كأنه مأخوذ من قوله تعالى: «يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ» :المائدة: ١٠٩.

و قيل: المراد سؤال الصادقين فى توحيد الله و عدله و الشرائع عن صدقهم أى عما كانوا يقولون فيه، و قيل: المراد سؤال الصادقين فى أقوالهم عن صدقهم فى أفعالهم، و قيل: المراد سؤال الصادقين عما قصدوا بصدقهم أ هو وجه الله أو غيره؟ إلى غير ذلك من الوجوه و هى كما ترى.

و التأمل فيما يفيد قوله: «لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ» يرشد إلى خلاف ما ذكره، ففرق بين قولنا: سألت الغنى عن غناه و سألت العالم عن علمه، و بين قولنا:

سألت زيدا عن ماله أو عن علمه، فالمتبادر من الأولين أنى طالبته أن يظهر غناه و أن يظهر علمه، و من الأخيرين أنى طالبته أن يخبرنى هل له مال أو هل له علم؟ أو يصف لى ما له من المال أو من العلم.

و على هذا فمعنى سؤال الصادقين عن صدقهم مطالبتهم أن يظهر ما فى باطنهم من الصدق فى مرتبه القول و الفعل و هو عملهم الصالح فى الدنيا فالمراد بسؤال الصادقين عن صدقهم توجيه التكليف على حسب الميثاق إليهم ليظهر منهم صدقهم المستبطن فى نفوسهم و هذا فى الدنيا لا فى الآخرة فأخذ الميثاق فى نشأه أخرى قبل الدنيا كما يدل عليه آيات الذر «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ» الآيات.

و بالجمله الآيتان من الآيات المنبئه عن عالم الذر المأخوذ فيه الميثاق و تذكر أن أخذ الميثاق من الأنبياء (ع) و ترتب شأنهم و عملهم فى الدنيا على ذلك فى ضمن ترتب صدق كل صادق على الميثاق المأخوذ منه.

و لمكان هذا التعميم ذكر عاقبه أمر الكافرين مع أنهم ليسوا من قبيل النبين

و الكلام فى الميثاق المأخوذ منهم فكأنه قيل: أخذنا ميثاقا غليظا من النسيين أن تتفق كلمتهم على دين واحد يبلغونه ليسأل الصادقين و يطالبهم بالتكليف و الهدايه إظهار صدقهم فى الاعتقاد و العمل ففعلوا فقدر لهم الثواب و أعد للكافرين عذابا أليما.

و من هنا يظهر وجه الالتفات من التكلم مع الغير إلى الغيبه فى قوله: «لَيْسَ مَثَلُ الصَّادِقِينَ» الخ، و ذلك لأن الميثاق على عبادته وحده لا- شريك له و إن كان أخذه منه تعالى بوساطه من الملائكه المصحح لقوله: «أَخَذْنَا» و «أَخَذْنَا» فالمطالب لصدق الصادقين و المعد لعذاب الكافرين بالحقيقه هو تعالى وحده ليعبد وحده فتدبر.

### (بحث روائى)

فى المجمع،": فى قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ» الآيات-نزلت فى أبى سفيان بن حرب و عكرمه بن أبى جهل و أبى الأعور السلمى-قدموا المدينة و نزلوا على عبد الله بن أبى-بعد غزوه أحد بأمان من رسول الله ص-ليكلموه فقاموا و قام معهم عبد الله بن أبى-و عبد الله بن سعيد بن أبى سرح و طعمه بن أبيرق-فدخلوا على رسول الله ص فقالوا: يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات و العزى و مناه-و قل: إن لها شفاعه لمن عبدها و ندعك و ربك. فشق ذلك على رسول الله ص. فقال عمر بن الخطاب: ائذن لنا يا رسول الله فى قتلهم، فقال: إنى أعطيتهم الأمان و أمر-فأخرجوا من المدينة و نزلت الآية» و لا- تُطعِ الكافرين» من أهل مكه أبى سفيان و أبى الأعور و عكرمه «و المُنَافِقِينَ» ابن أبى و ابن سعيد و طعمه:

أقول: و روى إجمال القصه فى الدر المنثور، عن جرير عن ابن عباس

، و روى أسباب آخر لنزول الآيات لكنها أجنبيه غير ملائمه لسياق الآيات فأضربنا عنها.

و فى تفسير القمى،: فى قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ» حدثنى أبى عن ابن أبى عمير عن جميل عن أبى عبد الله (ع) قال: كان سبب ذلك أن رسول الله ص لما تزوج بخديجه بنت خويلد-خرج إلى سوق عكاظ فى تجاره-و رأى زيدا يباع و رآه غلاما كيسا حصينا-فاشتراه فلما نبئ رسول الله ص دعاه إلى الإسلام-فأسلم و كان يدعى زيد مولى محمد.



فلما بلغ حارثه بن شراحيل الكلبى خبر ولده زيد قدم مكة-و كان رجلا جليلا فأتى أبا طالب-فقال:يا أبا طالب إن ابني وقع عليه السبي-و بلغني أنه صار إلى ابن أخيك-تسأله إما أن يبيعه و إما أن يفاديه و إما أن يعتقه.

فكلم أبو طالب رسول الله ص فقال رسول الله:هو حر فليذهب حيث شاء فقام حارثه فأخذ بيد زيد-فقال له:يا بني الحق بشرفك و حسبك،فقال زيد:لست أفارق رسول الله،فقال له أبوه:فتدع حسبك و نسبك-و تكون عبدا لقريش؟فقال زيد:لست أفارق رسول الله ما دمت حيا،فغضب أبوه فقال:يا معشر قريش اشهدوا أني قد برئت منه و ليس هو ابني،فقال رسول الله ص:اشهدوا أن زيدا ابني أرثه و يرثني.فكان زيد يدعى ابن محمد-و كان رسول الله ص يحبه و سماه زيد الحب.

فلما هاجر رسول الله ص إلى المدينة-زوجه زينب بنت جحش-و أبطأ عنه يوما فأتى رسول الله منزله يسأل عنه-فإذا زينب جالسه وسط حجرتها يستحق طيبها بفهر لها-فدفع رسول الله الباب و نظر إليها و كانت جميله حسنه-فقال:سبحان الله رب النور و تبارك الله أحسن الخالقين،ثم رجع رسول الله إلى منزله-و وقعت زينب في قلبه موقعا عجيبا.

و جاء زيد إلى منزله فأخبرته زينب بما قال رسول الله-فقال لها زيد:هل لك أن أطلقك حتى يتزوج بك رسول الله؟فقالت:أخشى أن تطلقني و لا يتزوجني رسول الله.فجاء زيد إلى رسول الله فقال:بأبي أنت و أمي يا رسول الله أخبرتنى زينب بكذا و كذا-فهل لك أن أطلقها حتى تتزوجها؟فقال له رسول الله:لا اذهب-و اتق الله و أمسك عليك زوجك،ثم حكى الله فقال:«أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ- وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ-وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ-فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا-إِلَى قَوْلِهِ- وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا»فوجه الله من فوق عرشه.

فقال المنافقون:يحرم علينا نساء أبنائنا و يزوج امراه ابنه زيد-فأنزل الله في هذا « وَ مَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ-إِلَى قَوْلِهِ- يَهْدِي السَّبِيلَ ».

أقول:و روى قريبا منه مع اختلاف ما فى الدر المنثور،عن ابن مردويه عن ابن عباس.

و في الدر المنثور، أخرج أحمد و أبو داود و ابن مردويه عن جابر عن النبي ص أنه كان يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه- فأیما رجل مات و ترك دینا فالی، و من ترك مالا فهو لورثته.

أقول: و في معناه روايات أخر من طرق الشيعة و أهل السنة.

و فيه، أخرج ابن أبي شيبه و أحمد و النسائي عن بريده قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوه- فلما قدمت على رسول الله ص ذكرت عليا فتنقصته- فرأيت وجه رسول الله ص تغير و قال: يا بريده- أ لست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلى مولاه.

و في الاحتجاج، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في حديث طويل قال: سمعت رسول الله ص يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم. من كنت أولى به من نفسه فأنت أولى به من نفسه- و علي بين يديه في البيت:

أقول: و رواه في الكافي، بإسناده عن جعفر عنه (ص)

و الأحاديث في هذا المعنى من طرق الفريقين فوق حد الإحصاء.

و في الكافي، بإسناده عن حنان قال\*: قلت لأبي عبد الله (ع): أي شيء للموالي؟ فقال: ليس لهم من الميراث إلا ما قال الله عز و جل: «إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيْهِ أَوْلِيَاءِ كُمْ مَعْرُوفًا».

و في الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله متى أخذ ميثاقتك؟ قال: و آدم بين الروح و الجسد.

أقول: و هو بلفظه مروى بطرق مختلفه عنه (ص) و معناه كون الميثاق مأخوذا في نشأه غير هذه النشأه و قبلها.

## [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٩ الى ٢٧]

### إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَ إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَ مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَ لَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ آفَاطِرِهَا ثُمَّ سِئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَ مَا تَلَبُّوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَ لَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَ كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذَا لَا تُمَتِّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ الْبِئْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّهَ عَلَيْكُمْ فَاِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَاِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّيْتِ حَدَادٍ أَشِحَّهَ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ

يُؤْمِنُوا فَاجْتَبِ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَحْزَابِ يَسْتُلُونَ عَنْ آلِيائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَدْعُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا (٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)



قصه غزوه الخندق و ما عقبها من أمر بنى قريظه و وجه اتصالها بما قبلها ما فيها من ذكر حفظ العهد و نقضه.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ إلخ، تذكير للمؤمنين بما أنعم عليهم أيام الخندق بنصرهم و صرف جنود المشركين عنهم و قد كانوا جنودا مجنده من شعوب و قبائل شتى كغطفان و قريش و الأحابيش و كنانة و يهود بنى قريظه و النضير أحاطوا بهم من فوقهم و من أسفل منهم فسلط الله عليهم الريح و أنزل ملائكة يخذلونهم.

و هو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ﴾ ظرف للنعمه أو لثبوتها ﴿جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من طوائف كل واحده منهم جند كغطفان و قريش و غيرهما «فَأَرْسَلْنَا» بيان للنعمه و هو الإرسال المتفرع على مجيئهم «عَلَيْهِمْ رِيحًا» و هى الصبا و كانت بارده فى ليال شاتيه «و جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا» و هى الملائكة لخذلان المشركين «وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا».

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ إلخ الجاءون من فوقهم و هو الجانب الشرقى للمدينه غطفان و يهود بنى قريظه و بنى النضير و الجاءون من أسفل منهم و هو الجانب الغربى لها قريش و من انضم إليهم من الأحابيش و كنانة فقوله: ﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ عطف بيان لقوله: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾.

و قوله: ﴿إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾، عطف بيان آخر لقوله:

﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ﴾ إلخ، و زيغ الأبصار ميلها و القلوب هى الأنفس و الحناجر جمع حنجر و هو جوف الحلقوم.

و الوصفان أعنى زيغ الأبصار و بلوغ القلوب الحناجر كنايةان عن كمال غشيان الخوف لهم حتى حولهم إلى حال المحتضر الذى يزيغ بصره و تبلغ روحه الحلقوم.

و قوله: ﴿وَ تَطُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ أى يظن المنافقون و الذين فى قلوبهم مرض الظنون فبعضهم يقول: إن الكفار سيغلبون و يستولون على المدينه، و بعضهم يقول:

إن الإسلام سينمحق و الدين سيضيع، و بعضهم يقول: إن الجاهليه ستعود كما كانت، و بعضهم يقول: إن الله غرهم و رسوله إلى غير ذلك من الظنون.

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ هنالك إشاره بعيده إلى زمان أو مكان و المراد الإشاره إلى زمان مجيء الجنود و كان شديدا عليهم

لغايه بعيده،و الابتلاء الامتحان،و الزلزه و الزلزال الاضطراب،و الشده القوه و تختلفان فى أن الغالب على الشده أن تكون محسوسا بخلاف القوه،قيل:و لذلك يطلق القوى عليه تعالى دون الشديد.

و المعنى فى ذلك الزمان الشديد امتحن المؤمنون و اضطربوا خوفا اضطرابا شديدا.

قوله تعالى: «وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» الذين فى قلوبهم مرض هم ضعفاء الإيمان من المؤمنين و هم غير المنافقين الذين يظهرون الإيمان و يبطنون الكفر،و إنما سمي المنافقون الرسول لمكان إظهارهم الإسلام.

و الغرور حمل الإنسان على الشر بإراءته فى صورته الخير و الاغترار احتماله له.

قال الراغب:يقال:غررت فلانا أصبت غرته و نلت منه ما أريد،و الغره -بكسر الغين- غفله فى اليقظه.انتهى.

و الوعد الذى يعدونه غرورا من الله و رسوله لهم بقريته المقام هو وعد الفتح و ظهور الإسلام على الدين كله و قد تكرر فى كلامه تعالى كما ورد أن المنافقين قالوا:

يعدنا محمد أن يفتح مدائن كسرى و قيصر و نحن لا نأمن أن نذهب إلى الخلاء.

قوله تعالى: «وَ إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا» يثرب اسم المدينة قبل الإسلام ثم غلب عليه اسم مدينه الرسول بعد الهجره ثم المدينه، و المقام بضم الميم الإقامة،و قولهم: لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا أى لا وجه لإقامتكم هاهنا قبال جنود المشركين فالغلبه لهم لا محاله فارجعوا ثم أتبعه بحكاية ما قاله آخرون فقال عاطفا على قوله:قالت طائفه: «وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ» أى من المنافقين و الذين فى قلوبهم مرض «النَّبِيِّ» فى الرجوع «يَقُولُونَ» استئذانا «إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ» أى فيها خلل لا يأمن صاحبها دخول السارق و زحف العدو «وَ مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ» أى ما يريدون بقولهم هذا «إِلَّا فِرَارًا».

قوله تعالى: «وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهِمْ ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا» وَ مَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا» ضمائر الجمع للمنافقين و المرضى القلوب و الضمير فى «دُخِلَتْ» للبيوت و معنى دخلت عليهم دخل الجنود البيوت حال كونه دخولا عليهم،و الأقطار جمع قطر و هو الجانب،و المراد بالفتنه بقريته المقام الرده و الرجعه من الدين و المراد بسؤالها

طلبها منهم، و التلبث التأخر.

و المعنى: لو دخل جنود المشركين بيوتهم من جوانبها و هم فيها ثم طلبوا منهم أن يرتدوا عن الدين لأعطوهم مسئولهم و ما تأخروا بالرد إلا يسيرا من الزمان بمقدار الطلب و السؤال أى إنهم يقيمون على الدين ما دام الرخاء فإذا هجمت عليهم الشده و البأس لم يلبثوا دون أن يرجعوا.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَ كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا» اللام للقسم، وقوله: «لَا يُولُونَ الدُّبَارَ» أى لا يفرون عن القتال و هو بيان للعهد و لعل المراد بعهدهم من قبل هو بيعتهم بالإيمان بالله و رسوله و ما جاء به رسوله و مما جاء به: الجهاد الذى يحرم الفرار فيه و معنى الآيه ظاهر.

قوله تعالى: «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا» إذ لا بد لكل نفس من الموت لأجل مقضى محتوم لا يتأخر عنه ساعه و لا يتقدم عليه فالفرار لا يؤثر فى تأخير الأجل شيئاً.

و قوله: «وَ إِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا» أى و إن نفعكم الفرار فمتعمت بتأخر الأجل فرضاً لا يكون ذلك التمتع إلا تمتيعاً قليلاً أو فى زمان قليل لكونه مقطوع الآخر لا محاله.

قوله تعالى: «قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا» كانت الآيه السابقه تنبيهها لهم على أن حياه الإنسان مقضى مؤجل لا ينفع معه فرار من الزحف و فى هذه الآيه تنبيه على أن الشر و الخير تابعان لإرادة الله محضاً لا يمنع عن نفوذها سبب من الأسباب و لا يعصم الإنسان منها أحد فالحزم إيكال الأمر إلى إرادته تعالى و القرار على أمره بالتوكل عليه.

و لما كانت قلوبهم مرضى أو مشغوله بكفر مستبطن عدل عن أمر النبى ص بتكليمهم إلى تكليم نفسه فقال: «وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا».

قوله تعالى: «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - يَبِيرًا التَّعْوِيقُ التَّشْيِيطُ وَ الصَّرْفُ، وَ هَلْمُ اسْمُ فَعْلٍ بِمَعْنَى أَقْبَلَ، وَ لَا يَثْنَى وَ لَا يَجْمَعُ فِي لُغَةِ الْحِجَازِ، وَ الْبَأْسُ الشَّدَّةُ وَ الْحَرْبُ، وَ أَشْحَهُ جَمْعُ شَحِيحٍ بِمَعْنَى الْبَخِيلِ، وَ الَّذِي يَغْشَى عَلَيْهِ هُوَ الَّذِي أَخَذَتْهُ



الغشوه فغابت حواسه و أخذت عيناه تدوران، و السلق بالفتح فالسكون الضرب و الطعن.

و معنى الآيتين: إن الله ليعلم الذين يشبطون منكم الناس و يصرفونهم عن القتال و هم المنافقون و يعلم الذين يقولون من المنافقين لإخوانهم من المنافقين أو ضعفه الإيمان تعالوا و أقبوا و لا يحضرون الحرب إلا قليلا بخلاء عليكم بنفوسهم.

فإذا جاء الخوف بظهور مخائل القتال تراهم ينظرون إليك من الخوف نظرا لا- إرادته لهم فيه و لا- استقرار فيه لأعينهم تدور أعينهم كالمغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف ضربوكم و طعنوكم بألسنه حداد قاطعه حال كونهم بخلاء على الخير الذى نلتموه.

أولئك لم يؤمنوا و لم يستقر الإيمان فى قلوبهم و إن أظهروه فى ألسنتهم فأبطل الله أعمالهم و أحبطها و كان ذلك على الله يسيرا.

قوله تعالى: «يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا» إلى آخر الآية، أى يظنون من شدته الخوف أن الأحزاب- و هم جنود المشركين المتحزبون على النبى ص- لم يذهبوا بعد «وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ» مره ثانيه بعد ذهابهم و تركهم المدينة «يُودُوا» و يجبوا «أَنَّهُمْ بِأَدُونِ» أى خارجون من المدينة إلى البدو «فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونَ عَنِ الْبَائِئِكُمْ» و أخباركم «و لَوْ كَانُوا فِيكُمْ» و لم يخرجوا منها بادين «مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا» أى و لا كثير فائده فى لزومهم إياكم و كونهم معكم فإنهم لن يقاتلوا إلا قليلا لا يعتد به.

قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» الأسوه القدوه و هى الاقتداء و الاتباع، و قوله: «فِي رَسُولِ اللَّهِ» أى فى مورد رسول الله و الأسوه التى فى مورده هى تأسيهم به و اتباعهم له و التعبير بقوله: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ» الدال على الاستقرار و الاستمرار فى الماضى إشاره إلى كونه تكليفا ثابتا مستمرا.

و المعنى: و من حكم رساله الرسول و إيمانكم به أن تتأسوا به فى قوله و فعله و أنتم ترون ما يقاسيه فى جنب الله و حضوره فى القتال و جهاده فى الله حق جهاده.

و فى الكشف:، فإن قلت: فما حقيقه قوله: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»؟ و قرئ أسوه بالضم. قلت: فيه وجهان: أحدهما أنه فى نفسه أسوه حسنه

أى قدوه و هو المؤتسى أى المقتدى به كما تقول: فى البيضة عشرون منا حديد أى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد. و الثانى: أن فيه خصله من حقها أن يؤتسى بها و تتبع و هى المواساه بنفسه انتهى و أول الوجهين قريب مما قدمناه.

و قوله: «لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» بدل من ضمير الخطاب فى «لَكُمْ» للدلاله على أن التأسى برسول الله ص خصله جميله زاكيه لا يتصف بها كل من تسمى بالإيمان، و إنما يتصف بها جمع ممن تلبس بحقيقه الإيمان فكان يرجو الله و اليوم الآخر أى تعلق قلبه بالله فآمن به و تعلق قلبه باليوم الآخر فعمل صالحا و مع ذلك ذكر الله كثيرا فكان لا يغفل عن ربه فتأسى بالنبي فى أفعاله و أعماله.

و قيل: قوله: «لِمَنْ كَانَ» إلخ، صلته لقوله: «حَسْبَنَهُ» أو صفه له لل منع عن الإبدال من ضمير الخطاب و مآل الوجوه الثلاثه بحسب المعنى واحد.

قوله تعالى: «وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» و وصف لحال المؤمنين لما شاهدوا الأحزاب و نزول جيوشهم حول المدينة فكان ذلك سبب رشدهم و تبصرهم فى الإيمان و تصديقهم لله و لرسوله على خلاف ما ظهر من المنافقين و الذين فى قلوبهم مرض من الارتباب و سبب القول، و بذلك يظهر أن المراد بالمؤمنين المخلصون لإيمانهم بالله و رسوله.

و قوله: «قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» الإشاره بهذا إلى ما شاهدوه مجردا عن سائر الخصوصيات، كما فى قوله: «فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَتْ هَذَا رَبِّي»، الأنعام: ٧٨.

و الوعد الذى أشاروا إليه قيل: هو ما كان رسول الله ص قد وعدهم أن الأحزاب سيتظاهرون عليهم فلما شاهدوهم تبين لهم أن ذلك هو الذى وعدهم.

و قيل: إنهم كانوا قد سمعوا قوله تعالى فى سورة البقره: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبُتَاءِ وَ الضَّرَاءِ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» البقره: ٢١٤ فتحققوا

أنهم سيصيبهم ما أصاب الأنبياء و المؤمنين بهم من الشده و المحنه التي تزلزل القلوب و تدهش النفوس فلما رأوا الأحزاب أيقنوا أنه من الوعد الموعود و أن الله سينصرهم على عدوهم.

و الحق هو الجمع بين الوجهين نظرا إلى جمعهم بين الله و رسوله في الوعد إذ قالوا:

هذا ما وعدنا الله و رسوله.

و قوله: «وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» شهادة منهم على صدق الوعد، و قوله: «وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا» أى إيماننا بالله و رسوله و تسليما لأمر الله بنصره دينه و الجهاد فى سبيله.

قوله تعالى: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» قال الراغب: النحب النذر المحكوم بوجوبه، يقال: قضى فلان نحبه أى وفى بنذره قال تعالى: «فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ» و يعبر بذلك عن مات كقولهم: قضى أجله و استوفى أكله و قضى من الدنيا حاجته. انتهى.

و قوله: «صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» أى حققوا صدقهم فيما عاهدوه أن لا يفروا إذا لاقوا العدو، و يشهد على أن المراد بالعهد ذلك أن فى الآيه محاذاه لقوله السابق فى المنافقين و الضعفاء الإيمان: «وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَذْبَارَ» كما أن فى الآيه السابقة محاذاه لما ذكر سابقا من ارتياب القوم و عدم تسليمهم لأمر الله.

و قوله: «فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ» إلخ، أى منهم من قضى أجله بموت أو قتل فى سبيل الله و منهم من ينتظر ذلك و ما بدلوا شيئا مما كانوا عليه من قول أو عهد تبديلا.

قوله تعالى: «لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا» اللام للغايه و ما تتضمنه الآيه غايه لجميع من تقدم ذكرهم من المنافقين و المؤمنين.

فقوله: «لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ» المراد بالصادقين المؤمنين و قد ذكر صدقهم قبل، و الباء فى «بِصِدْقِهِمْ» للسببيه أى ليجزى المؤمنين الذين صدقوا عهدهم بسبب صدقهم.

وقوله: « وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنِ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ » أى و ليعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم و ذلك فيما لو لم يتوبوا أو يتوب عليهم إن تابوا إن الله كان غفوراً رحيماً.

و فى الآيه من حيث كونها بيان غايه نكته لطيفه هى أن المعاصى ربما كانت مقدمه للسعاده و المغفره لا بما أنها معاص بل لكونها سائقه للنفس من الظلمه و الشقوه إلى حيث تتوحش النفس و تنبه فتتوب إلى ربها و تتزع عن معاصيها و ذنوبها فيتوب الله عليها فى الغايه.

قوله تعالى: « وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا » الغيظ الغم و الحنق و المراد بالخير ما كان يعده الكفار خيراً و هو الظفر بالنبي ص و المؤمنين.

و المعنى: و رد الله الذين كفروا مع غمهم و حنقهم و الحال أنهم لم ينالوا ما كانوا يتمنونونه و كفى الله المؤمنين القتال فلم يقاتلوا و كان الله قويا على ما يريد عزيزاً لا يغلب.

قوله تعالى: « وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ - إلى قوله - قَدِيرًا » المظاهرة المعاونه، و الصياصى جمع صيصيه و هى الحصن الذى يمتنع به و لعل التعبير بالإنزال دون الإخراج لأن المتحصنين يصعدون بروج الحصون و يشرفون منها و من أعالي الجدران على أعدائهم فى خارجها و محاصريهم.

و المعنى: « وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ » أى عاونوا المشركين و هم بنو قريظه « مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ » و هم اليهود « مِنْ صَيَاصِيهِمْ » و حصونهم « وَ قَدَفَ » و ألقى « فى قلوبهم الرُّعْبَ » و الخوف « فَرِيقًا تَقْتُلُونَ » و هم الرجال « وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقًا » و هم الذرارى و النساء « وَ أَوْزَنْتُمْ » أى و ملككم بعدهم « أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطُوهَا » و هى أرض خيبر أو الأرض التى أفاء الله مما لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب، و أما تفسيرها بأنها كل أرض ستفتح إلى يوم القيامة أو أرض مكه أو أرض الروم و فارس فلا يلائمه سياق الآيتين « وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ».

### (بحث روائى)

فى المجمع، ذكر محمد بن كعب القرظى و غيره من أصحاب السير قالوا: " كان من

حديث الخندق- أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق- وحيى بن أخطب في جماعه من بنى النضير-الذين أجلاهم رسول الله ص خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوههم إلى حرب رسول الله ص- وقالوا: إنا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم.

فقلت لهم قريش: يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول- فديننا خير أم دين محمد؟ قالوا: بل- دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق منه- فهم الذين أنزل الله فيهم « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا -إلى قوله- وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا » فسر قريشا ما قالوا و نشطوا لما دعوههم إليه- فأجمعوا لذلك و اتعدوا له.

ثم خرج أولئك نفر من اليهود حتى جاءوا غطفان- فدعوههم إلى حرب رسول الله ص- و أخبروهم أنهم سيكونون عليه- و أن قريشا قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم.

فخرجت قريش و قائدهم أبو سفيان بن حرب، و خرجت غطفان و قائدها عيينه بن حصين بن حذيفه بن بدر- في فزاره و الحارث بن عوف في بنى مره و مسعر بن جبلة الأشجعي- فيمن تابعه من الأشجع و كتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد- فأقبل طليحه فيمن اتبعه من بنى أسد و هما حليفان أسد و غطفان- و كتب قريش إلى رجال من بنى سليم- فأقبل أبو الأعور السلمى فيمن اتبعه من بنى سليم مددا لقريش.

فلما علم بذلك رسول الله ص ضرب الخندق على المدينة- و كان الذى أشار إليه سلمان الفارسي- و كان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ص و هو يومئذ حر- قال:

يا رسول الله إنا كنا بفارس- إذا حوصرنا خندقنا علينا- فعمل فيه رسول الله ص و المسلمون حتى أحكموه.

فما ظهر من دلائل النبوه في حفر الخندق

ما رواه أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف المزني قال: حدثني أبي عن أبيه قال: خط رسول الله ص الخندق عام الأحزاب أربعين ذراعا بين عشره- فاختلف المهاجرون و الأنصار في سلمان الفارسي- و كان رجلا قويا فقال الأنصار: سلمان منا، و قال المهاجرون: سلمان منا، فقال رسول الله ص: سلمان منا أهل البيت.

قال عمرو بن عوف: فكنت أنا و سلمان و حذيفه بن اليمان و النعمان بن مقرن

و سته من الأنصار نقطع أربعين ذراعاً، فحفرتنا حتى إذا بلغنا الثرى-أخرج الله من بطن الخندق صخره بيضاء مدوره-فكسرت حديدنا و شقت علينا-فقلنا:يا سلمان ارق إلى رسول الله ص فأخبره عن الصخره،فأما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب-و إما أن يأمرنا فيه بأمره فإننا لا-نحب أن نجاوز خطه،فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ص و هو مضروب عليه قبه-فقال:يا رسول الله-خرجت صخره بيضاء من الخندق مدوره فكسرت حديدنا و شقت علينا حتى ما يحكك فيها قليل و لا كثير-فمرنا فيها بأمرك فهبط رسول الله ص مع سلمان فى الخندق-و أخذ المعول و ضرب بها ضربه-فلمعت منها برقه أضاءت ما بين لابتها يعنى لابتى المدينة-حتى لكان مصباحاً فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله ص تكبيره-فتح فكبر المسلمون-ثم ضرب ضربه أخرى فلمعت برقه أخرى-ثم ضرب به الثالثه فلمعت برقه أخرى.

فقال سلمان:بأبى أنت و أمى يا رسول الله ما هذا الذى أرى؟فقال:أما الأولى فإن الله عز و جل فتح على بها اليمن-و أما الثانية فإن الله فتح على بها الشام و المغرب و أما الثالثه فإن الله فتح على بها المشرق-فاستبشر المسلمون بذلك و قالوا:الحمد لله موعد صادق.

قال:و طلعت الأحزاب فقال المؤمنون:هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله،و قال المنافقون:ألا تعجبون؟يحدثكم و يعدكم الباطل-و يخبركم أنه يبصر فى يثرب قصور الحيره و مدائن كسرى-و أنها تفتح لكم و أنتم تحفرون الخندق-و لا تستطيعون أن تبرزوا.

(١)

و مما ظهر فيه أيضاً من آيات النبوه

ما رواه أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن عبد الواحد بن أيمن المخزومى قال حدثنى،أيمن المخزومى قال:سمعت جابر بن عبد الله قال:

كنا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كديه و هى الجبل-فقلنا:يا رسول الله إن كديه عرضت فيه-فقال رسول الله ص رشوا عليها ماء-ثم قام و أتاه و بطنه معصوب الحجر (٢)من الجوع-فأخذ المعول أو المسحاه فسمى ثلاثاً-ثم ضرب فعادت كثيباً (٣).

ص: ٢٩٣

١-١) أى تقضوا حاجتكم بالتخلى.

٢-٢) الحجر حرض الإنسان و هو ما دون الإبط إلى الكشح.

٣-٣) أى تلا من الرمل.

أهيل-فقلت:أئذن لى يا رسول الله إلى المنزل ففعل-فقلت للمرأة هل عندك من شىء؟ فقالت:عندى صاع من شعير و عناق (١)فطحنت الشعير فعجنته و ذبحت العناق و سلختها و خلّيت بين المرأة و بين ذلك.

ثم أتيت رسول الله ص فجلست عنده ساعه-ثم قلت:أئذن لى يا رسول الله ففعل-فأتيت المرأة فإذا العجين و اللحم قد أمكنا- فرجعت إلى رسول الله ص فقلت:

إن عندنا طعيما لنا-فقم يا رسول الله أنت و رجلان من أصحابك فقال:و كم هو؟فقلت:

صاع من شعير و عناق-فقال للمسلمين جميعا:قوموا إلى جابر-فقاموا فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله-فقلت:جاء بالخلق إلى صاع شعير و عناق.

فدخلت على المرأة و قلت قد افتضحت-جاءك رسول الله ص بالخلق أجمعين فقالت:هل كان سألك كم طعامك؟قلت:نعم.فقالت:الله و رسوله أعلم-قد أخبرناه ما عندنا فكشفت عنى غما شديدا.

فدخل رسول الله ص فقال:خذى و دعينى من اللحم-فجعل رسول الله ص يثرد و يفرق اللحم-ثم يحم هذا و يحم هذا فما زال يقرب إلى الناس-حتى شبعوا أجمعين و يعود التنور و القدر أملاً ما كانا.

ثم قال رسول الله ص:كلى و أهدى-فلم نزل نأكل و نهدي قومنا أجمع-أورده البخارى فى الصحيح.

قالوا:و لما فرغ رسول الله من الخندق-أقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف (٢)و الغابه فى عشره آلاف من أحابيشهم-و من تابعهم من بنى كنانه و أهل تهامه،و أقبلت غطفان و من تابعهم من أهل نجد-حتى نزلوا إلى جانب أحد،و خرج رسول الله ص و المسلمون- حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع (٣)فى ثلاثه آلاف من المسلمين-فضرب هناك عسكره و الخندق بينه و بين القوم-و أمر بالذرارى و النساء فرفعوا فى الآطام (٤)

ص: ٢٩٤

١-١ (١) الأثنى من أولاد المعز.

٢-٢ (٢) مكان خارج المدينه.

٣-٣ (٣) جبل بالمدينه.

٤-٤ (٤) حصون لأهل المدينه.

و خرج عدو الله حبي بن أخطب النضيري-حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب بني قريظه-و كان قد وادع رسول الله ص على قومه و عاهده على ذلك-فلما سمع كعب صوت ابن أخطب أغلق دونه حصنه.فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه يا كعب افتح لي-فقال:ويحك يا حبي إنك رجل مشئوم،إني قد عاهدت محمدا و لست بناقض ما بيني و بينه،و لم أر منه إلا وفاء و صدقا.قال:ويحك افتح لي حتى أكلمك.قال:ما أنا بفاعل.قال:إن أغلقت دوني إلا على جشيشه تكره أن آكل منها معك.

فأحفظ (١)الرجل ففتح له فقال:ويحك يا كعب-جئتك بغز الدهر و ببحر طام (٢)جئتك بقريش على قادتها و سادتها و بغطفان على سادتها و قادتها-قد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا و من معه.فقال كعب:جئتني و الله بذل الدهر بجهام (٣)قد أهرق ماءه يرعد و يبرق و ليس فيه شيء-فدعني و محمدا و ما أنا عليه فلم أر من محمد إلا صدقا و وفاء.

فلم يزل حبي بكعب يفتل منه في الذروه (٤)و الغارب-حتى سمح له على أن أعطاه عهدا و ميثاقا-لئن رجعت قریش و غطفان-و لم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك-حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب عهده-و برىء مما كان عليه فيما بينه و بين رسول الله ص.

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ص-بعث سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس-أحد بني عبد الأشهل و هو يومئذ سيد الأوس-و سعد بن عباده أحد بني ساعده بن كعب بن الخزرج-و هو يومئذ سيد الخزرج-و معهما عبد الله بن رواحه و خوات بن جبير-فقال:انطلقوا-حتى تنظروا أ حق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟فإن

ص: ٢٩٥

١-١) أحفظ الرجل:أغضبه.

٢-٢) الطام:البحر العظيم.

٣-٣) السحاب الذي لا ماء فيه.

٤-٤) الذروه و الغارب أعلى الشيء و أصله مثل مأخوذ من فتل ذروه البعير المصعب و غاربه لوضع الخطام في أنفه.



كان حقا فالحنوا لنا لحنا نعرفه-ولا تفتوا أعضاء الناس و إن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس.

و خرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث مما بلغهم عنهم.قالوا:لا عقد بيننا و بين محمد و لا عهد،فشاتمهم سعد بن عباد و شاتموه،و قال سعد بن معاذ:دع عنك مشاتمهم-فإن ما بيننا و بينهم أعظم من المشاتم.

ثم أقبلوا إلى رسول الله ص-و قالوا:عضل و القاره-لغدر عضل و القاره بأصحاب رسول الله خبيب بن عدى و أصحابه أصحاب الرجيع-فقال رسول الله ص:الله أكبر،أبشروا يا معشر المسلمين،و عظم عند ذلك البلاء و اشتد الخوف و أتاهم عدوهم من فوقهم و من أسفل منهم-حتى ظن المؤمنون كل ظن و ظهر النفاق من بعض المنافقين.

فأقام رسول الله ص-و أقام المشركون عليه بضعا و عشرين ليله-لم يكن بينهم قتال إلا الرمي بالنبال-إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود-أخو بني عامر بن لوى و عكرمه بن أبى جهل-و ضرار بن الخطاب و هبيرة بن أبى وهب-و نوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال-و خرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بنى كنانة-فقالوا:

تهيئوا للحرب يا بنى كنانة-فستعلمون اليوم من الفرسان؟ ثم أقبلوا تعنق (1)بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق-فقالوا:و الله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها،ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم فى السبخه بين الخندق و سلع- و خرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين-حتى أخذ عليهم الثغره التى منها اقتحموا-و أقبلت الفرسان نحوهم.

و كان عمرو بن عبد ود فارس قريش-و كان قد قاتل يوم بدر-حتى ارتث و أثبته الجراح و لم يشهد أحدا-فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مشهده،و كان يعد بألف فارس-و كان يسمى فارس يليل لأنه أقبل فى ركب من قريش-حتى إذا كانوا يليل -و هو واد قريب من بدر-عرضت لهم بنو بكر فى عدد فقال لأصحابه:امضوا فمضوا فقام فى وجوه بنى بكر-حتى منعهم أن يصلوا إليه فعرف بذلك.

ص: ٢٩٦

(١-١) أعنق به فرسه:سار به سيرا واسعا فسيحا مسيطرا ممتدا.

و كان اسم الموضوع الذى حفر فيه الخندق المذاد-و كان أول من طفره عمرو و أصحابه فقيل فى ذلك.

عمرو بن عبد كان أول فارس

جزع المذاد و كان فارس يليل

و ذكر ابن إسحاق أن عمرو بن عبد ود- كان ينادى: من يبارز؟ فقام على و هو مقنع فى الحديد- فقال: أنا له يا نبى الله، فقال: إنه عمرو اجلس. و نادى عمرو:

ألا- رجل؟ و هو يؤنبهم و يقول: أين جنتكم التى ترعمون أن من قتل منكم دخلها؟ و قام على فقال: أنا له يا رسول الله. ثم نادى الثالثه فقال:

و لقد بححت عن النداء

بجمعكم هل من مبارز؟

و وقفت إذ جبن المشجع

موقف البطل المناجز

إن السماحه و الشجاعه فى

الفتى خير الغرائز

فقام على فقال: يا رسول الله أنا له، فقال: إنه عمرو، فقال: و إن كان عمرا فاستأذن رسول الله ص فأذن له.-

قال ابن إسحاق: فمشى إليه و هو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك

مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيه و بصيره

و الصدق منجى كل فائز

إنى لأرجو أن أقيم

عليك نائحه الجنائز

من ضربه نجلاء يبقى

ذكرها عند الهزاهز

قال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي. قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. فقال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك-فإني أكره أن أهريق دمك. فقال علي: لكنني والله ما أكره أن أهريق دمك. فغضب عمرو و نزل و سل سيفه كأنه شعله نار-ثم أقبل نحو علي مغضبا فاستقبله علي بدرقته (1) فضربه عمرو بالدرقه فقدها-و أثبت فيها السيف و أصاب رأسه فشجه، و ضربه علي علي جبل العاتق فسقط.

ص: ٢٩٧

---

١-١) الدرقة: الجنه.

و فى روايه حذيفه:و تسيف على رجليه بالسيف من أسفل-فوقع على قفاه و ثارت بينهما عجاجه-فسمع على يكبر فقال رسول الله ص:قتله و الذى نفسى بيده-فكان أول من ابتدر العجاج عمرو بن الخطاب-و قال:يا رسول الله قتله فجز على رأسه-و أقبل نحو رسول الله ص و وجهه يتهلل.

قال حذيفه:فقال النبى ص:أبشر يا على-فلو وزن اليوم عملك بعمل أمه محمد لرجح عملك بعملهم-و ذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين-إلا و قد دخله و هن بقتل عمرو،و لم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا و قد دخله عز بقتل عمرو.

و عن الحاكم أبى القاسم أيضا بالإسناد عن سفیان الثورى عن زييد الثانى عن مره عن عبد الله بن مسعود قال:" كان يقرأ « وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بَعْلَى ».

و خرج أصحابه منهزمين حتى طفرت خيولهم الخندق-و تبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزى جوف الخندق-فجعلوا يرمونه بالحجاره فقال لهم:قتله أجمل من هذه ينزل بعضكم أقاتله فقتله الزبير بن العوام،و ذكر ابن إسحاق:أن عليا طعنه فى ترقوته-حتى أخرجها من مراقه فمات فى الخندق.

و بعث المشركون إلى النبى ص-يشترون جيفته بعشره آلاف-فقال النبى:

هو لكم لا تأكل ثمن الموتى،و ذكر على آياتا منها:

نصر الحجاره من سفاهه رأيه

و نصرت رب محمد بصواب

فضربته و تركته متجذلا

كالجذع بين دكادك و رواب

و عفت عن أثابه لو أننى

كنت المقطر بزنى أثابى

قال ابن إسحاق:و رمى حنان بن قيس بن العرفه سعد بن معاذ بسهم-و قال:

خذها و أنا ابن العرفه فقطع أكحله-فقال سعد:عرف الله وجهك فى النار اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا-فأبقي لها فإنه لا قوم أحب إلى-أن أجاهد من قوم آذوا رسولك و كذبوه و أخرجوه،و إن كنت وضعت الحرب بيننا و بينهم فاجعله لى شهاده و لا تمتنى-حتى تفر عيني من بنى قريظه.

قال:و جاء نعيم بن مسعود الأشجعى إلى النبى ص-فقال:يا رسول الله إنى قد أسلمت و لم يعلم بى أحد من قومى-فمرنى بأمرك

فقال له النبي ص: إنما أنت فينا

ص: ٢٩٨

رجل واحد-فخذل عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعه.

فانطلق نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظه-فقال لهم:إني لكم صديق،و الله ما أنتم و قريش و غطفان من محمد بمنزله واحده- إن البلد بلدكم و به أموالكم و أبناءكم و نساؤكم-و إنما قريش و غطفان بلادهم غيرها و إنما جاءوا حتى نزلوا معكم-فإن رأوا فرصه انتهزوها-و إن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم-و خلوا بينكم و بين الرجل و لا طاقه لكم به-فلا تقاتلوا حتى تأخذوا رهنا من أشرافهم-تستوثقون به أن لا يبرحوا حتى يناجزوا محمدا.فقالوا له:قد أشرت برأى.

ثم ذهب فأتى أبا سفيان و أشراف قريش-فقال:يا معشر قريش-إنكم قد عرفتم ودى إياكم و فراقى محمدا و دينه-و إني قد جئتكم بنصيحه فاكتموا على.فقالوا:نفعل ما أنت عندنا بمتهم.قال:تعلمون أن بنى قريظه-قد ندموا على ما صنعوا بينهم و بين محمد-فبعثوا إليه أنه لا يرضيك عنا-إلا أن تأخذ من القوم رهنا من أشرافهم-و ندفعهم إليك فتضرب أعناقهم-ثم نكون معك عليهم حتى نخرجهم من بلادك.فقال:بلى فإن بعثوا إليكم يسألونك نفرا من رجالكم-فلا تعطوهم رجلا واحدا و احذروا.

ثم جاء غطفان و قال:يا معشر غطفان-إني رجل منكم،ثم قال لهم ما قال لقريش.

فلما أصبح أبو سفيان و ذلك يوم السبت-فى شوال سنه خمس من الهجره-بعث إليهم أبو سفيان عكرمه بن أبى جهل فى نفر من قريش-أن أبا سفيان يقول لكم:يا معشر اليهود-إن الكراع و الخف قد هلكا-و إنا لسنا بدار مقام فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه.

فبعثوا إليه أن اليوم السبت و هو يوم لا نعمل فيه شيئا-و لسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم-حتى تعطونا رهنا من رجالكم نستوثق بهم-لا تذهبوا و تدعونا حتى نناجز محمدا فقال أبو سفيان:و الله لقد حذرنا هذا نعيم-فبعث إليهم أبو سفيان:أنا لا نعطيكم رجلا واحدا-فإن شئتم أن تخرجوا و تقاتلوا و إن شئتم فاعدوا،فقاتلت اليهود:هذا و الله الذى قال لنا نعيم.فبعثوا إليهم أنا و الله لا نقاتل حتى تعطونا رهنا،و خذل الله بينهم و بعث سبحانه عليهم الريح-فى ليال شاتيه بارده شديده البرد حتى انصرفوا راجعين.

قال محمد بن كعب قال حذيفه بن اليمان و الله لقد رأيتنا يوم الخندق-و بنا من الجهد و الجوع و الخوف ما لا يعلمه إلا الله-و قام رسول الله ص يصلى ما شاء الله من الليل ثم قال:أ لا رجل يأتينا بخبر القوم يجعله الله رفيقى فى الجنة.قال حذيفه:فوالله ما قام منا أحد-مما بنا من الخوف و الجهد و الجوع،فلما لم يقم أحد دعانى فلم أجد بدا من إجابته.قلت:لييك-قال:اذهب فجيء بخبر القوم-ولا تحدثن شيئا حتى ترجع.

قال:و أتيت القوم فإذا ريح الله و جنوده تفعل بهم ما تفعل-ما يستمسك لهم بناء و لا تثبت لهم نار و لا يطمئن لهم قدر-فإنى لكذلك إذ خرج أبو سفيان من رحله-ثم قال:يا معشر قريش-لينظر أحدكم من جلسه؟قال حذيفه:فبدأت بالذى عن يمينى فقلت:من أنت؟قال:أنا فلان.

ثم عاد أبو سفيان براحلته فقال:يا معشر قريش-و الله ما أنتم بدار مقام هلك الخف و الحافر-و أخلفتنا بنو قريظه و هذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء-ثم عجل فركب راحلته-و إنها لمعقوله ما حل عقالها إلا بعد ما ركبها.

قال:قلت فى نفسى:لو رميت عدو الله و قتلته-كنت قد صنعت شيئا فوترت قوسى-ثم وضعت السهم فى كبد القوس و أنا أريد أن أرميه-فأقتله فذكرت قول رسول الله ص لا تحدثن شيئا حتى ترجع.قال فحططت القوس-ثم رجعت إلى رسول الله و هو يصلى- فلما سمع حسى فرج بين رجليه فدخلت تحته،و أرسل على طائفه من مرطه (1)فركع و سجد-ثم قال:ما الخبر؟فأخبرته.

و عن سليمان بن صرد قال:قال رسول الله ص-حين أجلى عنه الأ-حزاب:الآن نغزوهم و لا- يغزوننا فكان كما قال-فلم يغزهم قريش بعد ذلك-و كان هو يغزوهم حتى فتح الله عليهم مكة ":

أقول:هذا ما أورده الطبرسى فى مجمع البيان،من القصه أوردناه ملخصا و روى القمى فى تفسيره،قريبا منه و أورده فى الدر المنثور،فى روايات متفرقه .

و فى المجمع،أيضا روى الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال ":

ص : ٣٠٠

لما انصرف النبي ص عن الخندق-و وضع عنه اللأمة و اغتسل و استحتم تبدي له جبريل فقال:عذيرك من محارب-أ لا أراك أن قد وضعت عنك اللأمة و ما وضعناها بعد.

فوثب رسول الله ص فزعا-فعزم على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر حتى يأتوا قريظه-فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بنى قريظه حتى غربت الشمس-و اختصم الناس فقال بعضهم:إن رسول الله عزم علينا أن لا نصلى حتى نأتى قريظه-فإنما نحن فى عزمه رسول الله ص فليس علينا إثم،و صلى طائفه من الناس احتسابا-و تركت طائفه منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها-حين جاءوا بنى قريظه احتسابا-فلم يعنف رسول الله ص واحدا من الفريقين.

و ذكر عروه أنه بعث على بن أبى طالب على المقدم-و دفع إليه اللواء و أمره أن ينطلق-حتى يقف بهم على حصن بنى قريظه ففعل-و خرج رسول الله على آثارهم-فمر على مجلس من الأنصار فى بنى غنم ينتظرون رسول الله ص-فزعموا أنه قال:مر بكم الفارس آنفا-فقالوا:مر بنا دحية الكلبي على بغله شهباء تحته قطيفه ديباج-فقال رسول الله ص:ليس ذلك بدحية-و لكنه جبرائيل أرسل إلى بنى قريظه ليزلزلهم و يقذف فى قلوبهم الرعب.

قالوا:و سار على حتى إذا دنا من الحصن-سمع منهم مقالة قبيحه لرسول الله ص-فرجع حتى لقي رسول الله ص بالطريق-فقال:يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث-قال:أظنك سمعت لى منهم أذى؟فقال:نعم يا رسول الله فقال:لو قد رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا،فلما دنا رسول الله ص من حصونهم قال:يا إخوه القرده و الخنازير!هل أخزاكم الله و أنزل بكم نعمته؟فقالوا:يا أبا لقاسم ما كنت جهولا.

و حاصرهم رسول الله ص خمسا و عشرين ليله-حتى أجهدهم الحصار و قذف الله فى قلوبهم الرعب،و كان حبي بن أخطب دخل مع بنى قريظه فى حصنهم-حين رجعت قريش و غطفان-فلما أيقنوا أن رسول الله ص غير منصرف عنهم-حتى يناجزهم قال كعب بن أسد:يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون-و إنى عارض عليكم خلالا ثلاثا فنخذوا أيها شئتم قالوا:ما هن؟.



قال:نباع هذا الرجل و نصدقه-فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل-و أنه الذى تجدونه فى كتابكم-فتأمنوا على دمائكم و أموالكم و نسائكم.قالوا:لا نفارق حكم التوراه أبدا،و لا نستبدل به غيره.

قال:فإذا أبيتم على هذا فهلما فلنقتل أبناءنا و نساءنا-ثم نخرج إلى محمد رجالا مصلتين بالسيوف-و لم نترك وراءنا ثقلا يهمننا حتى يحكم الله بيننا و بين محمد-فإن نهلك نهلك و لم نترك وراءنا نسلا يهمننا-و إن ظهر لنجدن النساء و الأبناء.فقالوا:نقتل هؤلاء المساكين؟فما خير فى العيش بعدهم.

قال:فإن أبيتم على هذه فإن الليله ليله السبت-و عسى أن يكون محمد و أصحابه قد أمنوا فيها-فانزلوا فلعلنا نصيب منهم غره.فقالوا:نفسد سبتنا؟و نحدث فيه ما أحدث من كان قبلنا-فأصابهم ما قد علمت من المسخ؟فقال:ما بات رجل منكم-منذ ولدت أمه ليله واحده من الدهر حازما.

قال الزهرى:و قال رسول الله ص-حين سأله أن يحكم فيهم رجلا:

اختاروا من شئتم من أصحابى،فاختاروا سعد بن معاذ فرضى بذلك النبى ص فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فأمر رسول الله ص بسلاحهم-فجعل فى قبته و أمر بهم فكتفوا و أوثقوا-و جعلوا فى دار أسامه،و بعث رسول الله ص إلى سعد بن معاذ فجىء به فحكم فيهم بأن يقتل مقاتلوهم-و تسبى ذراريهم و نساؤهم و تغنم أموالهم و أن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار-و قال للأنصار:إنكم ذو عقار و ليس للمهاجرين عقار،فكبر رسول الله ص و قال لسعد:لقد حكمت فيهم بحكم الله عز و جل، و فى بعض الروايات:لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعه-و أرقعه جمع رقيع اسم سماء الدنيا.

فقتل رسول الله مقاتليهم،و كانوا فيما زعموا:ستمائه مقاتل،و قيل:قتل منهم أربعمائه و خمسين رجلا و سبى سبعمائه و خمسين،و روى أنهم قالوا لكعب بن أسد-و هم يذهب بهم إلى رسول الله ص إرسالا:يا كعب ما ترى يصنع بنا؟فقال كعب:

أفى كل موطن تقولون؟أ لا ترون أن الداعى لا ينزع-و من يذهب منكم لا يرجع هو و الله القتل.

و أتى يحيى بن أخطب عدو الله عليه حله-فاختيه قد شقها عليه من كل ناحيه كموضع الأنمله-لئلا يسلبها مجموعه يده إلى عنقه بحبل، فلما بصر برسول الله ص فقال: أما والله ما لمت نفسى على عداوتك-و لكنه من يخذل الله يخذل-ثم قال: يا أيها الناس-إنه لا بأس بأمر الله كتاب الله و قدره ملحمه-كتبت على بنى إسرائيل ثم جلس فضرب عنقه.

ثم قسم رسول الله ص نساءهم و أبناءهم و أموالهم على المسلمين-و بعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الأنصارى-فابتاع بهم خيلا و سلاحا، قالوا: فلما انقضى شأن بنى قريظه-انفجر جرح سعد بن معاذ-فرجعه رسول الله ص إلى خيمته التى ضربت عليه فى المسجد.

و روى عن جابر بن عبد الله قال: جاء جبرائيل إلى رسول الله ص فقال:

من هذا العبد الصالح الذى مات-فتحت له أبواب السماء و تحرك له العرش-فخرج رسول الله ص فإذا سعد بن معاذ قد قبض.

أقول:

و روى القصة القمى فى تفسيره، مفصله و فيه": فأخرج كعب بن أسيد مجموعه يده إلى عنقه-فلما نظر إليه رسول الله ص قال له: يا كعب أ ما نفعك وصيه ابن الحواس-الحبر الذكى الذى قدم عليكم من الشام-فقال: تركت الخمر و الخمير و جئت إلى البئوس و التمور-لبنى يبعث مخرجه بمكه-و مهاجرته فى هذه البحيره يجتزى بالكسيرات و التميرات، و يركب الحمار العرى، فى عينيه حمرة، و بين كتفيه خاتم النبوه، يضع سيفه على عاتقه، لا-يبالى من لاقى منكم، يبلغ سلطانه منقطع الخف و الحافر فقال قد كان ذلك يا محمد-و لو لا أن اليهود يعيرونى أنى جزعت عند القتل-لآمنت بك و صدقتك-و لكنى على دين اليهود عليه أحياء و عليه أموت. فقال رسول الله ص:

قدموه و اضربوا عنقه فضربت.

و فيه أيضا: فقتلهم رسول الله ص-فى البردين بالغداه و العشى فى ثلاثه أيام و كان يقول: اسقوهم العذب و أطعموهم الطيب-و أحسنوا أسرارهم حتى قتلهم كلهم فأنزل الله عز و جل فيهم: « وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيِّاصِيهِمْ » -إلى قوله- وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا .»

ص: ٣٠٣

و في المجمع،: روى أبو القاسم الحسكاني عن عمرو بن ثابت عن أبي إسحاق عن علي (ع) قال: «فينا نزلت» رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه «فأنا والله المنتظر ما بدلت تبديلا.

## [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٨ الى ٣٥]

### اشاره

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزْوَاجِكُ إِن كُنْتَن تَرْضَن الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْن أُمْتَعُكَن وَ أَسِرِّرُكُن سِرًّا جَمِيلًا (٢٨) وَ إِن كُنْتَن تَرْضَن اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُن أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُن بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَ مَنْ يَقْنُتْ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسَدُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّفَقْتَن فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَ قَوْنَ فِي بُيُوتِكُن وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَ اقْمِنِ الصَّلَاةَ وَ آتِينَ الزَّكَاةَ وَ اطَّعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا (٣٣) وَ أذْكُرَن مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُن مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَ الْحُكْمِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِرَاتِ وَ الْخَاشِعِينَ وَ الْخَاشِعَاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقَاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِمَاتِ وَ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحَافِظَاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)

آيات راجعه إلى أزواج النبي ص تأمره أولاً أن ينبئهن أن ليس لهن من الدنيا وزينتها إلا العفاف والكفاف إن اخترن زوجيه النبي ص، ثم تخاطبهن ثانياً:

أنهن واقفات في موقف صعب على ما فيه من العلو والشرف فإن اتقين الله يؤتين أجرهن مرتين و إن أتين بفاحشه مبينه يضاعف لهن العذاب ضعفين و يأمرهن بالعفه و لزوم بيوتهن من غير تبرج و الصلاه و الزكاه و ذكر ما يتلى في بيوتهن من الآيات و الحكمه ثم يعد مطلق الصالحين من الرجال و النساء و عدا بالمغفره و الأجر العظيم.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ» إلى تمام الآيتين، سياق الآيتين يلوح أن أزواج النبي أو بعضهن كانت لا ترتضى ما في عيشتهن في بيت النبي ص من الضيق و الضنك فاشتكت إليه ذلك و اقترحت عليه أن يسعدهن في الحياه بالتوسعه فيها و إيتائهن من زينتها.

فأمر الله سبحانه نبيه أن يخيرهن بين أن يفارقنه و لهن ما يردن و بين أن يبقين عنده و لهن ما هن عليه من الوضع الموجود. و قد ردد أمرهن بين أن يردن الحياه الدنيا و زينتها و بين أن يردن الله و رسوله و الدار الآخره، و هذا التردد يدل أولاً: أن الجمع بين سعه العيش و صفائها بالتمتع من الحياه و زينتها و زوجيه النبي ص و العيشه في بيته مما لا يجتمعان.

و ثانياً: أن كلا من طرفي التردد مقيد بما يقابل الآخر، والمراد بإرادته الحياه الدنيا و زينتها جعلها هي الأصل سواء أريدت الآخره أو لم يرد، والمراد بإرادته الحياه الآخره جعلها هي الأصل في تعلق القلب بها سواء توسعت معها الحياه الدنيا و نيلت الزينه و صفاء العيش أو لم يكن شيء من ذلك.

ثم الجزء أعنى نتيجة اختيارهن كلا من طرفي التردد مختلف فلهن على تقدير اختيارهن الحياه الدنيا و زينتها بمفارقة النبي ص أن يطلقهن و يتمتعن جمعاء من مال الدنيا، و على تقدير بقائهن على زوجيه النبي ص و اختيار الآخره على الحياه الدنيا و زينتها الأجر العظيم عند الله لكن لا مطلقاً بل بشرط الإحسان و العمل الصالح.

و يتبين بذلك أن ليس لزوجيه النبي ص من حيث هي زوجيه كرامه عند الله سبحانه و إنما الكرامه لزوجيه المقارنه للإحسان و التقوى و لذلك لما ذكرنا ثانياً علو منزلتهن قيده أيضاً بالتقوى فقال: «لَشِئْنٌ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّفَقْتُنَّ» و هذا كقوله في النبي و أصحابه: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا -إلى أن قال- وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا» حيث مدحهم عامه بظاهر أعمالهم أولاً ثم قيد و عددهم الأجر العظيم بالإيمان و العمل الصالح.

و بالجملة فإطلاق قوله: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»: الحجرات: ١٠ على حاله غير منتقض بكرامه أخرى بسبب أو نسب أو غير ذلك.

فقوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ» أمر النبي ص أن يبلغ الآيتين أزواجه و لازمه أن يطلقهن و يتمتعن إن اخترن الشق الأول و يبقين على زوجيته إن اخترن الله و رسوله و الدار الآخره.

و قوله: «إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا» إرادته الحياه الدنيا و زينتها كناية بقريته المقابله عن اختيارها و تعلق القلب بتمتعاتها و الإقبال عليها و الإعراض عن الآخره.

و قوله: «فَتَعَالَيْنَ أُمَتُّعَنَّ وَ أَسْرَحَنَّ سِرَّاحًا جَمِيلًا» قال في الكشاف:، أصل تعال أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطاً ثم كثرت حتى استوت في

استعماله الأمكنه، ومعنى تعالين أقبلن بإرادتك و اختياركن لأحد أمرين و لم يرد نهوضهن بأنفسهن كما تقول: أقبل يخاصمني و ذهب يكلمني و قام يهددني. انتهى.

و التمتع إعطاؤهن عند التطليق مالا يتمتعن به و التسريح هو التطليق و السراح الجميل هو الطلاق من غير خصومه و مشاجره بين الزوجين.

و فى الآيه أبحاث فقهيه أوردها المفسرون و الحق أن ما تتضمنه من الأحكام الشخصيه خاصه بالنبي ص و لا دليل من جهه لفظها على شموله لغيره و تفصيل القول فى الفقه.

و قوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ تُرْذَنَ اللَّهُ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الآخِرَةَ» فقد تقدم أن المقابله بين هذه الجمله و بين قوله: «إِنْ كُنْتُمْ تُرْذَنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا» إلخ، تقيد كلا منهما بخلاف الأخرى و عدمها، فمعنى الجمله: و إن كنتن تردن و تخترن طاعه الله و رسوله و سعاده الدار الآخره مع الصبر على ضيق العيش و الحرمان من زينه الحياه الدنيا و هى مع ذلك كناية عن البقاء فى زوجيه النبي ص و الصبر على ضيق العيش و إلا لم يصح اشتراك الإحسان فى الأجر الموعود و هو ظاهر.

فالمعنى: و إن كنتن تردن و تخترن البقاء على زوجيه النبي ص و الصبر على ضيق العيش فإن الله هيا لكن أجرا عظيما بشرط أن تكن محسنات فى أعمالكن مضافا إلى إرادتك الله و رسوله و الدار الآخره فإن لم تكن محسنات لم يكن لكن إلا خسران الدنيا و الآخره جميعا.

قوله تعالى: «إِنَّا نَسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ» إلخ، عدل عن مخاطبه النبي ص فيهن إلى مخاطبتهن أنفسهن لتسجيل ما لهن من التكليف و زياده التوكيد، و الآيه و التى بعدها تقرير و توضيح بنحو لما يستفاد من قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا» إثباتا و نفيا.

فقوله: «مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ» الفاحشه الفعله البالغه فى الشناعه و القبح و هى الكبيره كإيذاء النبي ص و الافتراء و الغيبه و غير ذلك، و المبينه هى الظاهره.

و قوله: «يُضَاعَفُ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ» أى حال كونه ضعفين و الضعفان المثلان

و يؤيد هذا المعنى قوله في جانب الثواب بعد: «نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ» فلا يعاب بما قيل إن المراد بمضاعفه العذاب ضعفين تعذيبهم بثلاثة أمثاله بتقريب أن مضاعفه العذاب زيادته و إذا زيد على العذاب ضعفاه صار المجموع ثلاثة أمثاله.

و ختم الآية بقوله: «وَ كَانَ ذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» للإشارة إلى أنه لا مانع من ذلك من كرامه الزوجيه و نحوها إذ لا كرامه إلا للتقوى و زوجيه النبي ص إنما تؤثر الأثر الجميل إذا قارن التقوى و أما مع المعصيه فلا تزيد إلا بعدا و وبالا.

قوله تعالى: «وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ خَيْرًا فَلْيَأْتِرْهُمُ الرِّزْقَ مِنْهُمُ الْبُخْلُ بَعْدَ الْإِذْنِ» الخ، القنوت الخضوع، و قيل: الطاعة و قيل: لزوم الطاعة مع الخضوع، و الاعتاد التهيئه، و الرزق الكريم مصداقه الجنه.

و المعنى: و من يخضع منكم لله و رسوله أو لزم طاعه الله و رسوله مع الخضوع و يعمل عملا- صالحا نعطفها أجرها مرتين أى ضعفين و هيأنا لها رزقا كريما و هي الجنه.

و الالتفات من الغيبه إلى التكلم بالغير فى قوله: «نُؤْتِيهَا» و «أَعْتَدْنَا» للإيدان بالقرب و الكرامه، خلاف البعد و الخزي المفهوم من قوله: «يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ».

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَسِتُ مِنْ كَاحِدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ» الخ، الآية تنفى مساواتهن لسائر النساء إن اتقين و ترفع منزلتهن على غيرهن ثم تذكر أشياء من النهي و الأمر متفرعه على كونهن لسن كسائر النساء كما يدل عليه قوله: «فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ وَ قَوْلَ وَ لَا تَبْرَجْنَ» الخ، و هي خصال مشتركه بين نساء النبي ص و سائر النساء.

فتصدير الكلام بقوله: «لَسِتُ مِنْ كَاحِدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ» ثم تفرع هذه التكاليف المشتركه عليه، يفيد تأكد هذه التكاليف عليهن كأنه قيل: لستن كغيركن فيجب عليكن أن تبالغن فى امتثال هذه التكاليف و تحتطن فى دين الله أكثر من سائر النساء.

و تؤيد بل تدل على تأكد تكاليفهن مضاعفه جزائهن خيرا و شرا كما دلت عليها الآية السابقه فإن مضاعفه الجزاء لا تنفك عن تأكد التكليف.

و قوله: «فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ» بعد ما بين علو

منزلتهن و رفعه قدرهن لمكانهن من النبي ص و شرط في ذلك التقوى فبين أن فضيلتهن بالتقوى لا بالاتصال بالنبي ص نهاهن عن الخضوع في القول و هو ترقيق الكلام و تليينه مع الرجال بحيث يدعو إلى الريه و تثير الشهوه فيطمع الذى فى قلبه مرض و هو فقدان قوه الإيمان التى تردعه عن الميل إلى الفحشاء.

و قوله: « وَ قُلْنَا قَوْلًا مَّعْرُوفًا » أى كلاما معمولاً مستقيماً يعرفه الشرع و العرف الإسلامى و هو القول الذى لا يشير بلحنه إلى أزيد من مدلوله معرى عن الإيماء إلى فساد و ريبه.

قوله تعالى: « وَ قُرْآنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى » - إلى قوله - « وَ أُطِيعَنَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ » « قرن » من قر يقر إذا ثبت و أصله اقرن حذف إحدى الرائين أو من قار يقار إذا اجتمع كناية عن ثباتهن فى بيوتهن و لزومهن لها، و التبرج الظهور للناس كظهور البروج لناظرها. و الجاهلية الأولى الجاهلية قبل البعثة فالمراد الجاهلية القديمه، و قول بعضهم: إن المراد به زمان ما بين آدم و نوح (ع) ثمان مائه سنه، و قول آخرين إنها ما بين إدريس و نوح، و قول آخرين زمان داود و سليمان و قول آخرين إنه زمان ولاده إبراهيم، و قول آخرين إنه زمان الفتره بين عيسى (ع) و محمد ص أقوال لا دليل يدل عليها.

و قوله: « وَ أَقَمَنَّ الصَّلَاةَ وَ آتَيْنَ الزَّكَاةَ وَ أُطِيعَنَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ » أمر بامثال الأوامر الدينيه و قد أفرد الصلاة و الزكاه بالذكر من بينها لكونهما ركنين فى العبادات و المعاملات ثم جمع الجميع فى قوله: « وَ أُطِيعَنَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ ».

و طاعه الله هى امتثال تكاليفه الشرعيه و طاعه رسوله فيما يأمر به و ينهى بالولايه المجعوله له من عند الله كما قال: « أَلَنْبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ».

قوله تعالى: « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا » كلمه « إِنَّمَا » تدل على حصر الإراده فى إذهاب الرجس و التطهير و كلمه أهل البيت سواء كان لمجرد الاختصاص أو مدحا أو نداء يدل على اختصاص إذهاب الرجس و التطهير بالمخاطبين بقوله: « عَنْكُم »، ففى الآيه فى الحقيقه قصران قصر الإراده فى إذهاب الرجس و التطهير و قصر إذهاب الرجس و التطهير فى أهل البيت.



و ليس المراد بأهل البيت نساء النبي خاصة لمكان الخطاب الذى فى قوله: «عَنْكُمْ» و لم يقل: عنكن فأما أن يكون الخطاب لهن و لغيرهن كما قيل: إن المراد بأهل البيت أهل البيت الحرام و هم المتقون لقوله تعالى: «إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ» أو أهل مسجد رسول الله ص أو أهل بيت النبي ص و هم الذين يصدق عليهم عرفا أهل بيته من أزواجه و أقربائه و هم آل عباس و آل عقيل و آل جعفر و آل على أو النبي ص و أزواجه، و لعل هذا هو المراد مما نسب إلى عكرمه و عروه أنها فى أزواج النبي ص خاصة.

أو يكون الخطاب لغيرهن كما قيل: إنهم أقرباء النبي من آل عباس و آل عقيل و آل جعفر و آل على.

و على أى حال فالمراد بإذهاب الرجس و التطهير مجرد التقوى الدينى بالاجتناب عن النواهى و امتثال الأوامر فيكون المعنى أن الله لا ينتفع بتوجيه هذه التكاليف إليكم و إنما يريد إذهاب الرجس عنكم و تطهيركم على حد قوله: «مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ» ، :المائدة: ٦ و هذا المعنى لا يلائم شيئا من معانى أهل البيت السابقه لمنافاته البينه للاختصاص المفهوم من أهل البيت لعمومه لعامه المسلمين المكلفين بأحكام الدين.

و إن كان المراد بإذهاب الرجس و التطهير التقوى الشديد البالغ و يكون المعنى:

أن هذا التشديد فى التكاليف المتوجهه إليكن أزواج النبي و تضعيف الثواب و العقاب ليس لينتفع الله سبحانه به بل ليذهب عنكم الرجس و يطهركم و يكون من تعميم الخطاب لهن و لغيرهن بعد تخصيصه بهن، فهذا المعنى لا- يلائم كون الخطاب خاصا بغيرهن و هو ظاهر و لا- عموم الخطاب لهن و لغيرهن فإن الغير لا- يشار كهن فى تشديد التكليف و تضعيف الثواب و العقاب.

لا يقال: لم لا يجوز أن يكون الخطاب على هذا التقدير متوجها إليهن مع النبي ص و تكليفه شديد كتكليفهن.

لأنه يقال: إنه (ص) مؤيد بعصمه من الله و هى موهبه إلهيه غير مكتسبه بالعمل فلا معنى لجعل تشديد التكليف و تضعيف الجزاء بالنسبه إليه مقدمه أو سببا لحصول

التقوى الشديد له امتنانا عليه على ما يعطيه سياق الآية و لذلك لم يصرح بكون الخطاب متوجها إليهن مع النبي ص فقط أحد من المفسرين و إنما احتملناه لتصحيح قول من قال: إن الآية خاصة بأزواج النبي ص.

و إن كان المراد إذهاب الرجس و التطهير بإرادته تعالى ذلك مطلقا لا بتوجيه مطلق التكليف و لا بتوجيه التكليف الشديد بل إرادته مطلقه لإذهاب الرجس و التطهير لأهل البيت خاصة بما هم أهل البيت كان هذا المعنى منافيا لتقييد كرامتهن بالتقوى سواء كان المراد بالإرادة التشريعية أو التكوينية.

و بهذا الذى تقدم يتأيد ما ورد فى أسباب النزول أن الآية نزلت فى النبي ص و على و فاطمه و الحسنين (ع) خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم.

و هى روايات جمه تزيد على سبعين حديثا يربو ما ورد منها من طرق أهل السنه على ما ورد منها من طرق الشيعة فقد روتها أهل السنه بطرق كثيره عن أم سلمه و عائشه و أبى سعيد الخدرى و سعد و وائله بن الأسقع و أبى الحمراء و ابن عباس و ثوبان مولى النبي و عبد الله بن جعفر و على و الحسن بن على (ع) فى قريب من أربعين طريقا.

و روتها الشيعة عن على و السجاد و الباقر و الصادق و الرضا (ع) و أم سلمه و أبى ذر و أبى ليلى و أبى الأسود الدؤلى و عمرو بن ميمون الأودى و سعد بن أبى وقاص فى بضع و ثلاثين طريقا.

فإن قيل: إن الروايات إنما تدل على شمول الآية لعلى و فاطمه و الحسنين (ع) و لا ينافى ذلك شمولها لأزواج النبي ص كما يفيد وقوع الآية فى سياق خطابهن.

قلنا: إن كثيرا من هذه الروايات و خاصة ما رويت عن أم سلمه - و فى بيتها نزلت الآية - تصرح باختصاصها بهم و عدم شمولها لأزواج النبي و سيجىء الروايات و فيها الصحاح.

فإن قيل: هذا مدفوع بنص الكتاب على شمولها لهن كوقوع الآية فى سياق خطابهن.

قلنا: إنما الشأن كل الشأن فى اتصال الآية بما قبلها من الآيات فهذه الأحاديث على كثرتها البالغة ناصه فى نزول الآية وحدها، و لم يرد حتى فى روايه واحده نزول هذه الآية فى ضمن آيات نساء النبي و لا ذكره أحد حتى القائل باختصاص الآية بأزواج

النبي كما ينسب إلى عكرمه و عروه، فالآيه لم تكن بحسب النزول جزءا من آيات نساء النبي و لا متصله بها و إنما وضعت بينها إما بأمر من النبي ص أو عند التأليف بعد الرحله، و يؤيده أن آيه « وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ » على انسجامها و اتصالها لو قدر ارتفاع آيه التطهير من بين جملها، فموقع آيه التطهير من آيه « وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ » كموقع آيه « الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا » من آيه محرمات الأكل من سوره المائده، و قد تقدم الكلام في ذلك في الجزء الخامس من الكتاب.

و بالبناء على ما تقدم تصوير لفظه أهل البيت اسما خاصا- في عرف القرآن- بهؤلاء الخمسه و هم النبي و على و فاطمه و الحسنان(ع) لا يطلق على غيرهم، و لو كان من أقربائه الأقربين و إن صح بحسب العرف العام إطلاقه عليهم.

و الرجس -بالكسر فالسكون- صفه من الرجاسه و هى القذاره، و القذاره هيئه فى الشىء توجب التجنب و التنفر منها، و تكون بحسب ظاهر الشىء كرجاسه الخنزير، قال تعالى: « أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ » ، الأنعام: ١٤٥ و بحسب باطنه -و هو الرجاسه و القذاره المعنويه- كالشرك و الكفر و أثر العمل السيئ، قال تعالى:

« وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ » ، التوبه:

١٢٥ و قال: « وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صِدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَانَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ » : الأنعام: ١٢٥.

و أيا ما كان فهو إدراك نفسانى و أثر شعورى من تعلق القلب بالاعتقاد الباطل أو العمل السيئ و إذهاب الرجس -و اللام فيه للجنس- إزاله كل هيئه خبيثه فى النفس تخطئ حق الاعتقاد و العمل فتطبق على العصمه الإلهيه التى هى صورته علميه نفسانيه تحفظ الإنسان من باطل الاعتقاد و سيئ العمل.

على أنك عرفت أن إرادته التقوى أو التشديد فى التكاليف لا تلائم اختصاص الخطاب فى الآيه بأهل البيت، و عرفت أيضا أن إرادته ذلك لا تناسب مقام النبي ص من العصمه.

فمن المتعين حمل إذهاب الرجس فى الآيه على العصمه و يكون المراد بالتطهير فى قوله: « وَ يُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيرًا » -و قد أكد بالمصدر- إزاله أثر الرجس بإيراد ما يقابله

بعد إذهاب أصله، و من المعلوم أن ما يقابل الاعتقاد الباطل هو الاعتقاد الحق فتطهيرهم هو تجهيزهم بإدراك الحق في الاعتقاد والعمل، و يكون المراد بالإرادة أيضا غير الإرادة التشريعية لما عرفت أن الإرادة التشريعية التي هي توجيه التكليف إلى المكلف لا تلائم المقام أصلا.

و المعنى: أن الله سبحانه تستمر إرادته أن يخصصكم بموهبه العصمه بإذهاب الاعتقاد الباطل و أثر العمل السيئ عنكم أهل البيت و إيراد ما يزيل أثر ذلك عليكم و هي العصمه.

قوله تعالى: « وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا » ظاهر السياق أن المراد بالذكر ما يقابل النسيان إذ هو المناسب لسياق التأكيد و التشديد الذي في الآيات فيكون بمنزله الوصيه بعد الوصيه بامثال ما وجه إليهن من التكليف، و في قوله في بُيُوتِكُنَّ تأكيد آخر.

و المعنى: و احفظن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله و الحكمه و ليكن منكن في بال حتى لا- تغفلن و لا تتخطين مما خط لكم من المسير.

و أما قول بعضهم: إن المراد و اشكرن الله إذ صيركن في بيوت يتلى فيهن القرآن و السنه فبعيد من السياق و خاصه بالنظر إلى قوله في ذيل الآيه: « إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ».

قوله تعالى: « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ » إلخ، الإسلام لا- يفرق بين الرجال و النساء في التلبس بكرامه الدين و قد أشار سبحانه إلى ذلك إجمالا في مثل قوله: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »، :الحجرات: ١٣ ثم صرح به في مثل قوله:

« أَنَّىٰ لَا أُلَاصِقُ عَمَلٍ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ »، :آل عمران: ١٩٥ ثم صرح به تفصيلا في هذه الآيه.

فقوله: « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ » المقابله بين الإسلام و الإيمان تفيد مغايرتهما نوعا من المغايره و الذي يستفاد منه نحو مغايرتهما قوله تعالى:

« قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ

X- إلى أن قال- X إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَعَنَ لَعْنَهُمْ يَزْتَابُوا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،  
الحجرات: ١٥ يفيد أولاً أن الإسلام هو تسليم الدين بحسب العمل و ظاهر الجوارح و الإيمان أمر قلبى. و ثانياً: أن الإيمان الذى  
هو أمر قلبى اعتقاد و إذعان باطنى بحيث يترتب عليه العمل بالجوارح.

فالإسلام هو التسليم العملى للدين بإتيان عامه التكليف و المسلمون و المسلمات هم المسلمون لذلك و الإيمان هو عقد القلب  
على الدين، بحيث يترتب عليه العمل بالجوارح و المؤمنون و المؤمنات هم الذين عقدوا قلوبهم على الدين بحيث يترتب عليه  
العمل بالجوارح فكل مؤمن مسلم و لا عكس.

و قوله: « وَ الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ » القنوت على ما قيل لزوم الطاعة مع الخضوع و قوله: « وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ » الصدق مطابقه ما  
يخبر به الإنسان أو يظهره، للواقع. فهم صادقون فى دعواهم صادقون فى قولهم صادقون فى وعدهم.

و قوله: « وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِرَاتِ » فهم متلبسون بالصبر عند المصيبة و النائبه و بالصبر على الطاعة و بالصبر عن المعصيه، و قوله: « وَ  
الْخَاشِعِينَ وَ الْخَاشِعَاتِ » الخشوع تذلل باطنى بالقلب كما أن الخضوع تذلل ظاهرى بالجوارح.

و قوله: « وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقَاتِ » و الصدقه إنفاق المال فى سبيل الله و منه الزكاه الواجبه، و قوله: « وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِمَاتِ  
» بالصوم الواجب و المندوب، و قوله:

« وَ الَّذِينَ إِفْظَيْنَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحَافِظَاتِ » أى لفروجهن و ذلك بالتجنب عن غير ما أحل الله لهم، و قوله: « وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَ  
الذَّاكِرَاتِ » أى الله كثيرا حذف لظهوره و هم الذين يكثرون من ذكر الله بلسانهم و جنانهم و يشمل الصلاه و الحج.

و قوله: « أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا » التنكير للتعظيم.

### (بحث روائى)

فى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ » كان سبب نزولها أنه لما رجع رسول الله ص من غزوه خيبر-  
أصاب كثر آل أبى الحقيق قلن أزواجه أعطنا ما أصبت- فقال لهن رسول الله ص قسمته بين المسلمين- على ما أمر الله عز و جل

فغضب من ذلك، وقلن: لعلك ترى أنك إن طلقتنا- أن لا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا؟.

فأنف الله عز و جل لرسوله فأمره أن يعزلهن- فاعتزلهن رسول الله ص فى مشربه أم إبراهيم- تسعه و عشرين يوما حتى حزن و طهرن- ثم أنزل الله عز و جل هذه الآيه و هى آيه التخيير- فقال: « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكِ -إلى قوله- أَجْرًا عَظِيمًا » فقامت أم سلمه أول من قامت فقالت: قد اخترت الله و رسوله- فممن كلهن فعانقنه و قلن مثل ذلك الحديث.

أقول: و روى ما يقرب من ذلك من طرق أهل السنه و فيها أن أول من اختارت الله و رسوله منهن عائشه.

و فى الكافى، بإسناده عن داود بن سرحان عن أبى عبد الله (ع): أن زينب بنت جحش قالت: يرى رسول الله إن خلى سبيلنا أن لا نجد زوجا غيره- و قد كان اعتزل نساءه تسعه و عشرين ليله- فلما قالت زينب الذى قالت بعث الله جبرائيل إلى محمد ص فقال: « قُلْ لِّأَزْوَاجِكِ » الآيتين كلتيهما- فقلن: بل نختار الله و رسوله و الدار الآخرة.

و فيه، بإسناده عن عيص بن القاسم عن أبى عبد الله (ع) قال: سألته عن رجل خير امرأته فاخترت نفسها بانت؟ قال: لا. إنما هذا شىء كان لرسول الله ص خاصه أمر بذلك ففعل، و لو اخترن أنفسهن لطلقهن و هو قول الله عز و جل: « قُلْ لِّأَزْوَاجِكِ -إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا، فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ».

و فى المجمع، روى الواحدى بالإسناد عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: كان رسول الله ص جالسا مع حفصه- فتشاجرا بينهما فقال لها: هل لك أن أجعل بينى و بينك رجلا؟ قالت: نعم.

فأرسل إلى عمر فلما أن دخل عليهما قال لها: تكلمى، فقالت: يا رسول الله تكلم و لا تقل إلا حقا- فرفع عمر يده فوجأ وجهها- ثم رفع يده فوجأ وجهها-.

فقال له النبى ص: كف فقال عمر: يا عدوه الله النبى لا يقول إلا حقا و الذى بعثه بالحق، لو لا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتى- فقام النبى ص فصعد

إلى غرفه فمكث فيها شهرا-لا يقرب شيئا من نسائه يتغدى و يتعشى فيها-فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

و فى الخصال، عن الصادق(ع)قال\*: تزوج رسول الله ص بخمس عشره امرأه-و دخل بثلاث عشر امرأه منهن، و قبض عن تسع فأما اللتان لم يدخل بهما فعمره و سنا. و أما الثلاث عشره اللاتى دخل بهن فأولهن خديجه بنت خويلد-ثم سوده بنت زمعه ثم أم سلمه و اسمها هند بنت أبى أميه-ثم أم عبد الله عائشه بنت أبى بكر-ثم حفصه بنت عمر ثم زينب بنت خزيمة بن الحارث أم المساكين، ثم زينب بنت جحش ثم أم حبيب رمله بنت أبى سفيان-ثم ميمونه بنت الحارث ثم زينب بنت عميس-ثم جويريه بنت الحارث-ثم صفيه بنت حبي بن أخطب-و التى وهبت نفسها للنبي خوله بنت حكيم السلمى-.

و كان له سريتان-يقسم لهما مع أزواجه ماريه القبطيه و ريحانه الخندفيه-.

و التسع اللاتى قبض عنهن عائشه و حفصه و أم سلمه-و زينب بنت جحش و ميمونه بنت الحارث-و أم حبيب بنت أبى سفيان و جويريه و سوده و صفيه. و أفضلهن خديجه بنت خويلد ثم أم سلمه ثم ميمونه.

و فى المجمع، فى قوله: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ» الآيتين: روى محمد بن أبى عمير عن إبراهيم بن عبد الحميد عن على بن عبد الله بن الحسين عن أبيه عن على بن الحسين (ع): أنه قال رجل إنكم أهل بيت مغفور لكم. قال: فغضب و قال: نحن أحرى أن يجرى فينا ما أجرى الله فى أزواج النبي من أن نكون كما تقول-إنا نرى لمحسنا ضعفين من الأجر و لمسيئنا ضعفين من العذاب.

و فى تفسير القمى، مسندا عن أبى عبد الله عن أبيه(ع): فى هذه الآية «وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» قال: أى ستكون جاهليه أخرى.

أقول: و هو استفاده لطيفه.

و فى الدر المثور، أخرج الطبرانى عن أم سلمه أن رسول الله ص: قال لفاطمه:

ائتنى بزوجك و ابنه فجاءت بهم-فألقي رسول الله ص عليهم كساء فدكيا-ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللهم إن هؤلاء أهل محمد-و فى لفظ آل محمد-فاجعل صلواتك

و بركاتك على آل محمد- كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد-

قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم- ف جذبته من يدي وقال: إنك على خير:

أقول: و رواه في غايه المرام، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه بإسناده عن أم سلمه .

و فيه، أخرج ابن مردويه عن أم سلمه قالت: " نزلت هذه الآية في بيتي « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ - وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً » و في البيت سبعة جبريل و ميكائيل - و على و فاطمه و الحسن و الحسين و أنا على باب البيت. قلت: يا رسول الله أ لست من أهل البيت؟ قال: إنك على خير إنك من أزواج النبي.

و فيه، أخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و الطبراني و ابن مردويه عن أم سلمه زوج النبي: أن رسول الله ص كان بيتهما على منامه له - عليه كساء خيبرى فجاءت فاطمه ببرمه فيها خزيره - فقال رسول الله ص: ادعى زوجك و ابنيك حسنا و حسينا - فدعتهم فينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله ص « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ - وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً ».

فأخذ النبي ص بفضله إزاره فغشاهم إياها - ثم أخرج يده من الكساء و أوماً بها إلى السماء - ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي و خاصتي - فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، قالها ثلاث مرات.

قالت أم سلمه: فأدخلت رأسي في الستر - فقلت: يا رسول الله و أنا معكم؟ فقال:

إنك إلى خير مرتين.

أقول: و روى الحديث في غايه المرام، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل بثلاث طرق عن أم سلمه و كذا عن تفسير الثعلبي .

و فيه، أخرج ابن مردويه و الخطيب عن أبي سعيد الخدري قال: كان يوم أم سلمه أم المؤمنين - فنزل جبريل إلى رسول الله ص بهذه الآية « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ - وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً » قال: فدعا رسول الله ص بحسن و حسين و فاطمه و على - فضمهم إليه و نشر عليهم الثوب، و الحجاب على أم سلمه مضروب، ثم



قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي - اللهم أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة: فأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك و إنك على خير.

و فيه، أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم و الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ص: نزلت هذه الآية في خمسة - في و في علي و فاطمه و حسن و حسين - « **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ - وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** »:

أقول: و رواه أيضا في غايه المرام، عن الثعلبي في تفسيره .

و فيه، أخرج الترمذى و صححه و ابن جرير و ابن المنذر و الحاكم و صححه و ابن مردويه و البيهقي في سننه من طرق عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت: « **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ** » و في البيت فاطمه و علي و الحسن و الحسين - فجللهم رسول الله ص بكساء كان عليه - ثم قال: هؤلاء أهل بيتي - فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

و في غايه المرام، عن الحميدى قال: الرابع و الستون من المتفق عليه من الصحيحين عن البخارى و مسلم من مسند عائشه عن مصعب بن شيبه عن صفيه بنت شيبه عن عائشه قالت: خرج النبي ص ذات غداه - و عليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله - ثم جاء الحسين فأدخله معه ثم جاءت فاطمه فأدخلها - ثم جاء علي فأدخله ثم قال: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ - وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** :

أقول: و الحديث مروى عنها بطرق مختلفه .

و فى الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: لما دخل علي بفاطمه جاء النبي ص أربعين صباحا إلى بابها - يقول: السلام عليكم أهل البيت و رحمه الله و بركاته - الصلاة رحمكم الله - **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ - وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** أنا حرب لمن حاربتم أنا سلم لمن سالمتم.

و فيه، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: شهدنا رسول الله ص تسعة أشهر - يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة - فيقول: السلام عليكم و رحمه الله و بركاته أهل البيت « **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ - وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** » أقول: و رواه أيضا عن الطبراني عن أبي الحمراء و لفظه: رأيت رسول الله ص

يأتي باب علي و فاطمه سته أشهر-فيقول: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ» الآية. و أيضا

عن ابن جرير و ابن مردويه عن أبي الحمراء و لفظه: حفظت من رسول الله ص ثمانيه أشهر بالمدنيه- ليس من مره يخرج إلى صلاه الغداه إلا أتى إلى باب علي-فوضع يده على جنبتي الباب- ثم قال:الصلاه الصلاه «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ» الآية.

و رواه أيضا عن ابن أبي شيبه و أحمد و الترمذى و حسنه و ابن جرير و ابن المنذر و الطبرانى و الحاكم و صححه و ابن مردويه عن أنس و لفظه: أن رسول الله ص كان يمر بباب فاطمه-إذا خرج إلى صلاه الفجر و يقول:الصلاه يا أهل البيت الصلاه- إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ-وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً.

أقول:و الروايات فى هذه المعانى من طرق أهل السنه كثيره و كذا من طرق الشيعة،و من أراد الاطلاع عليها فليراجع غايه المرام للبحرانى و العباقت.

و فى غايه المرام،عن الحموينى بإسناده عن يزيد بن حيان قال: دخلنا على زيد بن أرقم فقال:خطبنا رسول الله ص فقال:ألا إني تركت فيكم الثقلين-أحدهما كتاب الله عز و جل-من اتبعه كان على هدى و من تركه كان على ضلاله،ثم أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاث مرات-.

قلنا:من أهل بيته نساؤه؟قال:لا-أهل بيته عصبته الذين حرموا الصدقه بعده-آل على و آل عباس و آل جعفر و آل عقيل.

وفيه،أيضا عن مسلم فى صحيحه بإسناده عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال:قال رسول الله ص: إني تارك فيكم الثقلين-أحدهما كتاب الله هو حبل الله-من اتبعه كان على الهدى و من تركه كان على ضلاله،قلنا:من أهل بيته نساؤه؟قال:

لا أيم الله إن المرأه تكون مع الرجل العصر-ثم الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أهلها و قومها.أهل بيته أصله و عصبته الذين حرموا الصدقه بعده.

أقول:فسر البيت بالنسب كما يطلق عرفا على هذا المعنى،يقال:بيوتات العرب بمعنى الأنساب،لكن الروايات السابقه عن أم سلمه و غيرها تدفع هذا المعنى و تفسير أهل البيت بعلى و فاطمه و ابنيهما(ع).

و فى المجمع،قال مقاتل بن حيان: لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشه-مع

زوجها جعفر بن أبي طالب-دخلت على نساء رسول الله ص فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا-.

فأت رسول الله ص فقالت: يا رسول الله-إن النساء لفي خيبة و خسار، فقال(ص):و مم ذلك؟قالت:لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال،فأنزل الله تعالى هذه الآية« إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ »الخ.

أقول:و في روايات أخر أن القائله هي أم سلمه.

## [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

### اشاره

وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (٣٦) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مُقَدُّورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)

ص: ٣٢٠

الآيات أعنى قوله: «وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ -إلى قوله- وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» فى قصه تزوج رسول الله ص بزواج مولاه زيد الذى كان قد اتخذه ابنا، ولا يبعد أن تكون الآية الأولى أعنى قوله: «وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ» الآية، مرتبطه بالآيات التالية كالتوطئه لها.

قوله تعالى: «وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» إلخ، يشهد السياق على أن المراد بالقضاء هو القضاء التشريعى دون التكوينى فقضاء الله تعالى حكمه التشريعى فى شىء مما يرجع إلى أعمال العباد أو تصرفه فى شأن من شئونهم بواسطة رسول من رسله، وقضاء رسوله هو الثانى من القسمين و هو التصرف فى شأن من شئون الناس بالولاية التى جعلها الله تعالى له بمثل قوله: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

فقضاؤه (ص) قضاء منه بولايته و قضاء من الله سبحانه لأنه الجاعل لولايته المنفذ أمره، و يشهد سياق قوله: «إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا» حيث جعل الأمر الواحد متعلقا لقضاء الله و رسوله معا، على أن المراد بالقضاء التصرف فى شئون الناس دون الجعل التشريعى المختص بالله.

و قوله: «وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ» أى ما صح و لا يحق لأحد من المؤمنين و المؤمنات أن يثبت لهم الاختيار من أمرهم بحيث يختارون ما شاءوا و قوله: «إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا» ظرف لنفى الاختيار.

و ضميرا الجمع فى قوله: «لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» للمؤمن و المؤمنة المراد بهما جميع المؤمنين و المؤمنات لوقوعهما فى حيز النفى و وضع الظاهر موضع المضمرة حيث قيل:

« مِنْ أَمْرِهِمْ » و لم يقل: أن يكون لهم الخيره فيه للدلالة على منشا توهم الخيره و هو انتساب الأمر إليهم.

و المعنى: ليس لأحد من المؤمنين و المؤمنات إذا قضى الله و رسوله بالتصرف فى

أمر من أمورهم أن يثبت لهم الاختيار من جهته لانتسابه إليهم و كونه أمرا من أمورهم فيختاروا منه غير ما قضى الله و رسوله بل عليهم أن يتبعوا إرادة الله و رسوله.

و الآيه عامه لكنها لوقوعها في سياق الآيات التاليه يمكن أن تكون كالتمهيد لما سيحيىء من قوله: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ» الآيه، حيث يلوح منه أن بعضهم كان قد اعترض على تزوج النبي ص بزواج زيد و تعبيره بأنها كانت زوج ابنه المدعو له بالتبني و سيحيىء في البحث الروائي بعض ما يتعلق بالمقام.

قوله تعالى: «وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ» إلى آخر الآيه المراد بهذا الذي أنعم الله عليه و أنعم النبي عليه زيد بن حارثه الذي كان عبدا للنبي ص ثم حرره و اتخذه ابنا له و كان تحت زينة بنت جحش بنت عمه النبي ص أتى زيد النبي فاستشاره في طلاق زينة فنهاه النبي ص عن الطلاق ثم طلقها زيد فتزوجها النبي ص و نزلت الآيات.

فقوله: «أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» أى بالهدايه إلى الإيمان و تحببته إلى النبي ص و قوله: «وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» أى بالإحسان إليه و تحريره و تخصيصه بنفسك، و قوله:

أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ

«كنايه عن الكف عن تطليقها، و لا يخلو من إشعار بإصرار زيد على تطليقها.

و قوله: «وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» أى مظهره «وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» ذيل الآيات أعنى قوله: «الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ» دليل على أن خشيته (ص) الناس لم تكن خشيه على نفسه بل كان خشيه في الله فأخفى في نفسه ما أخفاه استشعارا منه أنه لو أظهره عابه الناس و طعن فيه بعض من في قلبه مرض فأثر ذلك أثرا سيئا في إيمان العامه، و هذا الخوف - كما ترى ليس خوفا مذموما بل خوف في الله هو في الحقيقه خوف من الله سبحانه.

و قوله: «وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» الظاهر في نوع من العتاب ردع عن نوع من خشيه الله و هى خشيته عن طريق الناس و هدايه إلى نوع آخر من خشيته تعالى و أنه كان من الحرى أن يخشى الله دون الناس و لا يخفى ما في نفسه ما الله مبديه و هذا نعم الشاهد على أن الله كان قد فرض له أن يتزوج زيد الذي كان تبناه

ليرتفع بذلك الحرج عن المؤمنين في التزوج بأزواج الأدعياء و هو(ص) كان يخفيه في نفسه إلى حين مخافه سوء أثره في الناس فآمنه الله ذلك بعبابه عليه نظير ما تقدم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ الآية.

فظاهر العتاب الذي يلوح من قوله: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ مسوق لانتصاره و تأييد أمره قبال طعن الطاعنين ممن في قلوبهم مرض نظير ما تقدم في قوله:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعَلَّمَ الْكَافِرِينَ﴾: التوبه: ٤٣.

و من الدليل على أنه انتصار و تأييد في صوره العتاب قوله بعد: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا﴾ حيث أخبر عن تزويجه إياها كأنه أمر خارج عن إرادته النبي ص و اختياره ثم قوله: ﴿وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

فقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا﴾ متفرع على ما تقدم من قوله:

﴿و تَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾

«و قضاء الوطر منها كناية عن الدخول و التمتع، و قوله:

﴿لَكُمْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ تعليل للتزويج و مصلحه للحكم، و قوله: ﴿وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ مشير إلى تحقق الوقوع و تأكيد للحكم.

و من ذلك يظهر أن الذي كان النبي ص يخفيه في نفسه هو ما فرض الله له أن يتزوجها لا هواها و حبه الشديد لها و هي بعد مزوجه كما ذكره جمع من المفسرين و اعتدروا عنه بأنها حاله جليله لا يكاد يسلم منها البشر فإن فيه أولا: منع أن يكون بحيث لا يقوى عليه التربيه الإلهيه، و ثانيا: أنه لا- معنى حينئذ للعتاب على كتمانته و إخفائه في نفسه فلا مجوز في الإسلام لذكر حلائل الناس و التشبب بهن.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ إلخ، الفرض هو التعيين و الاسهام يقال: فرض له كذا أى عينه له و أسهمه به، و قيل: هو في المقام بمعنى الإباحه و التجويز، و الحرج الكلفه و الضيق، و المراد بنفى الحرج نفي سببه و هو المنع عما فرض له.

و المعنى: ما كان على النبي من منع فيما عين الله له أو أباح الله له حتى يكون عليه حرج في ذلك.

وقوله: «سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ» اسم موضوع موضع المصدر فيكون مفعولاً مطلقاً و التقدير سن الله ذلك سنه، والمراد بالذين خلوا من قبل هم الأنبياء و الرسل الماضون بقرينه قوله بعد: «الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ» إلخ.

وقوله: «وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا» أى يقدر من عنده لكل أحد ما يلائم حاله و يناسبها، و الأنبياء لم يمنعوا مما قدره الله و أباحه لغيرهم حتى يمنع النبي ص من بعض ما قدر و أبيع.

قوله تعالى: «الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ» إلخ، الموصول بيان للموصول المتقدم أعنى قوله: «الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ».

و الخشية هى تأثر خاص للقلب عن المكروه و ربما ينسب إلى السبب الذى يتوقع منه المكروه، يقال: خشيت أن يفعل بى فلان كذا أو خشيت فلانا أن يفعل بى كذا، و الأنبياء يخشون الله و لا يخشون أحدا غيره لأنه لا مؤثر فى الوجود عندهم إلا الله.

و هذا غير الخوف الذى هو توقع المكروه بحيث يترتب عليه الاتقاء عملاً- سواء كان معه تأثر قلبى أو لا- فإنه أمر عملى ربما ينسب إلى الأنبياء كقوله تعالى حكاية عن موسى (ع): «فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ» ، الشعراء: ٢١ و قوله فى النبي ص:

«وَ إِمَّا لَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً» ، الأنفال: ٥٨ و هذا هو الأصل فى معنى الخوف و الخشية و ربما استعمالاً كالمترادفين.

و مما تقدم يظهر أن الخشية منفيه عن الأنبياء (ع) مطلقاً و إن كان سياق قوله: «يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ» إلخ، يلوح إلى أن المنفى هو الخشية فى تبليغ الرسالة. على أن جميع أفعال الأنبياء كأقوالهم من باب التبليغ فالخشية فى أمر التبليغ مستوعبه لجميع أعمالهم.

وقوله: «وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا» أى محاسباً يحاسب على الصغيره و الكبيره فيجب أن يخشى و لا يخشى غيره.

قوله تعالى: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبًا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ» إلخ، لا- شك فى أن الآيه مسوقه لدفع اعتراضهم على النبي ص بأنه تزوج زوج ابنه و محصل الدفع أنه ليس أباً زيد و لا- أباً أحد من الرجال الموجودين فى زمن الخطاب حتى يكون

تزوج به بزواج أحدهم بعده تزوجا بزواج ابنه فالخطاب في قوله: «مِنْ رِجَالِكُمْ» للناس الموجودين في زمن نزول الآية، والمراد بالرجال ما يقابل النساء والولدان ونفي الأبوة نفى تكويني لا تشريعي ولا تتضمن الجملة شيئاً من التشريع.

والمعنى: ليس محمد ص أباً أحد من هؤلاء الرجال الذين هم رجالكم حتى يكون تزوجه بزواج أحدهم بعده تزوجاً منه بزواج ابنه وزيد أحد هؤلاء الرجال فتزوجه بعد تطليقه ليس تزوجاً بزواج الابن حقيقه وأما تبنيه زيدا فإنه لا يترتب عليه شيء من آثار الأبوة والبنوة وما جعل أديعاً كم أبناء كم.

و أما القاسم والطيب والطاهر (1) وإبراهيم فإنهم أبناؤه حقيقه لكنهم ماتوا قبل أن يبلغوا فلم يكونوا رجالاً حتى ينتقض الآية وكذا الحسن والحسين وهما ابنا رسول الله فإن النبي ص قبض قبل أن يبلغا حد الرجال.

ومما تقدم ظهر أن الآية لا تقتضي نفى أبوته (ص) للقاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وكذا للحسين لما عرفت أنها خاصة بالرجال الموجودين في زمن النزول على نعت الرجولية.

وقوله: «وَ لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ» الخاتم بفتح التاء ما يختم به كالطابع والقالب بمعنى ما يطبع به وما يقرب به والمراد بكونه خاتم النبيين أن النبوة اختتمت به (ص) فلا نبى بعده.

وقد عرفت فيما مر معنى الرسالة والنبوة وأن الرسول هو الذي يحمل رساله من الله إلى الناس والنبي هو الذي يحمل نبأ الغيب الذي هو الدين وحقائقه ولازم ذلك أن يرتفع رساله بارتفاع النبوة فإن رساله من أنباء الغيب، فإذا انقطعت هذه الأنباء انقطعت رساله.

ومن هنا يظهر أن كونه (ص) خاتم النبيين يستلزم كونه خاتماً للرسول.

وفي الآية إيماء إلى أن ارتباطه (ص) وتعلقه بكم تعلق رساله والنبوة وأن ما فعله كان بأمر من الله سبحانه.

وقوله: «وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً» أي ما بينه لكم إنما كان بعلمه.

ص: ٣٢٥

١-١) هذا على ما هو المعروف وقال بعضهم: إن الطيب والطاهر لقبان للقاسم.



فى الدر المنثور، أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ص زينب بنت جحش لزريد بن حارثه-فاستنكفت منه و قالت: أنا خير منه حسبا و كانت امرأه فيها حده-فأنزل الله «<sup>□</sup> وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ<sup>□</sup>» الآية كلها.

أقول: و فى معناها روايات أخر.

وفيه، أخرج ابن أبى حاتم عن ابن زيد قال: "نزلت فى أم كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط-و كانت أول امرأه هاجرت من النساء- فوهبت نفسها للنبي ص-فزوجها زيد بن حارثه فسخطت هى و أخوها-و قالت إنما أردنا رسول الله فزوجنا عبده فنزلت.

أقول: و الروايتان أشبه بالتطبيق منهما بسبب النزول.

و فى العيون،: فى باب مجلس الرضا(ع) عند المأمون-مع أصحاب الملل-فى حديث يجيب فيه عن مسأله على بن الجهم فى عصمه الأنبياء:.

قال: و أما محمد ص و قول الله عز و جل: «<sup>□</sup> وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ-<sup>□</sup> وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ<sup>□</sup>» فإن الله عز و جل-عرف نبيه ص أسماء أزواجه فى دار الدنيا-و أسماء أزواجه فى الآخرة و أنهن أمهات المؤمنين-و أحد من سمى له زينب بنت جحش-و هى يومئذ تحت زيد بن حارثه- فأخفى(ص) اسمها فى نفسه-و لم يبد له لكيلا يقول أحد من المنافقين: أنه قال فى امرأه فى بيت رجل: إنها أحد أزواجه من أمهات المؤمنين و خشى قول المنافقين-.

قال الله عز و جل: «<sup>□</sup> وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ<sup>□</sup>» يعنى فى نفسك الحديث.

أقول: و روى ما يقرب منه فيه عنه(ع) فى جواب مسأله المأمون عنه فى عصمه الأنبياء.

و فى المجمع،: فى قوله تعالى: «<sup>□</sup> وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ<sup>□</sup>» قيل: إن الذى أخفاه فى نفسه-هو أن الله سبحانه أعلمه-أنها ستكون من أزواجه و أن زيدا سيطلقها- فلما جاء زيد و قال له: أريد أن أطلق زينب-قال له: أمسك عليك زوجك، فقال

سبحانه:لم قلت:أمسك عليك زوجك-و قد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك؟:

و روى ذلك عن علي بن الحسين (ع) .

و فى الدر المنثور، أخرج أحمد و عبد بن حميد و البخارى و الترمذى و ابن المنذر و الحاكم و ابن مردويه و البيهقى فى سننه عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو زينب إلى رسول الله ص -فجعل رسول الله ص يقول: اتق الله و أمسك عليك زوجك فنزلت: « وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ».

قال أنس: فلو كان رسول الله ص كاتما شيئا لكتم هذه الآية، فتزوجها رسول الله ص الحديث.

أقول: و الروايات كثيره فى المقام و إن كان كثير منها لا يخلو من شىء و فى الروايات: ما أولم رسول الله ص على امرأه من نسائه ما أولم على زينب ذبح شاه و أطمع الناس الخبز و اللحم، و فى الروايات أنها كانت تفتخر على سائر نساء النبى بثلاث أن جدها و جد النبى ص واحد فإنها كانت بنت أميمه بنت عبد المطلب عمه النبى ص و أن الذى زوجها منه هو الله سبحانه و أن السفير جبريل .

و فى المجمع: فى قوله تعالى: « وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ »: و صح

الحديث عن جابر بن عبد الله عن النبى ص قال: إنما مثلى فى الأنبياء كمثل رجل بنى دارا- فأكملها و حسنها إلا- موضع لبنة، فكان من دخلها و نظر إليها فقال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة. قال (ص): فأنا موضع اللبنة ختم بى الأنبياء: أورده البخارى و مسلم فى صحيحهما .

أقول: و روى هذا المعنى غيرهما كالترمذى و النسائى و أحمد و ابن مردويه عن غير جابر كأبى سعيد و أبى هريره .

و فى الدر المنثور، أخرج ابن الأنبارى فى المصاحف عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: كنت أقرئ الحسن و الحسين -فمر بى على بن أبى طالب و أنا أقرئهما فقال لى:

أقرئهما و خاتم النبیین بفتح التاء.

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَيِّرُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا (٤٥) وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَ لَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ دَعْ أَذَاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)

بيان

آيات تدعو المؤمنين إلى الذكر و التسييح و تبشرهم و تعدهم الوعد الجميل و تخاطب النبي ص بصفاته الكريمة و تأمره أن يبشر المؤمنين و لا يطيع الكافرين و المنافقين، و يمكن أن يكون القبيلان مختلفين في النزول زمانا.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» الذكر ما يقابل النسيان و هو توجيه الإدراك نحو المذكور و أما التلطف بما يدل عليه من أسمائه و صفاته فهو بعض مصاديق الذكر.

قوله تعالى: «وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» التسييح هو التنزيه و هو مثل الذكر لا يتوقف على اللفظ و إن كان التلطف بمثل سبحانه الله بعض مصاديق التسييح.

و البكره أول النهار و الأصيل آخره بعد العصر و تقييد التسييح بالبكره و الأصيل

لما فيهما من تحول الأحوال فيناسب تسيحه و تنزيهه من التغير و التحول و كل نقص طار، و يمكن أن يكون البكره و الأصيل معا كناية عن الدوام كالليل و النهار فى قوله:

«يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» :حم السجده:٣٨.

قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» المعنى الجامع للصلاه على ما يستفاد من موارد استعمالها هو الانعطاف فيختلف باختلاف ما نسب إليه و لذلك قيل: إن الصلاه من الله الرحمه و من الملائكه الاستغفار و من الناس الدعاء لكن الذى نسب من الصلاه إلى الله سبحانه فى القرآن هو الصلاه بمعنى الرحمه الخاصه بالمؤمنين و هى التى تترتب عليها سعادته العقبى و الفلاح المؤبد و لذلك علل تصليته عليهم بقوله: «لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا».

و قد رتب سبحانه فى كلامه على نسيانهم له نسيانه لهم و على ذكرهم له ذكره لهم فقال: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» ، :التوبه:٦٧ و قال: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» :البقره:١٥٢ و تصليته عليهم ذكر منه لهم بالرحمه فإن ذكروه كثيرا و سبحوه بكره و أصيلا صلى عليهم كثيرا و غشيهم بالنور و أبعدهم من الظلمات.

و من هنا يظهر أن قوله: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ» الخ، فى مقام التعليل لقوله:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» و تفيد التعليل أنكم إن ذكرتم الله كثيرا ذكركم برحمته كثيرا و بالغ فى إخراجكم من الظلمات إلى النور و يستفاد منه أن الظلمات إنما هى ظلمات النسيان و الغفله و النور نور الذكر.

و قوله: «وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» وضع الظاهر موضع المضمرة، أعنى قوله:

«بِالْمُؤْمِنِينَ» و لم يقل: و كان بكم رحيمًا، ليدل به على سبب الرحمه و هو وصف الإيمان.

قوله تعالى: «تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا» ظاهر السياق أن «تَحِيَّتُهُمْ» مصدر مضاف إلى المفعول أى إنهم يحيون-بالبناء للمفعول-يوم يلقون ربهم من عند ربهم و من ملائكته بالسلام أى إنهم يوم اللقاء فى أمن و سلام لا- يصيبهم مكروه و لا يمسه عذاب.

و قوله: «وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا» أى و هيا الله لهم ثوابا جزيلا.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا» شهادته(ص)

على الأعمال أن يتحملها في هذه النشأة و يؤديها يوم القيامة و قد تقدم في قوله: «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً»، البقره: ١١٢ و غيره من آيات الشهاده أنه (ص) شهيد الشهداء.

و كونه مبشرا و نذيرا تبشيره المؤمنين المطيعين لله و رسوله بثواب الله و الجنة و إنذاره الكافرين و العاصين بعذاب الله و النار.

قوله تعالى: «وَ دَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا» دعوته إلى الله هي دعوته الناس إلى الإيمان بالله وحده، و لازمه الإيمان بدين الله و تقيد الدعوه بإذن الله يجعلها مساوقه للبعثه.

و كونه (ص) سراجا منيرا هو كونه بحيث يهتدى به الناس إلى سعادتهم و ينجون من ظلمات الشقاء و الضلاله فهو من الاستعاره، و قول بعضهم: إن المراد بالسراج المنير القرآن و التقدير ذا سراج منير تكلف من غير موجب.

قوله تعالى: «وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا»، الفضل من العطاء ما كان من غير استحقاق ممن يأخذه و قد وصف الله عطاءه فقال: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»، الأنعام: ١٦٠ و قال: «لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ»، ق: ٣٥ فبين أنه يعطى من الثواب ما لا يقابل العمل و هو الفضل و لا دليل في الآيه يدل على اختصاصه بالآخره.

قوله تعالى: «وَ لَا تَطْعَمِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ دَعَا أَذَاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» إلخ، تقدم معنى طاعه الكافرين و المنافقين في أول السوره.

و قوله: «وَ دَعَا أَذَاهُمْ» أى اترك ما يؤذونك بالإعراض عنه و عدم الاشتغال به و الدليل على هذا المعنى قوله: «وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» أى لا تستقل بنفسك فى دفع أذاهم بل اجعل الله و كيلا فى ذلك و كفى بالله و كيلا.

### (بحث روائى)

فى الكافى، بإسناده عن ابن القداح عن أبى عبد الله (ع) قال: ما من شىء إلا

و له حد ينتهي إليه إلا الذكر-فليس له حد ينتهي إليه-فرض الله عز و جل الفرائض-فمن أداهن فهو حدهن-و شهر رمضان فمن صامه فهو حده-و الحج فمن حج فهو حده إلا الذكر-فإن الله عز و جل لم يرض منه بالقليل-و لم يجعل له حدا ينتهي إليه-ثم تلا:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا - وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً » فقال: لم يجعل الله له حدا ينتهي إليه.

قال: و كان أبى كثير الذكر-لقد كنت أمشى معه و إنه ليذكر الله و آكل معه الطعام-و إنه ليذكر الله و لقد كان يحدث القوم ما يشغله ذلك-عن ذكر الله و كنت أرى لسانا لازقا بحنكه يقول: لا إله إلا الله-.

و كان يجمعنا فإمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس-و يأمر بالقراءة من كان يقرأ منا و من كان لا يقرأ منا أمره بالذكر، و البيت الذى يقرأ فيه القرآن و يذكر الله عز و جل فيه يكثر بركته و يحضره الملائكة و يهجره الشياطين-و يضىء لأهل السماء كما يضىء الكوكب لأهل الأرض-و البيت الذى لا يقرأ فيه القرآن-و لا يذكر الله يقل بركته و يهجره الملائكة و يحضره الشياطين.

و قال رسول الله ص: أ لا أخبركم بخير أعمالكم-أرفعها فى درجاتكم و أزكاها عند مليككم-و خير لكم من الدينار و الدرهم-و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم و يقتلوكم؟ فقالوا: بلى. قال: ذكر الله عز و جل كثيرا-.

ثم قال: جاء رجل إلى النبى ص فقال: من خير أهل المسجد؟ فقال:

أكثرهم لله ذكرا-.

و قال رسول الله ص: من أعطى لسانا ذاكرا-فلقد أعطى خير الدنيا و الآخرة.

و قال فى قوله تعالى: « وَ لَا تَمُنُّنَّ تَسْتَكْبِرُ » قال: لا تستكثر ما عملت من خير لله.

وفيه، بإسناده عن أبى المعزى رفعه قال: قال أمير المؤمنين (ع): من ذكر الله فى السر فقد ذكر الله كثيرا-إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية-و لا يذكرونه فى السر فقال الله عز و جل: « يَرَاؤُنَ النَّاسَ وَ لَا يَدْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ».

أقول: و هو استفاده لطيفه.

و فى الخصال، عن زيد الشحام قال: قال أبو عبد الله (ع): ما ابتلى المؤمن

بشيء أشد عليه من ثلاث خصال يحرمها. قيل: وما هي؟ قال: المواساة في ذات يده، والإنصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً. أما إنى لا- أقول: سبحان الله والحمد لله ولا- إله إلا الله والله أكبر وإن كان منه- ولكن ذكر الله عند ما أحل له وذكر الله عند ما حرم عليه.

وفي الدر المشهور، أخرج أحمد و الترمذى و البيهقى عن أبى سعيد الخدرى: أن رسول الله ص سئل- أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيراً. قلت: يا رسول الله و من الغازى فى سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه فى الكفار و المشركين- حتى ينكسر و يختضب دما- لكان الذاكرون الله أفضل درجة منه.

و فى العلل، بإسناده عن عبد الله بن الحسن بن أبىه عن جده الحسن بن على (ع) قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ص- فسأله أعلمهم فيما سأله فقال: لأى شيء سميت محمداً و أحمد و أبى القاسم و بشيرا و نذيرا و داعياً؟ فقال (ص): أما الداعى فإنى أدعو الناس إلى دين ربي عز و جل، و أما النذير فإنى أندر بالنار من عصانى، و أما البشير فإنى أبشر بالجنة من أطاعنى. الحديث.

و فى تفسير القمى، "فى قوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ -إلى قوله وَ دَعَّ أَذَاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا» أنها نزلت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين.

## [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٤٩ إلى ٦٢]

### إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعِيَّوهُنَّ وَ سَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَعْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتِ أَجُورَهُنَّ وَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ بَنَاتِ عَمَّكَ وَ بَنَاتِ خَالَكَ وَ بَنَاتِ خَالَتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَ امْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠) تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَ مَنْ ابْتَغَيْتَ مِّنْهُنَّ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ عَنِّيهِنَّ وَ لَا يَحْرَنَ وَ يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَ لَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَ لَوْ أَحْبَبْتَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا (٥٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرِهَا إِذْهُنَّ وَ لَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لَا مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَجِيبْ مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنَ الْحَقِّ وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَ لَا أَبْنَائِهِنَّ وَ لَا إِخْوَانِهِنَّ وَ لَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَ لَا نِسَائِهِنَّ وَ لَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَ اتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥) إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٥٧) وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُّبِينًا (٥٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَ بَنَاتِكَ وَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا

يُؤذِنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أُخَذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّهَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهَ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)





تتضمن الآيات أحكاماً متفرقة بعضها خاصه بالنبي ص و أزواجه و بعضها عامه.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَيْرَ حُوهُنَّ سَيْرًا جَمِيلًا﴾ المراد بنكاحهن العقد عليهن بالنكاح، و بالمس الدخول، و بالتمتع إعطاؤهن شيئاً من المال يناسب شأنهن و حالهن و التسريح بالجميل لإطلاقهن من غير خصومه و خشونه.

و المعنى: إذا طلقتم النساء بعد النكاح و قبل الدخول فلا عده لهن للطلاق و يجب

تمتعهن بشيء من المال و السراح الجميل.

و الآيه مطلقه تشمل ما إذا فرض لهن فريضه المهر و ما إذا لم يفرض فيقيدها قوله:

«وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ» ، :البقره:

٢٣٧ و تبقى حجه فيما لم يفرض لهن فريضه.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ» إلى آخر الآيه، يذكر سبحانه لنبيه (ص) بالإحلال سبعة أصناف من النساء: الصنف الأول ما فى قوله: «أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ» و المراد بالأجور المهور، و الثانى ما فى قوله: «وَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ» أى من يملكه من الإماء الراجعه إليه من الغنائم و الأنفال، و تقييد ملك اليمين بكونه مما أفاء الله عليه كتقييد الأزواج بقوله: «اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ» للتوضيح لا للاحتراز.

و الثالث و الرابع ما فى قوله: «وَ بَنَاتِ عَمِّكَ وَ بَنَاتِ عَمَّاتِكَ» قيل: يعنى نساء قريش، و الخامس و السادس ما فى قوله: «وَ بَنَاتِ خَالَاتِكَ وَ بَنَاتِ خَالَاتِكَ» قيل: يعنى نساء بنى زهره، و قوله: «اللَّاتِي هَاجِرُونَ مَعَكَ» قال فى المجمع:، هذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجره فى التحليل.

و السابع ما فى قوله: «وَ امْرَأَهُ مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا» و هى المرأه المسلمه التى بذلت نفسها للنبى ص بمعنى أن ترضى أن يتزوج بها من غير صداق و مهر فإن الله أحلها له إن أراد أن يستنكحها، و قوله:

«خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» إيدان بأن هذا الحكم- أى حليه المرأه للرجل ببذل النفس- من خصائصه لا- يجرى فى المؤمنين، و قوله بعده: «قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ» تقرير لحكم الاختصاص.

و قوله: «لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ» تعليل لقوله فى صدر الآيه: «إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ» أو لما فى ذيلها من حكم الاختصاص و الأول أظهر و قد ختمت الآيه بالمغفره و الرحمه.

قوله تعالى: «تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَ تُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ» إلخ، الإرجاء التأخير و التباعد، و هو كناية عن الرد، و الإيواء: الإسكان فى المكان و هو كناية عن القبول و الضم إليه.

و السياق يدل على أن المراد به أنه(ص)على خيره من قبول من وهبت نفسها له أو رده.

وقوله: «وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ»، الابتغاء هو الطلب أى و من طلبتها من اللاتى عزلتها و لم تقبلها فلا إثم عليك و لا لؤم أى يجوز لك أن تضم إليك من عزلتها و رددتها من النساء اللاتى وهبن أنفسهن لك بعد العزل و الرد.

و يمكن أن يكون إشاره إلى أن له(ص)أن يقسم بين نسائه و أن يترك القسم فيؤخر من يشاء منهن و يقدم من يشاء و يعزل بعضهن من القسم فلا يقسم لها أو يتغيها فيقسم لها بعد العزل و هو أوفق لقوله بعده: «وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذْنَىٰ -أى أقرب- أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ -أى يسررن- وَ لَا يَحْزَنَ وَ يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ» و ذلك لسرور المتقدمه بما قسمت له و رجاء المتأخره أن تتقدم بعد.

وقوله: «وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا» أى يعلم مصالح عباده و لا يعاجل فى العقوبه.

و فى الآيه أقوال مختلفه أخر و الذى أوردناه هو الأوفق لوقوعها فى سياق سابقها متصله بها و به وردت الأخبار عن أئمه أهل البيت(ع) كما سيجىء.

قوله تعالى: «لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَ لَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَ لَوْ أَغْبَجَكَ حُسْنُهُنَّ» إلخ، ظاهر الآيه لو فرضت مستقلة فى نفسها غير متصله بما قبلها تحريم النساء له(ص)إلا من خيرهن فاخترن الله و نفى جواز التبدل بهن يؤيد ذلك.

لكن لو فرضت متصله بما قبلها و هو قوله: «إِنَّا أَهْلَلْنَا لَكَ» إلخ، كان مدلولها تحريم ما عدا المعدودات و هى الأصناف الستة التى تقدمت.

و فى بعض الروايات عن بعض أئمه أهل البيت(ع)أن المراد بالآيه محرمات النساء المعدوده فى قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ» Xالآيه X:النساء: ٢٣.

فقوله: «لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ» أى من بعد اللاتى اخترن الله و رسوله و هى التسعه على المعنى الأول أو من بعد من عددناه فى قولنا: «إِنَّا أَهْلَلْنَا لَكَ» على المعنى الثانى أو من بعد المحللات و هى المحرمات على المعنى الثالث.

وقوله: «وَ لَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ» أى أن تطلق بعضهن و تزوج مكانها

من غيرهن، و قوله: «إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» يعنى الإماماء و هو استثناء من قوله فى صدر الآية «لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ».

و قوله: «وَ كَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا» معناه ظاهر و فيه تحذير عن المخالفه.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ - إِلَىٰ قَوْلِهِ - مِنَ الْحَقِّ» بيان لأدب الدخول فى بيوت النبى ص، و قوله: «إِلَّا - أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» استثناء من النهى، و قوله: «إِلَىٰ طَعَامٍ» متعلق بالإذن، و قوله: «غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءً» أى غير منتظرين لورود إناء الطعام بأن تدخلوا من قبل فتطيلوا المكث فى انتظار الطعام و يبينه قوله: «وَ لَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ - أَى أَكَلْتُمْ - فَانْتَشِرُوا»، و قوله: «وَ لَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ» عطف على قوله: «غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءً» و هو حال بعد حال، أى غير ماكتين فى حال انتظار الإناء قبل الطعام و لا فى حال الاستئناس لحديث بعد الطعام.

و قوله: «إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ» تعليل للنهى أى لا - تمكثوا كذلك لأن مكثكم ذلك كان يتأذى منه النبى فيستحى منكم أن يسألكم الخروج و قوله: «وَ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ» أى من بيان الحق لكم و هو ذكر تأذيه و التأديب بالأدب اللائق.

قوله تعالى: «وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ»، ضمير «سَأَلْتُمُوهُنَّ» لأزواج النبى ص و سؤالهن متاعا كناية عن تكليمهن لحاجه أى إذا مست الحاجه إلى تكليمكم أزواج النبى ص فكلموهن من وراء حجاب، و قوله: «ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ» بيان لمصلحه الحكم.

قوله تعالى: «وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا» إلخ، أى ليس لكم إيداؤه بمخالفه ما أمرتم فى نسائه و فى غير ذلك و ليس لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم أى نكاحكم أزواجه من بعده كان عند الله عظيما، و فى الآية إشعار بأن بعضهم ذكر ما يشير إلى نكاحهم أزواجه بعده و هو كذلك كما سيأتى فى البحث الروائى الآتى.

قوله تعالى: «إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» معناه ظاهر و هو فى الحقيقه تنبيه تهديدى لمن كان يؤذى النبى ص أو يذكر نكاح أزواجه من بعده.

قوله تعالى: «لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ» إلى آخر الآيه ضمير «عَلَيْهِنَّ» لنساء النبى ص، و الآيه فى معنى الاستثناء من عموم حكم الحجاب و قد استثنى الآباء و الأبناء و الإخوان و أبناء الإخوان و أبناء الأخوات و هؤلاء محارم، قيل: و لم يذكر الأعمام و الأخوال لأنهم من الممكن أن يصفوهن لأبنائهم.

و استثنى أيضا نساءهن و إضافه النساء إلى ضميرهن يلوح إلى أن المراد النساء المؤمنات دون الكوافر كما مر فى قوله تعالى: «أَوْ نِسَائِهِنَّ» ، النور: ٣١ و استثنى أيضا ما ملكت أيمانهن من العبيد و الإماء.

و قوله: «وَ اتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا» فيه تأكيد الحكم و خاصه من جهه الالتفات من الغيبه إلى الخطاب فى «إِتَّقِينَ اللَّهَ».

قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا» قد تقدم أن أصل الصلاه الانعطاف فصلاته تعالى انعطافه عليه بالرحمه انعطافا مطلقا لم يقيد فى الآيه بشىء دون شىء و كذلك صلاه الملائكه عليه انعطاف عليه بالتركيه و الاستغفار و هى من المؤمنين الدعاء بالرحمه.

و فى ذكر صلاته تعالى و صلاه ملائكته عليه قبل أمر المؤمنين بالصلاه عليه دلالة على أن فى صلاه المؤمنين له اتباعا لله سبحانه و ملائكته و تأكيدا للنهى الآتى.

و قد استفاضت الروايات من طرق الشيعة و أهل السنه أن طريق صلاه المؤمنين أن يسألوا الله تعالى أن يصلى عليه و آله.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا» من المعلوم أن الله سبحانه منزه من أن يناله الأذى و كل ما فيه و صمه النقص و الهوان فذكره مع الرسول و تشريكه فى إيدائه تشريف للرسول و إشاره إلى أن من قصد رسوله بسوء فقد قصده أيضا بالسوء إذ ليس للرسول بما أنه رسول إلا ربه فمن قصده فقد قصد ربه.

وقد أوعدهم باللعن فى الدنيا والآخرة و اللعن هو الإبعاد من الرحمة و الرحمة الخاصه بالمؤمنين هى الهدايه إلى الاعتقاد الحق و حقيقه الإيمان، و يتبعه العمل الصالح فالإبعاد من الرحمة فى الدنيا تحريمه عليه جزاء لعمله فيرجع إلى طبع القلوب كما قال:

«لَعَنَاهُمْ وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً» ، :المائدة: ١٣ و قال: «وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» ، :النساء: ٤٦ و قال: «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ» :سوره محمد: ٢٣.

و أما اللعن فى الآخرة فهو الإبعاد من رحمة القرب فيها و قد قال تعالى: «كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ» :المطففين: ١٥.

ثم أوعدهم بأنه أعد لهم-أى فى الآخرة-عذابا مهينا و وصف العذاب بالمهين لأنهم يقصدون باستكبارهم فى الدنيا إهانه الله و رسوله فقبلوا فى الآخرة بعذاب يهينهم.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا» تقييد إيدائهم بغير ما اكتسبوا لأن إيداءهم بما اكتسبوا كما فى القصاص و الحد و التعزير لا إثم فيه.

و أما إيدائهم بغير ما اكتسبوا و من دون استحقاق فيعده سبحانه احتمالا للبهتان و الإثم المبين، و البهتان هو الكذب على الغير يواجهه به، و وجه كون الإيداء من غير اكتساب بهتاناً أن المؤذى إنما يؤذى لسبب عنده يعده جرما له يقول: لم قال كذا؟ لم فعل كذا؟ و ليس بجرم فيبهته عند الإيداء بنسبه الجرم إليه مواجهه و ليس بجرم.

و كونه إثما مبينا لأن الافتراء و البهتان مما يدرك العقل كونه إثما من غير حاجه إلى ورود النهى عنهما شرعا.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزَوِّجَكُ وَ بَنَاتِكَ وَ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ» إلخ، الجلابيب جمع جلباب و هو ثوب تشتمل به المرأة فيغطى جميع بدنها أو الخمار الذى تغطى به رأسها و وجهها.

و قوله: «يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ» أى يتسترن بها فلا تظهر جيوبهن و صدورهن للناظرين.

و قوله: «ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ» أى ستر جميع البدن أقرب إلى أن

يعرفن أنهم أهل الستر و الصلاح فلا يؤذین أى لا يؤذین أهل الفسق بالتعرض لهم.

وقيل: المعنى ذلك أقرب من أن يعرفن أنهم مسلمات حرائر فلا- يتعرض لهم بحسبان أنهم إماء أو من غير المسلمات من الكتابيات أو غيرهن و الأول أقرب.

قوله تعالى: «لئن لم ينته المنافقون و الذين في قلوبهم مرض و المرجفون في المدينة لنغرينك بهم» إلخ، الانتهاء عن الشيء الامتناع و الكف عنه، و الإرجاف إشاعه الباطل للاغتمام به و إلقاء الاضطراب بسببه، و الإغراء بالفعل التحريض عليه.

و المعنى: أقسم لئن لم يكف المنافقون و الذين في قلوبهم مرض عن الإفساد و الذين يشيعون الأخبار الكاذبه في المدينة لإلقاء الاضطراب بين المسلمين لنحرضنك عليهم ثم يجاورونك في المدينة بسبب نفيهم عنها إلا زمانا قليلا و هو ما بين صدور الأمر و فعله إجرائه.

قوله تعالى: «ملعونين أينما ثقفوا أخذوا و قتلوا تفتيلاً» الثقف إدراك الشيء و الظفر به، و الجملة حال من المنافقين و من عطف عليهم أى حال كونهم ملعونين أينما وجدوا أخذوا و بولغ في قتلهم فعمهم القتل.

قوله تعالى: «سنة الله في الذين خلوا من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلاً» السنه هى الطريقة المعموله التى تجرى بطبعها غالبا أو دائما.

يقول سبحانه هذا النكال الذى أوعدنا به المنافقين و من يحذو حذوهم من النفى و القتل الذريع هى سنة الله التى جرت فى الماضين فكلما بالغ قوم فى الإفساد و إلقاء الاضطراب بين الناس و تمادوا و طغوا فى ذلك أخذناهم كذلك و لن تجد لسنة الله تبديلا فتجربى فيكم كما جرت فى الأمم من قبلكم.

### (بحث روائى)

فى الفقيه، روى عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر(ع): فى قول الله عز و جل:

« ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَاةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سِرَّاحًا جَمِيلًا » قال: متعوهن أى أجملوهن بما قدرتم عليه من معروف



فإنهن يرجعن بكتابيه و وحشه و هم عظيم و شماته من أعدائهن-فإن الله كريم يستحيى و يحب أهل الحياء إن أكرمكم أشدكم إكراما لحلائلهم.

و فى الكافى، بإسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله(ع): فى رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها.قال:عليه نصف المهر إن كان فرض لها شيئا-و إن لم يكن فرض لها فليمتعها-على نحو ما يمتع به مثلها من النساء.

أقول:و الروايات فى هذا المعنى كثيره و هى مبنيه على تخصيص الآيه بآيه البقره كما تقدم فى تفسير الآيه.

و فى الدر المنثور،أخرج عبد بن حميد عن حبيب بن ثابت قال: جاء رجل إلى على بن الحسين فسأله عن رجل-قال:إن تزوجت فلانه فهى طالق-قال:ليس بشيء بدأ الله بالنكاح قبل الطلاق-فقال:«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ»:

أقول:و رواه فى المجمع،عن حبيب بن ثابت عنه(ع).

و فيه،أخرج ابن ماجه و ابن مردويه عن المسور بن مخرمه عن النبي ص قال:

لا طلاق قبل نكاح و لا عتق قبل ملك:

أقول:و روى مثله عن جابر و عائشه عنه(ص).

و فى الكافى، بإسناده عن الحضرمي عن أبي جعفر(ع)و بإسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله(ع): فى قول الله عز و جل:«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ» كم أحل له من النساء؟قال:ما شاء من شيء.

و فيه، بإسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله(ع)قال:قلت:«لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ»؟فقال:لرسول الله ص-أن ينكح ما شاء من بنات عمه و بنات عماته-و بنات خاله و بنات خالاته و أزواجه اللاتي هاجرن معه-.

و أحل له أن ينكح من عرض المؤمنين-بغير مهر و هى الهبه-و لا-تحل الهبه إلا لرسول الله ص-فأما لغير رسول الله فلا يصلح نكاح إلا بمهر-و ذلك معنى قوله تعالى:

« وَ امْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ »

و فى الدر المنثور،أخرج ابن سعد و ابن أبي شيبه و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر و الطبراني عن على بن الحسين: فى قوله:« وَ امْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ »هى أم شريك الأزدية التى وهبت نفسها للنبي ص.

أقول: و روى أنها خوله بنت الحكيم و أنها ليلي بنت الخطيم و أنها ميمونه، و الظاهر أن الواهبه نفسها عده من النساء.

و فى الكافى، مسندا عن محمد بن قيس عن أبى جعفر (ع) قال: جاءت امرأه من الأنصار إلى رسول الله ص - فقالت: يا رسول الله إن المرأة لا- تخطب الزوج- و أنا امرأه أيم لا زوج لى منذ دهر- و لا ولد فهل لك من حاجه؟ فإن تك فقد وهبت نفسى لك إن قبلتنى. فقال لها رسول الله خيرا و دعا لها.

ثم قال: يا أخت الأنصار- جزاكم الله عن رسول الله خيرا- فقد نصرنى رجالكم و رغبت فى نساؤكم. فقالت لها حفصه: ما أقل حياءك و أجرأك و أنهمك للرجال.

فقال رسول الله: كفى عنها يا حفصه- فإنها خير منك رغبت فى رسول الله و لمتها و عبتها.

ثم قال للمرأة: انصرفى رحمك الله- فقد أوجب الله لك الجنه- لرغبتك فى و تعرضك لمحبتى و سرورى- و سيأتيك أمرى إن شاء الله، فأنزل الله عز و جل « وَ امْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ » قال: فأحل الله عز و جل هبه المرأة نفسها للنبي ص- و لا يحل ذلك لغيره.

و فى المجمع، و قيل: إنها لما وهبت نفسها للنبي ص- قالت عائشه: ما بال النساء يبذلن أنفسهن بلا مهر؟ فنزلت الآية، فقالت عائشه: ما أرى الله إلا يسارع فى هواك، فقال رسول الله ص: فإنك إن أطعت الله سارع فى هواك.

و فى المجمع،: فى قوله تعالى: « تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَ تُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ » قال أبو جعفر و أبو عبد الله (ع). من أرجى لم ينكح و من آوى فقد نكح.

و فى الكافى، بإسناده عن الحضرمى عن أبى جعفر (ع): فى قول الله عز و جل:

« لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ » فقال: إنما عنى به- لا يحل لك النساء التى حرم الله عليك فى هذه الآية « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ- وَ أَخَوَاتُكُمْ وَ عَمَّاتُكُمْ وَ خَالَاتُكُمْ » إلى آخرها.

و لو كان الأمر كما يقولون- كان قد أحل لكم ما لم يحل له- لأن أحدكم يستبدل كلما أراد و لكن الأمر ليس كما يقولون- إن الله عز و جل أحل لنبيه (ص)- أن ينكح من النساء ما أراد إلا ما حرم فى هذه الآية فى سورة النساء.

و في الدر المنثور، أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن أبي حاتم من طريق علي بن زيد عن الحسن: في قوله: «وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ» قال: قصره الله على نسائه التسع اللاتي مات عنهن.

قال علي فأخبرت علي بن الحسين فقال: لو شاء تزوج غيرهن. و لفظ عبد بن حميد فقال: بل كان له أيضا أن يتزوج غيرهن.

و في تفسير القمي، "و أما قوله عز و جل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ" فإنه لما أن تزوج رسول الله ص بزینب بنت جحش - و كان يحبها فأولم و دعا أصحابه - فكان أصحابه إذا أكلوا يحبون أن يتحدثوا عند رسول الله ص، و كان يحب أن يخلو مع زینب فأنزل الله عز و جل. «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» و ذلك أنهم كانوا يدخلون بلا إذن فقال عز و جل: «إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» - إلى قوله - مِنْ وَرَائِهِ حِجَابٍ:

أقول: و روى تفصيل القصة عن أنس بطرق مختلفة.

و في الدر المنثور، أخرج ابن سعد عن صالح بن كيسان قال: "نزل حجاب رسول الله على نسائه في ذى القعدة سنة خمس من الهجرة.

أقول: و رواها أيضا ابن سعد عن أنس و فيه: أن السنة كانت مبتنى رسول الله ص بزینب.

و فيه، "في قوله تعالى: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا» الآية: "أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: "بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أ يحجبنا محمد عن بنات عمنا و يتزوج نساءنا من بعدنا؟ لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده فنزلت الآية.

أقول: و قد وردت بذلك عدة من الروايات و في بعضها أنه كان يريد عائشه و أم سلمه.

و في ثواب الأعمال، عن أبي المعزى عن أبي الحسن (ع) في حديث قال: قلت:

ما معنى صلاة الله و صلاة ملائكته و صلاة المؤمن؟ قال: صلاة الله رحمه من الله، و صلاة الملائكة تزكیه منهم له، و صلاة المؤمنين دعاء منهم له.

و في الخصال، عن أمير المؤمنين (ع) في حديث الأربعمائه قال: صلوا على محمد

و آل محمد-فإن الله تعالى يقبل دعاءكم عند ذكر محمد-و دعاءكم و حفظكم إياه إذا قرأتم- « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » فصلوا عليه في الصلاة كنتم أو في غيرها.

و في الدر المنثور، أخرج عبد الرزاق و ابن أبي شيبة و أحمد و عبد بن حميد و البخارى و مسلم و أبو داود و الترمذى و النسائى و ابن ماجه و ابن مردويه عن كعب بن عجره قال: قال رجل: يا رسول الله-أما السلام عليك فقد علمناه فكيف الصلاة عليك؟ قال: قل: اللهم صل على محمد و على آل محمد- كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد-اللهم بارك على محمد و على آل محمد- كما باركت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أقول: وقد أورد ثمانى عشره حديثا غير هذه الروايه تدل على تشريك آل النبى معه فى الصلاة روتها أصحاب السنن و الجوامع عن عدده من الصحابه منهم ابن عباس و طلحه و أبو سعيد الخدرى و أبو هريره و أبو مسعود الأنصارى و بريد و ابن مسعود و كعب بن عجره و على(ع) و أما روايات الشيعة فهى فوق حد الإحصاء.

و فيه، أخرج أحمد و الترمذى عن الحسن بن على أن رسول الله ص قال:

البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ وَ بَنَاتِكِ وَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ-يُذُنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ » فإنه كان سبب نزولها أن النساء كن يخرجن إلى المسجد-و يصلين خلف رسول الله ص- فإذا كان الليل و خرجن إلى صلاه المغرب و العشاء الآخره-يقعدن الشباب لهن فى طريقهن فيؤذونهن و يتعرضون لهن-فأنزل الله:

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ » الآية.

و فى الدر المنثور، أخرج عبد الرزاق و عبد بن حميد و أبو داود و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن مردويه عن أم سلمه قالت: "لما نزلت هذه الآية « يُذُنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ » خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان-من أكسيه سود يلبسها.

و فى تفسير القمى، "فى قوله تعالى: « لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُؤْمِنُونَ » نزلت فى قوم منافقين كانوا فى المدينه-يرجفون برسول الله ص إذا خرج فى بعض غزواته-يقولون: قتل و أسر فيغتم المسلمون لذلك-و يشكون إلى رسول الله ص-فأنزل الله عز و جل فى ذلك « لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ-إِلَى قَوْلِهِ-إِلَّا قَلِيلًا » أى نأمرك بإخراجهم من المدينه إلا قليلا.

« مَلْعُونِينَ أَيُّمَا تُقْفُوا أَخَذُوا وَقَتْلُوا تَقْتِيلًا » و

فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع) -قال: « مَلْعُونِينَ » فوجبت عليهم اللعنه بعد اللعنه بقول الله.

## [سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٦٣ الى ٧٣]

### اشاره

يَسْتَيْئُكَ الذَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي الذَّرِّ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُومُ لَعْنَا كَبِيرًا (٦٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٣)

آيات تذكر شأن الساعة و بعض ما يجرى على الكفار من عذابها و تأمر المؤمنين بالقول السديد و تعدهم عليه و عدا جميلا ثم تختتم السوره بذكر الأمانه.

قوله تعالى: «يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا» تذكر الآيه سؤال الناس عن الساعه و إنما كانوا يريدون أن يقدر لهم زمن وقوعها و أنها قريبه أو بعيده كما يومئ إليه التعبير عنها بالساعه فأمر أن يجيبهم بقصر العلم بها في الله سبحانه و على ذلك جرت الحال كلما ذكرت في القرآن.

و قوله: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا» زياده في الإبهام و ليعلموا أن النبي ص مثل غيره في عدم العلم بها و ليس من الستر الذي أسره إليه و ستره من الناس.

قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا» لعن الكفار إبعادهم من الرحمه، و الإعداد التهيئه، و السعير النار التي أشعلت فالتهبت، و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا» الفرق بين الولي و النصير أن الولي يلي بنفسه تمام الأمر و المولى عليه بمعزل، و النصير يعين المنصور على بعض الأمر و هو إتمامه فالولي يتولى الأمر كله و النصير يتصدى بعضه، و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: «يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَ» تقلب و جوههم في النار تحولها لحال بعد حال فتصفر و تسود و تكون كالحه أو انتقالها من جهه إلى جهه لتكون أبلغ في مس العذاب كما يفعل باللحم المشوى.

و قولهم: «يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَ» كلام منهم على وجه التحوير و التمني.

قوله تعالى: «وَ قَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا» الساده جمع سيد و هو-على ما في المجمع،-المالك المعظم الذي يملك تدبير السواد الأعظم و هو الجمع الأكثر، و الكبراء جمع كبير و لعل المراد به الكبير سنا فالعامه تطيع و تقلد أحد رجلين إما سيد القوم و إما أسنهم.

قوله تعالى: «رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» الضعفان المثلان

و إنما سألوا لهم ضعفى العذاب لأنهم ضلوا فى أنفسهم و أضلوا غيرهم، و لذلك أيضا سألوا لهم اللعن الكبير.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ نهى عن أن يكونوا كبعض بنى إسرائيل فبعاملوا نبيهم بمثل ما عامل به بنو إسرائيل من الإيذاء و ليس المراد مطلق الإيذاء بقول أو فعل و إن كان منها عنه بل قوله: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ﴾ يشهد بأنه كان إيذاء من قبيل التهمة و الافتراء المحوج فى رفعه إلى التبرئة و التنزيه.

و لعل السكوت عن ذكر ما آذوا به موسى (ع) يؤيد ما ورد فى الحديث أنهم قالوا: ليس لموسى ما للرجال فبرأه الله من قولهم و سيوافيك.

و أوجه ما قيل فى إيذائهم النبى ص أنه إشاره إلى قصه زيد و زينب، و إن يكن كذلك فمن إيذائه (ص) ما فى كثير من روايات القصة من سردها على نحو لا يناسب ساحه قدسه.

و قوله: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ أى ذا جاه و منزله و الجملة مضافا إلى اشتغالها على التبرئة إجمالا تعلق تبرئته تعالى له و لآييه و ما بعدها نوع اتصال بالآيات الناهيه عن إيذاء النبى ص.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، السديد من السداد و هو الإصابه و الرشاد فالسديد من القول ما يجتمع فيه مطابقه الواقع و عدم كونه لغوا أو ذا فائده غير مشروعه كالنميمه و غير ذلك فعلى المؤمن أن يختبر صدق ما يتكلم به و أن لا يكون لغوا أو يفسد به إصلاح.

قوله تعالى: ﴿يُضِلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ رتب على ملازمه القول السديد إصلاح الأعمال و مغفره الذنوب و ذلك أن النفس إذا لازمت القول السديد انقطعت عن كذب القول و لغو الحديث و الكلام الذى يترتب عليه فساد، و برسوخ هذه الصفه فيها تنقطع طبعاً عن الفحشاء و المنكر و اللغو فى الفعل و عند ذلك يصلح أعمال الإنسان فيندم بالطبع على ما ضيعه من عمره فى موبقات الذنوب إن كان قد ابتلى بشيء من ذلك و كفى بالندم توبه.

و يحفظه الله فيما بقي من عمره عن اقتحام المهلكات و إن رام شيئاً من صغائر الذنوب غفر الله له فقد قال الله تعالى: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ»، :النساء: ٣١ فملازمه القول السديد تسوق الإنسان إلى صلاح الأعمال و مغفره الذنوب بإذن الله.

و قوله: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً» وعد جميل على الإتيان بجميع الأعمال الصالحة و الاجتناب عن جميع المناهي بترتيب الفوز العظيم على طاعة الله و رسوله.

و بذلك تختتم السوره فى معناها فى الحقيقه لأن طاعه الله و رسوله هى الكلمه الجامعه بين جميع الأحكام السابقه، من واجبات و محرمات و الآياتان التاليتان كالمتمم لمعنى هذه الآيه.

قوله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» -إلى قوله- «غَفُورًا رَحِيمًا» الأمانه -أيا ما كانت- شىء يودع عند الغير ليحفظ عليه ثم يرده إلى من أودعه، فهذه الأمانه المذكوره فى الآيه شىء ائتمن الله الإنسان عليه ليحفظ على سلامته و استقامته ثم يرده إليه سبحانه كما أودعه.

و يستفاد من قوله: «لِيَعْذِبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ» إلخ، أنه أمر يترتب على حمله النفاق و الشرك و الإيما، فينقسم حاملوه باختلاف كيفية حملهم إلى منافق و مشرك و مؤمن.

فهو لا محاله أمر مرتبط بالدين الحق الذى يحصل بالتلبس به و عدم التلبس به النفاق و الشرك و الإيما.

فهل هو الاعتقاد الحق و الشهاده على توحده تعالى أو مجموع الاعتقاد و العمل بمعنى أخذ الدين الحق بتفاصيله مع الغض عن العمل به، أو التلبس بالعمل به أو الكمال الحاصل للإنسان من جهة التلبس بواحد من هذه الأمور.

و ليست هى الأول أعنى التوحيد فإن السماوات و الأرض و غيرهما من شىء توحده تعالى و تسبح بحمده، و قد قال تعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»، :إسراء: ٤٤ و الآيه تصرح بإبائها عنه.



و ليست هي الثاني أعنى الدين الحق بتفاصيله فإن الآيه تصرح بحمل الإنسان كائنا من كان من مؤمن وغيره له و من البين أن أكثر من لا يؤمن لا يحمله و لا علم له به، و بهذا يظهر أنها ليست بالثالث و هو التلبس بالعمل بالدين الحق تفصيلا.

و ليست هي الكمال الحاصل له بالتلبس بالتوحيد فإن السماوات و الأرض و غيرها ناطقه بالتوحيد فعلا متلبسه به.

و ليست هي الكمال الحاصل من أخذ دين الحق و العلم به إذ لا يترتب على نفس الاعتقاد الحق و العلم بالتكاليف الدينيه نفاق و لا شرك و لا إيمان و لا يستعقب سعادته و لا شقاء و إنما يترتب الأثر على الالتزام بالاعتقاد الحق و التلبس بالعمل.

فبقي أنها الكمال الحاصل له من جهه التلبس بالاعتقاد و العمل الصالح و سلوك سبيل الكمال بالارتقاء من حضيض الماده إلى أوج الإخلاص الذى هو أن يخلصه الله لنفسه فلا يشاركه فيه غيره فيتولى هو سبحانه تدبير أمره و هو الولايه الإلهيه.

فالمراد بالأمانه الولايه الإلهيه و بعرضها على هذه الأشياء اعتبارها مقيسه إليها و المراد بحملها و الإباء عنه وجود استعدادها و صلاحية التلبس بها و عدمه، و هذا المعنى هو القابل لأن ينطبق على الآيه فالسماوات و الأرض و الجبال على ما فيها من العظمه و الشده و القوه فاقده لاستعداد حصولها فيها و هو المراد بإبائهن عن حملها و إشفاقهن منها.

لكن الإنسان الظلوم الجهول لم يأب و لم يشفق من ثقلها و عظم خطرها فحملها على ما بها من الثقل و عظم الخطر فتعقب ذلك أن انقسم الإنسان من جهه حفظ الأمانه و عدمه بالخيانه إلى منافق و مشرك و مؤمن بخلاف السماوات و الأرض و الجبال فما منها إلا مؤمن مطيع.

فإن قلت: ما بال الحكيم العليم حمل على هذا المخلوق الظلوم الجهول حملا لا يتحملة لثقله و عظم خطره السماوات و الأرض و الجبال على عظمتها و شدتها و قوتها و هو يعلم أنه أضعف من أن يطيق حملة و إنما حملة على قبولها ظلمه و جهله و أجرأه عليه غروره و غفلته عن عواقب الأمور فما تحميلة الأمانه باستدعائه لها ظلما و جهلا إلا كتقليد مجنون ولايه عامه يأبى قبولها العقلاء و يشفقون منها يستدعيها المجنون لفساد عقله و عدم استقامه فكره.

قلت: الظلم و الجهل فى الإنسان و إن كانا بوجه ملاك اللوم و العتاب فهما بعينهما مصحح حمله الأمانه و الولايه الإلهيه فإن الظلم و الجهل إنما يتصف بهما من كان من شأنه الاتصاف بالعدل و العلم فالجبال مثلا لا تتصف بالظلم و الجهل فلا يقال: جبل ظالم أو جاهل لعدم صحه اتصافه بالعدل و العلم و كذلك السماوات و الأرض لا يحمل عليها الظلم و الجهل لعدم صحه اتصافها بالعدل و العلم بخلاف الإنسان.

و الأمانه المذكوره فى الآيه و هى الولايه الإلهيه و كمال صفه العبوديه إنما تتحصل بالعلم بالله و العمل الصالح الذى هو العدل و إنما يتصف بهذين الوصفين أعنى العلم و العدل الموضوع القابل للجهل و الظلم فكون الإنسان فى حد نفسه و بحسب طبعه ظلوما جهولا هو المصحح لحمل الأمانه الإلهيه فافهم ذلك.

فمعنى الآيتين (1) يناظر بوجه معنى قوله تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ»: التين: ٦.

فقوله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى الْإِنْسَانِ وَالطَّيْرِ وَالْأَنْعَامِ فَأَنكَرَهَا الْإِنْسَانُ وَأَنكَرَهَا الطَّيْرُ وَالْأَنْعَامُ فَاخْتَارُوا الْحَمَلُ فَأْتَيْنَاهُمُ الْبَشَرًا خَلْقًا» فقولنا: «أى الولايه الإلهيه و الاستكمال بحقائق الدين الحق علما و عملا و عرضها هو اعتبارها مقيسه إلى هذه الأشياء.

و قوله: «عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ» أى هذه المخلوقات العظيمة التى خلقها أعظم من خلق الإنسان كما قال: «لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ»، المؤمن: ٥٧ و قوله: «فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا» إباؤها عن حملها و إشفاقها منها عدم اشتمالها على صلاحية التلبس و تجافيتها عن قبولها و فى التعبير بالحمل إيماء إلى أنها ثقيله ثقلا لا يحتملها السماوات و الأرض و الجبال.

و قوله: «وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ» أى اشتمل على صلاحيتها و التهيؤ للتلبس بها على ضعفه و صغر حجمه «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» أى ظلما لنفسه جاهلا بما تعقبه هذه الأمانه لو خانها من وخيم العاقبه و الهلاك الدائم.

و بمعنى أدق لكون الإنسان خاليا بحسب نفسه عن العدل و العلم قابلا للتلبس بما

ص: ٣٥٠

يفاض عليه من ذلك و الارتقاء من حضيض الظلم و الجهل إلى أوج العدل و العلم.

و الظلوم و الجهول وصفان من الظلم و الجهل معناهما من كان من شأنه الظلم و الجهل نظير قولنا: فرس شמוש و دابه جموح و ماء طهور أى من شأنها ذلك كما قاله الرازى أو معناهما المبالغه فى الظلم و الجهل كما ذكر غيره، و المعنى مستقيم كيفما كانا.

و قوله: «لِيَعِيدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ» اللام للغايه أى كانت عاقبه هذا الحمل أن يعذب الله المنافقين و المنافقات و المشركين و المشركات و ذلك أن الخائن للأمانه يتظاهر فى الأغلب بالصلاح و الأمانه و هو النفاق و قليلا ما يتظاهر بالخيانه لها و لعل اعتبار هذا المعنى هو الموجب لتقديم المنافقين و المنافقات فى الآيه على المشركين و المشركات.

و قوله: «وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» عطف على «لِيَعِيدَ» أى و كان عاقبه ذلك أن يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات، و التوبه من الله هى رجوعه إلى عبده بالرحمه فيرجع إلى الإنسان إذا آمن به و لم يخن بالرحمه و يتولى أمره و هو ولى المؤمنين فيهديه إليه بالستر على ظلمه و جهله و تحلته بالعلم النافع و العمل الصالح لأنه غفور رحيم.

فإن قلت: ما هو المانع من جعل الأمانه بمعنى التكليف و هو الدين الحق و كون الحمل بمعنى الاستعداد و الصلاحيه و الإباء هو فقده و العرض هو اعتبار القياس فيجرى فيه حينئذ جميع ما تقدم فى بيان الانطباق على الآيه.

قلت: نعم لكن التكليف إنما هو مطلوب لكونه مقدمه لحصول الولايه الإلهيه و تحقق صفه العبوديه الكامله فهى المعروضه بالحقيقه و المطلوبه لنفسها.

و الالتفات فى قوله: «لِيَعِيدَ اللَّهُ» من التكلم إلى الغيبه و الإتيان باسم الجلاله للدلاله على أن عواقب الأمور إلى الله سبحانه لأنه الله.

و وضع الظاهر موضع المضممر فى قوله: «وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ» للإشعار بكمال العنايه فى حقهم و الاهتمام بأمرهم.

و لهم فى تفسير الأمانه المذكوره فى الآيه أقوال مختلفه:

فقيل: المراد بها التكاليف الموجهه طاعتها دخول الجنه و معصيتها دخول النار و المراد بعرضها على السماوات و الأرض و الجبال اعتبارها بالنسبه إلى استعدادها و إباؤها

عن حملها و إشفاقهن منها عدم استعدادهن لها، و حمل الإنسان لها استعدادها، و الكلام جار مجرى التمثيل.

و قيل: المراد بها العقل الذى هو ملاك التكليف و مناط الثواب و العقاب.

و قيل: هى قول لا إله إلا الله.

و قيل: هى الأعضاء فالعين أمانه من الله يجب حفظها و عدم استعمالها إلا فيما يرتضيه الله تعالى، و كذلك السمع و اليد و الرجل و الفرج و اللسان.

و قيل: المراد بها أمانات الناس و الوفاء بالعهود.

و قيل: المراد بها معرفه الله بما فيها و هذا أقرب الأقوال من الحق يرجع بتقريب ما إلى ما قدمنا.

و كذلك اختلف فى معنى عرض الأمانه عليها على أقوال:

منها: أن العرض بمعناه الحقيقى غير أن المراد بالسموات و الأرض و الجبال أهلها فعرضت على أهل السماء من الملائكه و بين لهم أن فى خيانتها الإثم العظيم فأبوها و خافوا حملها و عرض على الإنسان فلم يمتنع.

و منها: أنه بمعناه الحقيقى و ذلك أن الله لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهما و قال لها: إني فرضت فريضه و خلقت جنه لمن أطاعنى فيها و ناراً لمن عصانى فيها فقلن:

نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضه و لا نبغى ثواباً و لا عقاباً و لما خلق آدم عرض عليه ذلك فاحتمله و كان ظلوماً لنفسه جهولاً بوخامه عاقبته.

و منها: أن المراد بالعرض المعارضه و المقابله، و محصل الكلام أنا قابلنا بهذه الأمانه السموات و الأرض و الجبال فكانت هذه أرجح و أثقل منها.

و منها أن الكلام جار مجرى الفرض و التقدير و المعنى: أنا لو قدرنا أن السموات و الأرض و الجبال فهما، و عرضنا عليها هذه الأمانه لأبين حملها و أشفقن منها لكن الإنسان تحملها.

و بالمراجعه إلى ما قدمناه يظهر ما فى كل من هذه الأقوال من جهات الضعف و الوهن فلا تغفل.

□ فى الكافى، بإسناده عن محمد بن سالم عن أبى جعفر (ع) فى حديث قال: ولا يلعن الله مؤمنا قال الله عز وجل: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا» - خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا».

و فى تفسير القمى، بإسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله (ع): أن بنى إسرائيل كانوا يقولون: ليس لموسى ما للرجال، و كان موسى إذا أراد الاغتسال ذهب إلى موضع لا يراه فيه أحد - فكان يوما يغتسل على شط نهر و قد وضع ثيابه على صخره - فأمر الله الصخره فتباعدت عنه حتى نظر بنو إسرائيل إليه - فعملوا أن ليس كما قالوا فأنزل الله «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى» الآية.

و فى المجمع، "و اختلفوا فيما أودى به موسى على أقوال:

أحدها: أن موسى و هارون صعدا الجبل فمات هارون - فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته - فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بنى إسرائيل - و تكلمت الملائكة بموته حتى عرفوا أنه قد مات - و برأه الله من ذلك عن على و ابن عباس -.

و ثانيها: أن موسى كان حيا ستيرا يغتسل وحده - فقالوا: ما يستتر منا إلا لعيب فى جلده إما برص و أما أدره - فذهب مره يغتسل فوضع ثوبه على حجر - فمر الحجر بثوبه فطلبه موسى فرآه بنو إسرائيل عريانا - كأحسن الرجال خلقا فبرأه الله مما قالوا. رواه أبو هريره مرفوعا.

أقول: و روى الروايه الأولى فى الدر المنثور، أيضا عن ابن مسعود و الثانيه أيضا عن أنس و ابن عباس.

و فى الدر المنثور، أخرج ابن المنذر و ابن مردويه عن سهل بن سعد الساعدى قال:

□ ما جلس رسول الله ص على هذا المنبر قط إلا تلا هذه الآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا».

أقول: و روى ما يقرب منه أيضا عن عائشه و أبى موسى الأشعري و عروه.

و فى نهج البلاغه: ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها-إنها عرضت على السماوات المبنية و الأرض المدحوه-و الجبال ذات الطول المنصوبه فلا- أطول و لا- أعرض و لا أعلى و لا أعظم منها-و لو امتنع شىء بطول أو عرض أو قوه أو عز لأمتنع-و لكن أشفقن من العقوبه،و عقلن ما جهل من هو أضعف منهن-و هو الإنسان إنه كان ظلوما جهولا.

و فى الكافى، بإسناده عن إسحاق بن عمار عن رجل عن أبى عبد الله(ع): فى قول الله عز و جل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ الآية، قال: هى و لايه أمير المؤمنين(ع).

أقول: المراد بولايه أمير المؤمنين(ع) ما كان هو أول فاتح لبابه من هذه الأمه و هو كون الإنسان، بحيث يتولى الله سبحانه أمره بمجاهدته فيه بإخلاص العبوديه له دون الولايه بمعنى المحبه أو بمعنى الإمامه و إن كان ظاهر بعض الروايات ذلك بنوع من الجرى و الانطباق.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا  
يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ  
عَالَمٌ الْغَيْبِ لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) لِيَجْزِيَ  
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ  
رِجْزٍ أَلِيمٍ (٥) وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦) وَقَالَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفَتُرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا  
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأًا نَحْسِبُ  
بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٩)

تتكلم السوره حول الأصول الثلاثه أعنى الوجدانيه و النبوه و البعث فتذكرها و تذكر ما لمنكريها من الاعتراض فيها و الشبهه التى ألقوها ثم تدفعها بوجوه الدفع من حكمه و موعظه و مجادله حسنه و تهتم ببيان أمر البعث أكثر من غيره فتذكره فى مفتتح الكلام ثم تعود إليه عوده بعد عوده إلى مختتمه.

و هى مكيه بشهاده مقاصد آياتها على ذلك.

قوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» الخ، المطلوب بيان البعث و الجزاء بيانا لا يعتريه شك بالإشاره إلى الحججه التى ينقطع بها الخصم و الأساس الذى يقوم عليه ذلك أمران أحدهما عموم ملكه تعالى لكل شىء من كل جهه حتى يصح له أى تصرف أراد فيها من إبداء و رزق و إماتة و إحياء بالإعاده و جزاء، و ثانيهما كمال علمه تعالى بالأشياء من جميع جهاتها علما لا يطرأ عليه عزوب و زوال حتى يعيد كل من أراد و يجزيه على ما علم من أعماله خيرا أو شرا.

و قد أشير إلى أول الأمرين فى الآيه الأولى التى نحن فيها و إلى الثانيه فى الآيه الثانيه و بذلك يظهر أن الآيتين تمهيد لما فى الآيه الثالثه و الرابعه.

فقوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» ثناء عليه على ملكه المنبسط على كل شىء بحيث له أن يتصرف فى كل شىء بما شاء و أراد.

و قوله: «وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ» تخصيص الحمد بالآخره لما أن الجملة الأولى تتضمن الحمد فى الدنيا فإن النظام المشهود فى السماوات و الأرض نظام دنيوى كما يشهد به قوله تعالى: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ». : إبراهيم: ٤٨.



وقوله: « وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ » ختم الآيه بالاسمين الكريمين للدلاله على أن تصرفه فى نظام الدنيا ثم تعقيبه بنظام الآخره مبنى على الحكمة و الخبره فبحكمته عقب الدنيا بالآخره و إلا لغت الخلقه و بطلت و لم يتميز المحسن من المسىء كما قال:

«وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بِاطِلَالٍ X-إلى أن قال X-أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ» \_ص: ٢٨، و بخبرته يحشرهم و لا يغادر منهم أحدا و يجرى كل نفس بما كسبت.

و الخبير من أسماء الله الحسنى مأخوذه من خبره و هى العلم بالجزئيات فهو أخص من العليم.

قوله تعالى: «يَعْلَمُ مَا يَلْجِجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا» الولوج مقابل الخروج و العروج مقابل النزول و كان العلم بالولوج و الخروج و النزول و العروج كناية عن علمه بحركه كل متحرك و فعله و اختتام الآيه بقوله: « وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ » كان فيه إشاره إلى أن له رحمه ثابتة و مغفره ستصيب قوما بإيمانهم.

قوله تعالى: « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَ رَبِّي لَأَتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ » الخ، يذكر إنكارهم لإتيان الساعه و هى يوم القيامة و هم ينكرونه مع ظهور عموم ملكه و علمه بكل شىء و لا مورد للارتباب فى إتيانها مع ذلك كما تقدم فضلا عن إنكار إتيانها و لذلك أمر النبى ص أن يجيب عن قولهم بقوله: « قُلْ بَلَى وَ رَبِّي لَأَتِيَنَّكُمْ » أى الساعه.

و لما كان السبب العمده فى إنكارهم هو اختلاط الأشياء و منها أبدان الأموات بعضها ببعض و تبدل صورها تبديلا بعد تبدل بحيث لا-خبر عن أعيانها فيمتنع إعادتها من دون تميز بعضها من بعض أشار إلى دفع ذلك بقوله: «عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ» أى لا يفوت «عن علمه مثقال ذره فى السماوات و لا فى الأرض».

و قوله: « وَ لَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ » تعميم لعلمه لكل شىء و فيه مع ذلك إشاره إلى أن للأشياء كائنه ما كانت ثبوتا فى كتاب مبین لا تتغير و لا تتبدل و إن زالت رسومها عن صفحه الكون و قد تقدم بعض الكلام فى الكتاب المبین فى سورة الأنعام و غيرها.

قوله تعالى: «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» اللام في «لِيَجْزِيَ» للتعليل و هو متعلق بقوله: «لَتَأْتِيَنَّكُمْ» و في قوله: «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» نوع محاذاه لقوله السابق: «وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغُفُورُ».

و في الآية بيان أحد السببين لقيام الساعة و هو أن يجزي الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالمغفرة و الرزق الكريم و هو الجنة بما فيها و السبب الأخير ما يشير إليه قوله:

«وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ» إلخ.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ» السعى الجد في المشى و المعاجزه المبالغه في الإعجاز و قيل: المسابقه و الكلام مبنى على الاستعاره بالكنايه كان الآيات مسافه يسرون فيها سيرا حثيثا ليعجزوا الله و يسبقوه و الرجز كالرجس القدر و لعل المراد به العمل السيئ فيكون إشاره إلى تبدل العمل عذابا أليما عليهم أو سببا لعذابهم، و قيل: الرجز هو سىء العذاب.

و في الآية تعريض للكفار الذين يصرون على إنكار البعث.

قوله تعالى: «وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ» الموصول الأول فاعل يرى و الموصول الثاني مفعوله الأول و الحق مفعوله الثاني و المراد بالذين أوتوا العلم العلماء بالله و بآياته، و بالذى أنزل إليه القرآن النازل إليه (ص).

و جمله «وَيَرَى» إلخ، استئناف متعرض لقوله السابق: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أو حال من فاعل كفروا، و المعنى: أولئك يقولون: لا تأتينا الساعة و ينكرونه جهلا، و العلماء بالله و آياته يرون أن هذا القرآن النازل إليك المخبر بأن الساعة آتية هو الحق.

و قوله: «وَيَهْدِي إِلَيْنَا صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» معطوف على الحق أى و يرون القرآن يهدى إلى صراط من هو عزيز لا يغلب على ما يريد محمود يثنى على جميع أفعاله لأنه لا يفعل مع عزته إلا الجميل و هو الله سبحانه، و فى التوصيف بالعزيز الحميد مقابله لما وصفهم به فى قوله: «الَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ».

قوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ

«كلام منهم وارد مورد الاستهزاء يعرفون فيه النبي ص بعضهم لبعض بالقول بالمعاد.

و التمزيق التقطيع و التفريق، و كونهم فى خلق جديد استقرارهم فيه أى تجديد خلقتهم بإحيائهم بعد موتهم و وجودهم ثانيا بعد عدمهم، و قوله: «إِذَا مَزَّقْتُمْ» ظرف لقوله: «إِنْكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ».

و المعنى: و قال الذين كفروا بعضهم لبعض على طريق الاستهزاء بالنبي ص لإنذاره إياهم بالبعث و الجزاء: هل ندلكم على رجل و المراد به النبي ص ينبئكم و يخبركم أنكم ستستقرون فى خلق جديد و يتجدد لكم الوجود إذا فرقت أبدانكم كل التفريق و قطعت بحيث لا يتميز شىء منها من شىء.

قوله تعالى: «أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» إلخ، الاستفهام للتعجب فإن القول ببعث الأجساد بعد فنائها عجيب عندهم لا يقول به عاقل إلا لتلبيس الأمر على الناس و إضلالهم لينال بعض ما عندهم و إلا فكيف يلتبس فيه الأمر على عاقل، و لهذا رددوا الأمر بين الافتراء و الجنه فى الاستفهام و المعنى: أ هو عاقل يكذب على الله افتراء عليه بالقول بالبعث أم به نوع جنون يتفوه بما بدا له من غير فكر مستقيم.

و قوله: «بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبُعِيدِ» رد لقولهم و إضراب عن التردد الذى أتوا به مستفهمين، و محصله أن ذلك ليس افتراء على الله و لا جنون فيه بل هؤلاء الكفار مستقرون فى عذاب سيظهر لهم و قد أبعدهم ذلك عن الحق فكانوا فى ضلال بعيد لا يسعهم مع ذلك أن يعقلوا الحق و يدعوا به.

و وضع الموصول موضع الضمير فى قوله: «بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» للدلالة على أن عله وقوعهم فيما وقعوا فيه من العذاب و الضلال عدم إيمانهم بالآخرة.

قوله تعالى: «أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشَأَ نَحْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسِيطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ» إلخ، وعظ و إنذار لهم باستعظام ما اجترءوا عليه من تكذيب آيات الله و الاستهزاء برسوله فالمراد بقوله: «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» إحاطة السماء و الأرض بهم من بين أيديهم و من خلفهم فأينما نظروا وجدوا سماء تظلمهم و أرضا تقلهم لا مفر لهم منهما.

وقوله: «إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ» أى إذ أحاط بهم الأرض و السماء و هما مدبرتان بتدبيرنا منقادتان مسخرتان لنا أن نشأ نخسف بهم الأرض فنهلكهم أو نسقط عليهم قطعه من السماء فنهلكهم فما لهم لا ينتهون عن هذه الأقاويل؟.

وقوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ»، أى فيما ذكر من إحاطه السماء و الأرض و كونهما مدبرتين لله سبحانه أن يشأ يخسف بهم الأرض أو يسقط عليهم كسفا من السماء لآيه لكل عبد منيب، راجع إلى ربه بالطاعة، فهؤلاء لا يستهينون بهذه الأمور و لا يجترءون على تكذيب هذه الآيات إلا لكونهم مستكبرين عاتين لا يريدون إنباه إلى ربهم و رجوعا إلى طاعته.

## [سوره سبا (٣٤): الآيات ١٠ الى ٢١]

### اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنْ إِعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَ إِعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَ رَوْحُهَا شَهْرٌ وَ أَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مِمَّا يُشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ إِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ سُكْرًا وَ قَلِيلًا مِّنْ عِبَادِي الشَّاكِرِ (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْعَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَ رَبُّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَ بَدَّلْنَا هُمَ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكْحُلٍ خَمْطٍ وَ أُنْثَىٰ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكُمْ جَزَاءُ هُمَ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً وَ قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيَّرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا هُمْ أَحَادِيثَ وَ مَرَفْنَا هُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَلآيَاتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَ رَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١)

تشير الآيات إلى نبذه من قصص داود و سليمان إذ آتاهما الله من فضله إذ أنعم على داود بتسخير الجبال و الطير معه و تليين الحديد له، و سخر لسليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر و سخر الجن يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و غيرها و أمرهما بالعمل الصالح شكرا و كانا عبدين شكورين.

ثم إلى قصه سيا حيث أنعم عليهم بجننتين عن اليمين و الشمال ليعيشوا فيها عيشا

رغدا فكفروا بالنعمة و أعرضوا عن الشكر فأرسل عليهم سيل العرم و بدل جنتيهم جنتين دون ذلك و قد كان عمر بلادهم فكفروا فجعلهم أحاديث و مزقهم كل ممزق، كل ذلك لكفرهم النعمة و إعراضهم عن الشكر و لا يجازى إلا الكفور.

وجه اتصال القصص على ما تقدم من حديث البعث أن الله هو المدبر لأمر عباده و هم مغمورون فى أنواع نعمه و للمنع على المنعم عليه الشكر على نعمته و عليه أن يميز بين الشاكرين لنعمته و الكافر بها و إذلا- ميز فى هذه النشأه فهناك نشأه أخرى يتميز فيها الفريقان فالبعث لا مفر عنه.

قوله تعالى: « وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ » الفضل العطيه و التأويب الترجيع من الأوب بمعنى الرجوع و المراد به ترجيع الصوت بالتسييح بدليل قوله فيه فى موضع آخر: «إِذَا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْرَاقِ وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ» .-ص: ١٩ و الطير معطوف على محل الجبال و منه يظهر فساد قول بعضهم: إن الأوب بمعنى السير و أن الجبال كانت تسير معه حيثما سار.

و قوله: «يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ» بيان للفضل الذى أوتى داود و قد وضع فيه الخطاب الذى خوطبت به الجبال و الطير فسخرتا به موضع نفس التسخير الذى هو العطيه و هو من قبيل وضع السبب موضع المسبب و المعنى: سخرنا الجبال له تثوب معه و الطير، و هذا هو المتحصل من تسخير الجبال و الطير له كما يشير إليه قوله: «إِذَا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْرَاقِ وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ» .-ص: ١٩ و قوله: «وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ» أى و جعلناه لنا له على ما به من الصلابه.

قوله تعالى: «أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَ قَدَّرُ فِي السَّرْدِ» إلخ، السابغات جمع سابغه و هى الدرع الواسعه، و السرد نسج الدرع، و تقديره الاقتصاد فيه بحيث تتناسب حلقه أى اعمل دروعا واسعه و أجعلها متناسبه الحلق، و جمله «أَنْ أَعْمَلَ» إلخ، نوع تفسير لا لأنه الحديد له.

و قوله: «وَ أَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» معنى الجملة فى نفسها ظاهر و هى لوقوعها فى سياق بيان إيتاء الفضل و عد النعم تفيد معنى الأمر بالشكر كأنه قيل:

و قلنا اشكر النعم أنت و قومك بالعمل الصالح.

قوله تعالى: « وَ لَسِيْلِيْمَانَ الرِّيْحِ غُدُوْهَا شَهْرٌ وَ رَوْحُهَا شَهْرٌ » إلخ، أى و سخرنا لسليمان الريح مسير غدو تلك الريح- و هو أول النهار إلى الظهر- مسير شهر و رواح تلك الريح- و هو من الظهر إلى آخر النهار- مسير شهر أى أنها تسير فى يوم مسير شهرين.

و قوله: « وَ أَسِيْلَتَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ » الإسهاله إفعال من السيلان بمعنى الجريان و القطر النحاس أى و أذبنا له القطر فسالت كالعين الجارية.

قوله: « وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ »، أى و جمع من الجن- بدليل قوله بعد: « يَعْمَلُونَ لَهُ »- يعمل بين يديه بإذن ربه مسخرين له « وَ مَنْ يَزِغْ » أى ينحرف « عَنْ أَمْرِنَا » و لم يطع سليمان « نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ » ظاهر السياق أن المراد به عذاب النار فى الدنيا دون الآخرة، و فى لفظ الآيه دلالة على أن المسخر له كان بعض الجن لا جميعهم.

قوله تعالى: « يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ » إلخ، المحارِب جمع محراب و هو مكان إقامة الصلاة و العبادة، و التماثيل جمع تماثيل و هى الصورة المجسمة من الشىء و الجفان جمع جفنه و هى صحفه الطعام، و الجوابى جمع جابيه الحوض الذى يجبى أى يجمع فيه الماء، و القدور جمع قدر و هو ما يطبخ فيه الطعام، و الراسيات الثابتات و المراد بكون القدور راسيات كونها ثابتات فى أمكنتها لا يزلن عنها لعظمتها.

و قوله: « اِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا » خطاب لسليمان و سائر من معه من آل داود أن يعملوا و يعبدوا الله شكرا له، و قوله: « وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ » أى الشاكر لله شكرا بعد شكر و الجملة إما فى مقام ترفيع مقام أهل الشكر بأن المتمكنين فى هذا المقام قليلون و هم الأوحديون من الناس، و إما فى مقام التعليل كأنه قيل: إنهم قليل فكثروا عدتهم.

قوله تعالى: « فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ » المراد بدابه الأرض الأرضه على ما وردت به الروايات و المنسأه العصا و قوله:

« فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْعَذَابَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ » الخروار السقوط على الأرض.

و يستفاد من السياق أنه (ع) لما قبض كان متكنا على عصاه فبقى على تلك الحال قائما متكنا على عصاه زمانا لا يعلم بموته إنس و لا جن فبعث الله عز و جل أرضه فأخذت فى أكل منسأته حتى إذا أكلت انكسرت العصا و سقط سليمان على الأرض فعلموا عند ذلك بموته و تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموت سليمان المستور عنهم و ما لبثوا هذا المقدار من الزمان- و هو من حين قبضه إلى خروره- فى العذاب المهين المذل لهم.

قوله تعالى: « لَقَدْ كَانَ لِسَيِّئَةٍ فِي مَسْئَلِهِمْ آيَةٌ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ » إلخ، سبأ العرب العاربه باليمن سماوا- كما قيل- باسم أبيهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، و قوله: « عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ » أى عن يمين مسكنهم و شماله.

و قوله: « كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ » أمر بالأكل من جنتين و هو كناية عن رزقهم منهما، ثم بالشكر له على نعمته و رزقه، و قوله: « بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبُّ غَفُورٌ » أى بلده ملائمه صالحه للمقام و رب كثير الغفران لا يؤاخذكم بسيئاتكم.

قوله تعالى: « فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَ بَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِى أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثَلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ » العرم المسناه التى تحبس الماء، و قيل:

المطر الشديد و قيل غير ذلك، و الأكل بضمين كل ثمره مأكوله، و الخمط -على ما قيل- كل نبت أخذ طعما من المراره، و الأثل الطرفاء و قيل: شجر يشبهها أعظم منها لا ثمره له، و السدر معروف، و الأثل و شىء معطوفان على « أُكُلٍ » لا على خمط.

و المعنى: فأعرضوا أى قوم سبأ عن الشكر الذى أمروا به فجازيناهم و أرسلنا عليهم سيل العرم فأغرق بلادهم و ذهب بجنتيهم و بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى ثمره مره و ذواتى طرفاء و شىء قليل من السدر.

قوله تعالى: « ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ » « ذَلِكَ » إشاره إلى ما ذكر من إرسال السيل و تبديل الجنتين و محله النصب مفعولا ثانيا لجزياناهم و الفرق بين الجزاء و المجازاه- كما قيل إن المجازاه لا تستعمل إلا فى الشر و الجزاء أعم.



و المعنى: جزينا سبأ ذلك الجزاء بسبب كفرهم و إعراضهم عن الشكر- أو فى مقابله ذلك- و لا نجازى بالسوء إلا من كان كثير الكفران لأنعم الله.

قوله تعالى: « وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً » إلخ، ضمير « بَيْنَهُمْ » لسيا و الكلام مسوق لبيان تتمه قصتهم المطلوب ذكرها و هو عطف على قوله: « كَانَ لِسَبَإٍ » و المراد بالقرى التى باركنا فيها القرى الشاميه، و المراد بكون القرى ظاهره كونها متقاربه يرى بعضها من بعض.

و قوله: « وَ قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ » أى جعلنا السير فيها على نسبه مقدره متناسبه غير مختلفه فالنسبه بين واحده منها و ما يليها كالنسبه بين ما يليها و ما يليه، و قوله:

« سَيِّرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّاماً آمِنِينَ » على تقدير القول أى و قلنا: سيروا فى هذه القرى على أمن إن شئتم ليالى و إن شئتم أياماً، و المراد قررنا فيها الأمن يسيرون فيها متى ما شاءوا من غير خوف و قلق.

قوله تعالى: « فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ » إلخ، أى أنعمنا عليهم ما أنعمنا من وفور الفواكه و قرب المنازل و أمن الطرق و سهوله السير و رغد العيش فملوا ذلك و سئموه و قالوا: رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا أى اجعل أسفارنا ذوات مسافات بعيدة نركب فيها الرواحل و نقطع المفاوز و البوادي و هذا بغى منهم و كفران كما طلبت بنو إسرائيل الثوم و البصل مكان المن و السلوى.

و بالجملة أتم الله نعمه عليهم فى السفر بقرب المنازل و أمن الطرق و وفور النعمه كما أتم نعمه عليهم فى الحضر و أراد منهم الشكر على ذلك فكفروا بنعمه فى السفر كما كفروا بها فى الحضر، فأسرع الله فى إسعاف ما اقترحوه فخرّب بلادهم و فرق جمعهم و شتت شملهم.

فقوله: « فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا » اقتراح ضمنى لتخريب بلادهم، و قوله:

« وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ » أى بالمعاصى.

و قوله: « فَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ وَ مَزَقْنَا لَهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ » أى أزلنا أعيانهم و آثارهم فلم يبق منهم إلا أحاديث يحدث بها فيما يحدث فعادوا أسماء لا مسمى لهم إلا فى وهم المتوهم و خيال المتخيل و فرقناهم كل تفرق فلم يبق من أجزاء وجودهم جزءان

مجتمعان إلا فرقنا بينهما فصاروا كسدى لا شبح له بعد ما كانوا مجتمعاً ذا قوه و شوكة حتى ضرب بهم المثل «تفرقوا أيادى سياً».

وقوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» أى فى هذا الذى ذكر من قصتهم آيات لكل من كثر صبره فى جنب الله و كثر شكره لنعمه التى لا تحصى يستدل بتلك الآيات على أن على الإنسان أن يعبد ربه شكراً لنعمه و أن وراءه يوماً يبعث فيه و يجزى بعمله.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى حقق إبليس عليهم ظنه أو وجد ظنه صادقاً عليهم إذ قال لربه: «لَأُغْوِيَنَّهُمْ وَلَأُخْلِتَّنَّهُمْ» و «وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ»، وقوله: «فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» بيان لتصديقه ظنه.

و منه يظهر أن ضمير الجمع فى «عَلَيْهِمْ» هاهنا و كذا فى الآية التالية لعامة الناس لا لسبباً خاصه و إن كانت الآية منطبقه عليهم.

قوله تعالى: «وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ» ظاهر السياق أن المراد أنهم لم يتبعوه عن سلطان له عليهم يضطرهم إلى اتباعه حتى يكونوا معذورين بل إنما اتبعوه عن سوء اختيارهم فهم يختارون اتباعه فيتسلط عليهم لا أنه يتسلط فيتبعونه، قال تعالى: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ»، الحجر: ٤٢ و قال حاكياً عن إبليس يوم القيامة:

«وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ»: إبراهيم: ٢٢.

و منشأ اتباعهم له ريب و شك فى قلوبهم من الآخرة يظهر منهم بظهور أثره الذى هو الاتباع لإبليس، فإذنه سبحانه لإبليس أن يتسلط عليهم من طريق اختيارهم هذا المقدار من التسلط ليمتاز به أهل الشك فى الآخرة من أهل الإيمان به و لا يرفع ذلك مسئوليتهم فى اتباعه لكونه عن اختيار منهم.

فقوله: «وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ» نفى لكل سلطان، وقوله: «إِلَّا لِنَعْلَمَ» أى لتمييز «مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ» استثناء لسلطانه عليهم من طريق

اتباعهم له عن اختيار منهم، وقد وضع فيه الغايه موضع ذى الغايه أى التمييز المذكور موضع التسلط من طريق الاتباع الاختيارى.

و تقييد الإيمان و الشك بالآخره فى الآيه لمكان أن الرادع الوحيد عن المعصيه و الداعى إلى الطاعه هو الإيمان بالآخره دون الإيمان بالله و رسوله لو لا- الآخره كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ». ص: ٢٦ و قوله: «وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ» أى عالم علما لا يفوته المعلوم بنسيان أو سهو أو غير ذلك و فيه تحذير عن الكفران و المعصيه و إنذار لأهل الكفر و المعصيه.

### (بحث روائى)

فى كمال الدين، بإسناده إلى هشام بن سالم عن الصادق (ع): فى حديث يذكر فيه قصه داود (ع) قال: إنه خرج يقرأ الزبور و كان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل- و لا حجر و لا طائر إلا أجابه.

و فى تفسير القمى، "قوله عز و جل: «أَنْ أَعْمَلُ سَابِغَاتٍ» قال: الدرود «وَقَدَّرُ فِي السَّرْدِ» قال: المسامير التى فى الحلقه، و قوله عز و جل: «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَ رَوْاحُهَا شَهْرٌ» قال: كانت الريح تحمل كرسى سليمان- فتسير به فى الغداه مسيره شهر و بالعشى مسيره شهر.

و فى الكافى، بإسناده عن داود بن الحصين و عن أبان بن عثمان عن الفضل أبى العباس قال: قلت لأبى جعفر (ع): «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ- مِنْ مَّحَارِبٍ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ» قال: ما هى تماثيل الرجال و النساء و لكنها تماثيل الشجر و شبهه.

و فيه، عن بعض أصحابنا مرفوعا عن هشام بن الحكم قال: قال أبو الحسن موسى بن جعفر (ع): يا هشام ثم مدح الله القله فقال: «وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ».

أقول: وقد وقع هذا المعنى فى عدة روايات و هو ينطبق على أحد المعنيين المتقدمين فى ذيل الآيه.

و فى العلل، بإسناده عن أبى جعفر (ع) قال: أمر سليمان بن داود الجن فصنعوا له قبه من قوارير- فبينما هو متكئ على عصاه فى القبه- ينظر إلى الجن كيف ينظرون

إليه إذ حانت منه التفاتة- فإذا رجل معه في القبه قال له: من أنت؟ قال: أنا الذى لا- أقبل الرشا ولا- أهاب الملوكة أنا ملك الموت. فقبضه و هو قائم متكئ على عصاه فى القبه و الجن ينظرون إليه-.

قال: فمكثوا سنه يدأبون له حتى بعث الله عز و جل الأرضه- فأكلت منسأته و هى العصا، فلما خر تبينت الجن- أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين الحديث.

أقول: و بقاءه (ع) على حال القيام متكئا على عصاه سنه و ارد فى عده من روايات الشيعة و أهل السنه.

و فى المجمع، فى الحديث عن فروه بن مسيكة قال: سألت رسول الله ص عن سبأ أ رجل هو أم امرأه؟ فقال: هو رجل من العرب- ولد عشره تيامن منهم سته و تشاءم أربعة- فأما الذين تيامنوا- فالأزد و كنده و مذحج و الأشعرون و أنمار و حمير فقال رجل من القوم: ما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم و بجيله. و أما الذين تشاءموا فعامله و جذام و لخم و غسان:

أقول: و رواه فى الدر المنثور، عن عده من أبواب الجوامع و السنن عنه (ص)

و المراد بالتيامن و التشاؤم السكونه باليمن و الشام.

و فى الكافى، بإسناده عن سدير قال: سأل رجل أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز و جل. «فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» الآية- فقال: هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصله ينظر بعضهم إلى بعض- و أنهار جاريه و أموال ظاهره فكفروا نعم الله عز و جل- و غيروا ما بأنفسهم من عافيه الله- فغير الله ما بهم من نعمه- و الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم- فأرسل الله عليهم سيل العرم ففرق قراهم و خرب ديارهم و ذهب بأموالهم و أبدلهم مكان جنانهم جنتين- ذواتى أكل خمط و أثل و شىء من سدر قليل- ثم قال: «ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ».

أقول: و ورد فى عده من الروايات أن القرى التى بارك الله فيها هم أهل بيت النبى ص و القرى الظاهره هم الوسائط بينهم و بين الناس من حمله أحاديثهم و غيرهم، و هو من بطن القرآن و ليس من التفسير فى شىء.

اشاره

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (۲۲) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (۲۳) قُلْ مَنْ يَزُفُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَ إِنَّا أَوْ إِبَائِكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (۲۴) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (۲۵) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (۲۶) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۲۷) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (۲۸) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (۲۹) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (۳۰)

(بیان)

آیات مقررہ للتوحید و احتجاجات حولہ.

قوله تعالى: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» إلى

آخر الآيه، أمر النبي ص أن يحتج على إبطال ألوهيه آلهتهم بعدم قدرتهم على استجابه الدعاء، فقوله: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى ادعوا الذين زعمتموهم آلهه من دون الله-فمفعولا «زَعَمْتُمْ» محذوفان لدلاله السياق عليهما- ودعاؤهم هو مسألتهم شيئا من الحوائج.

وقوله: «لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ» واقع موقع الجواب كأنه قيل: فما ذا يكون إذا دعوهم؟ فقيل: لا يستجيبون لهم بشيء لأنهم «لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ» و لو ملكوا لاستجابوا، ولا تتم الربوبيه و الألوهيه إلا بأن يملك الرب و الإله شيئا مما يحتاج إليه الإنسان فيملكه له و ينعم عليه به فيستحق بإزائه العباده شكرا له فيعبد، أما إذا لم يملك شيئا فلا يكون ربا و لا إلها.

وقوله: «وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ» كان الملك المنفى فى الجملة السابقه «لَا يَمْلِكُونَ» إلخ، الملك المطلق المنبسط على الجميع و المنفى فى هذه الجملة الملك المحدود المتبعض الذى ينسط على البعض دون الكل إما مشاعا أو مفروزا، لكن المشركين ما كانوا يقولون بالملك المشترك بينهم و بين الله سبحانه مشاعا بل كانوا يقولون بملك كل من آلهتهم لنوع من الخلقه أو بعض منها، و أما الله سبحانه فهو رب الأرباب و إله الآلهه.

و على هذا كان من الواجب أن يستجيب آلهتهم إذا دعوا فيما يملكونه من الخلقه و عدم استجابتهم كاشف عن عدم ربوبيتهم و ألوهيتهم.

وقوله: «وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ» أى ليس لله سبحانه منهم كلا أو بعضا من معين يعينه فيما يفرض فيه عجزه عن القيام بأمر تدبيره إذ لو كان له منهم ظهير يظهره على التدبير كان مالكا فيستجيب إذا دعى فيما هو ظهير بالنسبه إليه و إذ ليس فليس.

فتبين مما تقدم أن احتجاج الآيه على نفى الملك بانتفاء استجابتهم دعاء الداعى يجرى فى جميع الصور الثلاث و هى ملكهم لما فى السماوات و ما فى الأرض مطلقا و ملكهم على وجه الشركه مع الله سبحانه و كونهم أو بعضهم ظهيرا لله سبحانه.

قوله تعالى: «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» المشركون كانوا يقولون بشفاعه آلهتهم كما حكاه الله سبحانه عنهم بقوله: «هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ»، يونس: ١٨

و ليس مرادهم بالشفاعه شفاعه يوم القيامه التي يثبتها القرآن الكريم فإنهم ما كانوا يقولون بالمعاد بل الشفاعه في الدنيا لعبادهم عند الله سبحانه ليسعدهم بقضاء حوائجهم و إصلاح شؤونهم بتوسط آلهتهم.

و إذ كانت الآلهه مخلوقين لله مملوكين له من كل وجه فلا يملكون الشفاعه من عند أنفسهم مستقلين بها إلا أن يملكهم الله سبحانه ذلك و هو الإذن لهم في أن يشفعوا فأصل شفاعتهم لو شفعوا بإذن الله سبحانه.

□  
و قوله: «إِلَّا لِمَنْ أذنَ لَهُ» يحتمل أن يكون اللام في «لِمَنْ» لام الملك و المراد بمن أذن له الشافع من الملائكه، و المعنى: لا تنفع الشفاعه إلا أن يملكه الشافع بالإذن من الله و أن يكون لام التعليل و المراد بمن أذن له المشفوع له، و المعنى: لا تنفع الشفاعه إلا لأجل من أذن له من المشفوع لهم، قال في الكشاف: و هذا يعنى الوجه الثانى وجه لطيف و هو الوجه انتهى.

□  
و هو الوجه فإن الملائكه على ما يستفاد من كلامه تعالى و سائط لإنفاذ الأمر الإلهى و إجراءاته، قال تعالى: «لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» ، :الأنبياء: ٢٧ و قال: «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ» ، :فاطر: ١ و الوساطه المذكوره من الشفاعه كما تقدم في مباحث الشفاعه في الجزء الأول من الكتاب.

فالملائكه جميعا شفعاء لكن لا في كل أمر و لكل أحد بل في أمر أذن الله فيه و لمن أذن له فنفى شفاعتهم إلا مع الإذن يناسب المشفوع لهم دون الشفعاء، فالآيه في معنى قوله تعالى: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ» ، :الأنبياء: ٢٨ لا في معنى قوله:

□  
«مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» :يونس: ٣.

□  
قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» التنزيح إزاله الفزع و كشفه و ضمائر الجمع-على ما يعطيه السياق- للشفعاء و هم الملائكه.

□  
و لازم قوله: «حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ»-و هو غايه- أن يكون هناك أمرٌ مغيبٌ بها و هو كون قلوبهم في فزع ممتد في انتظار أمر الله سبحانه حتى يرتفع بصدور الأمر منه، فالآيه في معنى قوله تعالى: «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ X-إلى أن قال- X وَ الْمَلَائِكَةُ وَ هُمْ

لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» ، النحل: ٥٠ فالفرع هو التأثر و الانقباض من الخوف و هو المراد بسجدتهم تذلا من خوف ربهم من فوقهم.

و بذلك يظهر أن المراد بفرعهم حتى يفرع عنهم أن التذلل غشى قلوبهم و هو تذللهم من حيث إنهم أسباب و شفعاء فى نفوذ الأوامر الإلهيه و وقوعه على ما صدر و كما أريد، و كشف هذا التذلل هو تلقيهم الأمر الإلهي و اشتغالهم بالعمل كأنهم بحيث لا يظهر من وجودهم إلا فعلهم و طاعتهم لله فيما أمرهم به و أنه لا واسطه بين الله سبحانه و بين الفعل إلا أمره فافهم ذلك.

و إنما نسب الفرع و التفريع إلى قلوبهم للدلاله على أنهم ذاهلون منصرفون عن أنفسهم و عن كل شىء إلا ربهم و هم على هذه الحاله لا يشعرون بشىء غيره حتى إذا كشف الفرع عن قلوبهم عند صدور الأمر الإلهي بلا مهل و لا تخلف فليس الأمر بحيث يعطل أو يتأخر عن الوقوع، قال تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» ، يس: ٨٢ فالمستفاد من الآيه نظرا إلى هذا المعنى أنهم فى فرع حتى إذا أزيل فرعهم بصدور الأمر الإلهي.

و قوله: «قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ» يدل على أنهم طوائف كثيرون يسأل بعضهم بعضا عن الأمر الإلهي بعد صدوره و انكشاف الفرع عن قلوب السائلين.

و يتبين منه أن كشف الفرع و نزول الأمر إلى بعضهم أسبق منه إلى بعض آخر فإن لازم السؤال أن يكون المسئول عالما بما سئل عنه قبل السائل.

فلهم مراتب مختلفه و مقامات متفاوته بعضها فوق بعض تتلقى الدانيه منها الأمر الإلهي من العالیه من غير تخلف و لا مهله و هو طاعه الدانى منهم للعالى، كما يستفاد ذلك أيضا بالتدبر فى قوله تعالى: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ» ، الصافات: ١٦٤ و قوله فى وصف الروح الأمين: «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ» :التكوير: ٢١.

فبينهم مطاع و مطيع و لا- طاعه مع ذلك إلا الله سبحانه لأن المطاع منهم لا شأن له إلا إيصال ما وصل إليه من الأمر الإلهي إلى مطيعه الذى دونه، و يمكن أن يستفاد ذلك من توصيف القول بالحق فى قوله: «قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ» أى قال



القول الثابت الذى لا سبيل للبطلان و التبدل إليه.

و ما أطف ختم الآيه بقوله تعالى: « وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ » أى هو العلى الذى دونه كل شىء و الكبير الذى يصغر عنده كل شىء فليس للملائكه المكرمين إلا تلقى قوله الحق و امتثاله و طاعته كما يريد.

فقد تحصل من الآيه الكريمه أن الملائكه فزعون فى أنفسهم متذللون فى ذواتهم ذاهلون عن كل شىء إلا عن ربهم محدقون إلى ساحة العظمه و الكبرياء فى انتظار صدور الأمر حتى يكشف عن قلوبهم الفزع، بصدور الأمر و نزوله و هم مع ذلك طوائف مختلفه ذووا مقامات متفاوتة علوا و دنوا يتوسط كل عال فى إيصال الأمر النازل إلى من هو دونه.

فهم مع كونهم شفعاء و أسبابا متوسطه لا يشفعون و لا يتوسطون فى حدوث حادث من حوادث الخلق و التدبير إلا بإذن خاص من ربهم فى حدوثه فيتحملون الأمر النازل إليهم حتى يحققوه فى الكون من غير أن يستقلوا من أنفسهم فى شىء أو يستبدوا برأى، و من كان هذا شأنه لا يشعر بشىء إلا طاعه ربه فيما يأمره به كيف يكون ربا مستقلا فى أمره مفوضا إليه التدبير يعطى ما يشاء و يمنع ما يشاء؟ و فى الآيه أقوال مختلفه آخر:

منها: أن ضمير « قُلُوبِهِمْ » و « قَالُوا » الثانى للمشركين دون الملائكه و ضمير « قَالُوا » الأول للملائكه و المعنى: حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين وقت الفزع قالت الملائكه لهم: ما ذا قال ربكم؟ قالت المشركون لهم: الحق فيعترفون بما أنكروه فى الدنيا.

و منها: أن ضمير « قُلُوبِهِمْ » للملائكه و المراد أن الملائكه الموكلين بالأعمال إذا صعدوا بأعمال العباد إلى السماء و لهم زجل و صوت عظيم خشيت الملائكه أنها الساعه فيفزعون و يخرون سجدا لله سبحانه حتى إذا كشف عن قلوبهم الفزع و علموا أنه ليس الأمر كذلك فسألوا ما ذا قال ربكم؟ قالوا: الحق.

و منها: أن الله لما بعث النبى ص بعد فتره بينه و بين عيسى (ع) لم ينزل فيها شىء من الوحي أنزل الله سبحانه جبريل بالوحي فلما نزل ظنت الملائكه أنه

نزل بشيء من أمر الساعة فصعقوا لذلك فجعل جبريل يمر بكل سماء و يكشف الفرع عن الملائكة الساكنين فيها فرفعوا رءوسهم و قال بعضهم لبعض: ما ذا قال ربكم؟ قالوا:

الحق أى الوحي.

و منها: أن الضمير للملائكة و المراد أن الله سبحانه إذا أوحى إلى بعض الملائكة غشى على الملائكة عند سماع الوحي و يصعقون و يخرون سجدا للآية العظيمة فإذا فرغ عن قلوبهم سألت الملائكة ذلك الملك الذى أوحى إليه ما ذا قال ربك؟ أو سأل بعضهم بعضا ما ذا قال ربكم؟ فيعلمون أن الأمر فى غيرهم.

و أنت بعد التدبر فى الآيه الكريمة و التأمل فيما قدمناه تعلم وجه الضعف فى هذه الأقوال و أن شيئا منها على تقدير صحته فى نفسه لا يصلح تفسيرا لها.

قوله تعالى: «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ» الخ، احتجاج آخر على المشركين من جهة الرزق الذى هو الملاك العمده فى اتخاذهم الآلهة فإنهم يتعللون فى عبادتهم الآلهة بأنها ترضيهم فيوسعون لهم فى رزقهم فيسعدون بذلك.

فأمر النبى ص أن يسألهم من يرزقهم من السماوات و الأرض؟ و الجواب عنه أنه الله سبحانه لأن الرزق خلق فى نفسه و لا خالق- حتى عند المشركين- إلا الله عز اسمه لكنهم يستكفون عن الاعتراف به بألسنتهم و إن أذعن به قلوبهم و لذلك أمر أن ينبههم فى الجواب فقال: «قُلِ اللَّهُ».

و قوله: «وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» تتمه قول النبى ص و هذا القول بعد إلقاء الحجج القاطعه و وضوح الحق فى مسأله الألوهيه مبنى على سلوك طريق الإنصاف، و مفاده أن كل قول إما هدى أو ضلال لا ثالث لهما نفيا و إثباتا و نحن و أنتم على قولين مختلفين لا يجتمعان فإما أن نكون نحن على هدى و أنتم فى ضلال و إما أن تكونوا أنتم على هدى و نحن فى ضلال فانظروا بعين الإنصاف إلى ما ألقى إليكم من الحجج و ميزوا المهدي من الضال و المحق من المبطل.

و اختلاف التعبير فى قوله: «لَعَلَىٰ هُدًىٰ» و «فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» بلفظه على و فى- كما قيل- للإشارة إلى أن المهتدى كأنه مستعل على منار يتطلع على السبيل و غايتها التى فيها سعاده، و الضال منغمر فى ظلمه لا يدرى أين يضع قدمه و إلى أين يسير

و ما ذا يراد به؟.

قوله تعالى: «قُلْ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنَدِّمُونا عَمَّا تَعْمَلُونَ» أى إن العمل و خاصة عمل الشر لا يتعدى عن عامله و لا يلحق وباله إلا به فلا يسأل عنه غيره فلا تسألون عما أجرمنا بل نحن المسئولون عنه و لا نسأل عما تعملون بل أنتم المسئولون.

و هذا تمهيد لما فى الآيه التاليه من حديث الجمع و الفتح فإن الطائفتين إذا اختلفا فى الأعمال خيرا و شرا كان من الواجب أن يفتح بينهما و يتميز كل من الأخرى حتى يلحق به جزاء عمله من خير أو شر أو سعادته أو شقاء و الذى يفتح و يتميز هو الرب تعالى.

و فى التعبير عن عمل أنفسهم بالإجرام و فى ناحيه المشركين بقوله: «تَعْمَلُونَ» و لم يقل تجرمون أخذ بحسن الأدب فى المناظره.

قوله تعالى: «قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ» لما كان من الواجب أن يلحق بكل من المحسن و المسىء جزاء عمله و كان لازمه التمييز بينهما بالجمع ثم الفرق كان ذلك شأن مدبر الأمر و هو الرب أمر نبيه ص أن يذكرهم أن الذى يجمع بين الجميع ثم يفتح بينهم بالحق هو الله، فهو رب هؤلاء و أولئك فإنه هو الفاتح العليم يفتح بين كل شيئين بالخلق و التدبير فيتميز بذلك الشىء من الشىء كما قال: «أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا»، :الأنبياء: ٣٠ و هو العليم بكل شىء.

فالآيه تثبت البعث لتمييز المحسن من المسىء أولا- ثم انحصار التمييز و الجزاء فى جانبه تعالى بانحصار الربوبيه فيه و يبطل بذلك ربوبيه من اتخذوه من الأرباب.

و الفتح من أسماء الله الحسنى و الفتح إيجاد الفصل بين شيئين لفائده تترتب عليه كفتح الباب للدخول بإيجاد الفصل بين مصراعيه و الفتح بين الشيئين لتمييز كل منهما عن الآخر بذاته و صفاته و أفعاله.

قوله تعالى: «قُلْ أَرُونِى الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أمر آخر للنبي ص أن يسألهم أن يروه آلهتهم حتى يختبر هل فيهم الصفات الضروريه للإله المستحق للعباده من الاستقلال بالحياه و العلم و القدره و السمع و البصر؟ و هذا معنى قوله: «أَرُونِى الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ» أى ألحقتموهم به شركاء له.

ص: ٣٧٥

ثم ردع بنفسه و قال: كلا لا يكونون شركاء له لأنهم إما أن يروه الأصنام بما أنها معبوده لهم معدوده آلهمتهم و هي أجسام ميتة خالية عن الحياه و العلم و القدره و إما أن يروه أرباب هذه الأصنام و هم الملائكه و غيرهم يجعل الأصنام تماثيل مشيره إليهم و هم و إن لم يخلوا عن حياه و علم و قدره إلا أن ما لهم من صفات الكمال مفاضه عليهم من الله سبحانه لا استقلال لهم فى شىء من هذه الصفات و لا- فى الأفعال المتفرعه عليها فأين الاستقلال فى التدبير الذى يدعون أنه مفوض إليهم فالوجود الواجبي بكماله اللامتناهي يمنع أن يكون فى خلقه من يشاركه فى شىء من كماله.

اللهم إلا أن يدعوا أنه شاركهم فى بعض ما له من الشئون لتدبير خلقه من غير صلاحيه لهم ذاتيه و هذا ينافى حكمته تعالى.

و قد أشير إلى هذه الحجج بقوله: «بَيْلٌ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» فإن عزته تعالى - و هو منع جانبه أن يعدو إلى حريم كماله عاد لكونه لا- يحد بحد- تمنع أن يشاركه فى شىء من صفات كماله كالربوبيه و الألوهيه المنتهيتين إلى الذات أحد غيره هذا لو كانت الشركه عن صلاحيه ذاتيه من الشركه و لو كانت عن إرادته جزافيه منه من غير صلاحيه حقيقه من الشركه فالحكمه الإلهيه تمنع ذلك.

و قد تبين بذلك أن الآيه متضمنه لحججه قاطعه برهانيه فأحسن التدبر فيها.

قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» قال الراغب فى المفردات: الكف كف الإنسان و هي ما بها يقبض و يبسط و كفته أصبت كفه، و كفته أصبته بالكف و دفعته بها و تعورف الكف بالدفع على أى وجه كان بالكف كان أو غيرها حتى قيل: رجل مكفوف لمن قبض بصره، و قوله: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ أَي كَافًا لَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي وَ الْهَاءِ فِيهِ لِلْمَبَالِغَةِ كَقَوْلِهِمْ:

راويه و علامه و نسابه. انتهى.

و يؤيد هذا المعنى توصيفه (ص) بالبشير و النذير، فقوله: «بَشِيرًا وَ نَذِيرًا» حالان يبينان صفته لقوله: «كَافَّةً لِلنَّاسِ».

و ربما قيل: إن التقدير و ما أرسلناك إلا إرساله كافه للناس و لا يخلو من تكلف و بعدو.

أما كون كافته بمعنى جميعا و حالا من الناس، والمعنى: و ما أرسلناك إلا للناس جميعا فهم يمنعون عن تقدم الحال على صاحبه المجرور.

و اعلم أن منطوق الآيه و إن كان راجعا إلى النبوه و فيها انتقال من الكلام فى التوحيد إلى الكلام فى النبوه على حد الآيات التالىة، لكن فى مدلولها حجه أخرى على التوحيد و ذلك أن الرساله من لوازم الربوبية التى شأنها تدبير الناس فى طريق سعادتهم و مسيرهم إلى غايات وجودهم فعموم رسالته (ص) و هو رسول الله تعالى لا- رسول غيره دليل على أن الربوبية منحصره فى الله سبحانه فلو كان هناك رب غيره لجاؤهم رسوله و لم يعم رساله النبى ص أو عمتهم و احتاجوا معه إلى غيره، و هذا معنى قول على (ع)-على ما روى- لو كان لربك شريك لأتتك رسله.

و يؤيده ما فى ذيل الآيه من قوله: «و لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» فإن داله انحصار الرساله فى رسل الله على انحصار الربوبية فى الله عز اسمه أمس بجهل الناس من كونه (ص) رسولا كافا لهم عن المعاصى بشيرا و نذيرا.

فمفاد الآيه على هذا: لا يمكنهم أن يروك شريكاه و الحال أنا لم نرسلك إلا كافا لجميع الناس بشيرا و نذيرا و لو كان لهم إله غيرنا لم يسع لنا أن نرسلك إليهم و هم عباد لإله آخر و الله أعلم.

قوله تعالى: «و يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» سؤال عن وقت الجمع و الفتح و هو البعث فالآيه متصله بقوله السابق: «قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا» الآيه، و هذا أيضا من شواهد ما قدمنا من المعنى لقوله: «و مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً» و إلا كانت هذه الآيه و التى بعدها متخللتين بين قوله: «و مَا أَرْسَلْنَاكَ» الآيه، و الآيات التالىة المتعرضه لمسأله النبوه.

قوله تعالى: «قُلْ لَكُمْ مِيعَاتُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ» أمر منه تعالى أن يجيبهم بأن لهم ميعاد يوم مقضى محتوم لا- يتخلف عن الوقوع فهو واقع قطعا و لا- يختلف وقت وقوعه البتة أى إن الله وعد به وعدا لا يخلفه إلا أن وقت وقوعه مستور لا يعلمه إلا الله سبحانه.

و ما قيل: إن المراد به يوم الموت غير سديد فإنهم لم يسألوا إلا عما تقدم وعده و هو يوم الجمع و الفتح و الجمع ثم الفتح من خصائص يوم القيامة دون يوم الموت.

### (بحث روائى)

فى تفسير القمى، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع): فى قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» و ذلك أن أهل السماوات لم يسمعوا و حيا- فيما بين أن بعث عيسى بن مريم إلى أن بعث محمد ص، فلما بعث الله جبرئيل إلى محمد- سمع أهل السماوات صوت و حى القرآن- كوقع الحديد على الصفا فصعق أهل السماوات-

فلما فرغ عن الوحي انحدر جبرئيل- كلما مر بأهل سماء فرغ عن قلوبهم يقول:

كشف عن قلوبهم، فقال بعض لبعض: ما ذا قال ربكم؟ قالوا: الحق و هو العلى الكبير:

أقول: و روى مثله من طرق أهل السنه موصولا و موقوفا عن النبى ص

و مدلول الروايه على أى حال مصداق من مصاديق الآيه و لا تصلح لتفسيرها البته.

و فى الدر المنثور، عن ابن مردويه عن ابن عباس و فى المجمع عنه قال: قال رسول الله ص: أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى. بعثت إلى الناس كافة الأحمر و الأسود- و إنما كان النبى يبعث إلى قومه، و نصرت بالرعب يرعب منى عدوى على مسيره شهر، و أطعمت المغنم، و جعلت لى الأرض مسجدا و طهورا، و أعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتى إلى يوم القيامة- و هى إن شاء الله نائله من لا يشرك بالله شيئا.

أقول: و روى أيضا هذا المعنى عن ابن المنذر عن أبى هريره عنه (ص).

و الروايه معارضه لما ورد مستفيضا أن نوحا كان مبعوثا إلى الناس كافة و ذكر فى بعضها إبراهيم (ع) و فى بعضها أن أولى العزم كلهم مبعوثون إلى الدنيا كافة، و تخالف أيضا عموم الشفاعة للأنبياء المستفاد من عده من الروايات و قد قال تعالى:

«وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» ، الزخرف:

٨٦ و قد شهد القرآن بأن المسيح (ع) من الشهداء قال تعالى: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا» : النساء: ١٥٩.

و الروايات من طرق العامه و الخاصه كثيره في عموم رسالته للناس كافه و ظاهر كثير منها أخذ «كافه» في قوله تعالى: «و ما أرسلناك إلا كافه للناس» حالا من «للناس» قدم عليه و يمنعه البصريون من النحاء و يجوزه الكوفيون.

## [سوره سبا (٣٤): الآيات ٣١ الى ٥٤]

### اشاره

و قال الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قال الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا أ نَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعِيدٍ إِذْ جَاءَكُمْ بَلٌ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَ قالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَ اسِيرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَ جَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) وَ ما أَرْسَلْنَا فِي قَوْمِهِ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤) وَ قالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَ أَوْلادًا وَ ما نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَ ما أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعِيفُ بِما عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّاظِقِينَ (٣٩) وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَ هؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَ لا ضَرًّا وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ الدَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تَكْذِبُونَ (٤٢) وَ إِذا تُتلىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قالُوا ما هَذا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبائَهُمْ وَ قالُوا ما هَذا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرىٰ وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣) وَ ما آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونها وَ ما أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤) وَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ ما بَلَغُوا مِعْشَارَ ما آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كانَ نَكِيرٍ (٤٥) قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِيَ وَ فِرَادِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلامَ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ ما يَبْدِئُ الْباطِلُ وَ ما يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَ إِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠) وَ لَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فِلا فُوتَ وَ أَخَذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَ قالُوا آمَنَّا بِهِ وَ اتىٰ لَهُمُ التَّنائُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَ قَدَّ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ كَما فَعَلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (٥٤)





فصل آخر من آيات السوره تتكلم فى أمر النبوه و ما يرجع إليها و ما يقول المشركون فيها و تتخلص فى خلالها بما يجرى عليهم يوم الموت أو يوم القيامة، و قد اتصلت بقوله فى الفصل السابق: « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ » الآية، و قد عرفت أن الآية كالبرزخ بين الفصلين تذكر الرساله و تجعلها دليلا على التوحيد.

قوله تعالى: « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ » المراد بالذين كفروا المشركون و المراد بالذى بين يديه الكتب السماويه من التوراه و الإنجيل و ذلك أن المشركين و هم الوثنيون ليسوا قائلين بالنبوه و يتبعها الكتاب السماوى.

و قول بعضهم: إن المراد بالذى بين يديه هو أمر الآخره مما لا دليل يساعده، و قد أكثر القرآن الكريم من التعبير عن التوراه و الإنجيل بالذى بين يديه، و من الخطأ قول بعضهم: إن المراد بالذين كفروا هم اليهود.

قوله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» إلخ، الظاهر أن اللام في «الظَّالِمُونَ» للعهد، وهذه الآية والآيتان بعدها تشير إلى أن وبال هذا الكفر -و أساسه ضلال أئمة الكفر وإضلالهم تابعيهم- سيلحق بهم و سيندمون عليه و لن ينفعهم الندم.

فقوله: «وَلَوْ تَرَىٰ» خطاب للنبي ص إذ هم بمعزل عن فهم الخطاب «إِذِ الظَّالِمُونَ» وهم الكافرون بكتب الله و رسله، الذين ظلموا أنفسهم بالكفر «مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» للحساب و الجزاء يوم القيامة «يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ الْقَوْلِ» أى يتحاورون و يتراجعون فى الكلام متخاصمين «يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا» بيان لرجوع بعضهم إلى بعض فى القول و المستضعفون الأتباع الذين استضعفتهم المتبوعون «لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» و هم الأئمة القاده «لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ» يريدون أنكم أجبرتمونا على الكفر و حلتهم بيننا و بين الإيمان.

«قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا» جوابا عن قولهم و ردا لما اتهموهم به من الإكراه و الإكراه «أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ» الاستفهام للإنكار أى أ نحن صرفناكم «عَنِ الْهَيْدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ» فبلوغه إليكم بالدعوة النبويه أقوى الدليل على أنا لم نحل بينه و بينكم و كنتم مختارين فى الإيمان به و الكفر «بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ» متلبسين بالإجرام مستمرين عليه فأجرتمم بالكفر به لما جاءكم من غير أن نجبركم عليه فكفركم منكم و نحن برآء منه.

«وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» ردا لقولهم و دعواهم البراءة «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» أى مكركم بالليل و النهار حملنا على الكفر «إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا» و أمثالا من الآلهة أى أنكم لم تزالوا فى الدنيا تمكرون الليل و النهار و تخطون الخطط لتستضعفونا و تتآمروا علينا فتحملونا على طاعتكم فيما تريدون، فلم نشعر إلا و نحن مضطرون على الائتمار بأمركم إذ تأمرونا بالكفر و الشرك.

«وَأَسْرُوا» و أخفوا «الندامة لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ» و شاهدوا أن لا- مناص، و إخفاؤهم الندامة يوم القيامة -و هو يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء- نظير كذبهم على الله و إنكارهم الشرك بالله و حلفهم لله كان بين كل ذلك من قبيل ظهور

ملكاتهم الرذيله التى رسخت فى نفوسهم فقد كانوا يسرون الندامه فى الدنيا خوفا من شماته الأعداء و كذلك يفعلون يوم القيامة مع ظهور ما أسروا و اليوم يوم تبلى السرائر كما يكذبون بمقتضى ملكه الكذب مع ظهور أنهم كاذبون فى قولهم.

ثم ذكر سبحانه أخذهم للعذاب فقال: « وَ جَعَلْنَا الْأَغْلَالَ السَّلاسلِ » فى أعذاق الذين كفروا هبل يُجَزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ «فصارت أعمالهم أغلالا فى أعناقهم تحبسهم فى العذاب.

قوله تعالى: « وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ » المترفون اسم مفعول من الإتراف و هو الزيادة فى التنعيم، و فيه إشعار بأن الإتراف يفضى إلى الاستكبار على الحق كما تفيد الآيه اللاحقه.

قوله تعالى: « وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ » ضمير الجمع للمترفين، و من شأن الإتراف و الترفه و التقلب فى نعم الدنيا أن يتعلق قلب الإنسان بها و يستعظمها فىرى السعاده فيها سواء وافق الحق أم خالفه فلا يذكر إلا ظاهر الحياه و ينسى ما وراءه.

و لذا حكى سبحانه عنهم ذلك إذ قالوا: « نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا » فلا سعاده إلا فيها و لا شقوه معها « وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ » فى آخره، و لم ينفوا العذاب إلا للغفله و الانصراف عما وراء كثره الأموال و الأولاد فإذ كانت هى السعاده و الفلاح فحسب فالعذاب فى فقدها و لا عذاب معها.

و هاهنا وجه آخر و هو أنهم لغرورهم بما رزقوا به من المال و الولد ظنوا أن لهم كرامه على الله سبحانه و هم على كرامتهم عليهم ما داموا، و المعنى: أنا ذوو كرامه على الله بما أوتينا من كثره الأموال و الأولاد و نحن على كرامتنا فما نحن بمعذبين لو كان هناك عذاب.

فتكون الآيه فى معنى قوله: « وَ لَئِنْ أَدْفَنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعِيدٍ ضَرَّاءَ مَسْتَهْتِهٖ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِيْ وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّيْ إِنَّ لِيْ عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى » حم السجده: ٥٠ قوله تعالى: « قُلْ إِنْ رَبِّيْ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

«الآية و ما يتلوها إلى تمام أربع آيات جواب عن قولهم: «نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا» إلخ، وقد أجب عنه بوجهين أحدهما أن أمر الرزق من الأموال و الأولاد سعه و ضيقا بيد الله على ما تستدعيه الحكمة و المصلحه و هيا من الأسباب لا بمشيه الإنسان و لا لكرامه له على الله فربما بسط في رزق مؤمن أو كافر أو عاقل ذى حزم أو أحمق خفيف العقل، و ربما بسط على واحد ثم قدر له. فلا دلالة في الإتراف على سعادته أو كرامه.

و هذا معنى قوله: «قُلْ إِنَّ رَبِّي» نسبه إلى نفسه لأنهم لم يكونوا يرون الله ربا لأنفسهم و الرزق من شئون الربوبية «يَبْسُطُ» أى يوسع «الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ» من عباده بحسب الحكمة و المصلحه «وَيَقْدِرُ» أى يضيق «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» فينسبونه ما لم يؤتوه إلى الأسباب الظاهرية الاتفاقيه ثم إذا أوتوه نسبه إلى حزمهم و حسن تدبيرهم أنفسهم و كفى به دليلا على الحمق.

قوله تعالى: «وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ» إلى آخر الآيتين هذا هو الجواب الثانى عن قولهم: «نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ» و محصله أن انتفاء العذاب المترتب على القرب من الله لا يترتب على الأموال و الأولاد إذ لا توجب الأموال و الأولاد قربا و زلفى من الله حتى ينتفى معها العذاب الإلهى فوضع تقرب المال فى الآيه موضع انتفاء العذاب من قبيل وضع السبب موضع المسبب.

و هذا معنى قوله: «وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ» التى تعتمدون عليها فى السعادة و انتفاء عذاب الله «بِالَّتِي» أى بالجماعه التى «تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ» أى تقريبا.

«إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا» فى ماله و ولده بأن أنفق من أمواله فى سبيل الله و بث الإيمان و العمل الصالح فى أولاده بتريه دينيه «فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ» لعله من إضافه الموصوف إلى الصفه أى الجزاء المضاعف من جهه أنهم اهتدوا و هدوا و أيضا من جهه تضعيف الحسنات إلى عشر أضعافها و زياده «وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ» أى فى القباب العاليه «آمِنُونَ» من العذاب فما هم بمعذبين.

«وَالَّذِينَ يَشْعُرُونَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ» أى يجدون فى آياتنا و هم يريدون أن يعجزونا- أو أن يسبقونا- أولئك فى العذاب مُخْضَرُونَ» و إن كثرت أموالهم و أولادهم.

و في قوله: «وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ» إلخ، انتقال إلى خطاب عامه الناس من الكفار و غيرهم و الوجه فيه أن ما ذكره من الحكم حكم الأموال و الأولاد سواء في ذلك المؤمن و الكافر فالمال و الولد إنما يؤثران أثرهما الجميل إذا كان هناك إيمان و عمل صالح فيهما و إلا فلا يزيدان إلا و بالا.

قوله تعالى: «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» قال في مجمع البيان: يقال: أخلف الله له و عليه إذا أبدل له ما ذهب عنه. انتهى.

سياق الآيه يدل على أن المراد بالإنفاق فيها الإنفاق في وجوه البر و المراد بيان أن هذا النحو من الإنفاق لا يضيع عند الله بل يخلفه و يرزق بدله.

فقوله في صدر الآيه: «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ» للإشارة إلى أن أمر الرزق في سعته و ضيقه إلى الله سبحانه لا ينقص بالإنفاق و لا يزيد بالإمساك ثم قال: «وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ» قليلا كان أو كثيرا و أيا ما كان من المال «فَهُوَ يُخْلِفُهُ» و يرزقكم بدله إما في الدنيا و إما في الآخرة «وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» فإنه يرزق جودا و رزق غيره معاملة في الحقيقة و معاوضه، و لأنه الرازق في الحقيقة و غيره ممن يسمى رازقا واسطه لوصول الرزق.

قوله تعالى: «وَ يَوْمَ يَخْسِرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَ هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ» المراد بهم جميعا بشهادة السياق العابدون و المعبودون جميعا.

و قوله: «ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَ هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ» ليس سؤال استخبار عن أصل عبادتهم لهم و لو كان كذلك لم يسعهم إنكارها لأنهم عبدوهم في الدنيا و قد أنكروها كما في الآيه بل المراد السؤال عن رضاهم بعبادتهم على حد قوله تعالى لعيسى بن مريم: «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمَّيِّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ».

و الغرض من السؤال تبكيت المشركين و إقناطهم من نصره الملائكة و شفاعتهم لهم و قد عبدوهم في الدنيا لذلك.

قوله تعالى: «قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ» أخذت الملائكة في جوابهم عن سؤاله تعالى بجوامع الأدب فزهوه سبحانه أولاً تنزيها مطلقاً فيه تنزيهه من أن يعبدوا من دونه ثم نفوا رضاهم بعباده المشركين لهم لكن لا- بالتصريح بنفى الرضا بالعبادة ولا- بالتفوه بعبادتهم صوتاً لسأحه المخاطبه عما يقرع السمع بذلك، ولو تصوراً لا تصديقاً بل أجابوا بقصر ولايتهم فيه تعالى و نفيها عنهم ليدل على نفي الرضا بعبادتهم لهم على طريق الكنايه فإن الرضا بعبادتهم لازمه الموالاه بينهم، و الموالاه بينهم تنافى قصر الولايه في الله سبحانه فإذا انحصرت الولايه فيه تعالى لم تكن موالاه و إذا لم تكن موالاه لم يكن رضا.

ثم قالوا على ما حكاه الله سبحانه: «بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ» و الجن هم الطائفة الثانيه من الطوائف الثلاث التي يعبدهم الوثنيون و هم الملائكة و الجن و القديسون من البشر، و الأقدم في استحقاق العباده عندهم هم الطائفتان الأوليان و الطائفة الثالثه ملحقه بهما بعد الكمال و إن كانوا أفضل منهما.

و الإضراب في قولهم: «بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ» يدل على أن الجن كانوا على رضى من عبادتهم لهم.

و هؤلاء من الجن هم الذين يعدهم الوثنيون مبادئ الشرور في العالم فيعبدونهم اتقاء من شرورهم كما يعبدون الملائكة طمعا في خيراتهم لما أنهم مباد للخيرات لا كما قيل: إن المراد بالجن إبليس و ذريته و قبيله و معنى عبادتهم لهم طاعتهم فيما دعوهم إليه من عباده الملائكة أو مطلق المعاصي، و يردده ما وقع في الآيه من التعبير بلفظ الإيمان دون الطاعه و لا ما قيل: إنهم كانوا يتمثلون لهم و يخيلون لهم أنهم الملائكة فيعبدونهم و لا ما قيل: إنهم كانوا يدخلون أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها.

و لعل الوجه في نسبة الإيمان بهم إلى أكثرهم دون جميعهم أن أكثرهم يعبدون الآلهه اتقاء من طروق الشر من قبلهم، و مبادئ الشر عندهم مطلقاً الجن لا كما قيل: إن المراد بالأكثر الكل، و هو مبنى على تفسير العباده بمعنى الطاعه و قد عرفت ما فيه.

قوله تعالى: «فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا

«نوع تفریع على تبری الملائکة منهم و قد بین تبری عامه المتبوعین من تابعیهم و التابعین من متبوعیهم فی مواضع کقوله تعالی: «و یَوْمَ الْقِیَامَةِ یُکْفَرُونَ بِشِرْکِکُمْ» ، فاطر: ۱۴ و قوله: «ثُمَّ یَوْمَ الْقِیَامَةِ یُکْفَرُ بَعْضُکُمْ بِبَعْضٍ وَ یَلْعَنُ بَعْضُکُمْ بَعْضًا»: العنکبوت: ۲۵. و معنی الآیه ظاهر.

قوله تعالی: «وَ إِذَا تَتْلَىٰ عَلَیْهِمْ آیَاتُنَا بَیِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ یُرِیدُ أَنْ یُضِیْدَکُمْ عَمَّا کَانَ یَعْبُدُ آبَاؤَکُمْ» إلخ، خطابهم هذا لعامتهم بعد استماع الآیات تنبیه لهم على الجدل فی التمسک بدين آبائهم و تحریض لهم علیه (ص)، و فی توصیف الآیات بالبینات نوع عتبی كأنه قیل: إذا تتلی علیهم هذه الآیات و هی بینة لا ریب فیها فبدلاً من أن یدعوا عامتهم إلى اتباعها حثوهم على الإصرار على تقلید آبائهم و حرصوهم علیه- و فی إضافه الآباء إلى ضمیر «یُضِدُّکُمْ» مبالغه فی التحریض و الإثارة.

و قوله: «وَ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْکُ مُفْتَرًیٌّ» معطوف على «قَالُوا» أى و قالوا مشیرا إلى الآیات البینات إشاره تحقیر لیس هذا إلا کلاماً مصروفاً عن وجهه مکذوباً به على الله، بدلاً من أن یقولوا: إنها آیات بینات نازله من عند الله تعالی- و قد أشاروا إلى الآیات البینات بهذا دلالة على أنهم لم یفهموا منها إلا أنها شیء ما لا أزید من ذلك.

ثم غیر سبحانه السیاق و قال: «وَ قَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِینٌ» و مجيء الحق لهم بلوغه و ظهوره لهم، و الأخذ بوصف الکفر للإشعار بالتعلیل و المعنى: و الذين کفروا بعثهم الکفر إلى أن یقولوا للحق الصریح الذى بلغهم و ظهر لهم هذا سحر ظاهر سحریته و بطلانه.

و أكد إصرارهم على دحض الحق باتباع الهوى من غیر دلیل یدل علیه بقوله:

«وَ مَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ یَدْرُسُونَهَا وَ مَا أَرْسَلْنَا إِلَیْهِمْ قَبْلَکَ مِنْ نَذِیرٍ» و الجملة حالیه أى و عند الذين کفروا- أى کفار قریش- الحق الصریح الظاهر لهم سحراً مبیناً و الحال أنا لم نعظهم کتباً یدرسونها حتى یمیزوا بها الحق من الباطل و لم نرسل إلیهم قبلك من رسول ینذرهم و یمیز لهم ذلك فیقولوا استناداً إلى الکتاب الإلهی أو إلى قول الرسول النذیر: إنه حق أو باطل.

قوله تعالى: «وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ مَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» ضميرا الجمع الأول والثاني لكفار قريش و من يتلوهم و الثالث و الرابع للذين من قبلهم، و المعشار العشر و النكير الإنكار، و المراد به في الآية لازمه و هو الأخذ بالعذاب.

و المعنى: و كذب بالحق من الآيات الذين كانوا من قبل كفار قريش من الأمم الماضية و لم يبلغ كفار قريش عشر ما آتيناهم من القوه و الشده فكذب أولئك الأقسام رسلى فكيف كان أخذى بالعذاب و ما أهون أمر قريش. و الالتفات فى الآية إلى التكلم لاستعظام الجرم و تهويل المؤاخذه.

قوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِرِإِحْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنِي وَ فِرَادِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ» المراد بالموعظه الوصيه كناية أو تضمينا، و قوله: «أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ» أى تنهضوا لأجل الله و لوجهه الكريم، و قوله: «مَشْنِي وَ فِرَادِي» أى اثنين اثنين و واحدا واحدا كناية عن التفرق و تجنب التجمع و الغوغاء فإن الغوغاء لا شعور لها و لا فكر و كثيرا ما تميت الحق و تحيى الباطل.

و قوله: «مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ» استئناف «إِنَّمَا» نافية و يشهد بذلك قوله بعد:

«إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» و يمكن أن يكون «إِنَّمَا» استفهاميه أو موصوله و «مِنْ جِنَّةٍ» بيانا له.

و المراد بصاحبكم النبى ص نفسه و الوجه فى التعبير به تذكرتهم بصحبته الممتده لهم أربعين سنه من حين ولادته إلى حين بعثته ليتذكروا أنهم لم يعهدوا منه اختلالا فى فكر أو خفه فى رأى أو أى شىء يوهم أن به جنونا.

و المعنى: قل لهم: إنما أوصيكم بالعظه أن تنهضوا و تنتصبوا لوجه الله متفرقين حتى يصفو فكركم و يستقيم رأيكم اثنين اثنين و واحدا واحدا و تفكروا فى أمرى فقد صاحبكم طول عمرى على سداد من الرأى و صدق و أمانه ليس فى من جنه. ما أنا إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد فى يوم القيامة فأنا ناصح لكم غير خائن.

قوله تعالى: «قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ» إلخ، كناية عن عدم سؤال أجر على الدعوه فإنه إذا وهبهم كما سألهم من أجر فليس له عليهم أجر مسئول



و لازمه أن لا يسألهم و هذا تطيب لنفوسهم أن لا يتهموه بأنه جعل الدعوه ذريعه إلى نيل مال أو جاه.

ثم تم القول بقوله: «إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» لئلا يرد عليه قوله بأنه دعوى غير مسموعه فإن الإنسان لا يروم عملا بغير غايه فدفعه بأن لعملى أجرا لكنه على الله لا عليكم و هو يشهد عملى و هو على كل شىء شهيد.

قوله تعالى: «قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ» القذف الرمى، وقوله:

«عَلَامُ الْغُيُوبِ» خبر بعد خبر أو خبر لمبتدء محذوف و هو الضمير الراجع إليه تعالى.

و مقتضى سياق الآيات السابقه أن المراد بالحق المقذوف القرآن النازل إليه بالوحى من عنده تعالى الذى هو قول فصل يحق الحق و يبطل الباطل فهو الحق المقذوف إليه (ص) من عند علام الغيوب فيدمغ الباطل و يزهقه، قال تعالى: «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ»، :الأنبياء: ١٨ و قال: «قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا»: إسرء: ٨١.

قوله تعالى: «قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يُؤَدِّي الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ» المراد بمجىء الحق على ما تهدى إليه الآيه السابقه نزول القرآن المبطل بحججه القاطعه و براهينه الساطعه لكل باطل من أصله.

و قوله: «وَ مَا يُؤَدِّي الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ» أى ما يظهر أمرا ابتدائيا جديدا بعد مجىء الحق و ما يعيد أمرا كان قد أظهره من قبل إظهارا ثانيا بنحو الإعادة فهو كناية عن بطلان الباطل و سقوطه عن الأثر من أصله بالحق الذى هو القرآن.

قوله تعالى: «قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَ إِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ» بيان لأثر الحق الذى هو الوحى فإنه عرفه حقا مطلقا فالحق إذا كان حقا من كل جهه لم يخطئ فى إصابه الواقع فى جهه من الجهات و إلا كان باطلا من تلك الجهه فالوحى يهدى و لا يخطئ البته.

و لذا قال تأكيدا لما تقدم: «قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ» و فرض منى ضلال «فَإِنَّمَا أَضِلُّ» مستقرا ذلك الضلال «عَلَىٰ نَفْسِي» فإن للإنسان من نفسه أن يضل «وَ إِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي» فوجهه حق لا يحتمل ضلالا و لا يؤثر إلا الهدى.

وقد علل الكلام بقوله: «إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ» للدلالة على أنه يسمع الدعوه ولا يحجبه عنها حاجب البعد و قد مهد له قبلا وصفه تعالى في قذف الحق بأنه علام الغيوب فلا يغيب عنه أمر يخل بأمره و يمنع نفوذ مشيئته هدايه الناس بالوحي قال تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ مِنْ رِسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ مِمَّنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ مَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا لِيُعَلِّمَ أَنْ قَدْ أبلغوا رسالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا»: الجن: ٢٨.

قوله تعالى: «وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَ أَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ» ظاهر السياق السابق و يشعر به قوله الآتى: «وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ» أن الآيات الأربع وصف حال مشركى قريش و من يلحق بهم حال الموت.

فقوله: «وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا» أى حين فرغ هؤلاء المشركون عند الموت «فَلَا قُوَّةَ» أى لا يفوتون الله بهرب أو تحصن أو أى حائل آخر.

و قوله: «وَ أَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ» كناية عن عدم فصل بينهم و بين من يأخذهم و قد عبر بقوله: «أَخَذُوا» مبنيا للمفعول ليستند الأخذ إليه سبحانه، و قد وصف نفسه بأنه قريب، و كشف عن معنى قربه بقوله: «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ»، الواقعة: ٨٥ و أزيد منه فى قوله: «مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»، ق: ١٦ و أزيد منه فى قوله: «أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ»، الأنفال: ٢٤ فبين أنه أقرب إلى الإنسان من نفسه و هذا الموقف هو المرصاد الذى ذكره فى قوله: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ»، الفجر:

١٤ فكيف يتصور فوت الإنسان منه و هو أقرب إليه من نفسه؟ أو من ملاحظته المكرمين الذين يأخذون الأمر منه تعالى من غير حاجب يحجبهم عنه أو واسط يتوسط بينه و بينهم.

فقوله: «وَ أَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ» نوع تمثيل لقربه تعالى من الإنسان بحسب ما نتصوره من معنى القرب لاحتباسنا فى سجن الزمان و المكان و أنسنا بالأمر الماديه و إلا فالأمر أعظم من ذلك.

قوله تعالى: «وَ قَالُوا آمَنَّا بِهِ وَ آتَى لَهُمُ التَّائُوشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ» التناوش التناول و ضمير «به» للقرآن على ما يعطيه السياق.

و المراد بكونهم فى مكان بعيد أنهم فى عالم الآخرة و هى دار تعين الجزاء و هى

أبعد ما يكون من عالم الدنيا التي هي دار العمل و موطن الاكتساب بالاختيار و قد تبدل الغيب شهادة لهم و الشهاده غيبا كما تشير إليه الآيه التاليه.

قوله تعالى: « وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ » حال من الضمير في « وَ أَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ » و المراد بقوله: « وَ يَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ » رميهم عالم الآخره و هم في الدنيا بالظنون مع عدم علمهم به و كونه غائبا عن حواسهم إذ كانوا يقولون: لا بعث و لا جنه و لا نار، و قيل: المراد به رميهم النبي ص بالسحر و الكذب و الافتراء و الشعر.

و العنايه في إطلاق المكان البعيد على الدنيا بالنسبه إلى الآخره نظيره إطلاقه على الآخره بالنسبه إلى الدنيا و قد تقدمت الإشاره إليه.

و معنى الآيتين: و قال المشركون حينما أخذوا آمنا بالحق الذي هو القرآن و أنى لهم تناول الإيمان به- إيماننا يفيد النجاه- من مكان بعيد و هو الآخره و الحال أنهم كفروا به من قبل في الدنيا و هم ينفون أمور الآخره بالظنون و الأوهام من مكان بعيد و هو الدنيا.

قوله تعالى: « وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ » ظاهر السياق أن المراد بما يشتهون اللذائذ الماديه الدنيويه التي يحال بينهم و بينها بالموت، و المراد بأشياءهم من قبل أشباههم من الأمم الماضيه أو موافقهم في المذهب، و قوله: « إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ » تعليل لقوله: « كَمَا فُعِلَ » إلخ.

و المعنى: و وقعت الحيلولة بين المشركين المأخوذين و بين ما يشتهون من ملاذ الدنيا كما فعل ذلك بأشباههم من مشركي الأمم الدارجه من قبلهم إنهم كانوا في شك مرعب من الحق أو من الآخره فيقدفونها بالغيب.

و اعلم أن ما قدمناه من الكلام في هذه الآيات الأربع مبنى على ما يعطيه ظاهر السياق و قد استفاضت الروايات من طرق الشيعة و أهل السنه أن الآيات ناظره إلى خسف جيش السفيناني بالبيداء و هو من علائم ظهور المهدي (ع) المتصله به فعلى تقدير نزول الآيات في ذلك يكون ما قدمناه من المعنى من باب جرى الآيات فيه.

فى تفسير القمى، " فى قوله تعالى: « وَ أَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ » قال:

يسرون الندامه فى النار إذا رأوا ولى الله-فقييل: يا بن رسول الله-و ما يغنيهم أسرارهم الندامه و هم فى العذاب؟ قال: يكرهون شماته الأعداء " .:

أقول: و رواه أيضا عن أبى عبد الله (ع) .

وفيه: و ذكر رجل عند أبى عبد الله (ع) الأغنياء و وقع فيهم فقال أبو عبد الله (ع): اسكت- فإن الغنى إذا كان موصولا لرحمه بارا بإخوانه- أضعف الله له الأجر ضعفين لأن الله يقول: « وَ مَا أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى- إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا- فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا- وَ هُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ » .

و فى أمالى الشيخ، بإسناده إلى أمير المؤمنين (ع) فى حديث يقول فيه: حتى إذا كان يوم القيامة حسب لهم- ثم أعطاهم بكل واحده عشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف قال الله عز و جل: « جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا » و قال: « فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا- وَ هُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ » .

و فى الكافى، بإسناده عن السكونى عن أبى عبد الله (ع) قال: قال رسول الله ص: من صدق بالخلف جاد بالعطيه.

وفيه، بإسناده عن سماعه عن أبى الحسن (ع) قال: قال رسول الله ص:

من أيقن بالخلف سخت نفسه بالفقه.

و فى الدر المشثور، أخرج ابن مردويه عن على بن أبى طالب سمعت رسول الله ص يقول: إن لكل يوم نحسا فادفعوا نحس ذلك اليوم بالصدقه، ثم قال: اقرءوا مواضع الخلف فإنى سمعت الله يقول: « وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ » إذا لم ينفقوا كيف يخلف؟

و فى تفسير القمى، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر (ع): فى قوله تعالى:

« قُلْ مَّا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ » و ذلك أن رسول الله ص سأل قومه- أن يودوا أقاربه و لا- يؤذوهم. و أما قوله: « فَهُوَ لَكُمْ » يقول: ثوابه لكم.

و فى الدر المنثور، فى قوله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا» الآية، أخرج الحاكم و صححه عن أبى هريره قال: قال رسول الله ص: يخرج رجل يقال له السفينانى فى عمق دمشق -و عامه من يتبعه من كلب فيقتل حتى ييقر بطون النساء- و يقتل الصبيان فيجمع لهم قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعه- و يخرج رجل من أهل بيتى فيبلغ السفينانى فيبعث إليه جندا من جنده- فيهزمهم فيسير إليه السفينانى بمن معه- حتى إذا صار ببداء من الأرض خسف بهم- فلا ينجو منهم إلا المخبر منهم.

أقول: و الروايه مستفيضه من طرق أهل السنه مختصره أو مفصله و قد رووها من طرق مختلفه عن ابن عباس و ابن مسعود و حذيفه و أبى هريره و جد عمرو بن شعيب و أم سلمه و صفيه و عائشه و حفصه أزواج النبى ص و نفيه امرأه القعقاع عن سعيد بن جبير موقوفا.

و فى تفسير القمى، فى قوله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ» حدثنى أبى عن ابن أبى عمير عن منصور بن يونس عن أبى خالد الكابلى قال: قال أبو جعفر (ع):

و الله لكأنى أنظر إلى القائم (ع)- و قد أسند ظهره إلى الحجر ثم ينشد الله حقه- ثم يقول: يا أيها الناس- من يحاجنى فى الله. فأنا أولى بالله- أيها الناس من يحاجنى بآدم فأنا أولى بآدم. أيها الناس من يحاجنى فى نوح فأنا أولى بنوح. أيها الناس من يحاجنى بإبراهيم فأنا أولى بإبراهيم. أيها الناس من يحاجنى بموسى فأنا أولى بموسى. أيها الناس من يحاجنى بعيسى فأنا أولى بعيسى. أيها الناس من يحاجنى بمحمد فأنا أولى بمحمد. أيها الناس من يحاجنى بكتاب الله فأنا أولى بكتاب الله-.

ثم ينتهى إلى المقام فيصلى ركعتين و ينشد الله حقه. ثم قال أبو جعفر (ع):

هو و الله المضطر فى كتاب الله- فى قوله: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يُكْشِفُ السُّوءَ وَ يُجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ».

فيكون أول من يبايعه جبرئيل ثم الثلاثمائة و الثلاثه عشر- فمن كان ابتلى بالمسير و افى و من لم يتل بالمسير فقد عن فراشه- و هو قول أمير المؤمنين (ع): هم المفقودون عن فرشهم و ذلك قول الله: «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً» قال:

الخيرات الولايه، و قال فى موضع آخر: «وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّه مَعْدُودِهِ»

و هم أصحاب القائم (ع) يجتمعون و الله إليه في ساعه واحده.

فإذا جاء إلى البيداء يخرج إليه جيش السفيناني- فيأمر الله عز و جل الأرض فيأخذ بأقدامهم- و هو قوله عز و جل: «وَلَوْ تَرَى إِذِ  
فَزَعُوا فَلَآ- فَوت- و أُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ وَّ قَالُوا آمَنَّا بِهِ» يعني بالقائم من آل محمد (ع) «وَأَنِّي لَهُمُ التَّنَاوُسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ وَّ  
حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ» يعني أن لا- يعذبوا «كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ» يعني من كان قبلهم من المكذبين هلكوا «مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ  
كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ».

-تم و الحمد لله-.

ص: ٣٩٤







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

